

350

قد انتقل الى من حاجى سلطان حسن

الكاسى بطريق الهبة الشرعية

وانا الفقير الى الله الغنى المعنى



من ممتلكات العبد نور الدين محمد

فى شوال سنة

116

117

بسم الله الرحمن الرحيم رب وفق

وصيته للحسن بن علي عليهما السلم كتبها بحاضرين
عند انصرافه من صفين

روى ابو جعفر بن بابويه القمي رحمه الله ان هذه الوصية كتبها عليه السلم
الى ابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه وهي من افصح الكلام وابلغه واشمله
لدقائق الحكم ولطائفها واحسن عبارة عبرت بها الى سبيل الله وحاضرين
اسم موضع بالشام وفيها فصول

الفصل الاول

قوله من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا
الساكن مساكن الموتى والظاعن عنها الى المولود المؤمل ما لا يدرك
السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصائب
وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا واسير الموت وحليف الهموم وقرين
الاحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات وخليفة الاموات

اقول الرهنة ما رهن والرمية الهدف والتاء للنقل الاسم
من الوصفية الى الاسمية الصرفة والحليف المحالف والنصب الشيء المنصوب
وهذا الفصل كالعنوان للوصية وقد ذكر لنفسه اوصافا سبعة وللولد
اربعة عشر في معرض الوعظ والتنفير عن الدنيا والركون اليها واضاف
الاوصاف للولد لانه هو المقصود بالوصية والموعظة فالاول
من اوصافه الفان واللفظ هنا مجاز تسمية له باسم غايته ووقف على النون
بحذف الياء لمراعاة القرينة الثانية وقد علمت جوازه الثاني المقر للزمان
اي بالغلبة والقهر المعترف بالعجز في يد تصرفاته كانه قد قرره خصما ذا بأس
نفر الاقران له الثالث المدبر العمر وذلك انه كان عليه السلم

قد وقف على الستين الرابع المستسلم للدهر وهو ابلغ من المقر للزمان
الخامس الذام للدنيا ولم يزل عليه السلم ذاما لها منفرا عنها مكثرا من ذكر معايبها
السادس الساكن مساكن الموتى وهو تنفير عن الركون الى الدنيا والمقام
بها بذكر كونها مساكن الموتى اذ من كان في مساكنهم يوشك ان يلحقه
بآثارهم ويعرب في التنفير من قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم الآية السابع الظاعن عنها غدا وهو تذكير بالمعاودة وغدا
كناية عن وقتها ولفظ الظاعن مستعار له واما اوصاف المولود فالاول
المؤمل ما لا يدرك ومنه تنفير عن طول الامل اذ كان ينسي الآخرة وجعل
وجه التنفير باملة ما لا يدرك وظاهر ان الانسان ما دام في هذه
الدار فرجاء امله يحوم مطالبه كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص والامل وذلك يستلزم
انضامه [illegible] ونحوهما الثاني السالك سبيل من قد هلك وتسليهم
سفرهم في الدنيا [illegible] الآخرة وقطعهم لمنازل الاعمار واضافها الى
من هلك تذكيرا بالموت الثالث غرض الاسقام واستعار لفظ الغرض
له باعتبار كونه مرميا بسهام الامراض كالغرض الرابع رهينة الايام
واستعار له لفظ الرهينة باعتبار ان وجوده مربوطة بالاوقات
وداخل في حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتهنه الخامس ورمية
المصائب وهو كقوله وغرض الاسقام السادس وعبد الدنيا ولفظ
العبد مستعار باعتبار ان طالب الدنيا منقاد بطبعه اليها وعامل
لها كما ينقاد العبد لسيده ويعمل له السابع وتاجر الغرور اي تجارته
لها غرور وغفلة عن المكاسب الحقيقية الباقية ولفظ التاجر مستعار

له باعتبار تنزله لماله واعماله في سفر الدنيا انها هي المطالب الحقة المرجوة
للامن وغريم المنايا ولفظ الغريم مستعار له باعتبار طلب الموت
له كالمتقاضي بالرحيل كما يتقاضى الغريم الماسع استعار له لفظ
الاسير باعتبار انقياده للموت وعدم تمكنه من الخلاص العاشر وحليف
الهموم الحادي عشر وقرين الاحزان واستعار لفظي الحليف والقرين له باعتبار
عدم انفكاكه عن الهموم والاحزان كما لا ينفك الحليف والقرين
عن حليفه وقرينه الثاني عشر ونصب الافات كقوله ورمية المصائب الثالث عشر
وصريع الشهوات ولفظ الصريع مستعار له باعتبار كونه مغلوبا بالشهوة
ومقهورا لها كالقتيل الرابع عشر وخليفة الاموات وفيه تنفير عن الدنيا
وتذكير الموت لان خليفة الاموات في معرض ال[illegible] قول بعض
الحكماء ان امرا ليس بينه وبين ادم الا اب [illegible] الموت

الفصل ال[illegible]

قوله اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح [illegible]هر علي واقبال
الاخرة الي ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث
تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي فصدفني رايي وصرفني عن هواي وصرح لي محض
امري فافضى بي الى جد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب ووجدتك
بعضي بل وجدتك كلي حتى كان شيئا لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك
اتاني فعناني من امرك ما يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا
مستظهرا به ان انا بقيت لك او فنيت ٥ **اقول**

جمح الفرس اذا غلب صاحبه فلم يملكه ويزعني يمنعني والمحض الخالص
وافضى اي انهى والشوب المزج والخلط وقابل بين لفظي الاقبال
والادبار والاخرة والدنيا وقد اشرنا الى معنى ادبار الدنيا واقبال
الاخرة في قوله الا وان الدنيا قد ادبرت فاستعار لفظ الجموح
للدهر باعتبار عدم تمكنه من ضبطه في تغيراته وتصرفاته الخارجة
عن اختياره كالجموح من الخيل وما الاولى بمعنى الذي ويحتمل ان
يكون مصدريه وعلى المعنى الاول يكون من للتبيين وعلى الثاني لابتدا
الغاية واما الثانية فبمعنى الذي ومحلها الرفع بالابتدا وفيما
تبينت خبره مستظهرا حال ومدار الفصل على اعلامه اياه انه في
معرض الرحيل عنه وان ذلك الوقت هو وقت الاهتمام بحال
نفسه وبحال من تنزل منزلة نفسه وانه شديد الاهتمام بحاله
ليكون ذلك ادعى لقبول وصيته وهو كالتوطية والتمهيد لها ثم
اعلمه ان فيما تبين له عليه السلام من الامور المذكورة قرب رحيله
الى الله تعالى وذلك هو الذي وزعه ومنعه عن ذكر من سواه
والاهتمام بما وراه من المصالح المتعلقة بصلاح الخلق ونظام
العالم اذ كان ذلك هو وقت التضييق على الانسان فيما
هو عليه من استكمال نفسه بالفضايل والاستعداد للقا الله
دون ما سبق من اوقات الشبيبة واستقبال العمر لاتساعها
لصلاح حال الغير والاشتغال بالامور المباحة وانه حيث بين
له ذلك وتفرد به هم نفسه دون غيرها وصدفه رايه كشفه له
عما ينبغي ان يكون اشتغاله به عن امر نفسه ووجوب العمل لها فيما

بهمها وصرفه عن هواه فيما يخرج عنها اذ كان اجود الآراء واصدقها
في الامران شدة الاهتمام به وصرح له خالص امره وما سنح له وانتهى
به الى امره وصدق خالصه من شائبة اللعب والكذب وجعله الكل
بعضا منه وهو كناية عن شدة اتصاله وقربه منه ومحبته له كما
قال وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض بل وجعل
كله اي عبارة عن كله اذ كان هو الخليفة له والقايم مقامه ووارث
علمه وفضايله ودل على شدة قربه منه وانه بمنزلة نفسه بذكر المعاش
حتى الى قوله اما في وجه التشبيه بينهما نصب ولو ومن ذلك الشي
وان لم تصبه عليه الكل شي يالمه به واعلم ان ذلك الوجد
وان كان له طبعا كما يحصل للوالد في امر ولده لكنه مما لزم التفطن
له في آخر العمر عند تذكر انقطاع الدنيا لما في طبعه من محبة بقاء الذكر
الجميل والحرص على دوام الخير والآثار الصالحة في العالم وكذلك
جعله لازما لتفردهم بنفسه به وصدق رايه له في النصيحة وذوي محض
مرفوعا على الفاعلية ومنصوبا باسقاط حرف الجر والتقدير عن محض
امري ثم نبه على ان من لوازم وجدانه لما وجد من امره ان عناه واهمه
منه ما يهمه من امر نفسه فكتب اليه هذه الوصية لتكون له
ظهرا ومستندا ارجع الى العمل بها في حال بقايه له وفنايه عنه
اذ كان ما اشتملت عليه هذه الوصية من الحكم والاداب ومكارم
الاخلاق وتعرف سلوك سبيل الله حاضرا به نفسه في مدة عمره
اقتفا لاثر الرسول صلى الله عليه واقترابه فاقتضت عنايته به لرحمته

على العمل بها وبالله الموفق ٥ **الفصل الثالث**
اني اوصيك بتقوى الله اي بني ولزوم امره وعمارة قلبك بذكره
والاعتصام بحبله واي سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت
اخذت به واحي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين ونوره
بالحكمة وذلله بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجايع الدنيا وحذره
صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الما ضين
وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم
واثارهم فانظر ما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزلوا فانك
تجدهم انتقلوا عن الاحبة وحلوا دار الغربة فكانك عن قريب قد
صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما
لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته
فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال وامر بالمعروف
تكن من اهله وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في
الله حق جهاده ولا تاخذك في الله لومة لايم وخض الغمرات الى الحق حيث
كان وتفقه في الدين وعود نفسك الصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر
والجئ نفسك في الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز
ومانع عزيز واخلص في المسالة لربك فان بيده العطاء والحرمان
واكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهب عنك صفحا فان خير القول
ما نفع واعلم انه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه
اقول الغمرات الشدايد والمثوى محل الثوا
والاقامة وهذا حين افتتح ما يريد ان يوصي به واشتمل هذا الفصل من

ذلك على امور احدها تقوى الله وقد علمت حقيقتها فيما سلف ويشبه
ان يكون المراد بها هنا الخوف منه تعالى الثاني لزوم امره وهو من
لوازم تقواه الثالث عمارة قلبه بذكره واستعارة لفظ العمارة
لتكميل قلبه بذكر الله واكثاره منه لانه روح العبادات وكمال النفس
كما ان العمارة كمال للدار وهو داخل في لزوم امره لقوله تعالى واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون الرابع الاعتصام بحبله واستعار لفظ الحبل
واراد بالاعتصام الامتناع بالتمسك به من عذاب الله ثم استفهم عن
سبب اوثق منه استفهام انكار وتعجب من وثاقته ويدخل في لزوم امره
لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا الخامس امره ان يحيي قلبه بالموعظة
واستعار وصف الحياة له باعتبار تكميله لنفسه بالعلم والاعتبار
الحاصل عن الموعظة كما يكمل المرء بالحيوة والسادس ان يميته بالزهادة
واستعار وصف الاماتة لقطع القلب عن متاع الدنيا واعراضه عن
طيباتها فهو كالميت له وما يكن من قوله احي قلبك ومن قوله امته
السابع ان يقويه باليقين اي من ضعف الجهل للصعود الى افق عليين
ونهوض الى مقام الابرار ولما كان اليقين درجة لاستعداد وقوة في
العلم ناسب ان يجعله قوة للقلب الثامن وان ينوره بالحكمة
واستعارة وصف التنوير للحكمة للظلمة لها باعتبار ان ذلك سبب
هدايته لسبيل الله في ظلمات الجهل الكامل للنار وقد عرفت الحكمة واقسامها
التاسع ان يذلله بذكر الموت وذلك لان كثرة اخطاره بالبال
يستلزم الخوف وتسكين للقلب عن جماحه في ميدان الشهوات وترك
ما عنده الكبر وهزة العجب وحمية للغضب العاشر ان يقرره بالفناء

اي يحمله على الاقرار به ويديم ذكره له لتتأكد علمه به الحادي عشر ان
يبصره فجائع الدنيا اي يحمله على النظر بعين البصيرة والاعتبار برزايا الدنيا
وآفاتها الثاني عشر ان يحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام ولفظ
الصولة مستعار له ملاحظة لشبهه بالسبع في اخذه وما يكون بسببه
من الاذى الثالث عشر ان يعرض عليه اخبار الماضين ويذكره ما اصاب [بهم]
لينظر ما فعلوا وعما انتقلوا من الآثار العظيمة والملك الجسيم
ويحصل من ذلك عبرة وقياسا لحاله بحالهم ويستقرب اللحاقة
بهم ويصير وديته كاحدهم في ما صاروا اليه ووجه الشبه قرب
حاله من حال احدهم واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يسيروا
في الارض فينظروا الاية الرابع عشر ان يصلح مثواه وهو الدار
الاخرة بلزوم الاعمال الصالحة ولا يبيع آخرته وما وعد فيها
من الخيرات الباقية بما وجد في دنياه من اللذات الوهمية الفانية [بنيه]
ولفظ البيع مستعار الرابع عشر ان يترك القول فيما لا
يعرفه اذا القول بغير علم يستلزم رذيلتي الكذب والجهل
ويلحق به اللازم ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه
كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وامانتهم
وصاروا هكذا وشبك بين اصابعه قال فقلت مرني يا رسول الله
قال خذ ما تعرف ودع ما لا تعرف وعليك بخويصة نفسك وكذلك
قوله تعالى والخطاب فيما لا يعنيك كقوله صلى الله عليه وسلم من
حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه الخامس عشر ان يمسك عن طريق اذا
خاف ضلالته والمراد التوقف عند الشبهات وعدم التسرع

السلوك طريق شك في باديه الى الحق فان توحشه ونشه عند طلب
الحق الى ان يفتح له طريقه حوله من التعسف وركوب ما يخاف
الضلال به من الطريق السادس عشر ان يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر فعلا وقولا وباللسان من فعله تقدر امكانه وهو من
فروض الكفايه وعليها مدار نظام العالم وكذلك كان القران
الكريم وسنه النبوه مشحونين بهما واستدرجه الى ذلك بقوله
يكن من اهله لانهم اولياء الله الابرار المرعون في الكون منهم السابع عشر
ان يجاهد في الله اعداء دينه لجهاد الحق واضافه الحق الى جهاده
اضافه الصفه الى الموصوف ولان الصفه من باب الاسم الثامن عشر
ان لا يلحظ في الله لومة لائم وهو كنايه عن نهيه عن التقصير في
طاعة الله اذ كان من لوازم المقصر استحقاق لوم اللائمين التاسع عشر
ان الحوض للعزاب الى الخوض حيث كان ولفظ الحوض مستعار لمعاناة
الشدايد والدخول فيها لطلب الحق العشرون ان يتفقه في الدين
بعلم الاحكام الشرعيه ومباديها الحادي والعشرون ان
يعود نفسه للصبر على المكروه وقد علمت ان احتمال المكروه فضيله
تحت الشجاعة وهو من مكارم الاخلاق الثاني والعشرون ان يلجي
نفسه في امره كلها الى الله وهو امر بالتوكل على الله والانابة
اليه في كل مرغوب او مرهوب وقد علمت حقيقه التوكل وما
يستلزمه واستدرجه الى ذلك بقوله فانك تلجيها الى كهف حريز
ومانع عزيز واستعار لفظ الكهف له تعالى باعتبار ان من توكل
عليه كفاه ومنعه مما يخاف كما يمنع الكهف من يلجي اليه الثالث والعشرون

ان يخلص في دعايه ومسئلته لربه اذ كان ذلك من شرايط الاجابة
واستدرجه الى الاخلاص بقوله فان بيده العطا والحرمان للتشبيه
لانجذاب اليه والاعراض عن غيره والالتفات المليك في قوله فنعم من
وقوله فانك وقوله فان بيده جواب الاوامر الثلثه والرابع والعشرون
ان يكثر الاستخارة اي الطلب الى الله تعالى ان يختار له فيما ياتي
ويذر الخامس والعشرون ان يفهم وصيته ولا يعرض عنها وكنى عن الاعراض
وترك العمل بها بالذهاب صفحا وانتصب صفحا على الحال اي ولا يذهب
معرضا واستدرجه للانتفاع بها بقوله فان خير القول ما نفع والمعنى
فان وصيتي نافعه وما نفع فهو خير القول فاذن وصيتي خير القول
ثم نبهه بقوله واعلم الى قوله تعلمه على ان من المعلوم ما لا خير
فيه لان لا يشوق الى معرفه فيصدع ذلك عن سلوك سبيل
الله والعلم المودي اليه وذلك هي العلوم التي نهت الشريعه عن تعلمها
كالسحر والكهانه والنجوم والنيرنجات ونحوها مما لا يكون سبيلا الى المقاصد
الحقيقه الباقيه وتقرير الكلام واعلم ان كل علم لا يحق تعلمه
اي لا يثبت في الشريعه تعلمه وجوبا ولا ندبا فهو علم لا ينتفع به
في طريق الاخرة وكل علم لا ينتفع به فلا خير فيه لان الخير الحقيقي
هو المنفعه الباقيه عند الله فما لا منفعه فيه لا خير فيه ولذلك
استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم منه فقال اعوذ بك من علم لا ينفع
فينتج ان كل علم لا يحق تعلمه فلا خير فيه وبالله التوفيق

الفصل الرابع

وقوله اي بني لما رايتني قد بلغت سنا ورايتني ازداد وهنا بادرت بوصيتي
اليك خصالا منها ان يعجل بي اجلي دون ان افضي اليك بما في نفسي او ان
انقص في رايي كما نقصت في جسمي او يسبقني اليك بعض غلبات الهوى وفتن
الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية ما القي
فيها من شي قبلته فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك ويشتغل لبك
لتستقبل بجد رايك من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته
فتكون قد كفيت مؤنة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فاتاك من ذلك
ما قد كنا ناتيه واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه اي بني
اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في
اخبارهم وسرت في اثارهم حتى عدت كاحدهم بل كاني لما انتهى الي
من امورهم قد عمرت مع اولهم الى اخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره
ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل امر نخيله وتوخيت لك
جميله وصرفت عنك مجهوله ورايت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد
الشفيق واجمعت عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر
ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية وان ابتدئك بتعليم كتاب
الله عز وجل وتاويله وشرايع الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه
لا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف
الناس فيه من اهوائهم وارائهم مثل الذي التبس عليهم فكان
احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له احب الي من اسلامك
الى امر لا امن عليك فيه الهلكة ورجوت ان يوفقك الله تعالى
لرشدك وان يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتي هذه واعلم يا بني

ان احب ما انت اخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه
الله عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من ابائك والصالحون من اهل
بيتك فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا
كما انت مفكر ثم ردهم الى اخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك
عما لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا
فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات
وابدا قبل نظرك في ذلك بالاستعانة عليه بالهك والرغبة اليه في
توفيقك وترك كل شائبة اولجتك في شبهة او اسلمتك الى ضلالة
فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رايك فاجتمع وكان همك في
ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب
من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط
الظلماء وليس طالب الدين من خبط او خلط والامساك عن ذلك امثل
فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة وان الخالق هو
المميت وان المفني هو المعيد وان المبتلي هو المعافي وان الدنيا لم تكن
لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد
وما شاء مما لا تعلم فان اشكل عليك من ذلك فاحمله على جهالتك
به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر
ويتحير فيه رايك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي
خلقك فسواك وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك ○
واعلم يا بني ان احدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما انبانا عنه نبينا
صلى الله عليه واله فارض به رائدا والى النجاة قائدا فاني لم الك

نصيحةً وانك لم تبلغ في النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظري
لك **اقول** لوهن الضعف في المبادرة المسارعة والمسابقة
وافضى وصل والنغبة الطلبه والموخ القصد واجمعت ضممت للعزم واسلمته
الى كثر اخلقت بسه وبسه وامثل اقرب الى الخير وفي هذا الفصل مقاصد
الاول انه اشار الى بعض العلل الحاملة له على هذه الوصية وهي كونه قد بلغ
سنا عاليا واحز ازديادا في الضعف وذلك انه جاوز الستين فلزم
من ذلك خوفه لاخر الخصال المذكوره فبادرها وسابقها اليه مخصاله
مغفول به وعدّ من تلك الخصال ثلثا الاولى ان يعجل به اجله الى الاخرة
قبل ان يوصل اليه ما في نفسه من الحكمه الثانية ان ينقص في رايه وذلك
ان القوى النفسانية تضعف عند علو السن لضعف الارواح الحاملة لها
فتنقص بسبب ذلك تصرف العقل للاراء الصالحة الثالثه ان تسبقه
اليه بعض غلبات الهوى فان الصبي اذا لم يوخذ بالاداب في حداثته ولم
ترض قواه لمطاوعة العقل وموافقته كان بصدد ان يميل به الهوى الحواسه
الى مشتهياتها ويجذب في فساد هواه الى اشتغاله بها فيفتنه ويصرفه
عن الوجهة الحقيقية وما ينبغي له فيكون حينئذ كالصعب النفور من الابل ووجه
النفور ويصرفه بحسب المنفعه ○ ثم نبه على وجوب المبادره اليه
بالادب وردعه في بلية نصح صغراه قوله وتماثلك الحلف الى
مولده فتلبه واشار الى وجه التشبيه بقوله ما القي عنها من شي قبلته
وذلك ان تلك الارض لما كان خاليا من الاشتغال بالعقايد وغيرها
مع كونه قابلا لما يلقي اليه من خير او شر فينتقش به تشبيه الارض

سابع

الخالية من النبات والزرع القابله لما يلقي فيها من البذر وتقديره
الكبرى وكل قلب كان كذلك فيجب ان تسبق اليه بذر الاداب
وغرس الحكمة فكذلك بادره بالادب قبل ان يقسو قلبه عن الانقياد
للحق والاشتغال بالامور الباطلة ثم اشار الى علة اخرى من العلل
الغائيه لمبادرته الادب وهي ان يستقبل بجد رايه وقوة فكره ما قد
كفاه اهل التجارب بغيه من العلوم وعوفي فيه من علاج التجربة
ومعاناتها فاتاه من ذلك العلم التجربي ما كان اهل التجربة يأتونه
ويطلبونه واستبان له ما ربما اظلم عليهم منه وفرق من بابه العلم
صفوا وتلقي اليه بينا واضحا قد كفى فيه مونة الاكتساب ومشقة من
سعى اليه وشقي في تحصيله وخاض اليه غمرات الشكوك وظلمات
الشبهات وكل ذلك من الامور المقنعه له في قبول الوصية والعمل
بما اشتملت عليه من الحكم والادب لان اهل التجارب اذا كانوا
قد جدوا في تحصيله وما وصدوا فيه من المشقة فلان يجد هو فيه ويعمله
حالصا من الكلفة اولى ○ المقصود الثاني اشار الى
فضيلة نفسه ولسبقه اليها بالعلوم ثم الى كونه في غاية العناية
او الشفقة عليه والى ما راه اصلح في تعليمه اياه من العلوم الى غير
ذلك وغايته من الجميع استدراجه لقبول قوله كما علمت من
غرض الخطب في ذكر فضيلته وما تستبدح به للانفعال اما يريد
ان ينفع به من الاراء وغيرها فنبه على فضيلته بقوله اي اني قوله
مجهوله وقوله وان لم اكن في قوة جواب اعتراض مقدر كان قائلا قال
له فكيف حصلت العلوم عن تجارب الامور مع حاجة التجربة الى عمر طويل

يشاهد فيه الانسان تغيرات الامور وتقلبات الدهور فقال اني وان
لم اكن عمرت عمر من كان قبلي وشاهدت احوالهم لكنني نظرت في اعمالهم
وفكرت في اخبارهم الماثورة وسرت في اثارهم سيرا محسوسا ومعقولا
حتى صرت كاحدهم في عيان امورهم **وقوله** فعرفت عطف على كونه
نظرت وقوله ذلك اشارة الى ما انتهى اليه من امورهم وكنى بالصفو عن
الحسن وبالكدر عن الشر اي فعرفت خير امورهم من شرها ونفعها من ضررها
واستخلصت لك كل امر جليه وهو خيره وما سمع منه عندهم من العلوم
والعبر النوافع وروي نخيله اي خلاصته وقصدت لك جميله اي الامر
الحسن منه دون قبيحه وصرفت عنك مجهوله اي ما التبس عليك امره
والتبس الحق فيه **وقوله** ورايت حيث عناني اخره اشارة
الى كمال عنايته وشفقته عليه ووجوه اختياراته له ما هو الاولى به
من العلوم واجمعت عطف على نحو وان يكون في محل النصب على انه مفعول
اول لرايت ويكون هنا تامة والواو في قوله وانت للحال وان ابتدئك
عطف على ان يكون والمفعول الثاني لرايت محذوف تقديره انفع واصلح ونحوه
للكلام ورايت حيث عناني من امرك يعني الوالد الشفيق من امر ولده
من النظر في مصالحه والاهتمام باحواله اقبال عمرك وحال كونك
ذا نية سليمة من الامراض النفسانية والاخلاق الذميمة وكونك
ذا نفس صافية من كدر الباطل وان ابتدئك بتعليم كتاب الله
وتاويله وما يشتمل عليه من شرائع الاسلام اي نواميسه واحكامه
وحلاله وحرامه ولا اقتصر بك على ذلك كما اقتصر عليه كثير من السلف
وقوله ثم اشفقت عطف على رايت اي كنت رايت ان اقتصر بك

ثامن

على ذلك ولا اجاوز بك الى غيره من العلوم العقلية ثم خفت ان يلتبس
عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وارائهم مثل ما التبس
عليهم اي التباسا مثل الالتباس عليهم فكان احكام ذلك اي
ما اختلف الناس فيه على ما كرهت من تنبيهك له احب الي من اسلامك
الى امر لا امن عليك فيه الهلكة في الدين وذلك الامر هو ما اختلف
الناس فيه من المسائل العقلية الالهية التي يمكن التباس الحق
فيها بالباطل وتكتنفها الشبهات المغلطة التي هي مظنة للخطر
والانحراف بها عن طريق الحق الى سبيل الهلاك واحكام ذلك الامر
بيان وجه البرهان فيه وكيفية الخلاص من شبهة الباطل ورا جه
وقوله ورجوت ان يوفقك عطف على اشفقت والضمير
المجرور في فيه يعود الى ما اختلف الناس فيه ان المقصود الثالث الاشارة
الى بيان ما هو الاحب اليه ان ياخذ به من وصيته والارشاد الى كيفيه
اصح وما ينبغي ان يبدا به قبل الشروع من الاستعانة بالله والرغبة
اليه في التوفيق الى غير ذلك من الاداب الذي يتم به الاستعداد للبحث
والتعلم ثم الاحب اليه تقوى الله الذي هو زاد المبلغ اليه ثم الاقتصار
على ما افترضه الله عليه من النظر في ظواهر الادلة دون التوغل في الفكر
وخوض الشبهات ما لم يحقق به اصر بما مضى عليه سلفه الصالحون من
اهل بيته كحمزة وجعفر والعباس وعبيد بن الحرث وغيرهم من بني هاشم
وقوله فانهم الى قوله خلف خلف في الاخذ بما اخذوهم وتفرد له
عن التوغل والتعمق تضمين صغراه كما ذكر وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فينبغي الاقتدا به في الاخذ بما عرف والامساك عما تكلف **وقوله**

فان انت الى اخره بيان للكيفيه التي ينبغي ان يكون عليها طالبه العلوم العقليه
والمتوثق فيها فان ابت نفسه الاقتصار على ما اقتضته الله عليه اي ملكي
طلبك لما انت طالب له من ذلك على وجوه احدها التفهم للمقاصد
والتعلم للحق والطالب له لا على وجه التعلم للشبهات والتورط فيها
والمشاغبه بها فان ذلك مانع عن تعلم الحق ومنعه من وصوله الثاني
ان يستقبل نظره في ذلك الطلب بالاستعاذه بالله والرغبه اليه في توفيقه
لاصابه طريق الحق والوصول اليه الثالث ان يترك كل ما شانه ان يجره
الى شبهه كالعادات في نصرة المذاهب الباطلة بحسب اتباع الهوى والاراء
التي تطلب بها الرياسات فان المتعود اذا اخذ فيها شانه محبه لامر يحمله
لم ينفتح لها طريق الحق بل كانت الى الانحراف في طرق الضلال والميل المناسبه
للمطالب الباطله اقرب وتلك الطرق اعرف عندها لمكان تلك المناسبه
ينبغي للسالك ان ينفي عن نفسه كل شبهه تعود الى ضلاله والاسلام مستعار
لاهماله وعدم حسبه عما يتورط فيه من الامور المضلة ثم قال فاذا
انقت الى اخره اي واذا اعودت نفسك للطالب والمنظر بما ذكرت
لك وتحققت ان قد وصفنا فلك من كل شايبه يلقي للنظر تخشى من خشيه
الله ان يواخذك بتركه ويتم رايك وعزمك عليه واجتمع سعيه حتى لم يبق
لك الى تركه التفات وكان همك فيه هما واحدا لا تستهم الى
غيره فانطق حينئذ فيما فسرت لك ونبهتك عليه من المسايل العقليه
الالهيه كما سياتي وان انت لم يجمع لك ما تحب من نفسك وفراغ
نظرها وفكرها عن الشوايب المنافيه للعلم وطلبه ونظرت فاعلم
انك في خوضك وطلبك له انما تخبط خبط عشوا وتتورط الظلما

يجعل له تعبده واليه رغبته ومنه شفقه لانه تعالى الحق موجود
بذلك واولاد بالامور المذكوره ۞ المقصود الخامس الاشاره
الى فضله الرسول صلى الله عليه وعلى ساير الانبيا لزيادته عليهم
في ايضاح الخبر عن الله تعالى وبيان المطالب الحقيقيه التي
اشتمل عليها الكتاب العزيز من اسرار التوحيد والقضا والقدر
وامر المعاد فان احدا من الانبيا السابقين عليهم السلم لم يفصح
عن هذه الامور كافصاحه وكذلك كانت امته هذه الامه
بما جا به صلى الله عليه اتم واكمل من هدايه ساير الامم السابقه
عما جاءت به انبياوها وكانت عيون بصايرهم ابسط انوارا
واكثر استنارا وغاية ذكر فضيلته صلى الله عليه هنا ان
يرضى برايه ودلالته على طريق النجاة في الاخره والسعاده
لوفور الرايه باعتبار انه قد اختبر ما في الاخره من ابواب النعيم والمعا
الباقيه وبشر امته كما يبشر الرايد اهله بوجود الكلا والما بعد
ارتياده ثم اردف ذلك ببيان انه لم يزل ناصحا له وانه لن يبلغ نظر
لنفسه وان اجتهد في ذلك مبلغ نظره له لتتاكد الاقناع برايه ومشوره
عليه السلم فيما يراه له ونصحه نصب على التمييز

الفصل الخامس

قوله واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرايت اثار
ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما
وصف نفسه لا يضاده في ملكه احد ولا يزول ابدا لم يزل ۞
اول قبل الاشيا بلا اوليه واخر بعد الاشيا بلا نهايه عظم
عن ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلك

فافعل كما ينبغي لمملوك ان يفعله في صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة
عجزه وعظيم حاجته الى ربه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة
من سخطه فانه لم يامرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح

اقول اشار في هذا الفصل الى الحجة على وحدانية
الصانع سبحانه وعلى جملة من صفاته ثم الى ما ينبغي ان يفعله من ملاحظة
عظمته تعالى من الصفات المذكورة فاذا ههنا ابحاث **البحث
الاول** الحجة على وحدة الصانع وهي شرطية متصلة مقدمها
قوله لو كان لربك شريك لاتتك رسله الى قوله ولعرفت
افعاله وصفاته ويستثنى منها جاء ستثنى نقيض اقسام التالي
لينتج نقيض المقدم بيان الملازمة انه لو كان له شريك لكان شريكه
الها مستجمعا لجميع شرائط الالهية والا لم يصلح للشركة لكن من لوازم
الالهية امور منها الحكمة في وجوب بعثه للرسل الى الخلق ووصولهم
اليه لما علمت من برهان وجوب البعثة في موضعه الثاني يلزم ان نرى
اثار ملكه وسلطانه وصفات افعاله ظاهرة مشاهدة الثالث
ان نعرف افعاله وصفات ذاته لكن هذه اللوازم كلها باطلة اما
الاول فلانه لم ياتنا رسول ذو معجز يدلنا على الثاني ويخبرنا عنه واما
الثاني فلو اثار الملك والسلطان وعظم الفعل واحكامه انما يدل على
حكيم قادر واما على المتعدد فلا واما الثالث فلان مجرد الافعال
التي نشاهدها انما تدل على فاعل واما على التعدد فلا وكذلك
صفات الالهية المكتسبة بواسطة الافعال من العلم والقدرة والارادة
وغيرها انما تدل على صانع موصوف بها واما على صانعين او اكثر

لذلك فلا فائدة القول بان لربنا شريك قول باطل لا برهان عليه
كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به الاية
وقوله اله واحد كما وصف نفسه من لوازم النتيجة لانه اذا
بطل ثاني الالهين ثبت انه اله واحد كما وصف هو نفسه به بقوله قل هو
الله احد وهو الله الواحد القهار وانه لا يضاده في ملكه احد ولا
يعاند في افعاله ولا ينازعه في ملكه كما هو عادة الملوك وهل
ان هذه الحجة اقناعية كما هو عادة الخطيب من الخطابة والنسبة
برهانية لانه ان اريد في الشرطية ان وجود الثاني يستلزم وجود اثار
وافعال وصفات تخصه ونعلم اختصاصها به فالملازمة ممنوعة
لان الالهين سواء كانا بمعنى الحقيقة او مطلق الحقيقة لا يلزم ان يختلف
افعالهما ولوازمهما بالنوع ويخصص كل منهما بلازم خاص وفعل
خاص لا يوجد للآخر بل جاز ان يتفقا في اللوازم والاثار وان اريد ان وجوده
يستلزم ان يعرف اثار وافعال ولوازم لا تخصه بل جاز ان يشاركه
فيها الاله الاخر فهذا مسلم لكن لا يمكن الاستدلال ببطلان الثاني
ههنا وهو ظاهر لانا نرى اثار ملك وافعال ولوازم وصفات لا تدل
على احدية فاعلها والموصوف بها ولا على اثنينيته وانما تدل على
مطلق فاعل وملزوم ما فلا يمكن ابطالها ورفعها ولان رفعها
يستلزم رفع وجود الاله المطلق لاستلزام عدم اللازم عدم الملزوم
لا رفع الثاني خاصة **البحث الثاني** كونه تعالى لم يزل ابدا
ولا يزال وهو اشارة الى دوام وجوده وثباته ازلا وابدا وبرهانه
انه تعالى واجب الوجود لذاته وكل واجب الوجود لذاته فهو دائم الوجود

وبانه ازلاً وابداً اما الصغرى فقد مرّ برهانها واما الكبرى فلانه لو جاز
عليه الزوال والعدم لما كان واجب الوجود لذاته وفساد التالي يستلزم
فساد المقدم واذا هو دائم للوجود ازلاً وابداً **البحث**
الثالث كونه اولاً قبل الاشيا بلا اولية لوجوده وكونه اخراً بعد
الاشيا بلا نهاية لوجوده اما الاول فلانه لو كان لوجوده اولية
لكان مسبوقاً بالعدم فكان محدثاً فكان ممكناً هذا خلف واما الثاني
فلانه لو كانت اخريته منقطعة بنهاية لكان ملحوقاً بالعدم فلم يكن واجب
الوجود لذاته هذا خلف **البحث الرابع** كونه اعظم ان يثبت
ربوبيته احاطة قلب او بصر اي هو اعظم ان يطلع احد عليه او يتصور على
كمال صفة ربوبيته والاعتبارات المحمية منها ووجه التنبيه على
ذلك انك علمت ان صفة الربوبية وسائر صفات الالهية باعتبار
الخارج نفس حقيقته تعالى وباعتبار العقل امور يعتبرها العقول اضافية بالقياس
الى مخلوقاته واثاره وعلى الوجهين هو اعظم ان يثبت ربوبيته باحاطة قلب
او بصر اما في الخارج فلان صفة ربوبيته هي نفس ذاته فكانت احاطة العلم
بها موقوفة على احاطته بكنه ذاته وقد علمت انها بريئة عن وجوه التركيب
فيمتنع الاحاطة بها لغيرها واما في العقل فلان اعتبار صفة الربوبية و
احاطة العقول بها موقوفة على الاحاطة بجميع اعتبارات صفات الجلال ونعوت
الكمال اذ اعتبار ربوبيته المطلقة مستلزماً لاعتبار الهيته المطلقة
المستلزم لاعتبار جميع ما له من صفات الالهية وقد علمت ان تلك الاعتبارات
غير متناهية فهي اعظم ان يحيط بها عقل بشري فضلاً ان يتعلق بها ادراك
بصري **البحث الخامس** اعلم انه لما نبه على عظمة الله سبحانه وكمال

ذاته في الاعتبارات المذكورة امره ان يفعل كما ينبغي ان يفعله من هو مثله
في النقصان بالنسبة الى عظمة الله سبحانه من طلب طاعته وتعظيم جلال
عبادته وخاشع لحرمة وجهه وعز جلاله وعدد له وجوه النقصان المعتبر
حاله في كل منها بالقياس الى كمال ذاته تعالى فصغر منزلته بالنسبة
الى عظمته تعالى وقلة مقدرته وكثرة عجزه بالنسبة الى كمال قدرته وكذلك
عظم حاجته الى ربه في كل حال من طلب توفيقه واعداده لطاعته
والرهبة من عقوبته والاشفاق من سخطه كل ذلك بالنسبة الى
غناه المطلق في كل شيء عن كل شيء وقوله فانه الى قوله قبح سنه لجاء
على وجوب طاعته تعالى في كل ما امر به ونهى عنه وصببه الى فعل
كل مامور به بكونه حسناً والى الانتهاء عن كل منهي بكونه قبيحاً وقد علمت
ان الغاية من بعثة الرسل ووضع الشرايع والسنن هي نظام احوال
الخلق في معاشهم ومعادهم فلا بد اذاً في كل امر ونهي من سرّ وحكمة توجب
حسن المامور به وقبح المنهي عنه وهذا الكلام ونحوه تعلقت المعتزلة
بمسئلة الحسن والقبح العقليين والله الموفق

الفصل السادس

قوله واني قد انبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وانبأتك
عن الاخرة وما اعد لاهلها فيها وضربت لك فيهما الامثال لتعتبر بها
وتحذو عليها انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأمّوا
منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق
وخشونة السفر وخشونة المطعم لياتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم

فليس يحلون لشي من ذلك الما ولا يرون نقصه مغرما ولا شي احب اليهم
مما قربهم من منزلهم وادناهم من محلهم ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا
بمنزل خصيب فنابهم الى منزل جدب فليس شي اكره اليهم ولا افظع
عندهم من مفارقته ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه ○
يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك واحبب لغيرك ما تحب
لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن
كما تحب ان يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من
غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم
وان قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك ○ واعلم
ان الاعجاب ضد الصواب وافة الالباب فاسع في كدحك ولا تكن
خازنا لغيرك واذا انت هديت لقصدك فكن اخشع ما تكون لربك ○
اقول يحذو وبعدي وللسفر المسافرون واموا فقصدوا
والجناب الفناء والمنزلة والمربع ذو الكلا والخصب ووعثا السفر
مشقته وحشونة المطعم غلظته ويهجم وقع بغتة والكدح الكسب
وفي الفصل مطلوبات احدهما انه نبهه على حال الدنيا والاخرة
وذكره بما اخبره به عنهما من ضرورة زوال الدنيا وانقضائها
وبقاء الاخرة وما اعد لاهلها فيها من السعادة الباقية التي تشتمل
على تعديد انواعها للاداب العزيز والسنة الكريمة وضرب لطالبيها
مثلين ليكون ممن اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة فالمثل الاول مثل
من خبر الدنيا وعرف زوالها وانتقالها وخبر الاخرة وبقاها وما
اعد فيها لاهلها ومثلهم بقوم مسافرين فارقوا منزلا جديبا الى منزل خصيب

ووجه مطابقة هذا المثل ان النفوس البشرية لما كانت من عالم المجردات
وكانت الحكمة في هبوطها الى هذا العالم ومقارنتها لهذه الهياكل
الجسمانية الكثيفة في دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها هو ان يحصل
بواسطتها الكمالات العقلية التي انما يمكن لها بواسطتها ثم ترجع بعد
الاستكمال بها الى عالمها الاعلى طاهرة عن علائق هذه الهياكل وهيآتها
الردية كما اخذ عليها في العهد القديم كانت كل نفس حفظت عهد ربها
ومشت على صراطه المستقيم فهي في المدة المضروبة لها ناظرة بعين
الاعتبار الى ان الدنيا كالمنزل الجدب خالي عن المطاعم الحقيقية
والمشارب العذبة الهنية فهو لذلك غير صالح للاستيطان والاقامة
وان عالم الاخرة كالمنزل الخصيب والجناب المريع من وصل اليه مستقيما
على اوامر الله ونواهيه فاز بالمقاصد السنية واللذات الباقية فكانت
ابدا في طريق السفر في منازل طريق الله والاستعداد للوصول الى تلك
الحضرة الشريفة محتملة لمشقة ذلك السفر من معانات الجوع
والظما ومقاسات السهر قصدا الى سعة الدار ومنزل القرار
لا يكرهون ذلك الما ولا يرون ما ينفقونه من المال والعمر مغرما
ولا شي احب اليها من وسيلة تقربها الى ذلك المنزل الذي امته
والجناب الذي قصدته فاشبهت في ذلك من وصل الى منزل جديب
ثم علم ان امامه منزلا خصيبا فاقتضى رايه ان يحتمل وعثاء
السفر ومشقته اليه ليحصل على الراحة الكبرى واما المثل الثاني
فهو مثل اهل الدنيا الذين قادتهم نفوسهم الامارة بالسوء اليها
فعكفوا فيها عمرا وزادها ونسوا عهد ربهم واعرضوا عما ذكروا

به من اماته وشبههم بقوم كانوا في منزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب
فالمنزل الخصيب في هذا المثل هو الدنيا لانها محل سعادة اهلها ونعيمهم
والمنزل الجديب هو الاخرة اذ لم يكونوا قد استعدوا لادراك السعادة
فيها ووجه تشبيههم بالقوم هو ما ذكره من انه ليس شيء اكره اليهم
الى آخره اي ليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما هم فيه
من الدنيا الى ما يقدمون عليه بغتة من الاهوال وتصيرون اليه من
مقاساة السلاسل والاغلال كما انه ليس شيء اكره الى القوم من
مفارقة منزل خصيب كانوا فيه الى منزل جديب يقدمون عليه والى
هذا المثل اشاره الرسول صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر المطلوب الثاني الوصية باصلاح معاملته مع الخلق واشار
عليه ان يجعل نفسه ميزانا بينه وبين غيره ووجه استعارة لفظ الميزان
له انه يكون ذا عدل بين نفسه وبين الناس كالميزان ثم شرح وجوه العدل
والتسوية الذي امر ان يكون ميزانا باعتبارها فمنها امور ثبوتيه ومنها
امور سلبيه فالاول ان يحب لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها
وفي الحديث المرفوع لا يكمل ايمان العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره
له ما يكره لنفسه ولا شك ان ذلك من كمال فضيلة العدالة التي هي
من كمال الايمان الثاني لا يظلم كما لا يحب ان يظلم فسلم من رذيلتي
الظلم والانظلام الثالث ان يحسن الى الغير كما يحب ان يحسن اليه والاحسان
فضيلة تحت العفة الرابع ان تستقبح من نفسه ما تستقبح من غيره
فتنزه عن جميع مناهي الله وهو من لوازم المروة ولذلك قال الاحنف
اذ سئل عن المروة هي ان تستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ٥

الخامس ان يرضى من الناس ما يرضاه لهم من نفسه اي كلما رضي ان
يفعله بهم من خير او شر ان فعله ينبغي ان يرضى بمثله منهم وفيه
تنبيه على انه لا يجوز ان يفعل الشر لعدم تلائمه وهو الرضا منهم به ٥
السادس ان لا يقول ما لا يعلم وان قل ما يعلم وانما قال وان قل ما
يعلم لان تصور قلة العلم قد يكون داعيه لبعض الناس الى ان يقول بغير علم
بلا نسب الى الجهل فيضل ويضل كما قال تعالى ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير الاية السابع ان لا يقول
لاحد ما لا يحب ان يقال له كالمواجهة بالعيوب والالقاب المكروه
وكل كلام موذي للناس ونبهه على وجوب ترك الاعجاب بانه ضد الصواب
ولما كان الصواب هو سلوك طريق الله باستجماع مكارم الاخلاق
وكان الاعجاب من رذايل الاخلاق كان مضادا للصواب مضاده
الرذيله للفضيله وبانه آفة للعقول اذ هو من اكبر امراض العقل
وآفاته المهلكة له كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم
ثلاث مهلكات الى قوله واعجاب المرء بنفسه الحادي عشر
ان يسعى في كدحه اي فيما سعى له من كسب الطاعات وقيل اراد بالكدح
ما اكتسبه من المال وما سعى فيه انفاقه في سبيل الله الثاني عشر
ان يكون عند هدايه الله اياه لرشده اخشع ما يكون لربه وذلك لان الهدايه
للرشد هي العلم بالطريق الى الله تعالى في جميع ما عدد من جميع مكارم
الاخلاق والعلم بالطريق الموصله اليه حين سلوكها ملاحظه
جلاله وعظمته وهنالك يكون الخشوع الحق والخشيه التامه لقوله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء

الفصل التاسع

قوله

واعلم ان امامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه
لا غنا بك فيه عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع خفة
الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك
واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيمة فيوافيك
به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده وانت
قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من استقرضك في حال
غناك ليجعل قضاه لك في يوم عسرتك واعلم ان امامك عقبة
كؤودا المخف فيها احسن حالا من المثقل والمبطئ عليها اقبح امرا من
المسرع وان مهبطك بها لا محالة على جنة او على نار فارتد لنفسك
قبل نزولك ووطئ المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا الى
الدنيا منصرف واعلم ان الذي بيده خزائن السموات والارض قد اذن
لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة وامرك ان تساله ليعطيك وتسترحمه
ليرحمك ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ولم يلجئك الى من يشفع
لك اليه ولم يمنعك ان اسات من التوبة ولم يعيرك بالانابة ولم
يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ولم يشدد عليك
في قبول الانابة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من الرحمة بل جعل
نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك
عشرا وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب فاذا ناديته
سمع نداك واذا ناجيته علم نجواك فافضيت اليه بحاجتك وابثثته
ذات نفسك وشكوت اليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته
على امورك وسالته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة

الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه
بما اذن لك فيه من مسالته فمتى شئت استفتحت ابواب نعمته
واستمطرت شآبيب رحمته ولا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية
على قدر النية وربما اخرت عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم لاجر السائل
واجزل لعطاء الآمل وربما سالت الشيء فلا تؤتاه واوتيت خيرا
منه عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر
طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته فليكن مسالتك فيما يبقى لك
جماله وينفى عنك وباله فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له اقول
الارتياد الطلب والطوق والطاقة ما تتسع له قدرتك والوبال الهلاك
والكؤود شاقة المصعد والنزوع عن الذنب الرجوع منه والافضاء الوصول
والبث النشر والكشف والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة
من المطر والقنوط اليأس والاستعتاب طلب العتبى وهي الرجوع
الى الرضى وفي الفصل مطالب احدها الوصية بالسعي في تحصيل
الكمالات العملية الباقية والثاني طرح الرذائل الموبقة فنبه
على الاول بان امامه اي في سفره الى الله طريقا طويلا شديدا وظاهر
ان الطريق التي تكون كذلك لا بد لسالكها من حسن طلب ما يوصله
الى مطلوبه ومن قدر ما يبلغ به من الزاد واستعار لفظ الطريق
لما يسير فيه الانسان من احوال الدنيا ويعبر منها الى الآخرة
ولسائر خطوطها وشدتها الى غير الحاجة فيها والسلامة من خطرها
اذ ان ذلك انما يكون بلزوم الفضائل فيها والثبات على سنن العدل
والاستقامة على حاق الوسط من مكارم الاخلاق اذ علمت ان

لكل من القوة المميزة والشهوية والغضبية حدًّا يجب وقوف
الإنسان عنده وهو العدل وعلمت أنه أدق الحدود وأصعبها إذ هو
محفوف بطرفي تفريط وإفراط قلّ ما يسلم الإنسان من الوقوع في
أحدهما وهما طريقان لجهنم فالحرى أن يكون طريقًا ذا مسافة
يصل الإنسان منها إلى غايته الأعلى بعد جهد جهيد ولا يحصل منها على خير
إلا بجهد جهيد واستعار لفظ الزاد للتقوى والحالات التي هي زاد
الإنسان في تلك الطريق إلى الله تعالى وبها يكون النجاة فيها والخلاص
من مهالكها ونبّه على ذلك بقوله مع خفة الظهر إلى قوله وبالًا عليك
واستعار لفظ الخفة لتقليل اكتساب الآثام وحملها على الظهر ولفظ
الحمل لاكتسابها ووجه الاستعارة الأولى أن مقلل الآثام سريع القطع
لتلك الطريق قريب إلى النجاة فيها من مخاوفها كما قال عليه السلام تخففوا
تلحقوا وكما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم نجا المخفون ووجه الثانية
أن مكتسب الآثام يثقل بها ويبطئ عن لحوق المخفين ويهلك بها في طريقه وكثرة
كلفته تابعة لكثرة التشابه كما يكون حال المثقل في طريق البعيد ولفظ
الظهر ترشيح ٥ المطلوب الثالث التنبيه على وجوب إنفاق المال في
إنفاق المال في وجوه الصدقة والبر لمن يحتاج إليه من أهل الفاقة وذلك
قوله وإذا وجدت إلى قوله عسرتك وجذبه إلى ذلك بأمرين
أحدهما كون ذلك زادًا يحمله له ذو الفاقة إلى يوم القيمة ويلقيه
به هناك في موضع الحاجة إليه واستعار لفظ الزاد هنا لما يحصل
من فضيلة السخاء والكرم والإنفاق ووجه الاستعارة كونه سببًا
لسلامة النفس من الهلاك في طريق الآخرة ووسيلة إلى السعادة

الباقية كالزاد الحاصل للمسافر في طريقه والمبلغ له إلى مطالبه واستعار
للمتصدق عليه وصف الحامل لذلك الزاد باعتبار أنه سبب لحصول
الفضيلة لذلك المتصدق ووصول ثوابها إلى المتصدق يوم القيمة
فوجدانه لتلك الفضيلة وظهورها في صحيفة أعمال المتصدق يوم القيمة
هو المشار إليه بالموافاة بها غدًا ثم أمر أن يغتنم ذا الفاقة عند
وجدانه وأن يحمله ذلك الزاد ويكثر من تزويده وتحميله الزاد حال ما
هو قادر على تحصيله وجذب إلى إيثاره والمسارعة إلى الصدقة
بقوله فلعلك تطلبه فلا تجده لأن الوسيلة إلى أمر عظيم إذا كانت
في معرض أن تطلب فلا توجد ثم وجدت في وقت فمن الواجب أن تغتنم
تحصيلها ولا تهمل الثاني كون الصدقة على ذي الفاقة قرضًا للمتصدق
في حال غناه لماله يقضي له يوم عسرته وفقره واستعار وصف
المستقرض هنا لله باعتبار أنه هو المجازي بالثواب من أنفق ماله
في طاعته وإليه الإشارة بقوله تعالى من يقرض الله قرضًا حسنًا
فيضاعفه له أضعافًا كثيرة ونبه على كون القرض في حال الغنى والقضاء
في حال العسر لكون القضاء أفضل فرغّب في القرض لغاية الربح المطلوب
الرابع التنبيه على شدة طريق الآخرة وعلى وجوب الاستعداد لها
بالخفة من حمل الآثام والشروع فيها قبل انقضاء الأيام واستعار
لفظ العقبة لما بينهما من الصعود والارتقاء في درجات الكمال والفضائل
عن مهابط الرذائل ووصفها بشدة الصعود باعتبار ما في ذلك الارتقاء
في درجات الكمال من المشقة وكثرة الموانع وجذب إلى الاستعداد لها بأمرين
أحدهما أن المخف فيها أحسن حالًا من المثقل وهو ظاهر [illegible] الثاني

كون المبطي اصح حالا من المسترخي وهو ايضا ظاهر اذا كان المبطي
فيها واقفا في احد طرفي الافراط والتفريط مشغولا بما يلهيه ملتفتا
عما يعنيه حتى اذا انصرم اجله بقي في مهاوي الهلاك لنسيه او على
ما فاته في رجعة البرزخية الثالث ذكر الغاية منها وهي
الجنة والنار وانه لابد من بلوغها وهبوطها بنا لكنا على احدهما
وهو ظاهر ايضا فان غرض الانسان في احوال الدنيا والتصرف فيها الى
غاية انقطاعها ووصول الاجل اما ان يكون على وجه القصد ولزوم
سمت القبلة الحقيقية وتجنب طريق طرفي الافراط والتفريط وبذلك
يكون هجومه تلك الطريق وهبوطها فاتنا لكنا على الجنة فاما ان يكون
وجه الانحراف عن ذلك القصد والتعرج عنه الى ما في تلك الطرق من
مناهي الله وابواب محارمه وبذلك يكون هبوطها بنا لكنا على
النار وتشبيه الهبوط اليها مجاز باعتبار ادخاله الى احد الغايتين
كالهابط بالشي لتوصله الى قراره ثم امره لمن يريد لبعثه وبطالب ما
يكون سببا للنجاة فيها وحسن حاله فيهما بقوله احدا منه لمن الدين هما
عاينا فما لكون هبوطها به على الجنة وان نوطي المنزل الذي ترسكاه
بالاستعداد له وروي نوطن بالنون اي يمهده وضا المطلوب الرابع
المشتمل على الدعا والترغيب فيه وسره ولم ملاحظة جلال الله
والانقطاع لله اذ هو مبدا كل محبوب ومعطي كل مطلوب ورغب في
ذلك بامور احدها ان بيده تعالى خزائن السموات والارض وهو
في قوة صغرى ضمير تقديره وكل من كان كذلك احق بالتوجه اليه
من كل احد الثاني انه تعالى اذن في الدعا وتكفل بالاجابة فقال

ادعوني استجب لكم وتقرير الكبرى ظاهر كالاول الثالث انه امر الخلق
ان يسالوه ليعطيهم في قوله تعالى واسئلوا الله من فضله وكذلك
ان يطلبوا منه الرحمة ليرحمهم وذلك ان افادة الرزق والرحمة وكل فضل
منه انما يجب بعد الاستعداد له بالاخلاص في الطلب والاسترحام
وغيرها علم في مظانه وتقرير الكبرى وكل من كان كذلك فواجب ان
يسال ويسترحم الرابع انه لم يجعل بينه وبين العباد اليه حاجبا
ولا بوابا لقدسيته سبحانه عن الجسمية والجهة وصفات المحدثات
بل يتجلى في كل شي لكل من رفع عن بصيرته وجهها الى مطالعة كبريائه
وعظمته وتقرير الكبرى وكل من كان كذلك فهو اولى من يسال
ويسترحم الخامس انه لم يلجيه الى من يشفع اليه لان الشفيع انما يضطر
اليه عند تعذر المطلوب من جهة المرغوب اليه اما بالغيبة وحاجبه
او جهله باستحقاق الطالب والباري تعالى لا يحل لديه ولا صنع ولا حاجبه
وانما توقف فيضه على استعداد الطالب له ولم يحوج سبحانه العارفين
اليه ضرورة الى الشفعا اذ امكنهم من الاستعداد لنيل مطالبهم منه
وهيا لهم اسبابها وفتح لهم ابواب رحمته فان عرضت لهم حاجة
الى شفيع فليس ذلك عن ضرورة والحاجة الى ذلك السادس
انه لم يمنعه ان كان من التوبة بل امر بها ووعد عليها فقال يا ايها
الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
الاية وقال بعد ان عدد الكباير وتوعد عليها الا من تاب وامن وعمل عملا
صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الاية السابع انه لم يعاجله
بالنقمة مع اطلاعه عليه حين معصيته ولم يفضحه في مقامه الذي يعرض فيه

للمعصية بل امهله على ظلمه واسبل عليه ستر كرمه وحلمه الثامن
انه لم يشدد عليه في قبول الانابة والرجوع اليه اذ لا يفعله الملوك في حق
من اساء وطلب الاقالة ولم يناقشه بجريمته وذنبه فيستقصي في
حسابه بل سهل عليه في ذلك وقبل توبته متى شاء لانه تعالى لا تضره
عليه باساءة مسيء ولا تنفعه نصل اليه من انابة منيب اذ هو الغني المطلق
التاسع انه لم يؤيسه من الرحمة حيث قال يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية ○ العاشر انه جعل
نزوعه عن ذنبه وتوبته منه حسنة حيث قال بعد ذكر التوبة فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات وحسب سيئة واحدة وحسنة عشرا حيث
قال من جا بالحسنة فله عشر امثالها ومن جا بالسيئة فلا يجزى
الا مثلها الحادي عشر انه فتح له باب المتاب حيث قال غافر الذنب وقابل
التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وباب
الاستعتاب حيث امره وارشده الى طلب الرضا عنه بعد توبته ○
الثاني عشر كونه اذا ناداه سمع نداءه لقوله تعالى ان ربي لسميع الدعا
واذا ناجاه علم نجواه لقوله تعالى يعلم السر واخفى فاوصل اليه
حاجته ان شاء سرا وان شاء جهرا وطلب منه اعانته على اموره ويبث له
ما كان في نفسه من مهماته وسأله لطف كربه فوهب له من خزائن
رحمته ما لا يسعه على اعطاه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان
وسعة الارزاق الثالث عشر انه جعل في يده مفاتح خزائنه بما
اذن له من مسألته فاستعار لفظ المفاتح للادعية باعتبارها
اسبابا لتحصيل النعم والرحمة متى شاء استفتح بها ابواب

خزائنها وكذلك استعار لفظ الابواب لاسباب جريان النعم
الواصلة الى العبد وخزائن نعمه هي خزائن السموات والارض اذ الكل
منه وبيده ويحتمل ان يشير بها الى المعقول من نعماء جوده وما يحويه
علمه من الحكم ات الممكنة واستعار لفظ الاستمطار لطلب نعم الله
تعالى ملاحظة لتشبيهها بالمطر في كونها سببا للحياة وصلاح الحال
في الدنيا ولتشبيه طالبها بالمستمطر ووجه ترك السابع ادعو
الذي في كل واحد من هذه الضمائر ذكر من كان هنالك فهو اعون
برغبة ليه وتوجه الطالب نحوه واعلم انه لما عرفه في الدعا بهذه
الخلال نبهه على ان الاجابة في الدعا قد يتوسط وتاخر بمقدار ما يعلم
اسبابا لتاخرها لئلا يقنطها عند تاخرها فلا يعيض منها احدها
ان العطية على قدر النية اي ان الاجابة موقوفة على الاستعداد بالاخلاص
للنية فاذا تاخرت الاجابة فلعل تاخرها لان النية لم تكن خالصة الثاني
انها ربما اخرت لعلم الله تعالى ان تاخرها من اسباب استعداد السائل
والموصل لاستعداد اعلى لعطاء ما هو اعلى واشرف مما سأل فيعطاه
عند كمال استعداده لانه على قدر اهل العزم تأتي العزائم
وتعود الكرام تكتسب المعالي   الثالث ان المطلوب قد لا يكون
مصلحة للعبد لاشتماله على مفسدة في دينه لو اعطي اياه كالغنى
والجاه مثلا وسائر المطالب الدنيوية الخالصة فلم يجب الله سؤاله
فيه بل عطية خيرا منه اما في عاجل دنياه او في اخراه وصرف ذلك
الامر عنه لما هو مصلحة له وخير ○ ثم ختم ذلك بتعريفه مواقع
مسألته لله وما ينبغي ان يسأله اياه وهو ما بقي له جماله وينفى عنه وباله

من التوفيق لأسباب السعادة الباقية وجميل الاحدوثة في الاعقاب دون المال الذي يلحقه وباله ولا يبقى لصاحبه ولا يبقى صاحبه له ومعرفة ذلك عن سؤاله واقسامه وبالله التوفيق ۝

الفصل الثامن

قوله واعلم انك انما خلقت للاخرة لا للدنيا وللفنا لا للبقاء وللموت لا للحيوة وانك في منزل قلعة ودار بلغة وطريق الى الاخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركه فكن منه على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك بالتوبة منها فيحول بينك وبين ذلك فاذا انت قد اهلكت نفسك ۝ يا بني اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا ياتيك بغتة فيبهرك وإياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها وقد نباك الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك مساويها فانما اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضا وياكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها ۝ نعم معقلة واخرى مهملة قد اضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى واخذت بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها فنسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام كان قد وردت الاظعان يوشك من اسرع ان يلحق ۝ اقول

منزل قلعة لا يصلح للاستيطان والبلغة ما يتبلغ به من العيش والازر القوة وبهره غلبه وانغبه واصل البهر تتابع النفس عن التعب والعمه التحير والاخلاد الى كذا الاستناد اليه والتكالب التواثب والمساوي المعايب والضراوة تعوّد الصيد والجراة عليه والمعقلة المقيدة بالعقال والمجهول والمجهل المفازة التي لا اعلام فيها والوادي الوعث لا يثبت به خف ولا حافر لكثرة سهولته والمسيم الراعي وقد نبهه في هذا الفصل على امور احدها على ان العلة الغائية من خلقه ووجوده هي الاخرة لكن للدنيا والموت والفنا دون الحياة والبقاء وهذه الامور علل عرضية من وجود الانسان لكونها من ضرورات وجوده واما العلة الحقيقية الاولى فهي من وجوده في استعداده ووصوله الى حضرة ربه ظاهرا عن علائق الدنيا وذكره بهذه الغايات التي يحكم بالوصول اليها ليعمل لها ولما بعد الموت ويقل الفرحة على الدنيا وعمارتها ولا يركن الى البقا فيها لكونها امورا عرضية زايلة الثاني نبهه بكون الدنيا منزل قلعة على انها منزل عبور لم تخلق للاستيطان والاقامة وبكونها دار بلغة على انها انما خلقت ليتخذ منها الانسان بلاغا للوصول الى الاخرة وزادا لكونها طريقا اليها الثالث نبهه على انه طريد الموت ولفظ الطريد ملاحظة لتشبيهه بالصيد يطارده المتبع وغيره ثم وصف الموت بكونه لا ينجو منه هارب ولا بد انه مدركه تحذيرا منه وجذبا الى الاستعداد له بطاعة الله الملاقية لاهواله وشدائده وكذلك قال فكن منه على حذر الى قوله نفسك اي بقائك على الحال السيئة تحدث نفسك فيها بالتوبة الى ان يدركك ويحول عطف

على تبركك واذا للمفاجاة الرابع امره بالاكثار ذكر الموت وما يهجم عليه فان ذلك يستلزم العبرة والانزجار والاخذ في الاهبة والاستعداد له ولما بعده ولذلك قال حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وسددت له قوتك اي بالحالات التي تستعد بها ولا ياتيك بغتة فتبهتك وقوله ولا ياتيك عطف على قوله حتى ياتيك والواو في قوله وقد للحال وكذلك بغتة حال وفتبهتك منصوب باضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي ○ الخامس نهاه ان يغتر بانسياد اهل الدنيا اليها وتواثبهم عليها ونبهه على انه لا ينبغي له ذلك الاغترار بتقاتسات ضمير فقوله فقد نبأك الله الى قوله منها هو صغرى القياس الاول كقوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو في مواضع كثيرة من كتابه العزيز وقوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية وامثاله **وقوله** ونعت لك نفسها صغرى القياس الثاني وروي ونعت وروي ولعت بمعنى ان الله وصفها له ومعنى نعيها لنفسها وصفها بلسان حالها حالها لنفسها وبيان انها محل الهموم والغموم والاعراض والامراض ودار كل بلاء ومنزل كل محنة **وقوله** وانما اهلها الى اخره صغرى القياس الثالث وتقدير الكبرى في القياس الاول وكل من اخبر الله تعالى عنه بذلك فلا ينبغي لمن يعرفه وتقديرها في الثاني وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يغتر بفعله واعلم انه اشار الى هذين المثلين الى قسمة اهل الدنيا او الى القسمين بحسب اعتبار قواهم الغضبية والشهوية واتباعهم لها اي منهم من اتبع قوته الغضبية واعطاها مقتضاها ومنهم من اتبع قوته الشهوية واسترسل في مادتها وغفل عما خلق لاجله وضرب

المثل الاولين بقوله تهر الى قوله صغيرها ووصف الحرير للاخرين مثل النعم باعتبار غفلتهم عما يراد بهم كالبهائم ثم قسم هولاء الى قسمين معلقة ومهمل واستعار لفظ المعلقة للذين يمسكوا بظواهر الشريعة واتبعوا الامام العادل فقيدهم بالدين عن الاسترسال في اتباع الشهوات والانهماك فيها وان لم يعقلوا اسرار الشريعة فهم كالنعم التي عقلها راعيها واستعار المهملة الى الذين استرسلوا في اتباع شهواتهم وخرجوا عن طاعة امامهم ولم ينقادوا لاوامره فهم كالبهائم المرسلة واشار الى وجه المشابهة بقوله التي اضلت عقلها الى اخره ويحتمل ان يريد عقلها جمع عقال واشبع الضمة وقلبها واوا لما بعده او لمحوها ويحتمل ان يريد جمع عقل وهو الملجا اي انها ضيعت من تلجا اليه وهو امامها ووجه مطابقة هذا المثل ان هولاء في عدم انتفاعهم بعقولهم وركونهم لاهوائهم الخاسرة وسروحهم في مشتهياتهم الدنيوية مكتسبين للرذايل والعاهات النفسانية لغير لهم امام يعصمهم على طاعة الله ورسوله ويسوقهم الى طرق الهدى الى مكارم الاخلاق فتشابهوا النعم المهملة التي اضلت عقلها وركبت المفازة فهي تسرح مترددة متحيرة بواد وعث ليس لها راع يرعاها ويعقبها الى المراعي وذوي سروح عاهة اي هي سارحة عن افة قد حرمت بها عن الانتفاع وفي الرواية الاولى اقرب الى الصواب واراد بطرق العمى طرق الجهل ومسالك الباطل التي لا يهتدي فيها الشيء كما لا يهتدي الاعمى الطريق ونسب السلوك بهم اليها باعتبار انها سبب لغرورهم وغفلتهم عما وراهم وكذلك اخذها بابصارهم اي بابصار عقولهم عن منازل الهدى وهي ايات الله ومنازل الطرق اليه واشارتهم في حيرتها

الى ضلالهم عن طرق الحق واستعار لفظ الغرق باعتبار استغراقها
على عقولهم وتملكها لها كما تستولي الماء على الغريق واتخاذهم لها ادبا باعتبار
خدمتهم لها فلعبت بهم اذ كانوا عبيدا لها ولعبوا بها اذا استعملوها
غير منتفعين وضيعوا اما الاولى بهم فعله ونسوا اما وراءها مما خلقوا لاجله

الفصل التاسع

قوله واعلم يا بني ان من كانت مطيته الليل
والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة وان كان مقيما
وادعا واعلم يقينا انك لن تبلغ املك ولن تعدو اجلك وانك
في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب واجمل في المكتسب فانه رب
طلب قد جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم
واكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب فانك لن
تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله
حرا وما خير خير لا يوصل الا بشر ولا مال الا بعسر واياك ان توجف بك
مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ان لا يكون
بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك واخذ سهمك وان
اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم من خلقه وان كان كل منه وتلافيك
ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وحفظ
ما في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يدك احب الي من طلب ما في يد
غيرك ومرارة اليأس خير من الطلب الى الناس والحرفة مع العفة
خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ لسره ورب ساع فيما يضره من اكثر اهجر
ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم
بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف افحش الظلم اذا كان الرفق خرقا كان

الخرق رفقا ربما كان الدواء داء والداء دواء وربما نصح غير الناصح
وغش المستنصح واياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى
والعقل حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة
قبل ان تكون غصة ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ومن
الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة سوف
يأتيك ما قدر لك التاجر مخاطر ورب يسير انمى من كثير ولا خير
في معين مهين ولا في صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده
ولا تخاطر بشيء رجاء اكثر منه واياك ان تجمح بك مطية اللجاج احمل
نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف
والمقاربة وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته
على اللين وعند جرمه على العذر حتى كانك له عبد وكانه ذو نعمة عليك
واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او ان تفعله بغير اهله لا تتخذن
عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك وامحض اخاك النصيحة
حسنة كانت ام قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم ار جرعة احلى منها
عاقبة ولا الذ مغبة ولن لمن غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ
على عدوك بالفضل فانه احدى الظفرين وان اردت قطيعة اخيك
فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا له ذلك يوما ما ومن
ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا تضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك
وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه ولا يكن اهلك اشقى الخلق
بك ولا ترغبن فيمن زهد فيك ولا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك
على صلته ولا يكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا يكبرن

عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك
ان تسوءه اقول تعدوه تجاوزه والتخفيض التسهيل على النفس
والحرب سلب المال والاجمال في الطلب التسهيل فيه حتى يكون
جميلا واوجفت اسرعت والمناهل المعاطش والحرفة الضيق في الرزق
والحرمان واهجر الرجل اذا فحش في منطقه والرفق اللين وضده الخرق والنوكى
جمع انوك وهو الاحمق والفرصة وقت الامكان والظنين المتهم والصرم
القطع ومحضه النصيحة اخلصها له والمغبة العاقبة وقد اشتمل هذا
الفصل على الوصية بلطائف من الحكم العلمية ومكارم الاخلاق
التي تنتظم بها امر المعاش والمعاد وصدره بالتنبيه على ضرورة الموت
ليبني عليه ما يريد ان يوصيه به من مفردات الحكم وذلك التنبيه بامرين
احدهما ان الانسان في مدة عمره مسافر الى الاخرة وان ذلك السفر ليس
على مطايا محسوسة ولا في طرق محسوسة بل المطية فيه الليل والنهار
واستعار لفظ المطية لهما باعتبار انهما اجزاء اعتبارية للزمان
يعقب بعضها بعضا ويمضي باعتبارها الزمان وينقل الشخص بحسبها
في منازل مدته المضروبة المقدرة له منه الى ان تنتهي مدته وينقطع
الى الاخرة كما ينتقل في منازل طريقه المحسوسة الى ان ينتهي سفره
فيها ولذلك لفظ المسافة مستعار للمدة المضروبة وكذلك كان
سيره للزمان به سيرا اعتباريا وان كان واقفا وقوله المتعارف
ويقطع مسافة اجله راكبا تلك المطايا وان كان وادعا قارا قرار
الحسي الثاني امره ان يعلم يقينا انه لن يبلغ امله وذلك ان الانسان ابدا
في توجيه امله في المطالب فما حصل مطلوب منها او افتقد وجه امله

فيه وجهه الى مطلوب آخر وان انقطعت تلك المطالب فالامل ابدا
متوجه الى مطلوب ما ليس مدركا في الحال فالامال في ذلك على
الوجدان واذا ليس كل يدرك ولذلك لا يمكن ان يجاوز الانسان اجله
المضروب له والا لما كان اجلا له وهذان الامران في قوة صغرى
لقياس ضميره من الشكل الاول وتقدير كبرى الاول وكل من يسرى به كذلك
فيوشك ان يقطع مدته ويصل الى الاخرة وتقدير كبرى الثاني وكل من لا يبلغ
امله لا يجاوز اجله وهو سالك لطريق من كان قبله فيوشك ان
يلحق بهم ولما نبهه على ضرورة مفارقة الدنيا والوصول الى الاخرة رتب
على ذلك الوصية بالحكم المذكورة وذكر منها جملة الاولى ان يخفض
في طلب الدنيا ولا يحرص عليها بل يجعل طلبه لها بقدر حاجته اليها ٥
الثاني ان يفعل الجميل فيما يكتسبه منها وذلك ان يضع كل شيء منه
موضعه فيمسك منه قدر ضرورته وينفق فاضله في وجوه البر ومصارف
القربة ويحتمل ان يريد المكتسب الاكتساب فاطلق اسم المفعول على
المصدر مجازا ونحوه قول الرسول صلى الله عليه ان روح القدس
نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاجملوا في الطلب
وقوله فانه رب طلب الى قوله محروم تنفير عن الحرص في الطلب بامور
ثلثة احدها انه قد يجر الى الحرب وذلك كما شوهد في وقتنا ان
تاجرا كان راس ماله سبعة عشر دينارا فسافر بها الى الهند مرارا
حتى بلغت سبعة عشر الفا فعزم حينئذ على ترك السفر والاكتفا بما رزقه
الله فسولت له نفسه الامارة بالسوء العود وحببت اليه الزيادة فعاود د
السفر فلم يلبث ان خرجت عليه السراق في البحر فاخذوا جميع ما كان

معه وقد حرب ماله وذلك ثمرة الحرص المذموم وهو في تقدير صغرى
ضمير وتقدير كبراه وكل ما جرّ الى الحرب فينبغي ان لا يحرص عليه الثاني
قوله وليس كل طالب بمرزوق وهو مثل نبه فيه على ان الطلب
علة الحرمان في بعض الطالبين حتى يقيس نفسه عليه فلا يحرص في الطلب
الثالث قوله ولا كل مجمل بمحروم تنبيه على مثل آخر كذلك نبه فيه
على ان الاجمال علة للرزق في بعض الناس ليقيس نفسه عليه فيجمل
في الطلب الرابع ان يكرم نفسه عن كل دنية وان استلهمت وصوله
الى ما يرغب فيه وساقته عليه وذلك كان يكذب مثلا او ليعبد ليصل
الى الملك ونحوه والاكرام لها عن ذلك يستلزم فضايل كالسخاء
والمروة وكبر الهمة اذ دل وابرمن رذيلة البخل والنذالة وصغر الهمة
يستلزم الامر بالحصول على فضايلها وبعده عن مقارفة الدنيه بقوله فانك
الى قوله عوضا اي ان ما تبذله من نفسك من الفضيلة وتعدل عنه الى
الرذيلة لا نعامه عند الله وعند اهل الفضايل من خلقه شيء وان جل ولا
يكون لك عنه عوض وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا يحصل
له عوض يقابله ويساويه فلا ينبغي ان يبذل في مقارفة الدنايا الخامس ان
لا يكون عبد غيره اي لا يجعل لغيره عليه فضل احسان يتسلم اياه فيسترقه
به ويستعبد بذلك على نفسه حرمته والاشتغال بشكره عن الله وقوله
وقد جعله الله حرا في قوة صغرى انه تقدير كبراه وكل من جعله الله حرا فيقبح
ان يجعل نفسه عبدا لغيره وكذلك قوله وما خير خير الى قوله الا بعسر
استفهام في معنى الانكار اي لا خير في خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال
الا بعسر وكنى بذلك الخير واليسر عما يطلب في مقارفة الدنايا وتعسر بالانسان

نفسه عبدا لغيره كالمال ونحوه والشر والعسر المقارن له كبذل
ماء الوجه في السؤال والذلة وغيرهما من الدنايا وهو ايضا
في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا خير فيه فلا ينبغي
ان يطلب ويستعبد للغير من اجله الخامس حذره من الطمع واستعار
لفظ المطايا للقوى الامارة بالسوء كالوهمية والخيالية والشهوية
والغضبية ووجه المشابهة كونها حاملة لنفسه العاقلة وموصلة
لها الى المشتهيات وما يطمع فيه من متاع الدنيا كالمطايا الموصلة
لراكبها الى اغراضه وكذلك وصف الوجيف لسرعة انقياده معها
الى المطامع الرديه وقوله فتورد لك مناهل الهلكة فاستعار
لفظ المناهل لموارد الهلاك في الاخرة كنار جهنم وطباقها
ووجه المشابهة كونها موارد شراب النار المهلك كما قال تعالى
فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم والفا في جواب النهي
اللازم للتحذير المذكور وهو في قوة متصلة هي صغرى ضمير تقديرها
فانك ان اوجفت بك مطايا الطمع اوردتك مناهل الهلكة
وتقدير الكبرى وكل مطيه كذلك فحرم ركوبها السادس نهاه ان
يجعل بينه وبين الله واسطة في وصول نعمته اليه ان استطاع
ذلك وهو نهي عن مسئلة الغير والتعرض لنواله بل ينتظر قسمته من
رزق الله المفروض له من غير سؤال ذي نعمة يكون فيه بذل الوجه
والذلة والمنة لمن اعطى وبذله والحرمان والذل ان حرم وغيره في
ذلك بعض من اصرهما وقوله فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك اي من
رزق الله وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يجعل بينه وبين الله

واسطه يطلب منه رزقه الثاني قوله وان اتسم الى قوله طلبه اي
ما حصل من جهة محصوله منها وهي الجهة التي امر الله يطلب الرزق
منه وان كان يسيرًا اكرم عنده واشرف من الكثير من غير تلك الجهة
كسوال الغير والمعرض له وتقدير الكبرى وكل ما كان اعظم يسعى ان
يكون هو المطلوب في قوله وان كان الكل منه اي وان كان الرزق من الخلق
ايضًا من الله الا انه ينبغي ان يتوجه للعبد اليه ابتداءً دون غيره اذ
هو مبدأ الكل وعنايته بالجميع واحدة السابع قوله وتلافيك الى
قوله منطقك تنبيه على وجوب ترجيح الصمت وتغليبه على كثرة
الكلام بضمير هذه صغراه وتقريرها ان الفارط من الصمت وان
استلزم الخطأ كالسكوت عما ينبغي ان يقال من الحكمة او ما يترتب
عليه بعض المصالح الا انه يمكن استدراكه غالبًا بما ينبغي من القول
واما فارط القول فان الخطاء فيه قد لا يمكن استدراكه وان امكن
فعلى زاية من العسر وكذلك كان تلافي فارط الصمت بالقول اسهل من
تدارك فارط القول ولقوة الخطاء في القول اكثر الناس في ذم الاكثار
ومدح الصمت والمنطق ههنا يحتمل ان يراد به المصدر فيكون من باب
الجنس او محل النطق فيكون لاستعارة الكناية وتقدير كبرى الضمير وكل ما
كان ايسر فهو اولى بك فينتج ان تلافي فارط الصمت اولى بك وذلك
مستلزم لرجحان الصمت الثامن تنبيه على حفظ ما في يدك من المال
العرض الذي ينبغي وهو الواسطه بين التبذير والبخل والكلام في قوة
صغرى ضمير ايضًا وتقدير كبراه وكل ما كان احب الى من طلبك
ما في يدي غيرك فهو اولى بك التاسع تنبيه على فضيلة قطع الطمع واليأس
عما في ايدي الناس بضمير ايضًا صغراه قوله ومراره اليأس الى
قوله الناس وتقرير كبراه وكل ما كان خيرًا فهو اولى ان يلزم ويلزم
النفس به واطلق لفظ المرارة على الالم الذي يجده النفس بسبب اليأس
من المطالب اطلاقًا لاسم السبب على المسبب وكونه خيرًا لما يستلزمه
من اكرام النفس عن ذل السوال ورذيلة المهانة والى اشار الشاعر
بقوله وان كان طعم اليأس مرًا فانه الذ واحلى من سوال الاراذل
العاشر تنبيه على وجوب الصبر في ضيق الرزق والحرمان اذا كان مع
فضيلة العفة وان لزومه اولى من طلب الغنى المستلزم للفجور بضمير ايضًا
صغراه ما ذكر وتقدير كبراه وكل ما كان خيرًا من الغنى مع الفجور
فلزومه اولى من طلب ذلك الغنى وانما كان كذلك لاستلزام تلك الحرفة
الفضيلة واستلزام ذلك الغنى الرذيلة وقد علمت ان العفة فضيلة
القوة الشهوية وانها بين رذيلتي تفريط يسمى جمود الشهوة وافراط
يسمى فجورًا الحادي عشر تنبيه على انه لا يجوز افشاء السر وبتمثيل
اصله المرء والفرع هو الحكم كونه حفظ السر والعلة كونه اكثر
عنايه بنفسه من غيره الثاني عشر تنبيه بطريق التمثيل ايضًا
على التحرز في السعي والتثبت في ارتياد المصالح في قوله
رب ساع فيما يضره فالاصل هو الساعي والفرع هو المخاطب
والعله هو السعي والحكم هو المقصر الثالث عشر تنبيه على
وجوب ترك الاكثار في القول بتمثيل ايضًا اصله المكثر وفرعه
المخاطب وعلته الاكثار وحكمه الهجر والغرض ان يعتبر نفسه
في لحوقها بالمكثرين في لزوم الهجر لهم فيترك الاكثار لما يلزمه من الهجر

والخوف اللازم به الرابع عشر نبه على فضيلة المتفكر في الامور بقوله من تفكر ابصر اي ادرك بعين بصيرته حقايق الامور وعواقبها الخامس عشر امر بمقارنة اهل الخير بصيغة دال على صغراه بقوله تكن منهم وتقريرها ان مقارنتهم تستلزم الكون منهم وتقدير الكبرى وكل ما استلزم الكون منهم فواجب ان يفعل السادس عشر وكذلك امر بمباينة اهل الشر ومفارقتهم لما تستلزمه المباينة لهم من عدم العداد في جملتهم في الدنيا والاخرة ووجه الحجة كالذي قبله السابع عشر نبه على قبح اكل الحرام لغاية اجتنابه بذمه بصيغة تقدير صغراه الطعام الحرام مذموم وتقدير كبراه وكل مذموم ينبغي ان يجتنب الثامن عشر نبه على وجوب ترك الظلم بصيغة تقدير صغراه ما ذكره وانما كان اقبح الظلم الظلم للضعيف في محل الرحمة فظلمه لا يصدر الا عن قلب قاسي ونفس بعيد من الرقة والرحمة والعدل ولانه غير مقابل من الضعيف بمدافعة وممانعة فكان البعد من العدل وتقدير كبراه وكل ما كان اقبح الظلم كان اولى اصناف الظلم بالترك والاجتناب التاسع عشر نبه على ان الخرق في بعض المواضع انفع من الرفق وينبغي ان يستعمل كل في موضعه بصيغة صغراه متصلة تقريرها انه اذا كان استعمال الرفق في بعض المواضع كالخرق في كونه مخلا بالمصلحة غالبا ومفوتا للغرض كان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في تستلزمه المصلحة وحصول الغرض غالبا فكان اولى من الرفق في ذلك الموضع ولفظ الخرق الاول والرفق الثاني مستعاران للرفق الاول والخرق الثاني لما ذكرناه من المشابهة والى هذا اشار ابو

١٦

الطيب بقوله ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر
كوضع السيف في موضع الندى

العشرون نبه على ان بعض ما فيه مصلحة ظاهرة قد تشتمل على مفسدة بقوله ربما كان الدواء داء وعلى ان بعض ما هو مفسدة ظاهرة قد تستلزم مصلحة بقوله والداء دواء ولفظ الدواء مستعار للمصلحة ولفظ الداء للمفسدة ووجه الاستعارة ان المصلحة من شانها نظام حال الانسان ومن شان المفسدة فساده كالدواء والداء والى هذا اشار المتنبي في قوله ربما صحت الاجساد بالعلل الحادي والعشرون نبه على انه لا ينبغي ان يعرض عن مشورة من اشار عليه بامر هو مظنة مصلحة وان كان من شانه انه غير ناصح له بل ينظر في رايه ومشورته فربما كان نصيحة ولذلك لا ينبغي لمن يركن الى قول من يعتقده ناصحا مطلقا اذ من الجائز ان يغشه الثاني والعشرون نهاه عن الاتكال على المنى ونفره عنها بصيغة صغراه قوله انها بضايع النوكى واستعار لفظ البضايع باعتبار ان الاحمق يحصل منها على ما تخيله من الامور المتمناة من فرحها كما يحصل عن المطاعة للربح واضافها الى النوكى لعدم الغاية في المنى كعدم للربح عن بضايع النوكى الثالث والعشرون رسم العقل بانه حفظ التجارب والاشارة الى العقل العملي وهو القوة العملية وهو القوة التي للنفس بحسب حاجتها الى تدبير بدنها الموضوع لتصرفاتها وتكميله وهي التي بها تستنبط الاراء المصلحية مما يجب ان يفعل من الامور اذ كان الشروع في العمل الاختياري المختص بالانسان انما تاتي بادراك ما ينبغي ان يعلم في كل باب وهو ادراك راي كلي او جزئي

ان

يستنبط من مقدمات بعضها جزئيه محسوسه وبعضها كليه اوليه او مجربه
او ذائعه او ظنيه يحكم بها العقل النظري من غير ان يختص بجزئي
دون غيره والعقل العملي يستعمل النظر في ذلك ثم يستعمل منه باستعمال
مقدمات جزئيه الى ان يصل الى الرأي الجزئي الحاصل فيعمل بحسبه
ويحصل بعمله مقاصده في معاشه ومعاده وارادته لهذا العقل
اظهر لانه المتعارف ولانه في معرض الامر بتحصيل مكارم الاخلاق التي
هي كمال هذه القوة وحفظ التجارب اشارة الى ضبط هذه
العلوم المنتزعه على مشاهدات متكرره منا لامور جزئيه ليستفيد
حكما كليا لكون السقمونيا مثلا من شانها الاسهال وعرف العقل
ذلك لكونه من خواصه والكلمة الرابع والعشرون ينبه على انه ينبغي ان
يقتصر من التجارب على ما وعظه اي من شانه ان يفيد موعظة واعتبارا
كالنظر في حال من تكبر وظلم فاسرعت عقوبة الله اليه او تكبر لكربه
فادركه المقت نضم صغراه ما ذكر وتقديرها ما وعظك فهو
خير التجارب وتقدير الكبرى وخير التجارب اولى بك ينتج فما وعظك
من التجارب اولى بك ونحوه قول افلاطون اذا لم تعظك التجربه لم تجرب
بل انت ساذج والكلمة الخامسة والعشرون امر بانتهاز الفرصة فيما ينبغي
ان يفعل وتعريض من تركه بما يستلزمه من الاسف المغص واطلق اسم
الغصة على الفرصة مجازا تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه والسادس والعشرون
ينبه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب نضم صغراه
ما في قوة هذا الكلام من الايجاب وتقديرها بعض الطالبين لا يصيب
مطلوبه وتقدير الكبرى وكل من لا يصيب مطلوبه فلا ينبغي ان ياسف على

فواته لعلم السامع نفسه انه من ذلك البعض فلا ياسف على فوات
وكذلك قوله ولا كل غائب يؤوب السابع والعشرون ينبه على لزوم
التقوى نضم تقدير صغراه اضاعة للزاد ومضيع للمعاد من الفساد
وتقدير الكبرى ولا كل ما كان من الفساد وجب تركه ولفظ الزاد
مستعار للتقوى كما سبق الثامن والعشرون ينبه على وجوب
النظر في عواقب الامور واختيار احسنها نضم ذكر ما هو في قوة صغراه
وتقديرها كل امر له عاقبة نافعة او ضارة وتقدير كبراه وكل ما له
عاقبة كذلك ينبغي ان يلمح ليفعل ما يوصل اليها او يجتنب التاسع والعشرون
ينبه على وجوب ترك الحرص وكثرة التعب في طلب المال ونحوه
نضم ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما سوف ياتيك ينبغي ان لا
تحرص في طلبه الثلاثون ينبه على وجوب الاحتراز في المعاملات
كالبيع والشراء ونحوه نضم صغراه ما ذكر ووجهه ان التاجر مخاطر
انه لما كان محبا للمال ومتوجها الى اكتسابه كان حال السعي في
مظنة ان يحيف فياخذ راجحا ويعطي ناقصا مع ان طبيعته تروم
العدل والاستقامة على سواء الطريق فلا جرم كان على خطر من
وقوعه في طرف التفريط والتقصير عن سواء السبيل وتقدير الكبرى
والمخاطر يجب ان يحترز في فعله المخاطر به الحادي والثلاثون ينبه
على وجوب الاحتراز في المخارج والتحفظ من الظلم وكان ذلك لعلم
انما هو لعرض كثرة المال به في هذه الكلمة على لزوم المال
اليسير ما هو اسمى من الكثير لتقتصر عليه واراد اليسير الحلال فانه
ابقى للعاقل من الكثير الحرام في الاخرة لاستلزامه زيادة الثواب

وهي في قوة صغرى ضمير تقديرها اليتيم الكلال الهموم الكثير الكرام
وتقدير الكبرى وكل ما كان اهم من الكثير الكرام فيجب ان يصبر عليه
الثاني والملزوم منه على ترك الاستعانة في المهمات بالمهين من
الناس بضمير تقدير صغراه المعير المهين لا خير في الاستعانة به وتقدير
الكبرى وكل من كان كذلك فالاولى اجتناب الاستعانة به والحكم
المنفي عنه هو النافع في الاستعانة به ومعلوم انه منتفٍ عنه لما
ان مهانته تضاد النهوض في مهمات الامور وعلياتها ولان ذلته
يستلزم فهمه وضعفه عن المقاومة ونحوه قولهم
اذا المكتسب نفعه كاف وحرمته لهم غير شاف الثالث والملزوم
منه على مجانبة الصديق المتهم بضمير تقدير صغراه كالتي قبلها واراد
انه لا خير فيه لصديقه اذ كان من جهة الباطن مظنة لكشف له للمراع
والملزوم امره ان يصبر على ما تقتضيه الدهر ولا يسخط من ذلك
وان كان دون رضاه اذ كان ذلك هو الممكن في الطبيعة وما
بمعنى المدة واستعار لفظ القعود للزمان الذي يتيسر فيه رزق
ويتسهل فيه بعض مهماته ووجه المشابهة ان ذلك الزمان هو
زمان يمكنه من بعض مهماته وحوائجه وطلب ما لا يمكن فيه وما لم
يجد لحصوله من المطالب ربما يستلزم بغيره وامتناع ما كان ممكنا
فيه كما ان القعود من شانه ان يمكن من ظهره واقتعاده وهو
بمعرض ان ينفر راكبه اذا استزاده وشدد عليه ولفظ الدولة
مستعار لتمكين الزمان وامكان المطلوب فيه واراد بمساهلته
الجريان معه بعد مقتضاه من دون تشدد وتسخط عليه فان ذلك

يستلزم تعب النفس من غير فايدة والى مثله اشار القايل
اذا الدهر اعطاك العنان فسر به رويدًا ولا تعنف فيصبح شامسا
الخامس والملزوم منه ان تخاطر بما تملكه رجاء اكثر منه اذ كان
في مظنة ان لا يعود وتوشك ان تضيع الاصل ويحمل ذلك على كون الا نسان
ملقى ما في يده للغرض المذكور مع شكه في سلامته اما مع ظن السلامة
فلا خطر ونحوه قولهم من طلب الفضل حرم الاصل السادس
والملزوم حذره من اللجاج في طلب الامر عند تعسره وتفرع عنه بان
استعار له لفظ المطية الجموح ووجه المشابهة كونه يؤدي بصاحبه
الى غاية ليست محمودة كالجموح من المطايا السابع والملزوم امره ان يلزم
نفسه ويحملها في حق صديقه الحق على مقابلة وتجاوزه رذايله بفضايل
كالقطيعة بالصلة وسائر ما ذكر ليعود الى الحسنى ويدوم الود و
حذره ان يضع ذلك في غير موضعه او يفعله مع غير اهله من اللئام
لان ذلك وضع للشيء في غير موضعه وخروج عن الوضع وقد علمت
ان الامور المذكورة من لوازم الصداقة الحقة والى نحوه اشار الشاعر
بقوله وان الذي بيني وبين بني ابي وبين بني عمي لمختلف جدا
فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بي زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا احمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
الثامن والملزوم نهاه ان يتخذ عدو صديقه صديقا ونبه على قبح ذلك
بضمير استثنائي تقديره فانك ان فعلت ذلك عاديت صديقك ونبه
به على قبح اللازم بقبح ملزومه اي لكن معاداة الصديق قبيحة منهي عنها

فاتخاذ عدوه صديقًا كذلك ووجه الملازمة ان مصادقة عدو الصديق
تستلزم نفي الصديق عمن يصادق عدوه لبعده عن عدوه ولان مصادقة
عدوه توهمه مشاركة للعدو وموافقته في جميع احواله ومن جملة احواله عداوته
فهي اذا توهمه الموافقة على عداوته فيحصل له الفرق والخيانة والله
اشار العاقل   تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ان الراي عنك لعازب
السابع والعشرون ان يخلص نصيحته لاخيه في جميع احواله سواء كانت النصيحة
حسنة ام قبيحة اي مستقبحة في نظر المنصوح لمضادته له في العاجل باعتبار
استحبابه وانفعا له من المواجهة بها ونحو قوله تعالى نسبهم نسبة
بما قدمت ايديهم فجرها بالنسبة لليهم الثامن والعشرون امره بعضه
كظم الغيظ وقد رسمت بانها الامساك من المبادرة الى قضاء وطر
الغضب ممن يجني عليه جناية يصل مكروهها اليه وقد يرادفه
الحلم والكظم والصفح والتثبت والعفو والتجاوز والاحتمال وربما
فرق بعضهم بين هذه المفهومات واستعار لفظ الجرح للصبر على
مضض الالم الموجود منه ملاحظة لما يترتب من دواء امر ثم نبه
على فضيلته بضمير صغراه قوله فاني لم ار الى قوله مغبة واستعار لفظ
الحلاوة لما تستلزمه من العاقبة الحسنة ووجه المشابهة استلذاذه
في اللذة والضمير في قوله منها يعود الى ما دل عليه قوله تجرع من المصدر
وتقدير الكبرى وكل ما لا ارى من المتجرع احلى منه فينبغي ان يتجرع وعن
زين العابدين وصيته لابنه الباقر عليهما السلام يا بني عليك بتجرع الغيظ
من الرجال فان اباك لا يسره بنصيبه من تجرع الغيظ من الرجال حمر
النعم الحادي والثلاثون امره ان يلين لمن غالظه وخاشنه وينبه على

حسن ذلك بضمير صغراه قوله فانه يوشك ان يلين لك اي بسبب لينك
له حال غلظته وتقدير كبراه وكل من قارب ان يلين لك بسبب لينك له
فالاولى بك ان تلين له ونحوه قولهم اذا عز اخوك فهن واصله قوله
تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم الثاني والثلاثون امره ان يحمل على عدوه بالفضل من عوارفه
وينبهه على حسنه باستلزامه لاحد الظفرين كان الظفر يشمل امرين
المرهبة بالقوة والغلبة وهو الاظهر والثاني الغريبة بالافضال عليه
بحيث يسر به ويدخل في الطاعة بسببه وقوله فانه احد الظفرين
صغرى ضميره وتقدير الكبرى وكل ما صدق عليه انه احد الظفرين
فينبغي ان يفعل الثالث والثلاثون امره ان اراد مقاطعة اخيه
ان يبقي له من نفسه بقية من صداقته ولا يفارقه مفارقة كلية وينبه
على ذلك بضمير اشار الى صغراه بقوله يرجع اليها اي فانه يرجع اليها
لو بدا له الرجوع وتقدير الكبرى وكل ما يرجع به فواجب ان تبقيه له ونحوه
قولهم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض
بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقوله اذا هويت
فلا تكن غاليا واذا تركت فلا تكن قاليا الرابع والثلاثون لمن صدق
من ظن به خيرا في ظنه وذلك الصدق بفعل ما ظنه فيه من الخير
كان يظن به الجود فيتفضل عليه الخامس والثلاثون نهى ان يفعل ما اهله
سترا او تفقد بضمير تقدير صغراه كان اهلك حسيد يكون اشقى الخلق
بك وذلك لملازمتهم له وقربه منهم وتقدير كبراه وكل من كان كذلك
فهو مذموم السادس والثلاثون لا تضيع حق اخيك اعتمادا على ما بينهما

من الاخوة ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه الى قوله حقه والمعنى
ان من اضعت حقه لابد ان يفارقك لتضييعك حقه فلا يكون اخا
لك وتقدير كبراه وكل اخ يفارقك لتضييع حقه فلا ينبغي ان تضيع
حقه لتسلم لك مودته واخوته ونحوه وقولهم اضاعة الحقوق
داعية العقوق لك نابع والادعون نهاه عن الرغبة فيمن زهد فيه من
ليس للصنيعة موضعا ولا للمودة اهلا وليس باخ قديم والالباقي
ما قبله وما بعده من الامر بصلة من قطعه والدنو ممن باعده
والاحسان الى من اساء اليه الماتن والادعون نبهه على وجوب
صلة من قطعه من اخوانه والاحسان الى من اساء اليه واشار الى
وجوب ذلك والتنفير عن نقيضه بضمير صغراه شرطية متصلة
تقديرها فانك ان لا تفعل ذلك يكون اخوك اقوى على فعل الاساءة
منك على فعل الاحسان وبيان الملازمة ان الاساءة والشر له
صوارف كثيرة تصرف عنه والاحسان وفعل الخير له بواعث
كثيرة تبعث عليه فاذا لم تفعل الاحسان مع كثرة البواعث عليه
واساء اخوك مع كثرة صوارفه عن الاساءة كان هو اقوى على
الاساءة منك على الاحسان وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو عاجز
مذموم الماتن والادعون نهاه عن استعظام ظلم الظالمين في حقه
ودونه عنده بضمير صغراه قوله فانه يسعى في مضرته ونفعك اي ان
سعيه في ظلمه يستلزم مضرته في الاخرة بما توعد الله به الظالمين
ونفعك ما وعد الله به الصابرين على بلائهم وتقدير الكبرى وكل من سعى
في مضرته ونفعك فلا ينبغي ان يكبر عليك صنيعه في حقك المحمود

نبهه على وجوب مقابلة الاحسان بمثله دون الكفران بقوله ليس جزاء من
سرك ان تسوءه وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها من سرك فليس جزاؤه
ان تسوءه وقيل ان هذه الكلمة من تمام التي قبلها والتقدير ولا
يكبرن عليك ظلم من ظلمك مقابلة تسوء فانه يسعى في مضرته ونفعك
وكل من كان كذلك فليس جزاؤه ان تقابله بالاساءة

الفصل العاشر

قوله واعلم يا بني ان الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان
انت لم تأته اتاك ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى وانما
لك من دنياك ما اصلحت به مثواك وان كنت جازعا على ما تفلت من
يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك استدل على ما لم يكن بما قد كان
فان الامور اشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في
ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب
اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد
جار الصاحب مناسب والصديق من صدق غيبه والهوى شريك العمى
رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد والغريب من لم يكن له
حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره كان ابقى له
واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى ومن لم يبالك فهو
عدوك قد يكون اليأس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس كل
عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب ربما اخطأ البصير قصده واصاب
الاعمى رشده اخر الشر فانك اذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل
صلة العاقل من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه ليس كل من رمى اصاب

اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل
الدار اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك
واياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن
من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب ابقى عليهن وان استطعت
ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المراة من امرها ما جاوز نفسها فان
المراة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها في
ان تشفع لغيرها واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعوا
الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك
عملا تأخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك
فانهم جناحك الذي به تطير ويدك التي بها تصول استودع الله
دينك ودنياك واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا
والآخرة ان شاء الله تعالى **اقول** المثوى المقام وتفلت
خلص وعزائم الصبر ما جزمت به منه ولزمته والعورة هنا الاسم من اعور
الصيد اذا امكنك من نفسه واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب
والأفن الضعف والقهرمانة فارسي معرب وفي الفصل تنبيهات على لطايف
من الحكمة ومكارم الاخلاق الاولى انه قسم طلب الرزق
الى قسمين مطلوب وطالب واراد بالرزق المطلوب ما لم يجر في القضاء
الالهي كونه رزقا له وبالطالب له ما علم الله انه رزقه وانه لا بد من وصوله
اليه وترك بيان احكام القسمين للعلم به اختصارا والتقدير واما الذي تطلبه
فانك لا تدركه لكون القضاء الالهي لم يجر به وكلما لا تدركه ينبغي ان لا
تحرص عليه واما الذي يطلبك فانه لا محالة يأتيك وان لم تأته فهي صغرى

ضمير تقدير كبراه وكل ما كان يأتيك لا محالة ينبغي ان لا تحرص في طلبه
الثانية نبه على فضيلة عزة النفس عند الحاجة وعلى مواصلة
الاخوان في الغنى بالتعجب من قبح ضديهما وهما الخضوع في الحاجة
والجفاء في الغنى للتنفير عنهما اذ كانا رذيلتين وهي في قوة صغرى ضمير
تقديرها ان الذلة في الحاجة وجفاء الاخوان في الغنى قبيحان جدا
وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الثالثة
تنبيه على بذل المال في وجوه البر والقربات لغاية اصلاح آخرته
بقوله انما لك الى قوله مثواك اراد بماله من دنياه ما يملك نفعه دائما
ولذلك حصره بانما لانه القدر المنتفع به على الحقيقة والذي تبقى ثمرته
لاستلزام بذله تحصيل الملكات الفاضلة المستلزمة للثواب الدائم
والنعيم المقيم في الآخرة وهو صغرى ضمير تقديرها ما اصلحت به مثواك
من دنياك هو الذي يبقى لك منها وتقدير الكبرى وكلما هو الباقي
لك منها ينبغي ان تخصه بعنايتك ويحتمل ان يكون هذه الكلمة
تنبيها على ما قبلها من المواصلة في الغنى داخلة في اصلاح المثوى
بالمال المنبه عليه ههنا الرابعة نبهه على ترك الاسف
والجزع على ما خرج من يده من المال بقياس استثنائي وذلك قوله
فان جزعت الى قوله اليك وبيان الملازمة ان الذي خرج من يده كالذي
لم يصل اليه في انه ليس برزق له وليس مما قضى الله له به وتقدير الاستثناء
لكن الجزع هناك قبيح وغير مستحق فينبغي ان لا يحصل الجزع ههنا
الخامسة امره ان يستدل بقياس ما لم يكن اي لم يحدث من امور
الدنيا واحوالها وتغيراتها على ما كان وحدث منها وذلك ان يقيس

نفسه وما ترغب فيه من متاع الدنيا على ما سبق من اهلها ومتاعها فيجده مثله
محكوما بالمحو وحكمه له وهو التغير والزوال فيستلزم ذلك الاعتبار
الرغبة عن الدنيا ومتاعها ونبه على امكان ذلك بضمير صغراه قوله فان
الامور اشباه وتقدير الكبرى وكلما هو متشابه فيمكن قياس بعضه
على البعض وكان يقال اذا اردت ان تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد
غيرك السادسة حذره ان يكون ممن لا تنفعه النصيحة فيما
نصح به من الراي الا اذا بالغت النصيحة والتوبيخ في ايلامه واذاه
وروي بالغت بناء المخاطب في ايلامه بالقول وغيره وضرب له العاقل
مثلا في اتعاظه بالادب وتذكره بالنصيحة لتقبل نفسه عليه فيتعظ
بالادب والبهايم مثلا في عدم اتعاظها وتذكرها الا بالضرب لتعتبر
نفسه بالقياس اليها وقد رفعه الله عنها بالعقل فيجب ان ينزه نفسه
عن ان يهينها ولا يحتاج الى ايلامه بقول او فعل وكان يقال اللئيم
كالعبد والعبد كالبهيمة عتبها ضربها السابعة ان يطرد
عن نفسه ما يرد عليها من الهموم والغموم ومصائب الدنيا بالصبر الجازم
النابت عن حسن اليقين بالله تعالى وباسرار حكمته وقضائه وقدره
وذلك ان يعلم يقينا ان كل امر صدر عن الله تعالى وابتلى به عباده
من ضيق رزق او سعته وكل امر مرهوب او مرغوب فعلى وفق
الحكمة والمصلحة بالذات وما عرض من ذلك مما يعد شرا فامر عرضي
لا يمكن نزع الخير المقصود منه وان ذلك اذا كان متيقنا استعدت النفس
لعلمه الصبر ومقاومة الهوى في الغم والجزع ونحوه والغرض من الكلمة الامر
بالصبر وهي في قوة صغرى ضمير تقديرها ان عزايم الصبر وحسن اليقين بالله

تستلزم اطراح واردات الهموم وطردها عن النفس وتقدير الكبرى وكل
ما استلزم ذلك فينبغي ان يستعد به ويستكمل به نفسك الثامنة
نبهه على لزوم القصد والعدل في اقواله وافعاله بضمير ذكر صغراه
وكبراه ومن جار هلك التاسعة نبه على حفظ الصاحب الحق
والرغبة فيه بضمير ذكر صغراه واستعار له لفظ النسيب باعتبار مودته
وحسن معاضدته كالنسيب وتقدير كبراه والمناسب ينبغي ان يحرص
عليه ويصطنع عنده العاشرة عرّف الصديق الحق بعلامته
ليعرف بها فيصادق واراد بصدقه في غيبه صدقه في ضميره وما غاب
من باطنه عن غيره الحادية عشر نبهه على مجانبة الهوى
والميول الطبيعية بضمير صغراه قوله الهوى شريك العمى ووجه كونه
شريكا له استلزامه للضلال وترك القصد كالعمى وتقدير الكبرى
وكل ما هو شريك العمى فينبغي ان يجتنب ونحوه قولهم حبك الشيء يعمي ويصم
الثانية عشر نبه على ان في البعداء من هو اقرب وانفع من القريب
وفي الاقرباء من هو ابعد من البعيد وهو مشهور والى المعنى الثاني اشار
القران الكريم بقوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم الثالثة عشر نبه على ان الحقيق باسم الغريب
هو من لم يكن له حبيب اي محب يحبه واليه اشار القايل

اسرة المرء والداه وفيما بين حضنيهما الحياة تطيب
فاذا وليا عن المرء يوما فهو في الناس اجنبي غريب

وذلك باعتبار محبة الوالدين له الرابعة عشر نبه على
لزوم الحق بما يلزم نقيضه وهو تعديه وتجاوزه الى الباطل من ضيق

المذهب ووعثاء المسلك وذلك ان طريق الحق واضح مامور باتباعه وقد نصبت
عليه اعلام الهداية وأما طريق الباطل فهي ضيقة وعرة على سالكها
لما فيها من التحير والخبط وعدم الهداية الى المصلحة والمنفعة مع كونها ممنوعة
لحرمته طريق الحق من حاد الى ما عنه اخذوا عليه مذهبه وضيقوا مطلبه حتى
يعود الى طريق الحق وهو صغرى ضمير تقدير كبراه كما في قوله من ترك القصد جار
الخامسة عشر تنبيه على وجوب الاقتصار على قدره وهو
مقداره ومحله في خلق الله واقتصاره عليه مبني على معرفته به وهو ان يعلم
الفطرة التي فطر الانسان عليها من طباع الضعف والخور والنقص فيعلم
انه كذلك فيمنع نفسه حينئذ عن الترفع على ابناء نوعه والاستطالة على احد
منهم بفضل قوة او اعجاب بقنية جسمانية او نفسانية ويقتصر على ما دون
ذلك من التواضع ولين الجانب والاعتراف بما جبل عليه من العجز والنقص وهو
في قوة صغرى ضمير تقدير كبراها من اقتصر على قدره كان اقتصاره ابقى له وذلك
ان المتطاول الى قدر غيره والمتجاوز لقدره في مظنة ان يهلك لقصد الناس
اياه بالمكاره والتكبر ولذلك قيل من جهل قدره قتل نفسه والاقتصار
على القدر يسلم مع عدم هذه الامور فكان ابقى على صاحبه واسلم وتقدير
الكبرى وكل من كان اقتصاره على قدره ابقى له فواجب ان يقتصر عليه
السادسة عشر تنبيه على لزوم سبب بينه وبين الله تعالى وهو
كل ما قرب اليه من علم وقول وعمل ولفظ السبب مستعار لذلك
باعتبار ايصاله الى الله والقرب به منه كالحبل الذي يتوصل به الى
المقصود وظاهر انه اوثق الاسباب لثباته دائما ونجاة المتمسك به
في الدنيا والآخرة والكلمة صغرى ضمير تقديرها السبب بينك وبين الله

تعالى هو اوثق الاسباب الماخوذ بها وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فينبغي
ان يتمسك به ونحوه قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها السابعة عشر تنبيه على مجانبة
من لا يبالي به بضمير ذكر صغراه وتقديرها من لا يبالك وقت حاجتك اليه
وقدرته على نفعك فهو عدوك ولفظ العدو مستعار له باعتبار ان عدم
المبالاة من لوازم العدو وتقدير الكبرى وكل عدو فينبغي مجانبته
الثامنة عشر تنبيه على ان الياس من بعض مطالب الدنيا قد يكون
سببا للسلامة من الهلاك وادراك النجاة منه وذلك عندما يكون الطمع
في ذلك المطلوب مستلزما للهلاك كالطمع في نيل ملك ونحوه التاسعة
عشر تنبيه بقوله ليس كل عورة الى قوله رشده على ان من الامور الممكنة
والفرص ما يغفل الطالب البصير عن وجه طلبه ولا يصيبه ويتهيأ له ويظفر
به الاعمى واستعار لفظ البصير للعاقل الذكي والاعمى للجاهل الغبي وغرض
الكلمة التسلية من الاسف والجزع عما يفوت من المطالب بعد امكانها
العشرون امره تاخير الشر وعدم الاستعجال فيه ونبه عليه
بضمير ذكر صغراه ومعناها انك قادر على تعجيله اي وقت شئت وتقدير
الكبرى وكل ما كان كذلك فينبغي ان لا تعجل فيه اذ لا يفوتك ونحوه
من الحكمة قوله ابدأ بالحسنة قبل السيئة فلست بمستطيع الحسنة في كل
وقت وانت على الاساءة متى شئت قادر الحادية والعشرون
تنبيه على وجوب قطيعة الجاهل بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما
تعدل صلة العاقل فينبغي ان ترغب فيها وتفعلها وانما كانت تعدلها باعتبار
استلزامها للمنفعة ومنفعة قطيعة الجاهل بالقياس الى ما في صحبته من المضرة

الثانيه والعشرون نبه على وجوب الحذر من الزمان وملاحظة
تغيراته والاستعداد لحوادثه قبل نزولها بالاعمال الصالحه واستعار
له لفظ الخيانه باعتبار تغيره عند الغفله عنه والامن فيه والركون
اليه فهو في ذلك كالصديق الخائن والكلمه صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل من خانه الزمان فينبغي ان يكون منه على حذر ن وفي الحكمه من امن
الزمان ضيع ثغرا مخوفا الثالثه والعشرون نبه بقوله
من اعظمه اهانه على وجوب ترك اعظامه ولم يرد الزمان المجرد بل
من حيث هو مشتمل على خيرات الدنيا ولذاتها ومعد لطيب العيش بالصحه
والشباب والامن ونحوها وبذلك الاعتبار يكرم ويستعظم فيقال
في العرف زمان طيب وزمان عظيم ن واما استلزام ذلك لاهانة من
يستعظمه لان اعظامه له يستلزم اشتغاله به واشتغاله بما فيه من اللذات
التي يغفل بسبب محبتها عن الاستعداد لما وراءه ن ثم ان الزمان يكر عليه
بمقتضى طباعه فيعدمه لزوال ما كان يعتد به من جمال او مال او جاه او
رجال فيصبح حقيرا بعد ان كان خطيرا وصغيرا بعد ان كان كبيرا
وقليلا بعد كونه كثيرا والكلمه صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من
اهانه الزمان يجب ان يستهين به ولا يعظمه الرابعه والعشرون
قوله ليس كل من رمى اصاب وقد سبق بيانه في قوله ليس كل طالب يصيب
واستعار وصف الرمي لقصد المطالب ورميها بسهام العزائم والارادات
الخامسه والعشرون نبه على ان تغير السلطان في رايه ونيته
وفعله في رعيته من العدل الى الجور يستلزم تغير الزمان عليهم اذ تغير
من الاستعداد للعدل الى الاستعداد الى الجور ن وروى ان كسرى انوشروان

جمع عمال السواد وبيده درة يقلبها فقال اي شيء اضر بارتفاع الاعمال
وادعى الى محقه ومن اجابني بما في نفسي جعلت هذه الدرة في فيه فقال كل
منهم قولا من احتباس المطر او الجراد او اختلاف الهوا ونحو ذلك فقال
لوزيره قل انت فاني اظن عقلك يعادل عقول الرعيه كلها وينيف
عليها فقال انما يضر بارتفاعها تغير راي السلطان في رعيته واضمار
الحيف لهم والجور عليهم فقال لله ابوك لهذا العقل اهلك الملوك
الى ما اهلوك له ودفع اليه الدره فجعلها في فيه السادسه
والعشرون امره بالبحث عن الرفيق في الطريق اذا اراد سلوكها الغايه ان
يجتنبه ان كان شريرا ويرافقه ان كان خيرا فان الرفيق اما رحيق واما
حريق وكذلك الجار في دار يريد سكناها الغايه ان يختبر عنه او يجتنبها
ان كان شريرا او يرغب فيها ان كان خيرا وروى هذا الكلام مرفوعا
السابعه والعشرون حذره ان يذكر من الكلام ما كان
مضحكا سواء كان عن نفسه او عن غيره لما يستلزمه ذلك من الهوان وقلة
الهيبه في نفوس الناس الثامنه والعشرون اوصاه في معامله
النساء بامور احدها حذره من مشاورتهن ونفر عنه بضمير
صغراه قوله فان رايهن الى افن اي يرجع الى ضعف لنقصان عقولهن
وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يستشار لما ان ضعف
الراي مظنه الخطا الثاني ان يكف عليهن من ابصارهن بحجابه لهن وهو
كنايه عن الحجب والخدر ونبه على وجوب ذلك بضمير ايضا صغراه قوله
فان شده الحجاب ابقى عليهن اي ابقى من التبرج لسترهن وادوم لحفظهن
وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك وجب فعله الثالث نبه على

انه لا يجوز ان يرخص في ادخال من لا يوثق به عليهن والكلام في قوة صغرى
ضمير دل به على ذلك المنع وتقديرها ان ادخال من لا يوثق به عليهن
اما مساو لخروجهن في المفسدة او اشد لانه اذا لم يكن خروجهن اشد
منه كان اما مساويا او اضعف وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك
فلا يجوز الرخصة فيه وانما كان اشد في بعض الصور لان دخول من لا
يوثق به عليهن يمكن الخلوة بهن والحديث معهن فيما يراد من الفساد
بخلاف لقائهن في الطرق ونحوها الرابع امره ان يخفيهن اسباب
المعرفة بهن وبغيره لكونها مظنة المفسدة وقرينة الحال تخرج من
ذلك غير اولي الاربة من الرجال ولكون ذلك متعسرا قال ان
استطعت الخامس نهاه ان يملك المراة من امرها ما خرج عن
حد نفسها من ماكول وملبوس وساير مالها التصرف فيه شرعا من
امورها دون ما جاوز ذلك كاعطاء ومنع وشفاعة ونحوها ونبه
على عدم لزوم ذلك بضمير صغراه قوله فان المراة الى قوله بقهرمانة واستعار
لها لفظ الريحانة باعتبار كونها محلا للذة والاستمتاع بها كالريحانة
وكنى بكونها ليست بقهرمانة عن كونها لم تخلق لتكون حاكمة متسلطة
بل شانها ان تكون محكوما عليها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فلا ينبغي ان تجاوز به امر نفسه ويمكن من امر غيره السادس
وكذلك نهاه ان يجاوز بكرامتها نفسها اي لا يكرمها بكرامة تتعدى
صلاح نفسها وهو كقوله ولا تملك المراة من امرها ما جاوز نفسها
السابع نهاه ان يطمعها في الشفاعة لغيرها لان ذلك مجاوزة
منه بكرامتها حد نفسها وقد سبق نهيه عن ذلك الثامن نهاه عن

التغاير في غير موضع الغيرة ونبه على وجه المفسدة في ذلك بضمير صغراه
قوله فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم وكنى بالصحيحة عن
البريئة من الخيانة وبالسقم عن الفساد والتهمة والشك في امرها وانما كان
كذلك لان المراة حين براءتها من الفساد تستقبح ذلك وتستنكره ويعظم
عليها مع استشعارها خوف الفضيحة والعقوبة من الرجل فاذا نسبت
الى ذلك وتكررت المواجهة به وسماعه هان عليها وصار الكلام
في ذلك واللوم فيه في قوة اغرائها بذلك الفعل وقد علمت ما في الطباع
الحيوانية من تخيل المنفعة في الامر الممنوع منه وتقدير الكبرى وكل ما
كان كذلك لم يجز فعله ◦ التاسع والعشرون ان يجعل لكل
انسان من خدمه شغلا يخصه وياخذه بفعله ويواخذه على تركه وذلك من
الحكمة المنزلية ونبه عليه بضمير صغراه قوله فانه الى قوله خدمتك وذلك
انهم اذا اشتركوا في التكليف بفعل واحد يقوم به كل واحد منهم
فالغالب عليهم ان يكل كل منهم فعله الى الاخر فيستلزم ذلك ضياعه
قال كسرى ابرويز في وصيته لولده شيرويه وانظر الى كتابك
من كان منهم ذا ضياع فوله الجند ومن كان منهم ذا اشراري من الحسن
القيام عليهن فوله النفقات والقهرمة وهكذا فاصنع في خدم دارك
ولا تجعل امرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك الثلثون
امره باكرام عشيرته ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم جناحك
الى قوله تصول واستعار لهم لفظ الجناح ولفظ اليد باعتبار كونهم
محل نهوضه وقوته على الحركة الى المطالب كالجناح واليد وتقدير
الكبرى وكل من كان كذلك وجب عليك اكرامه ثم ختم الوصية بوداعه

فاستودع الله دينه ودنياه وسأله خير القضاء له في عاجلته وآجلته
ولفظ الاستيداع مجاز في طلب الحفظ من الله له وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى معوية

وأرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك وألقيتهم في موج بحرك
تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم
ونكصوا على أعقابهم وتولوا على أدبارهم وعولوا على أحسابهم
الا من فاء من أهل البصائر فإنهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا الى
الله من موازرتك اذ حملتهم على الصعب وعدلت بهم عن القصد
فاتق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فإن الدنيا
منقطعة عنك والآخرة قريبة منك والسلام **اقول**
أول هذا الكتاب من عبد الله علي أمير المؤمنين الى معوية بن أبي سفيان أما بعد
فإن الدنيا دار تجارة ربحها أو خسرها الآخرة فالسعيد من كانت بضاعته
فيها الأعمال الصالحة ومن رأى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها وإني لأعظك
مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه ولكن الله تعالى أخذ
على العلماء أن يؤدوا الأمانة وأن ينصحوا الغوي والرشيد فاتق الله
ولا تكن ممن لا يرجو لله وقارا ومن حقت عليه كلمة العذاب فإن الله
بالمرصاد وإن دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فانتبه
من الغي والضلال على كبر سنك وفناء عمرك فإن حالك اليوم كحال
الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب الا فسد من آخر ثم يتصل به
قوله وقد أرديت الى آخره المهيل المتداعي الذي يتبع بعضه بعضا في التمزق
وأرديت أهلكت والجيل الصنف وجاروا عدلوا والوجهة القصد

والنكوص الرجوع وعولوا على كذا اعتمدوا عليه وفي الكتاب مقاصد
الأول موعظته وتذكيره بحال الدنيا وكونها دار تجارة
والغاية من التجارة فيها الربح الآخرة وذلك بصلاح الأعمال وأما
خسران الآخرة فبفسادها الثاني تنبيهه على أن يرى الدنيا بعينها
أي يعرفها بحقيقتها أو يراها ويعتبرها بالعين التي ينبغي أن يعرف بها وهي عين
البصيرة ويرى بها ما ينبغي أن يرى منها من تغيرها وزوالها وأنها خلقت
لغيرها ليقدرها ويجعلها في نظره لما خلقت له الثالث تنبيهه على
أن الله تعالى به عالما نافذا لا بد من وقوع معلومه اذ ما علم الله وقوعه وجب
وإنما وعظه امتثالا لأمر الله ووفاء بعهده على العلماء أن يؤدوا أمانته
ويبلغوا أحكامه الى خلقه وينصحوا ضالهم ورشيدهم ولأن ذلك الوعظ
من معلوماته تعالى فلا بد منه الرابع أمره بتقوى الله ونهاه أن
يكون ممن لا يرجو لله وقارا أي لا يتوقع لله عظمة فيعبده ويطيعه والوقار
هنا الاسم من التوقير وهو التعظيم وقيل الرجاء هنا بمعنى الخوف
فيكون مجازا اطلاقا لاسم أحد الضدين على الآخر وأن يكون ممن حقت عليه كلمة
العذاب وقوله فإن الله بالمرصاد تنبيه له على اطلاعه عليه وعلمه بما يفعل
ليرتدع عن معصيته الخامس تنبيهه على ادبار الدنيا عنه وعودها
حسرة عليه يوم القيامة عند فقدها لعشقه لها وعدم تمسكه بعصم النجاة
وما زاده اليها السادس أمره بالانتباه من رقدة الجهل والضلال
على كبر سنه وحال عمره فإن تلك الحال أولى الأحوال بالانتباه منها
ونبهه على أنه غير قابل للاصلاح في ذلك السن لاستحكام جهله وتمكن
الهيئات الردية من جوهر نفسه وتملكها له فهو كالثوب الخلق ووجه الشبه

كونها لا تنصلح بالموعظة فلا يزكوا بمكارم الأخلاق كما لا ينصلح الخلق
من الثياب بالخياطة بل كلما اصلح من جانب فسد من جانب آخر
السائر لخبره في معرض التوبيخ على ما فعل باهل الشام من خدعه
لهم والقائهم في موج بحره وانما نسب خدعهم الى ضلاله لأنّ مبدأ
خداعه لهم عن دينهم هو جهله بالله وضلاله عن طريقه واستعار لفظ
البحر لأحواله وارادته وهمومه في تحصيل الدنيا باعتبار كثرتها وبعد
غاياتها ولفظ الموج للشبه التي القاها اليهم فيما يريد منهم من الاحوال
ووجه المشابهة اضطرابها وتلعبها باذهانهم وكذلك لفظ الظلمات
لما حجب ابصار بصائرهم عن ادراك الحق من الشبهات التي القاها اليهم
ووصف الغشيان لطريانها على قلوبهم وحجبها لها ومحل تغشاهم نصب على الحال
وكذلك استعار وصف التلاطم لتلعب الشبهات بعقولهم ملاحظة
لشبهها بالموج كما مرّ وقوله فجاروا عطف على القيتهم واراد انهم عدلوا عن
قصد الحق بسبب ما القاه اليهم من الشبه ورجعوا عنه وتولوا مدبرين
واعتمدوا في قتالهم على احسابهم حمية الجاهلية في الذب عن اصولهم ومفاخرهم
دون مراعاة الدين والذب عنه الا من رجع الى الحق من اهل العقول
والبصائر فانهم حين عرفوا ضلالك فارقوك وهربوا الى الله من موازرتك فيما
تريد من هدم الدين حين حملتهم على الامور الصعبة على الدين وعدلت بهم
الى طرق الضلال وقوله على اعقابهم ترشيح لاستعارة لفظي النكوص
والتولي والاستثناء هنا من الجيل الذين خدعهم والقاهم في موج بحره
فاتصفوا بالصفات المذكورة ولفظ الصعب مستعار لما حملهم عليه
من الامور المستصعبة في الدين باعتبار ان ركوبهم لها يستلزم ضلالهم

ووقوعهم في مهاوي الهلاك كما يستلزم ركوب الجمل الصعب النفور
والعدول براكبه من القصد وهلاكه ثم كرر عليه الامر بتقوى الله
في نفسه وان لا يجاذب الشيطان قياده ولفظ المجاذبة للممانعة المعقولة
ولفظ القياد لما يقوده به من الآراء الباطلة وكواذب الآمال وتلك
الممانعة بتكذيب النفس الامارة فيما توسوس به من تلك الآراء
وقوله فان الدنيا الى آخره تنبيه له على وجوب قطع الآمال الدنيوية لانقطاع
الدنيا وعلى العمل للآخرة لبقائها وهو في قوة صغرى ضمير من تقدير كبرى
الاول وكلما كان منقطعا وجب ان يقطع الامل فيه لانقطاعه ولجاذب
الشيطان في دعوته اليه وتقدير كبرى الثاني وكلما كان باقيا فينبغي
ان يستعد لوصوله بالعمل له وبالله التوفيق ۞

ومن كتاب له عليه السلام

الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة

اما بعد فان عيني بالمغرب كتب الي يعلمني انه وُجّه الى الموسم اناس من
اهل الشام العمي القلوب الصم الاسماع الكمه الابصار الذين يلبسون
الحق بالباطل ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درّها
بالدين ويشترون عاجلها بآجل الابرار المتقين ولن يفوز بالخير الا عامله
ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله فاقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب
والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع لامامه واياك وما يعتذر منه
ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا **اقول**
هو قثم بن العباس بن عبد المطلب ولم يزل واليا لعلي على مكة حتى قتل
عليه السلام واستشهد بسمرقند في زمن معاوية وقد كان معاوية بعث

مكة في موسم الحج واجتماع العرب بها دعاة يدعون إلى طاعته ويثبطون
العرب عن نصره عليه السلام ويلقون في أنفسهم أنه إما قاتل لعثمان أو
خاذل له وأن الخلافة لا تصلح لمن قتله أو خذله وينشرون محاسن معوية
بزعمهم وأخلاقه وسيرته في العطاء، فكتب عليه السلام هذا الكتاب
إلى قثم ينبهه على ذلك ليعتمد فيه ما تقتضيه السياسة وقوله
إن الذين بعثتهم هم بعض السرايا التي كان يرسلها لتغير على أعماله عليه
السلام والعين الجاسوس وموسم الحاج مجمعهم والبطر شدة المرح
وكثرة النشاط وحاصل الكتاب إعلامه بما كتب إليه عينه بالمغرب
وأراد بها الشام لأنها من الأقاليم المغربية وقد كانت له عليه السلام
في البلاد عيون تخبره بما يتجدد من الأمور عند معاوية ولمعوية
عنده كذلك كما جرت عادة الملوك ثم أشار إلى وصف أهل الشام
بأوصاف تستلزم البعد عن الله أحدها شمول الغفلة لهم
عما خلقوا لأجله واستعار لقلوبهم لفظ العمى باعتبار عدم عقليتهم
للحق وإدراكهم لما ينفعهم من طريق الآخرة كالعمى ولفظ الصم لأسماعهم
والكمه لأبصارهم باعتبار عدم انتفاعهم من جهة الإسماع بالمواعظ
والتذاكير ومن جهة الأبصار بتحصيل العبرة بها من آثار الله سبحانه
كالصم والكمه الثاني كونهم يلبسون الحق بالباطل أي
يخلطونه به ويموهونه فيه والمراد أنهم يعلمون كونه على الحق وكون معوية
على الباطل ثم يكتمون ذلك ويغطونه بشبهة قتل عثمان والطلب
بدمه وروي يلبسون الحق بالباطل أي يبطلونه باتباع معوية الباطل
الثالث أنهم يطيعون المخلوق وأراد معوية في معصية الله

الرابع كونهم يحتلبون الدنيا درها واستعار وصف الاحتلاب
لاستخراج منافعها بوجوه الطلب من مظانه ولفظ الدر لمنافعها ملاحظة
لشبهها بالناقة ودرها بدلاً من الدنيا وأشار بقوله الدين إلى أن الدين
وإظهار شعاره هو السبب لاحتلابهم در الدنيا وأخذهم لغير ما
يستحقونه منها إذ كانت محاربتهم له عليه السلام كما زعموا إنما هي
أخذ ثار الخليفة عثمان رضي الله عنه وإنكار المنكر على من قتله وخذله
وبذلك تألفوا قلوب العرب وتمكنوا من أخذ البلاد منه الخامس
كونهم يشترون عاجل الدنيا بما أجل للأبرار المتقين من ثواب الآخرة
وذلك هو الخسران المبين ولفظ الشرى مستعار كما سبق وقوله
إنه لن يفوز إلى قوله فاعله شروع في الوعيد لهم ثم أمره أن يقيم على ما في
يديه من العمل مقام الحازم المتثبت في آرائه الصليب في طاعة الله الناصح
اللبيب له ولأوليائه التابع لسلطانه المطيع لإمامه ثم حذره مما
يعتذر منه وهو كل أمر عد في الشرع معصية لله وتقصيراً عن أداء حقه
والكلمة مشهورة ويروى مرفوعة ثم نهاه عن رذيلتي البطر في النعمة
والضعف والفشل عند الشدة والأولى تستلزم الكبر والعجب وهي
من رذائل طرف الإفراط من فضيلة القوة الغضبية والثانية من
رذائل التفريط منها وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر
عن مصر ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها

وقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك وإني لم أفعل ذلك استبطاءً لك

في الجهد ولا ازدياداً لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك
لوليتك ما هو ايسر عليك مؤونة واعجب اليك ولاية ان الرجل الذي
كنت وليته امر مصر كان رجلاً لنا ناصحاً وعلى عدونا شديداً ناقماً
فرحمه الله فلقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون اولاه
الله رضوانه وضاعف الثواب له فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك
وشمر لحرب من حاربك وادع الى سبيل ربك واكثر الاستعانة
بالله يكفك ما اهمك ويعنك على ما ينزل بك والسلام **اقول**
السبب ان محمد بن ابي بكر رحمه الله كان يضعف عن لقاء العدو ولم
يكن في اصحاب علي عليه السلام اقوى باساً في الحرب من الاشتر رحمه الله
وكان معوية بعد وقايع صفين قد تجرد للاغارة على اطراف بلاد
المسلمين وكانت مصر قد جعلت طعمة لعمرو بن العاص وعلم علي عليه
السلام انها لا تحفظ الا بالاشتر فكتب له العهد الذي يأتي ذكره
ووجهه اليها فبلغه ان محمداً تألم من ذلك ثم ان الاشتر مات قبل
وصوله اليها فكتب عليه السلام الى محمد هذا الكتاب وهو يؤذن باقراره
على عمله واسترضائه به وتعريفه وجه عذره في توليته الاشتر لعمله وانه لم يكن
ذلك موجدة عليه ولا لتقصير منه وقد كان محمد ربيباً له عليه السلام وامه
اسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت
معه الى الحبشة فولدت له هناك محمد بن جعفر وعبد الله وعوناً فلما
قتل جعفر تزوجها ابو بكر فولدت له محمداً هذا فلما توفي عنها تزوجها
علي عليه السلام فولدت له يحيى والموجدة ما يجده الانسان من الغضب
واصحر له اي ابرز الى الصحراء والناقم المنكر **وقوله**

وقد بلغني الى قوله عملك كالاعتراف له بما نسبه الاستاذ في حقه ليرتب
عليه ما نسبه الاعتذار اليه **وقوله** اني لم افعل
ذلك الى قوله ناقماً اخذ فيما نسبه العذر اليه بذكر ما لاجله بعث
الاشتر فبين له اولاً ان ذلك لم يكن لنسبته الى تقصير في عمله ولا استبطاء
منه له في اجتهاده وطلباً للزيادة في الجد وجود ذلك مما عساه يتوهمه
وثانياً لو تمم نزعه لما تحت يده من سلطانه لولاه ما هو خير له تسكيناً
لقلبه عن ولاية مصر وثالثاً اشار الى وجه بعثه الاشتر وهو كونه
بالاوصاف المذكورة ومحمد وان كان له الامر الاول الا انه في
الثاني ضعيف ثم ترحم عليه في معرض الاعلام بموته ليعلم انه مات
وهو عنه راض ولا شمت به ثم امره بالاستعداد للعدو والاصحار
له لاشعاره بالقوة واشعار الاستناد والتحصن بالضعف وان يمضي في
محاربته على حجته في الحق وتيقنه له وان يشمر لمحاربة من حاربه والتشمير
كناية عن الاستعداد للحرب وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة
الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن وان يكثر الاستعانة بالله فانها تعد
لافاضة النصر وكفاية ما اهم من امر العدو ومعونته على ما نزل
من الشدائد وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

الى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن ابي بكر رضي الله عنه

اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن ابي بكر قد استشهد فعند
الله نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً
دافعاً وقد كنت حثثت الناس على لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة

ودعوتهم سرًّا وجهرًا وعودًا وبدأً فمنهم الآتي كارهًا ومنهم المعتلّ كاذبًا ومنهم القاعد خاذلًا أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجًا عاجلًا فوالله لولا طمعي عند لقاء عدوّي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لأحببت أن لا ألقى مع هؤلاء يومًا واحدًا ولا ألتقي بهم أبدًا

أقول احتسب بكذا عند الله طلب منه الحِسبة بالكسر وهي الأجر في الرزية واستشهد كأنه استحضر إلى الله بالقتل ومدار الكتاب على إعلامه بقتل محمد وافتتاح مصر لاستداركه في الحث لقتال العدوّ والاستعداد له وإعلامه بحاله مع الناس على سبيل التشكّي منهم وأخذ قسمهم عليه وقسمتهم وإن كانت بحسب ما وجد الحال أنها مع ذلك حاصرة وذلك أن منهم من أجابه ومنهم من لم يجبه والذين لم يجيبوا فمنهم من اعتلّ واعتذر بالية ومنهم من لم يفعل ذلك وهم الخاذلون له صريحًا ثم ختم الكتاب بالإشارة إلى وجه عذره في المقام منهم على هذه الحال وهو طمعه في الشهادة في سبيل الله وتوطينه نفسه عند لقاء العدوّ على الموت ولولا ذلك لأحبّ مفارقتهم وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

في ذكر جيش أنفذه إلى الأعداء وهو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل بن أبي طالب

فسرّحت إليه جيشًا كثيفًا من المسلمين فلما بلغه ذلك شمّر هاربًا ونكص نادمًا فلحقوه ببعض الطريق وقد طفّلت الشمس للإياب فاقتتلوا شيئًا كلا ولا فما كان إلا كموقف ساعة حتى نجا جريضًا بعد ما أخذ منه بالمخنق ولم يبق معه إلا الرمق فلأيًا بلأيٍ ما نجا فدع عنك قريشًا وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجزت قريشًا عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمي وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال فإن رأيي قتال المحلّين حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة ولا تحسبنّ ابن أبيك ولو أسلمه الناس متضرعًا متخشعًا ولا مقرًّا للضيم واهنًا ولا سلس الزمام للقائد ولا وطيء الظهر للراكب المقتعد ولكنه كما قال أخو بني سليم

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة فيشمت عادٍ أو يساء حبيب

أقول طفّلت الشمس بالتشديد مالت للمغيب وآبت لغة في غابت والجريض المغموم المهموم الذي يبتلع ريقه على غصّة من الهمّ والحزن والمخنق بالتشديد هو من العنق موضع الخنق بكسر النون والرمق بقية النفس واللأي الشدّة والعسر والإجماع تصميم العزم والجوازي جمع جازية وهي النفوس تجزي بالسيئة والمحلّ من نقض البيعة يقال لمن نقض عهده وميثاقه محلّ ولمن حفظه محرم والمقتعد الراكب وحاصل الفصل التنبيه على أمور الأول قوله فسرّحت إلى قوله ما نجا حكاية حال جيشه مع عدوّ كان قد أغار على بعض أعماله وقتالهم له حتى أفلت منهم على شدّة وعسر من الخلاص وعبارته عليه السلام عن ذلك أفصح ما يقال في شرح الحال

وهاربًا ونادمًا وحريصًا الحوال ولا ولا لفظان قصيران عند السمع سريعًا
الانقطاع فناسب ما كان سريعًا قصير الزمان من الافعال فشبه بهما
في القصر ونحوه قول ابن هاني المغربي ن

واسرع في العين من لحظة واقصر في السمع من لا ولا

وروي لا وذا وموقف هنا مصدر راى بما كان ذلك القتال الا كوقوف
ساعة ووجه الشبه السرعة والقلة ولا يا مصدر حذف عامله
وما مصدرية في موضع الرفع بالفاعل والعامل فيه المصدر نيابة عن فعله
والتقدير ولا يا لا يلجاوه اي عسر وابطا. **وقوله**
بلاي تاكيد اي لايًا مقرون بلاي والثاني قوله فدع عنك الى قوله امر امي
كالجواب لكلام ذكر عقيل فيه قريشًا ومن انضم منهم الى معاوية فامره
عليه السلم بالاضراب عن ذكرهم على سبيل الغضب منهم والواو في
قوله وتركاضهم تحتمل ان تكون بمعنى مع واستعار لهم وصف التركاض
باعتبار جريهم اذهانهم في الضلال عن سبيل الله وخوضهم في الباطل
شروع اليه من غير توقف كالركض في بسط الارض وكذلك لفظ التجوال
ولفظ الجماح باعتبار حركاتهم في تيه الجهل والخروج عن طريق العدل
كالفرس الجامح **وقوله** فانهم الى قوله صلى الله عليه
في قوة صغرى ضمير نبه فيه على انه لا خير فيهم وانه يجب الاعراض عنهم
وتقدير الكبرى وكل من اجمع على حربي كحرب رسول الله صلى الله عليه
ينبغي تركه والاعراض عنه واما حقية الصغرى فظاهرة فان قريشًا
صممت عزمها على حربه منذ يوم بويع بغضًا له وحسدًا واحقادًا بدرية
واتفقوا على شقاقه وحربه كما كانت حالهم في بدو الاسلام مع رسول الله

صلى الله عليه لم يفترق الحالان في ذلك **وقوله** فجزت
قريشًا دعا عليهم ان يجازوا بمثل فعلهم به من قطيعة الرحم وسلب
سلطان الاسلام **وقوله** فقد قطعوا كالتعليل
لحسن الدعا عليهم واراد بابن امه رسول الله صلى الله عليه لان ابويهما ابنا
فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم ام عبد الله وابي طالب
ولم يقل ابن ابي لان غير ابي طالب من الاعمام يشركه في النسب الى
عبد المطلب المالب قوله واما ما سالت عنه الى اخره فهو تقرير
لسواله والجواب عنه وفيه تنبيه على فضيلته من وجوه الاول
قوته في الدين على من احل ذمة الله ونقض عهده الثاني شجاعته التي
لا يزيده معها كثرة الناس حوله عزة ولا تفرقهم عنه وحشة ولا يوجد
معها متضرعًا ولا متخشعًا الى غير ذلك من الرذائل التي عددها ولكنه
معها كالقائل للشعر وهو منسوب الى العباس بن مرداس السلمي وهو
تمثل وقد سبق معنى التمثل وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلم
الى معاوية

فسبحان الله ما اشد لزومك للاهواء المبتدعة والحيرة المتبعة
مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله طلبة وعلى عباده حجة
فاما اكثارك الحجاج في عثمان وقتلته فانك انما نصرت عثمان حيث
كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له **اقول**
اول هذا الكتاب اما بعد فان الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة
لم يصب اليها احد الا شغلته بزينتها عما هو انفع له منها وبالاخرة

أمرنا وعليها حشرنا فزع يا معاوية ما نفنى لما يبقى واحذر الموت الذي
إليه مصيرك والحساب الذي إليه عاقبتك واعلم أن الله إذا أراد
بعبد خيراً حال بينه وبين ما يكره ووفقه لطاعته وإذا أراد
بعبد شراً أغراه بالدنيا وأنساه الآخرة وبسط أمله وعاقه عما فيه
صلاحه وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك وتنشد غير
ضالتك وتخبط في عماية وتتيه في ضلالة وتعتصم بغير حجة وتلوذ
بأضعف شبهة فأما سؤالك إلي المتاركة والإقرار لك على الشام
فلو كنت فاعلاً لذلك اليوم لفعلته أمس وأما قولك إن عمر ولاكها
فقد عزل عمر من كان ولاه صاحبه وعزل عثمان من كان عمر ولاه
ولم ينصب للناس إمام إلا ليرى من صلاح الأمة ما قد كان ظهر
لمن قبله أو خفي عنهم عيبه والأمر يحدث بعده الأمر ولكل وال
رأي واجتهاد ثم يتصل بقوله فسبحان الله إلى آخره والفصل يشتمل على
أمور أحدها التعجب من شدة لزومه للأهواء التي يبتدعها
والحيرة فيها عن قصد الحق إذ كان في كل وقت يهوى شبهة ويبتدع
رأياً يغوي به أصحابه ويصدهم عنه عليه السلام فيقول تارة إنه قتل
عثمان وتارة إنه خذله وتارة إنه قتل الصحابة وفرق كلمة الجماعة
وتارة يصرفهم عنه بالعطاء ويفرق بيت المال بحسب هواه دون
إذن شرعي وتارة يعترف بصلاحيته للإمامة ويطلب إليه الإقرار
على الشام إلى غير ذلك مما يبتدعه في الدين من الأباطيل وتبع الحيرة
مهامع تضيعه لحقائق الأمور التي يعتقدها ويعمل عليها كاعتقاد
كونه عليه السلام أحق بهذا الأمر واطراحه لوثائق الله وعهوده

المطلوبة المرضية له وهو على عباده حجة يوم القيامة كما قال تعالى وإذ أخذ
ربك من بني آدم الآية الثاني جوابه عن خطابه في أمر عثمان ونحوه
نصرته وتكذيبه له عليه السلام في خذلانه إياه **وقوله**
فإنك إلى آخره فيه صغرى ضمير وبيانها أن معاوية لما استصرخه عثمان
تثاقل عنه وهو في ذلك يعده حتى إذا اشتد به الحصار بعث يزيد بن أسد
القسري وقال له إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تقل الشاهد يرى ما
لا يرى الغائب فإني أنا الشاهد وأنت الغائب قال فأقام بها حتى
قتل عثمان فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي
كان معه وكان نصره له حين بعث لنصرته إنما كان على وجه
التعذير والتقاعد عنه ليقتل فيدعو إلى نفسه وكان ذلك
النصر في الحقيقة لمعاوية وكان خذلانه له حيث كان محتاجاً إلى
النصر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له أن يمن بنصرته
وينسب غيره إلى الخذلان وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر رحمه الله

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله تعالى حين عصي
في أرضه وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم
والظاعن فلا معروف يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه أما بعد فقد
بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء
ساعات الروع أشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحارث
أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق فإنه سيف من سيوف

الله لا كليل الظُبَة ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان
امركم ان تقيموا فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا
عن امري وقد اثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته
على عدوكم **اقول** السرادق لبس من القطن
والنكول الرجوع والظبة بالتخفيف حد السيف ونبا السيف
عن الضريبة اذا لم يقطعها والاحجام التاخر وفلان شديد الشكيمة
اذا كان ابيا قوي النفس واصل الشكيمة الحديدة المعترضة في
فم الفرس التي فيها الفاس والكتاب مرتب على امور الاول
قوله من علي الى قوله تناهى عنه صورة عنوان ووصف اهل مصر
بكونهم غضبوا لله حين عُصي في ارضه ايماء الى انكارهم الاحداث
التي نُسبت الى عثمان حتى كان ذلك سببا لمسيرهم الى المدينة
فان قلت فيلزم ان يكون راضيا بقتل عثمان اذ مدح
قاتليه بذلك قلت لا يلزم ذلك لجواز ان يكون مدحهم
انما كان للمنكر عليه دون غرض قتله وانكارهم المنكر جهة مدح
واما قاتلوه والذين تسوروا داره وكانوا قوما قليلين ولعله لم
يك فيهم من اهل مصر الا النادر وليس في كلامه ما يقتضي مدح
اولئك واستعار لفظ السرادق لما عم من الجور البر والفاجر
والمقيم والمسافر كالسرادق والحاوي لاهله الثاني
قوله اما بعد الى قوله اخو مذحج صدر الكتاب اعلمهم فيه ببعث
الاشتر اجمالا ووصفه باوصاف تستلزم رغبتهم فيه وكنى
بعدم نومه ايام الخوف عن علو همته وبعلقها حين الخوف بتدبير

الحرب والاستعداد للقاء العدو وبكونه لا ينكل عن الاعداء ساعات
الفزع عن شجاعته وشدة باسه واما كونه اشد على الفجار من حريق
النار فهو وصف صادق لانه ما كان يبقي على فاجر اذا ظفر به
لقوته في دين الله وكان طمع الفاجر في الخلاص من حريق النار لو وقع
به اقوى من طمعه في الخلاص من يديه وبعد تعديد اوصافه
الحميدة ذكره خبرا وهو ابلغ لان الغرض الاهم وصفه ومذحج بفتح الميم
كمسجد ابو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن جابر بن مالك بن كهلان بن سبا فالنخع
قبيلة من هذه القبيلة والاشتر نخعي الثالث امرهم بالمقصود
وهو السمع له والطاعة لامره لا مطلقا بل فيما طابق الحق ووافقه من
اوامره واشار الى حسن امتثال امره بقوله فانه سيف الى قوله الضريبة
وهو صغرى ضمير واستعار لفظ السيف له باعتبار كونه مبدا الهلاك
العدو وقتاله به كالسيف ورشح بذكر الظبة وكنى بكونه غير
كليلها وغير نابي الضريبة عن كونه ماضيا في الحوادث غير واقف
ولا راجع عنها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك وجب امتثال
امره فيما يشير به من الحرب وغيره الرابع امرهم ان يوافقوا
امره في نفارهم وعدم نفارهم ونبه على حسن ذلك بضمير صغراه قوله
فانه الى قوله امري واراد ان كل ما يامرهم به فهو على وفق المصلحة
اذ كان من امره عليه السلام والقوانين الكلية التي علمه اياها
الخامس اعلمهم حاجته اليه في الراي والتدبير وغيره في
معرض الامتنان عليهم بذلك واشار الى علة ايثاره لهم به وهو كونه
ناصحا لهم قوي النفس شديد الوطاة على عدوهم وكنى بشدة شكيمته

عن كونه لا يلويه عن مقاومة العدو شيء والذي أشار إليه هو وجه
المصلحة من جهتهم فأما من جهته فهو استقامة الأمر له بصلاح
حالهم وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

إلى عمرو بن العاص

فإنك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره
يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت أثره وطلبت
فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ إلى مخالبه وينتظر ما يلقى إليه من
فضل فريسته فأذهبت دنياك وآخرتك ولو بالحق أخذت أدركت
ما طلبت فإن يمكن الله منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدمتما وإن
تعجزا وتبقيا فالذي أمامكما شر لكما **أقول**
مدار الكتاب على توبيخه بمتابعة معاوية في باطله وتنفيره عما هو عليه
من ذلك ووعيده عليه السلام لهما عليه **وقوله**
فإنك قد جعلت إلى قوله امرئ إشارة إلى متابعته لمعاوية في مظاهرته
على حربه عليه السلام وبيعه لدينه في ذلك بطعمة مصر وذمه بأوصاف
أربعة للتنفير عنه أحدها كونه ظاهر غيه وضلاله لمعوية أوضح
من أن يوضح الثاني كونه مهتوكا ستره ومن المشهور عنه أنه
كان هاتكا لستر دين الله عنه فإنه كان كثير الخديعة والهزل
صاحب سمار وجلساء لهو وسماع وسرف وقد كان يستتر
بذلك في زمان عمر خوفا منه إلا أنه كان يلبس الحرير والديباج
ويشرب في آنية الذهب والفضة فأما في أيام عثمان فكان شديد

التهتك وإنما قارب الوقار حين خرج علي عليه السلام لحاجته
إلى استغواء الناس ممن هو بظاهر الدين الثالث كونه يشين الكريم
بمجلسه وذلك أن الكريم يضبط نفسه وينزهها عما يشين العرض من
الرذائل وقد كان مجلس معوية مشحونا ببني أمية وبرذائلهم ومجالسة
الكريم لهم يستلزم نسبته إليهم وإلحاقه بهم وذلك مما يشين
عرضه ويقبح ذكره الرابع كونه يسفه الحليم بخلطته
وذلك أنه كان دأبه هو وبنو أمية شتم بني هاشم وقذفهم والتعرض
بذكر الإسلام والطعن عليه وإن أظهروا انتماءهم إليه وذلك مما
يستفز الحليم ويسفه رأيه في الثبات عند مخالطتهم وسماعه منهم
واتباعه لأثره كناية عن موافقته له فيما يفعله واقتدائه به فيه
وشبه اتباعه له باتباع الكلب للأسد ووجه الشبه قوله يلوذ
إلى قوله فريسته وفي مثل هذا المشبه بلاغ في التنفير لعمرو لو كان
له كرم **وقوله** فأذهب إلى قوله وآخرتك تنبيه على
لازم اتباعه أما ذهاب آخرته فظاهر وأما ذهاب دنياه فأراد
بها ما كان يعيش به من الرزق الحلال والعطاء الحق من الإمام
العادل على لذته وطيب نفس وأمن من الحروب التي لقيها بصفين
والأهوال التي باشرها في موافقته لمعوية **وقوله**
ولو بالحق أخذت إلى قوله طلبت جذب له وترغيب فيه بذكر لازمه وهو
إدراك ما طلب من دنيا وأخرى **وقوله** فإن يمكن
الله إلى آخره وعيد بعذاب واقع إما منه على تقدير تمكنه من ذلك أو
من الله في الأخرى بعذاب أشد لقوله تعالى ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

واستعار لفظ الأمام للآخرة باعتبار استقبال النفوس لها وتوجهها اليها طبعاً وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام
الى بعض عماله

اما بعد فقد بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت ربك وعصيت امامك واخزيت امانتك بلغني انك جردت الارض واخذت ما تحت قدميك واكلت ما تحت يديك فارفع الي حسابك واعلم ان حساب الله اعظم من حساب الناس **اقول** الخزي الهوان وجردت الارض قشرتها **فقوله** بلغني الى قوله يديك بيان لما بلغه عنه من الخيانة اجمالاً وانما ذكره اولاً مجملاً لتستعد النفس للرهبة ان كان لم يكن مرهوباً او للرغبة ان كان مرغوباً وكنى بتجريد الارض عن اخرابه لها واخذه لما تحت قدميه عن اخذ حاصلها وارتفاعها وكذلك باكل ما تحت يديه عن تصرفه فيما في يديه من مال المسلمين واستخلاصه لنفسه ثم امره ان يرفع حسابه اليه لينظر في صدق ما قيل في حقه وكذبه ونبهه على انه لا ينبغي ان يخون مال الله بتصغيره قوله واعلم الى آخره بتقدير الكبرى وكل حساب هو اعظم من حساب الناس فينبغي ان يجتنب باداء الامانة خوفاً من نقاشه وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام
الى بعض عماله

اما بعد فاني كنت اشركتك في امانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي واداء الامانة الي فلما رايت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فتكت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اديت وكانك لم تكن الله تريد بجهادك وكانك لم تكن على بينة من ربك وكانك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من اخذه كانك لا ابا لغيرك حدرت على اهلك تراثك من ابيك وامك فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد او ما تخاف من نقاش الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب كيف تسيغ طعاماً وشراباً وانت تعلم انك تاكل حراماً وتشرب حراماً وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال واحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احداً الا دخل النار ووالله لو ان الحسن والحسين عليهما السلام فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بارادة حتى آخذ الحق منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله رب العالمين ما يسرني ان ما اخذته من اموالهم حلال لي اتركه ميراثاً لمن بعدي فضح رويداً فكانك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك

اعماكك بالمحل الذى نادى الظالم فيه بالحسرة وتمنى المضيع الرجعة
ولات حين مناص **اقول** المشهور ان هذا الكتاب
الى عبد الله بن العباس حين كان واليا له عليه السلام على البصرة والفاظ
الكتاب تنبه على ذلك كقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن وقوله ولابن عمك
آسيت وكذلك ما روى ان ابن عباس كتب اليه جوابا عن هذا الكتاب اما
بعد فقد اتانى كتابك تعظم فيه ما اصبت من بيت مال البصرة ولعمرى
ان حقى فى بيت المال اكثر مما اخذت والسلم فكتب عليه السلم جواب
ذلك اليه اما بعد فان من العجب ان تزين لك نفسك ان لك فى بيت المال
من الحق اكثر مما لرجل من المسلمين فقد افلحت ان كان تمنيك الباطل
وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من المآثم ويحل لك المحارم لانت المهتدى
السعيد اذن وقد بلغنى انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها
عطنا تشترى بها مولدات مكة والمدينة والطائف تختارهن على
عينك وتعطى فيهن مال غيرك فارجع هداك الله الى رشدك وتب
الى الله ربك واخرج الى المسلمين من اموالهم فعما قليل تفارق من الفت
وتترك ما جمعت وتغيب فى صدع من الارض غير موسد ولا ممهد
قد فارقت الاحباب وسكنت التراب وواجهت الحساب
غنيا عما خلفت فقيرا الى ما قدمت والسلم ن وانكر قوم ذلك
وقالوا ان عبد الله بن عباس لم يفارق عليا عليه السلم قط ولا يجوز ان
يقول فى حقه ما قال ن وقال القطب الراوندى رحمه الله
يكون المكتوب اليه هو عبيد الله بن عباس لا عبد الله قال وحمله على
ذلك اشبه وصوبا الیوں واعلم ان هذين القولين لا مستند لهما اما

الاول فهو مجرد استبعاد ان يفعل ابن عباس ما نسب اليه ومعلوم
ان ابن عباس لم يكن معصوما وعلى عليه السلم لم يكن ليراقب فى الحق احدا
ولو كان اعز اولاده كما تمثل بالحسن والحسين عليهما السلم فى ذلك
فكيف بابن عمه بل يجب ان يكون الغلظة على الاقرباء فى هذا الامر اشد
ثم ان غلظته عليه وعتابه له لا يوجب مفارقته اياه لانه عليه السلم
اذا فعل احد من اصحابه ما يستحق به المواخذة اخذه به سواء كان عزيزا
او ذليلا قريبا منه او بعيدا استوفى حق الله منه او تاب الله مما فعل
عاد فى حقه الى ما كان عليه كما قال العزيز عندى ذليل حتى اخذ الحق
منه والذليل عندى عزيز حتى اخذ الحق له ولا يلزم اذن من غلظته على
ابن عباس ومقابلته اياه بما يكره مفارقته له وشقاقه على ما بينهما من المحبة
الوكيدة والقرابة ن واما القول الثانى فان عبيد الله كان عاملا
له عليه السلم باليمن ولم ينقل عنه مثل ذلك ولنرجع الى المتن فنقول
الشعار ما يلى الجسد من الثياب وبطانة الرجل خاصته وكلب الزمان
شدته وحرب العدو اشتد غضبه والفتك القتل على غرة وشغرت
تفرقت والمجن الترس والازل خفيف الوركين والهوادة المصالحة
والمصانعة وضح رويدا كلمة يقال لمن يؤمر بالتؤدة واصلها
الرجل يطعم ابله ضحى ويسيرها مسرعا فيسير فلا تشبعها فيقال له
ضح رويدا والمناص المهرب والمخلص والنوص الهرب والتخلص وفى
الكتاب مقاصد الاول انه ذكره باحسانه اليه وتعرض
الامتنان عليه من وجوه الاول اشراكه اياه فى امانته التى ائتمنه
الله عليها وهى ولاية امر الرعية والقيام باصلاح امورهم فى معاشهم

ومعاده الثاني جعله من خاصته وملازميه واستعار له بذلك
الاعتبار لفظ الشعار لملازمته ومباشرته الجسد الثالث
كونه اوثق اهله في نفسه وادناهم منه لمواساته وموازرته واداء
الامانه اليه المقصود الثاني انه تعريض بذكره بالخيانه
اليه ذكر مقابلته لذلك بالاشاره اليه في مفارقته اياه وخذلانه له
وخيانته لما اختبر به من الامانه عند رؤيته شدة الزمان عليه
وقيام العدو في وجهه وتفرق كلمة الامة عن الحق لبيان انه قابل
احسانه اليه بالكفران ليحسن ذمه على ذلك وتوبيخه فيذمه ويوبخه
واراد مفارقته له في الطريقه ولزوم حق الامانه وقوله قلبت لابن
عمك ظهر المجن يضرب مثلا لمن يكون مع اخيه فيتغير عليه ويصير
خصما له واصله ان الرجل اذا كان مسلما لاخيه يكون بطن ترسه اليه
فاذا فارقه وصار حربا له نقلب له ظهر ترسه ليدفع به عن نفسه ما يلقاه
من شره فجعل ذلك كنايه عن العداوه بعد الصداقه وضرب مثلا لمن
فعل ذلك الثالث الاخذ في تعنيفه وتوبيخه وحكايه
حاله في خيانته في معرض التوبيخ وذلك قوله فلا ابن عمك الى قوله هذه
البلاد وشبهه بمن لم يرد الله بجهاده بل الدنيا وبمن لم يكن على بينة
من ربه بل هو جاهل به وبوعده ووعيده ووجه الشبه مشاركته
لطالبي غير الله والجاهلين به في طلب غيره والاعراض عنه ولذلك شبهه
بمن لم يكن له غرض من عبادته الا خدعه المسلمين عن دنياهم واشار الى وجه
الشبه بقوله فلما امكنتك الشدة الى قوله الكثيره اي وكما ان غرض الذي
يكيد غيره عن شي ان يترصد الفرص في اخذه وينتهزها اذا وجدها فكذلك انت

في اسراعك بالوثوب على الخيانه وشبه اختطافه لما اخذه من المال
باختطاف الذئب الازل لان خفة الوركين تعينه على سرعة الوثبة
والاختطاف ودامية المعزى الكسيره لانها امكن للاختطاف لعدم الممانعه
ثم اخبر في معرض التوبيخ انه حمله الى وطنه بمكه وكنى بكونه رحيب
الصدر به اما عن سروره وفرحه به او عن كثرة ما حمل منه لان من
العاده اذا اراد الانسان حمل شي في صدره فتح صدره وباعه وحوى
منه ما امكنه حمله ونصب رحيب وغير على الحال واضافه رحيب
في تقدير الانفصال ثم شبهه في معرض التوبيخ والتقريع في حمله بمن حمل
تراثه الى اهله من والديه واستفهم على سبيل التعجب من حاله والانكار
عليه عن امرين احدهما عن ايمانه بالمعاد وخوفه من مناقشة الله
في الحساب تذكيرا له بذلك وتنبيها على انه كان معدودا في نظره من ذوي
العقول وادخله في خبر كان تنبيها له على انه لم يبق عنده كذلك
الثاني عن كيفية اساغته للشراب والطعام مع علمه انما ياكله
ويشربه وينكح به من هذا المال حرام لكونه مال المسلمين اليتامى منهم والمساكين
والمجاهدين الذي افاه الله عليهم ليحرز به عباده وبلاده استفهام انكار
عليه وتقريع بذكر معصيته لله المقصود الرابع امره بعد التوبيخ
الطويل بتقوى الله ورد اموال المسلمين عليهم وتوعده ان لم يفعل بما
امكن الله منه ان يعذر الى الله فيه اي يبلغ اليه بالعذر فيه ويقتله وذكر
الضرب بالسيف الموصوف بالصفه المذكوره اغلظ في الوعيد وابلغ في
الزجر المقصود الخامس اقسم ان ولديه على قربهما منه وكرامتهما
عليه لو فعلا كفعله من الخيانه لم يراقبهما في ذلك حتى ياخذ الحق منهما

ويزحج الباطل عن مظلمتهما اى محل ظلمهما من مال او غيره ومراده
ان غيرهما نظير الاولى فى عدم المراقبة له ثم اقسم القسم البار انه ما
يسره ان يكون ما اخذه ابن عباس من اموال المسلمين حلالا له ليخلفه ميراثا
لمن بعده لما علمت ان جمع المال وادخاره سبب للعذاب فى
الآخرة كما قال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الآية
وقسمه الاول كالعذر له فى شدة انكاره عليه والثانى لتحقير ما اخذه
وبيان انه لو كان اخذه على وجه حلال فلا يصلح للقنية فكيف به وهو
حرام وذلك ليتركه ويخرج عنه الى اهله السادس امره بالامهال
على سبيل التهديد بقرب الوصول الى الغاية التى هى الموت والدفن وعرض
اعماله عليه بالمحل الذى ينادى فيه الظالم بالحسرة ويتمنى فيه المضيع امر
الله والعمل الصالح الرجعة الى الدنيا حين لا مخلص له مما هو فيه وذلك المحل
هو عرصة القيامة وذكر النداء بالحسرة وحين لا رجعة ليتأكد التخويف
والتهديد بتعداد الامور المفزعة واما قوله ولات حين مناص فانهم
شبهوا لات بليس واضمروا فيها اسم الفاعل ولا يستعمل لات الا مع حين
وقد جاءت حين مرفوعة بانها اسم لات وقيل ان التاء زائدة كهى
فى ثمت وربت وقد مر ذلك قبل

ومن كتاب له عليه السلام

الى عمر بن ابى سلمة المخزومى وكان عامله على البحرين
فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقى مكانه

اما بعد فانى قد وليت النعمان بن عجلان الزرقى على البحرين ونزعت يدك
بلا ذم لك ولا تثريب عليك فلقد احسنت الولاية وأديت الامانة فاقبل
غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل
الشام واحببت ان تشهد معى فانك ممن استظهر به على جهاد العدو
واقامة عمود الدين ان شاء الله **اقول** عمر هذا هو ربيب
رسول الله صلى الله عليه وامه ام سلمة وابوه ابو سلمة بن عبد الاسد بن
هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واما النعمن بن عجلان فمن سادات
الانصار من بنى زريق والتثريب التعنيف واستقصاء اللوم والظنين
المتهم واستظهرت بفلان اتخذته ظهيرا ومدار الكتاب على اعلام عمر
بن ابى سلمة بانفاذ النعمن عوضا عنه ثم اعلامه بان ذلك لم يكن عن ذنب
صدر منه يستحق به الذم والعزل وانه شاكر له بكونه احسن ولايته
وادى امانته ثم اعلامه بغرضه من عزله واستدعائه وهو الاستعانة به
على عدوه كل ذلك ليطمئن قلبه ويفارق الولاية عن طيب نفس وبنهه
على وجه رغبته فى حضوره معه بقوله فانك الى آخره وهو فى قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من استظهر به على العدو واقامة عمود الدين فواجب
ان ارغب فى حضوره وان يشهد معى ولفظ العمود مستعار لاصوله التى
بحفظها وقيامها يقوم كالعمود للبيت وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

الى مصقلة بن هبيرة الشيبانى وهو عامله على اردشير خره

بلغنى عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك واغضبت امامك انك تقسم فى
المسلمين الذى حازته رماحهم وخيولهم واريقت عليه دماؤهم فيمن
اعتامك من اعراب قومك فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقا
لتجدن بك على هوانا ولتخفن عندى ميزانا فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك

بحقه فيكون من الأخسرين أعمالاً الا وان حق من قبلك وقبلنا من
المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون عنه
والمسلمين **أقول** اعتامك اختارك من بين الناس وقد أعلمه
بما بلغه من الأمر الصادر عنه اجمالاً لينتبه له واشعره انه أمر مكروه
بما يلزمه وهو سخط الهه وغضب امامه ونبه بقوله ان كنت فعلته
على عدم تحققه لذلك ثم بين له ذلك الأمر وهو عطاؤه مال المسلمين
لمن اختاره رئيساً من أعراب قومه ووصف ذلك الفيء بكونه حيازة
رماحهم وخيولهم وعليه أريقت دماؤهم لتأكيد قبحه في النفوس
وبيان وجه استحقاقهم له وبعد ذلك شاكد قبح قسمته في غيرهم
بما اقسم قسمة المعتاد في معرض الوعيد ان كان ذلك منه حقاً ان
يلحقه به هوان وحقاره عنده وخفة وزنه في اعتباره وكنى به عن صغر
منزلته ومن انا نصب على التمييز ثم نهاه عن استهانته بحق ربه وعن اصلاح
دنياه بفساد دينه تنبيهاً على عظمة الله ووجوب المحافظة على طاعته
ونبهه على ما يلزم من دخوله في زمرة الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ثم نبهه على قبح ما
فعل من تخصيص قومه بذلك المال بقوله الا وان الى قوله سواء وهو
في قوة صغرى ضمير وقوله يردون اليه ويصدرون عنه تأكيد لتساويهم
في الاستحقاق وانه لهم كالشريعة المشتركة وتقدير الكبرى وكل
حق يكون سواء من المسلمين فلا يجوز تخصيص بعضهم به وقد ذكرنا حال
مصقلة من قبل وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

الى زياد ابن ابيه وقد بلغه ان معاوية
كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه

وقد عرفت ان معوية كتب اليك يستزل لبك ويستفل غربك فاحذره وانما
هو الشيطان يأتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم
غفلته ويستلب غرته وقد كان من ابي سفيان في زمن عمر بن الخطاب
فلتة من حديث النفس ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا
يستحق بها ارث والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب قال
السيد فلما قرأ زياد الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم يزل في نفسه
حتى ادعاه معوية **قوله** عليه السلام كالواغل المدفع الواغل
هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعاً محاجزاً
والنوط المذبذب هو ما ناط برحل الراكب من قعب او قدح او ما اشبه
ذلك فهو ابداً يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل سيره ن زياد هذا ادعى الى
ابي سفيان ويقال زياد بن عبيد فمن الناس من يقول عبيد بن فلان الثقفي
والأكثرون على انه كان عبداً وانه بقي الى ايام زياد فابتاعه واعتقه
واما ادعاؤه الى ابي سفيان له فروي انه تكلم يوماً بحضرة عمر فاعجب
الحاضرين كلامه فقال عمرو بن العاص لله ابوه لو كان قرشياً لساق
العرب بعصاه فقال ابو سفيان اما والله انه لقرشي ولو عرفته لعرفت انه
من خير اهلك فقال ومن ابوه فقال انا والله وضعته في رحم امه فقال فهلا
تستلحقه قال اخاف هذا العير الجالس ان يخرق علي اهابي يعني عمر ولما ولي
علي عليه السلام الخلافة ولى زياداً فارس فضبطها ضبطاً صالحاً وحماها
وكتب اليه معوية خديعة باستلحاقه اخا له ن من امير المؤمنين معاوية ابن

الى سفيان اما بعد فان المرء قد يطرحه الهوى في مطارح العطب وانك
للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك سوء ظنك
بي وبغضك لي على ان عققت قرابتي وقطعت رحمي وبتت نسبي وحرمتي
كانك لست اخي وليس صخر بن حرب اباك وابي وشتان بيني وبينك اطلب
بدم ابن ابي العاص وانت تقاتلني ولكن ادركك عرق الرخاوة من قبل النساء
فكنت كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض اخرى جناحها وقد رايت ان
اعطف عليك ولا اواخذك بسوء سعيك وان اصل رحمك وابتغي الثواب
في امرك واعلم ابا المغيرة انك لو خضت البحر في طاعة القوم تضرب
بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم الا بعدا فان بني عبد شمس ابغض
الى بني هاشم من الشفرة الى الثور الصريع وقد اوثق للذبح فارجع رحمك
الله الى اصلك واتصل بقومك ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره
فقد اصبحت ضال النسب ولعمري ما فعل ذلك بك الا اللجاج فدعه
عنك فقد اصبحت على بينة من امرك ووضوح من حجتك فان احببت
جانبي ووثقت بي فامرة بامرة وان كرهت جانبي ولم تثق بقولي ففعل جميل
لا علي ولا لي والسلم وحمل الكتاب مع المغيرة بن شعبة اليه فكان ذلك
سبب فساده على الحسن بن علي عليهما السلم وانضيافه الى معوية ولما
بلغ عليا عليه السلم ذلك كتب اليه اما بعد فاني وليتك ما وليتك
وانا اراك لذلك اهلا وقد عرفت ان معوية الى اخر الكتاب ولنرجع
الى المتن فقوله غرب السفاهة والاستفلال طلب
الفل وهو ثلم الحد ومدار الكتاب على اعلامه بما علمه من كتاب معوية
اليه من تنبيه على قصده من ذلك الكتاب وهو ان يستزل عقله ويستغفله عما

هو عليه من الراي الصحيح في نصرة الحق وولايته عليه السلم وكسر
حزنه في ذلك واستعار لفظ الغرب لعقله ورايه ولفظ الاستفلال
لطلب صرفه عن ذلك الراي الصالح ملاحظة لشبهه بالسيف ثم
حذره عنه بقوله فانما هو الشيطان ياتيه باعتبار وسوسته وصده عن
الحق ونبه على وجه الشبه بقوله ياتي الانسان الى قوله شماله وهو
كقوله تعالى ثم لآتينهم من بين ايديهم الى قوله شمائلهم اي انه ياتي
الانسان من كل جهة كما ياتي الشيطان وحصر الجهات الاربع
لانها الجهات التي يعتاد الاتيان منها وقال
بعض المفسرين من بين ايديهم يطمعهم في العفو ويغريهم بالعصيان
ومن خلفهم يذكرهم مخلفيهم ويحسن لهم جمع المال وتركه لهم وعن
ايمانهم يحسن لهم الرياسة والثنا وعن شمائلهم يحبب اليهم اللهو
واللذات وعن شقيق ما من صباح الا ويقعد لي الشيطان
على اربعة مراصد من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم
فاقرأ واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى واما
من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من جهة الثنا فاقرأ والعاقبة
للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل
بينهم وبين ما يشتهون ثم نبه على فساد حيلة معوية وذلك
ان معوية انما اراد استغفاله باستلحاقه اياه اخا فنبهه عليه
السلم على ان ذلك الاستلحاق انما يتم بتصحيح استلحاق ابي سفيان
له ابنا ولم يصح تلك الدعوى وانما كان قوله انه كذا وكذا فلتة

المنفس

عن حيث وقع منه من غير تثبت ولا روية واقرارا بالزنا في قوله اني وضعته
في رحم امه وذلك نزغة من نزغات السلطان الغاها على لسانه
فلا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث لقوله صلى الله عليه الولد للفراش
وللعاهر الحجر ثم شبه المعلق في نسبه بهذه الفلتة والنزغة بالواغل
المدفع ووجه الشبه كونه لا يزال مدفعا وبالنوط المذبذب ووجه
الشبه اضطراب امره وعدم لحوقه بنسب معين واستقراره كما
يضطرب النوط ولا يستقر والله الموفق

ومن كتاب له عليه السلم

الى عثمن بن حنيف الانصاري وكان عامله على البصره
وقد بلغه انه دعي الى وليمه قوم من اهلها فمضى اليها

اما بعد يا بن حنيف فقد بلغني ان رجلا من فتيان اهل البصره دعاك الى
مادبة فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان
وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو
فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما
ايقنت بطيب وجوهه فنل منه الا وان لكل ماموم اماما يقتدي به
ويستضيء بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن
طعمه بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع
واجتهاد وعفه وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ولا
ادخرت من غنائمها وفرا ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا بلى قد كانت
في ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم
وسخت عنها نفوس اخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك

والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته اثارها وتغيب اخبارها وحفرة
لو زيد في فسحتها واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر وسد
فرجها التراب المتراكم وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتاتي امنة
يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت
الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا
القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الاطعمه
ولعل بالحجاز او اليمامه من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع او
ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرى او اكون كما قال القائل
وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تتوق الى القد
اقنع من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر
واكون اسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات
كالبهيمه المربوطه همها علفها او المرسلة شغلها تقممها تكترش من
اعلافها وتلهو عما يراد بها او اترك سدى واهمل عابثا او اجر حبل
الضلالة او اعتسف طريق المتاهه وكاني بقائلكم يقول اذا كان هذا
قوت ابن ابي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة
الشجعان الا وان الشجره البريه اصلب عودا والروائع الخضره ارق
جلودا والنابتات العذية اقوى وقودا وابطا خمودا وانا من
رسول الله صلى الله عليه واله كالضوء من الضوء والذراع من العضد
والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ولو امكنت الفرص
من رقابها لسارعت اليها وساجهد في ان اطهر الارض من هذا
الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد

اليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وافلتّ من
حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك اين القوم الذين غررتهم
بمداعبك اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك ها هم رهائن القبور
ومضامين اللحود والله لو كنت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقمت عليك
حدود الله في عباد غررتهم بالاماني وامم القيتهم في المهاوي وملوك
اسلمتهم الى التلف واوردتهم موارد البلاء اذ لا ورد ولا صدر
هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن
ازورّ عن حبائلك وفق والسالم منك لا يبالي ان ضاق به مناخه
والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه اعزبي عني فوالله لا اذل لك
فتستذلني ولا اسلس لك فتقودني وايم الله يمينا استثني فيها
بمشيئة الله تعالى لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا
قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مادوما ولادعن مقلتي كعين ماء نضب
معينها مستفرغة دموعها اتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة
من عشبها فتربض وياكل علي من زاده فيهجع قرت اذن عينه اذا
اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية
طوبى لنفس ادت الى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت
في الليل غمضها حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت ارضها وتوسدت
كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم
جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم
ذنوبهم **قوله** المادبة بالضم الطعام يدعى اليه
والعائل الفقير والقضم الاكل بادنى الفم والطمر الثوب الخلق
والوفر المال الكثير والمغرة المرة وفدك اسم قرية كانت لرسول الله
صلى الله عليه واله والجدث القبر واضغطها ضيقها والفج الحيطة
والمنساج جمع نسيجه بمعنى منسوجه والجشع اشد الحرص على
الطعام والمبطان عظيم البطن لكثرة الاكل وغرثى جائعه
والبطنة هي الحرى الممتلئة من الطعام والتقمم تتبع القمامة وهي الكناسة
وتكترش تملاء كرشها والسدى المخلى المهمل والروايع
الاشجار التي تروع بنضارتها العذية التي لا يسقيها الا ماء المطر
والمركوس المردود مقلوبا كالمنكوس والمداحض المزالق وازورّ
اخذ جانبا واعزبي ابعدي يقال عزب الرجل بالفتح اذا بعد وسلس
الرجل يسلس كنصر الاقم والمسلس سهل قياده والرياضة
التاديب والتعويد والربيضة الجماعة الرابضة من الغنم
وتجافت اي نبت وارتفعت والهمهمة الصوت الخفي وفي
الكتاب مقاصد الاول اشار الى ما يريد عتابه
عليه وهو اجابته الى المادبة مسرعا تستطاب له الالوان
وتنقل اليه الجفان واعلمه انه ما فعله ذلك مفردا الله ليحسن
توبيخه عليه وذلك في قوله اما بعد الى قوله الجفان الثاني
اشار على وجه المعاتبة المخطبة في ذلك بقوله وما ظننت انك
تجيب الى قوله اي كان ظني فيك مع الورع انك تنزه نفسك
عن الاجابة الى طعام قوم يطلبون الى فقرائهم ويقصرون الدعوة
على اغنيائهم وامرائهم ووجه الخطا في اجابة داعي هولاء ان
تخصيصهم الاغنياء دون الفقراء بالكرامة والدعوة دليل واضح

على انما يريدون بذلك الدنيا والسمعة والرياء دون وجه الله تعالى ومن
كان كذلك فاجابته موافقة له على ذلك ورضى بفعله وذلك خطأ
كبير خصوصا من امراء الدين المتمكنين من انكار المنكرات الثالث
امره ان يحترز فيما يتفق له ان يقع فيه من ذلك بالنظر الى ما يحضره من الطعام
فما وجد فيه شبهة حرام ولم يتحقق حاله فليتركه وما تيقن حله وطيب
وجه اكتسابه وبراءته عن الشبهة فلينال منه وكنى عنه بالقضم تحقيرا
له وتقليلا ويفهم منه بحسب السادس الاول ان التنزه عن هذا المباح افضل
له من تناوله الرابع نبهه بعد ذلك بقوله الا وان الى قوله
عليه على ان له اماما يجب ان يقتدى به وهو ممثل في قوة قياس كامل
حذفت صغراه فاصل التمثيل مطلق الامام والمأموم وعلته كونهما اماما
ومأموما وفرعه هو عليه السلم وعامله وحكمه وجوب الاقتداء وتقدير
القياس انك مأموم وكل مأموم لامام فيجب عليه ان يقتدي بامامه
ينتج انه يجب عليك ان تقتدي بامامك وتستضيء بنور علمه ○
الخامس اردف ذلك بالتنبيه على ما يجب ان يقتدي به فيه
من حاله في دنياه وهو اكتفاؤه من ملبوسها بما يستر بدنه من طمريه ومن
مطعومها ما يسد به فورة جوعه من قرصيه غير ملتفت فيما لبسه الى زينة
فان طمريه كانا سحق عمامة ومدرعة قد استحيا من راقعها ولا مكترث
فيما طعمه بلذة وطيب فان قرصيه كانا من شعير غير منخول واحد
بالغداة وواحد بالعشي السادس نبه اصحابه على ان رياضته
تلك لا تستطاع لهم فانها قوة مشروطة باستعداد لم يصلوا اليه ثم
امرهم اذا كانت الحال كذلك ان ينتصروا في معونته على انفسهم

ورياضتها بالورع واراد به هنا الكف عن المحارم ثم بالاجتهاد في الطاعة
ويحتمل ان يريد بالورع لزوم الاعمال الجميلة ثم الاجتهاد فيها
السابع نبه بالقسم البار على رد ما عساه يعرض لبعض
الاذهان القاصرة في حقه عليه السلم ان زهده في الدنيا مشوب برياء
وسمعة وان وراءه محبتها وجمعها وادخارها خصوصا وهو امام
الوقت وخليفة الارض فعدد انواع ما اتاه الله على المسلمين منها
ثم اقسم انه لم ياخذ منه الا قوته وشبهه في القلة والحقارة بقوت
الاتان الدبرة وخصصها لان ضعفها بالدبر وشغلها بالمه يقلل
قوتها ثم بالغ في وصف حقارة دنياهم عنده فاخبر انها في
نظره واعتباره اهون من عفصة مرة وظاهر ان من كان كذلك كيف
يتصور محبته للدنيا وعلمه بها الثامن انه لما قال فيما
اقسم عليه من الدنيا ولا حزت من ارضها شبرا استثنى من ذلك فدك
بقوله بلى كانت لنا فدك من كل ما اظلته السماء وذكرها في
معرض حكاية حاله وحال القوم معه على سبيل الشكوى
والتظلم ممن اخذها منهم الى الله سبحانه وتسليم الامر له
والرضا بكونه حكما ○ واعلم ان فدك كانت خاصة لرسول
الله صلى الله عليه وذلك انه لما فرغ من امر خيبر قذف الله
في قلوب اهل فدك الرعب فبعثوا اليه صلى الله عليه وآله
يصالحونه على النصف فقبل ذلك منهم وكانت له خاصة اذ
لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ○ وروي انه صالحهم عليها
كلها ثم المشهور بين الشيعة والمتفق عليه عندهم ان رسول

الله صلى الله عليه واله اعطاها فاطمه عليها السلم في حياته ۞
وروى ذلك من طرق مختلفه منـــــها عن ابي سعيد الخدري
قال لما نزلت وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله صلى
الله عليه واله فاطمه عليها السلم فدك فلما ولي ابو بكر
الخلافه عزم على اخذها منها فارسلت اليه تطالبه بميراثها من
رسول الله صلى الله عليه وتقول انه اعطاني فدكا في حياته
واستشهدت على ذلك عليا عليه السلم وام ايمن فشهدا لها بها
فاجابها عن الميراث بخبر رواه وهو نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركناه فهو صدقه ۞ وعن دعوى فدك انها لم تكن للنبي صلى الله
عليه وانما كانت مالا للمسلمين في يده يحمل به الرجال وينفقه
في سبيل الله وانا اليه كما كان يليه ۞ فلما بلغها ذلك لاثت خمارها
واقبلت في لمة من حفدتها ونسائها تطا في ذيولها حتى دخلت
عليه ومعه حفل المهاجرين والانصار فضربت بينها وبينه قبطيه
ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكاء ثم امهلت طويلا حتى سكنوا
من فورتهم ثم قالت ابتدئ بحمد من هو اولى بالحمد والطول
والمجد ۞ الحمد لله على ما انعم وله الشكر بما الهم ثم خطبت خطبه
طويله قالت في آخرها فاتقوا الله حق تقاته واطيعوه فيما امركم فانما
يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذي بعظمته ونوره
يبتغي من في السموات ومن في الارض اليه الوسيله ونحن وسيلته
في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه
ونحن ورثة انبيائه ۞ ثم قالت انا فاطمه ابنة محمد اقول عودا على بدء

ما اقول ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا باسماع واعيه وقلوب راعيه
ثم قالت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ۞ فان تعزوه تجدوه ابي دون آبائكم
واخا ابن عمي دون رجالكم ثم قالت ثم انتم الآن تزعمون ان لا ارث
لي افحكم الجاهليه تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ۞
ايها معشر الملة اابتز ارث ـــــ ابيه ءالله ان ترث يا ابن ابي
قحافه اباك ولا ارث ابيه لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومه مرحوله
تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامه
وعند الساعه يخسر المبطلون ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ۞ قال ثم انعطفت
الى قبر ابيها فتمثلت بقول هند بنت اثاثه

قد كان بعدك انباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
ابدت رجال لنا نجوى صدورهم لما قضيت وحالت دونك الكتب
تجهمتنا رجال واستخف بنا اذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب

قال فلم ير الناس اكثر باكيا ولا باكيه منهم يومئذ ثم عدلت بـا
مسجد الانصار وقالت يا معشر الانصار واعضاد الملة وحضنة الاسلام
ما هذه الفترة عن نصرتي والونيه عن معونتي والغمزة في حقي والسنه
عن ظلامتي اما قال رسول الله صلى الله عليه واله المرء يحفظ في ولده
سرعان ما احدثتم وعجلان ما اتيتم الآن مات رسول الله امتم دينه
ها ان موته لعمري خطب جليل استوسع وهنه واستبهم فتقه وفقد
راتقه واظلمت الارض له وخشعت الجبال واكدت الآمال اضيع الحريم

وهتكت الحرمه واذيلت المصونه وتلك نازله اعلن بها كتاب الله قبل
وفاته فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
وسيجزي الله الشاكرين ايها بني قيله اهتضم تراث ابيه وانتم بمراى
ومسمع تبلغكم الدعوه ويشملكم الصوت وفيكم العده والعدد ولكم
الدار والجنن وانتم نخبه الله التي انتخب وخيرته التي اختار وادتم العرب
وبادهتم الامور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الاسلام ودر حلبه وخبت
نيران الحرب وسكنت فوره الشرك وهدات دعوه الهرج واستوسق نظام
الدين افتاخرتم بعد الاقدام ونكصتم بعد الشده وجبنتم بعد الشجاعه
عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ايمه الكفر
انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا وقد ارى ان قد اخلدتم الى الخفض
وركنتم الى الدعه وجحدتم الذي وعيتم ودسعتم الذي سوغتم وان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا فان الله غني حميد الا وقد قلت ما قلت على
معرفه مني بالخذله التي خامرتكم وخور القناه وضعف النفس
فدونكموها فاحتقبوها مدبره الظهر ناقبه الخف باقيه العار موسومه
الشنار موصوله بنار الله الموقده التي تطلع على الافئده فبعين الله ما
تعملون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ثم رجعت
منها واقسمت ان لا تكلم ابا بكر ولتدعون الله عليه ولم يزل كذلك
حتى حضرتها الوفاه فاوصت ان لا يصلي عليها فصلى عليها العباس ودفنت
ليلا وروي انه لما سمع كلامها حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله
ثم قال يا خيره النساء وابنه خير الاباء والله ما عدوت راي رسول الله

صلى الله عليه ولا عملت الا بامره وان الرايد لا يكذب اهله قد بلغت فابلغت
واغلظت فاهجرت فغفر الله لنا ولك اما بعد فقد دفعت الة رسول
الله صلى الله عليه ودابته وحذاه الى علي واما ما سوى ذلك فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه واله يقول انا معاشر الانبيا لا نورث ذهبا
ولا فضه ولا ارضا ولا عقارا ولا دارا ولكنا نورث الايمان والحكمه
والعلم والسنه وقد عملت بما امرني ونصحت فقالت ان رسول الله
قد وهبها لي قال فمن يشهد لك بذلك فجاء علي بن ابي طالب وام ايمن
فشهدا لها بذلك فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا ان
رسول الله صلى الله عليه واله كان يقسمها فقال ابو بكر صدقت يا ابنه
رسول الله وصدق علي وصدقت ام ايمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن
وذلك ان مالك لابيك كان رسول الله ياخذ من فدك قوتكم ويقسم
الباقي ويحمل منه في سبيل الله ولك على الله ان اصنع بها كما كان يصنع
فرضيت بذلك واخذت العهد عليه به وكان ياخذ غلتها فيدفع اليهم
منها ما يكفيهم ثم فعلت الخلفاء بعده كذلك الى ان ولي معاويه فاقطع مروان
ثلثها بعد الحسن عليه السلم ثم خلصت له في خلافته وتداولها اولاده
الى ان انتهت الى عمر بن عبد العزيز فردها في خلافته على اولاد فاطمه عليها
السلم قالت الشيعه وكانت اول ظلامه ردها وقالت السنه
بل استخلصها في ملكه ثم وهبها لهم ثم اخذت منهم بعده الى ان انقضت
دوله بني اميه فردها عليهم ابو العباس السفاح ثم قبضها المنصور فردها
ابنه المهدي ثم قبضها ولداه موسى وهرون فلم يزل بايدي بني العباس

زمن المأمون فردها عليهم وبقيت الى عهد المتوكل فاقطعها
عبد الله بن عمر البازيار وروي انه كان فيها احدى عشرة
نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكان بنو فاطمة
يهدون تمرها الى الحاج فيصلونهم عن ذلك بمال جليل فبعث
البازيار رجلا فصرمها وعاد الى البصرة ففلج وفي هذه
القصة خبط كثير بين الشيعة ومخالفيهم ولكل من الفريقين
كلام طويل ولنرجع الى المتن وقوله اشار
بالنفوس التي شحت بها الى ابي بكر وعمر واتباعهما والنفوس التي
سخت بها الى وجوه بني هاشم ومن مال ميلهم التاسع
استفهم عما يصنع بفدك وغيرها من القنيات الدنيوية
استفهام انكار لوجه حاجته اليها وتسلية لنفسه عنها
وجذبا لها الى الاعمال الصالحة بذكر غاية النفوس منها وهي
ضروبها الى الجدث ولوازم تلك الغاية من انقطاع الآثار
وغيبة الاخبار فيها وسائر ما عدده من صفات الجدث وانما
عدد هذه الامور لان الاوهام تنفر عنها وتخشع القلوب
لذكرها مفزعة الى الله تعالى وتنجذب الى الاعمال الصالحة التي
بها الخلاص من اهوال الموت وما بعده والواو في قوله والنفس
للحال العاشر لما نبه على ان فدك وغيرها من
قنيات الدنيا لا حاجة اليها اشار الى حصر حاجته وغاية نفسه
وهي رياضتها بالتقوى والضمير كما هو في قوله فيما سبق وانما هي

الكونه والتقدير وانما همتي وحاجتي رياضة نفسي بالتقوى واعلم
ان رياضة النفس تعود الى نهيها عن هواها وامرها بطاعة مولاها
وهي ماخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها عن الاقدام على حركات
غير صالحة لصاحبها ولا موافقة لمراده وتمرينها على ما يوافق
مراده من الحركات والقوة الحيوانية التي هي مبدا الادراكات
والافاعيل الحيوانية في الانسان اذا لم يكن لها طاعة القوة العاقلة
ملكة كانت بمنزلة بهيمة لم ترض فهي تتبع الشهوة تارة والغضب
اخرى وغالب احوالها ان تخرج في حركاتها عن العدل الى احد
طرفي الافراط والتفريط بحسب الدواعي المختلفة المتخيلة
والمتوهمة وتستخدم القوة العاقلة في تحصيل مراداتها فتكون
هي امارة والعاقلة مؤتمرة لها اما اذا راضتها القوة العاقلة
ومنعتها عن التخيلات والتوهمات والاحساسات والافاعيل
المثيرة للشهوة والغضب ومرنتها على ما تقتضيه العقل العملي
وادبتها على طاعته بحيث تأتمر بامرها وتنتهي لها [illegible] العقلية
مطمئنة لا تنفعل انفعالا مخالفة المبادي وكانت باقي القوى
مؤتمرة مسالمة لها [illegible] ذلك فقوله لما كان
الغرض الاقصى من الرياضة انما هو نيل الكمال الحقيقي وكان
ذلك موقوفا على الاستعداد له وكان حصول ذلك الاستعداد
موقوفا على زوال الموانع الخارجية والداخلية كان للرياضة اغراض
ثلثة احدها حذف كل محبوب ومرغوب عدا الحق الاول
سبحانه عن درجة الاعتبار ومستن الايثار وهي الموانع الخارجية

والثاني تطويع النفس الأمّارة للنفس المطمئنة لينجذب
التخيّل والتوهّم عن الجانب السفلي الى العلوي ويتبعهما ساير
القوى فتزول الدواعي الحيوانية المذكورة وهي الموانع
الداخلية الثالث تعديل السرّ وتوجيهه الى الجنبة
العالية لتلقي السوانح الالهية وتهيئته لقبولها ونبّه على الغرض
الاول الزهد الحقيقي وهو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها
بالقلب وعلى الثاني العبادة المشفوعة بالفكر في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء وعظمة الخالق سبحانه والاعمال
الصالحة المنويّة لوجهه خالصًا وعبّر عليه السّلام بالتقوى التي
يروض بها نفسه عن هذه الامور المعيّنة والاسباب المعدّة
ونبّه على غرضه الأقصى من الرياضة وهو الكمال الحقيقي واللذة
به بذكر بعض لوازمه وهو ان تأتي نفسه آمنة من الفزع يوم الخوف
الأكبر وهو يوم القيامة وان تثبت على جوانب المزلق وهو الصراط
المستقيم ولا تميل بها الدواعي المختلفة عنه الى ابواب جهنّم ومهاوي
الهلاك واستعار لفظ المزلق لمظانّ زلل اقدام العقول في
الطريق الى الله وحذف الميول الشهويّة والغضبية عنها في
الرذايل الموبقة الحادي عشر نبّه على انّ زهده في الدنيا
واقتصاره منها على الطمرين والقرصين وترك ما سوى ذلك
ليس من عجزه عن تحصيل طيبات مطعوماتها وملبوساتها وانّه
لو شاء لاهتدى الى تحصيل تلك الطيبات وخصّ لباب القمح ومصفّى
ذلك العسل لانّ الهريسة والعسل من اشهر الطيبات بمكة

والحجاز وانما تركه مع القدرة عليه رياضة لنفسه واعدادًا لها
لتحصيل الكمالات الباقية واستثنى هنا نقيض الملزوم وهو
عدم غلبة هواه لعقله وعدم قود جشعه له الى تخيّر الأطعمة
ونبّه على ذلك العدم بقوله هيهات فانّ ما استبعد وقوعه
من نفسه وانكره فقد نفاه عنها وحكم بعدمه وامّا انّ ذلك
العدم هو نقيض الملزوم بعينه فلانّ الملزوم هنا هو المشيئة
لتخيّر الطيبات وغلبة الهوى للعقل على مقتضى رايه في تركها
والتنزّه عنها وقودها الشهوة له الى الموافقة على استعمالها
والمستثنى هنا هو عدم ذلك بعينه ن واما جواز استثنائه
لنقيض المقدّم فلانّ مشيئته تلك شرط مشاء ولتخيّر الطيبات والاهتداء
اليها وكان عدمه مستلزمًا لعدم مشروطه واكثر استعمال لو
في لغة العرب على وجه ان الملزوم علة لازمه او شرط مساو له ويستثنى
نقيض الملزوم والواو في قوله ولعلّ للحال اي هيهات ان يغلبني هواي
الى تخيّر الاطعمة حال ما يحتمل ان يكون بالحجاز واليمامة من هو بصفة
كذا **قوله** او ابيت عطف على يقودني داخل في
ما استبعده من نفسه والواو في قوله وحولي للحال والعامل ابيت وكذلك
قوله او اكون عطف على ابيت وهما لازمان من لوازم نتيجة
القياس الاستثنائي فانّ عدم ارادته لتخيّر الطيبات لما استلزم
هنا عدم تناولها والاستمتاع بها استلزم ذلك ان لا يبيت مبطانًا وحوله
اكباد جايعة وان لا يلحقه عار بذلك والبيت تمثيل غرضه التنفير عن
العار اللازم عن الاستمتاع بالطيبات مع وجود ذوي الحاجة الى يسير

الطعام ونبّه على حسن هذه اللوازم بما قارن نقائضها من الأحوال
المذكورة ن البيت لحاتم بن عبد الله الطائي من قطعة اولها ن

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلاً فاني لست آكله وحدي
قصيّاً بعيداً او قريباً فانني اخاف مذمّات الأحاديث من بعدي
كفى بك عاراً ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تتوق الى القدّ

ويروى وحسبك داءً واطلق عليه اسم الداء باعتبار انه رذيلة منفرا
عنه ن ويروى قوله او ابيت من قوله او اكون مرفوعين والوجه فيه ان
لا يكون او حرف عطف بل يكون الهمزة للاستفهام والواو بعدها متحركة
كالفاء في قوله تعالى أفأصفاكم ربكم بالبنين ويكون استفهام انكار
لبياته مبطاناً ولكونه كما قال القائل وكذلك الاستفهام في قوله
أأقنع من نفسي في معرض الانكار لرضا نفسه بان يدعى امير المؤمنين
ولا اشاركهم في مكاره الدهر وجشوبة المطعم والواو في قوله
ولا للحال واو اكون عطف على اشاركهم في حكم النفي الثاني
عشر نبّه على بعض العلل الحاملة له على ترك الطيبات والزهد في الدنيا
وهو كونه لم يخلق ليشغله اكل الطيبات عما اريد منه وذلك في قوله
فما خلقت الى قوله المتاهة ونفّر عن الاشتغال باكل الطيبات
بذكر ما يلزم المشتغل بذلك من مشابهة البهيمة واشار الى وجه
الشبه بقوله همّها علفها الى قوله يراد بها وذلك ان المشتغل بها
ان كان غنيّاً اشبه البهيمة المعلوفة في اهتمامه بما تعتلفه من
طعامه الحاضر وان كان فقيراً كان اهتمامه بما يكتسبه ويقمّه من

حطام الدنيا ثم تعتلفه ويملأ به كرشه مع غفلته عما يراد منه كالسائمة
التي همّها الاكتراش بما تقممه من الكناسات مع غفلتها عما يؤول
اليه حالها ويراد بها من ذبح واستخدام واستعار لفظ الحبل
وجرّه وكنى بذلك عن الاهمال والارسال كما ترسل البهيمة ن
الثالث عشر اشار الى بعض ما عساه يعرض للأذهان الضعيفة
من الشبهة وهي اعتقاد ضعفه عن قتال الاقران بسبب ذلك
القوت الزهيد وذلك بقوله وكأني الى قوله الشجعان ثم نبّه على
الجواب عن ذلك من جهته لوجهين الاول التمثيل بالشجرة
البرّية وقياس نفسه عليها في القوة فالأصل هو الشجرة البرّية
والفرع هو عليه السلام والمشترك الجامع بينهما هو قلة الغذاء
وجشوبة المطعم كقلة غذاء الشجرة البرّية وسوء رعيها والحكم
عن ذلك هو صلابة اعضائه وقوته كصلابة عود الشجرة البرّية
وقوّتها وذلك دافع للشبهة المذكورة الثاني تمثيل
خصومه واقرانه كمعاوية بالروائع الخضرة وهي الاصل في هذا
التمثيل والفرع هو خصومه واقرانه والمشترك الجامع بينهما هو
الخضرة والنضارة الحاصلة عن الترفّه ولين المطعم والحكم اللازم
عن ذلك هو رقّة الجلود والضعف عن المقاومة وقلة الصبر على
المنازلة والميل الى الدعة والرفاهية والغرض ان يعلم كون اقرانه
اضعف منه فيندفع الشبهة الثالث تمثيله بالنابتات
العذية وهو كتمثيله بالشجرة البرّية والحكم هنا هو كونه اقوى على
سعر نار الحرب واصبر على وقدها وابطأ فتوراً فيها وخموداً كالنابتات

الحديبية في النار الرابع تمثيله نفسه من رسول الله صلى الله
عليه بالضوء من الضوء واصل هذا التمثيل هو الضوء من الضوء وفرعه
نسبته من رسول الله صلى الله عليه وعلته الجامعة هي كون علومه
وكمالاته النفسانية المشرقة مستفادة ومقتبسة من مصباح علم
النبوة وكمالاتها كالمعلول من العلة والمصباح من الشعلة
الخامس تمثيله منه صلى الله عليه بالذراع من العضد والاصل
فيه الذراع مع نسبته الى العضد والفرع هو عليه السلام منسوبا
الى رسول الله والعلة الجامعة هي قربه منه وقوته وكونه ظهيرا
له ووسيلة له الى حصول مقصوده من تمام الدين وكماله وكون
الرسول صلى الله عليه اصلا في ذلك كقرب الذراع من العضد
وكون العضد اصلا له وكون الذراع وسيلة الى التصرف والبطش
بالعضد والحكم في هذين التمثيلين واحد وهو كونه عليه السلام لا
يضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان ووجه لزوم هذا
الحكم عن المشترك الاول انه لما كانت علومه اليقينية وبصيرته
في الدين تناسب بصيرة رسول الله صلى الله عليه كان ذلك اعظم
مشجع ومقو له على قتال الاقران حمية للدين وذلك عن المشترك
الثاني ثم لما اثبت ذلك الحكم ونفى عنه الضعف المتوهم فيه
اكد ذلك بالقسم البار انه لو تعاونت العرب على قتاله لما ولى
عنها ولو امكنته الفرصة من رقابها لسارع اليها اي حين القتال
واستحقاقهم القتل بعدا وتهم للدين وفيه العفو عنهم ملاحظة
الشبهية برسول الله صلى الله عليه في ذلك في مبدا الاسلام فانه

لم يكن ليضع العفو الا في موضعه وروي انه قتل من بني قريظة في يوم
واحد الف انسان صبرا في مقام واحد لما راى ذلك من مصلحة الدين
الرابع عشر وعده بالجهد في تطهير الارض من هذا الشخص
المعكوس والجسم المركوس واراد معاوية وانما قال شخصا وجسما
ترجيحا لجانب البدن على النفس باعتبار عنايته بكمال بدنه دون كمال
نفسه فكانه جسم وشخص فقط واشار بكونه معكوسا ومركوسا
الى التفاته عن الجنبة العالية وانتكاسه عن تلقي الكمالات الروحانية
الى الجنبة السافلة وارتكاسه في الدنيا وانعكاس وجه عقله الى تحصيلها
والاعتناء بجمعها فان غرض العناية الالهية من خلق الانسان ان يترقى في
مدارج الكمال بعد حفظ فطرته الاصلية عن الدنس برذائل الاخلاق
فاذا جذبته دواعي النفس الامارة الى الدنيا وغرته بحبها حتى التفت
اليها لم يزل ينحط في درجات محبتها وبحسب ذلك يكون انتكاسه
عن مراتب الكمال وارتكاسه في الرذائل ومهاوي الضلال وتقييده
فيها بالسلاسل والاغلال **وقوله** حتى تخرج المدرة
من بين حب الحصيد استعار لفظ المدرة لمعاوية وحب الحصيد للمؤمنين
ووجه المشابهة ان تخلص المؤمنين من وجود معاوية بينهم ليزكوا ايمانهم
ويستقيم دينهم اذ كان وجوده فيهم سببا عظيما لفساد عقايدهم
وهلاك دينهم كما يفعل اهل البيادر من تصفية الغلال واخراج ما يشوبها
ويفسدها من المدر وغيره وقال الشارح عبد الحميد
بن ابي الحديد كما ان الزراع يجتهدون في اخراج المدر والحجر والشوك ونحوه
من بين الزرع كي لا يفسد منابته فيفسد ثمرته وفيه نظر لانه لا معنى

لاخراج الطين من الزرع ولان يحب الحصيد لا ينتفع منه بذلك الخامس
عشر تمثل الدنيا بصورة من يعقل وخاطبها بخطاب العقلاء لكون ذلك
اوقع في النفوس لغرابته ثم امرها بالتنحي والبعد عنه كالمطلق لها وحبلك
على غاربك كناية عن الطلاق تمثل واصله ان الناقة اذا اريد ارسالها
للرعي وضع حبلها على غاربها فضرب مثلا لكل من اهمل واطلق عن
الحكم ثم جعلها ذات مخالب استعارة بالكناية عن كونها كالاسد في
جذبها الانسان بما فيها من الشهوات والقينات الى الهلاك الابدي
كما يجر الاسد فريسته ن وكذلك جعلها ذات حبائل وكنى بهذا الوصف
المستعار عن كونها تصيد قلوب الرجال بشهواتها ولذاتها الوهمية
فهي كحبائل الصائد واستعار لفظ مداحضها لشهواتها وملذاتها ايضا
باعتبار كونها من المواقع المزلة للعقول عن طريق الله ومصارع لها وعبر بجميع
ذلك عن زهده فيها وابعادها عن نفسه ن ثم اخذ في سؤالها عن القوم
الذين غرتهم بمداعبها والامم الذين فتنتهم بزخارفها سؤالا على سبيل
التوبيخ لها والتقريع وفعلها ذلك بهم في معرض التنفير عنها وهو من قبيل
تجاهل العارف واستعار لها لفظ المداعب جمع مدعبة بمعنى دعابة
ووجه المشابهة انها عند صفاء لذاتها للخلق واغترارهم بها ثم كرها
عليهم بعد ذلك بالامر الجد نسبه من يمزح مع غيره ويبسط معه
بالاقوال والافعال اللينة ليغريه ثم يأتيه بعد ذلك بالامر الجد
فيؤذيه او يهلكه وانما نسب الغرور اليها لكونها سببا ماديا لذلك
وفي نسخة الرضي رحمه الله غررتهم باثبات اليا ووجهه انها جرت
من اشباع الكسرة السادس عشر اشار الى غايتهم التي صاروا اليها وهي

كونهم رهائن في القبور ومضامين اللحود ونبه في ذلك على ان غرورهم
وفتنتهم بها لم تخلصهم من هذه الغاية كل ذلك لغرض التنفير عنها
وها للتنبيه واستعار لفظ الرهائن لهم باعتبار كونهم موثقين في القبور
باعمالهم كالرهن ويحتمل ان يكون حقيقة ويكون رهينة بمعنى راهنة
وهي الاشخاص المقيمة بقبورها السابع عشر اقسم انها لو
كانت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقام عليها حدود الله في عباد غرتهم
بالاماني واوردتهم موارد البلاء حيث لا ورد ولا صدر اي ان تلك
الموارد ليس من شانها ان يكون اليها ورود وعنها صدور ثم لما كان
في هذا الخطاب كالمعلم لها انه قد اطلع على خداعها وغرورها
قال كالموبخ لها من نفسه فهيهات اي بعد اغتراري بك وركوني
اليك ثم نبه على بعض العلل الحاملة على البعد عنها والنفرة عن قربها
وهو ما يلزم وطء دحضها من الزلل وركوب لججها من الغرق والازورار
عن حبائلها من التوفيق للسلامة وما يلزم السالم منها من عدم مبالاته
بضيق مناخه وكل مناخ اناخ به من فقر وسجن ومرض وبلاء بعد السلامة
منها فهو فسيح رحيب بالقياس الى ما يستلزمه التقحم في شعبها والجري
في ميادين شهواتها من العذاب الاليم في الاخرة وهو عنده في القصر وعدم
الالتفات اليها كيوم حان انسلاخه والفاظ المداحض واللجج والحبائل
مستعارة لشهواتها ولذاتها فالاول باعتبار كون شهواتها
مظنة ان يخبث فيجر الانسان عند استعمالها الى الاستكثار منها والتجاوز
القدر المعتدل الى المحرم فيزل قدم نفسه عن صراط الله فيقع في مهاوي
الهلاك والمآثم والثاني باعتبار ان طالبها والآمال

فهي غير متناهية فمن لوازم المشتغل بها والمنهمك في لذاتها ان يغرق
نفسه في بحر لا ساحل له منها فينقطع عن قوله رحمه الله الى الهلاك
الابدي كالملقي نفسه في بحر لجي والثالث باعتبار ان
الانسان اذا اغتر بها وحصل في محبة مشتهياتها عاقته عن النهوض
والتخلص الى جناب الله ومنعته ان يطير بجناحي قوته العقلية في
حضرة قدس الله ومنازل اوليائه الابرار كما تعوق حبائل الصائد جناح
الطير ولفظ الوطي والركوب والزلق والغرق ترشيح ثم كرر الامر
لها بالبعد عنه واقسم انه لا يذل لها فتذله ولا يسلس لها قياده فتقوده
وفيه تنبيه على انها لا تذل فيها الا من اذل نفسه وعبدها لها ولا
تملك الانقياد من سلس لها قياده وهو ظاهر اذ الانسان ما دام قامعا
لقوته الحيوانية متصرفا لها بزمام عقله فانه من المحال ان تذله الدنيا او
تستعبده اهلها ومهما اتبع شهوته فيما تميل اليه فانها تذله اشد اذلال
وتستعبده اقوى استعباد كما قال عليه السلام عبد الشهوة اذل من عبد
الرق واستعار لفظ اسلاس القياد للتسهيل في متابعة النفس الغافلة
للنفس الامارة وعدم التشدد في ضبطها باستعمال العقل عن متابعتها
الثامن عشر اقسم ليوفين ما صمم عزمه عليه وهو بصدد
من رياضة نفسه ووصف تلك الرياضة في قوتها باستلزام امرين
احدهما كون نفسه تهش معها الى القرص وترضى به اذا
قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مادوما وتلك رياضة القوة الشهوية
ولما كانت اكبر عدو للنفس واكثر الفساد يلحق بسببها خصها بالذكر
وقوة العزم ويحتمل ان يريد رياضة جميع القوى وانما وصفها بكون

النفس تهش معها الى القرص لان ضبط الشهوة اعظم من ضبط سائر
القوى واصعب وكانت الاشارة الى ضبطها الى الحد المذكور ابلغ
في وصف الرياضة بالشدة واستثنى في يمينه بمشية الله ادبا لقوله
تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وتنبيها على
استناد جميع الامور وسلسلة الحاجة الى الله تعالى الثاني
كونه يدع مقلته في تلك الرياضة كعين ماء نضب ماؤها ووجه
الشبه ان تفنى دموعها وتستفرغها بالبكاء شوقا الى الملأ الاعلى
وما اعد لاولياء الله من السعادة الابدية وخوفا من حرمانها ومن
كان في مقام الغربة ومحل الوحشة كيف لا يشتاق الى وطنه
الاصلي ومقام انسه الاول وقوله مطعوما ومادوما ومستفرغة احوال
ثم اخذ في تمثيل نفسه بالسائمة والربيضة على تقدير ان يرضى بمثل حالهما
وغايتهما من الدنيا في معرض الانكار لذلك الرضا من نفسه والاصل
في التمثيل البهيمة والفرع هو عليه السلام والمشترك الجامع هو الرعي
والشبع والحكم هو البروك والنوم والراحة ولما كان الاصل
المقيس عليه في غاية من الخسة بالقياس الى الانسان الكامل استلزم
ذلك التشبيه قوة النفرة عما يستلزم التشبه من الصفات
وقوله قرت اذن عينه اخبار في معرض الانكار
والاستهزاء باللذة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم
التاسع عشر نبه على ان النفس اذا كانت بالصفات المذكورة
فلها استحقاق طوبى وجمع في تلك الصفات اكثر مكارم الاخلاق فالاول
القيام بواجب طاعة الله وما افترضه عليها الثاني قوله وعركت

جنبها يوثبها كناية عن الصبر على نزول المصائب يقال عرك فلان
جنبه الأذى اذا اغضى عمن يؤذيه وصبر على فعله به ويلزم من
ذلك عدة فضائل كالحلم والكرم والعفو والصفح والتجاوز
وكظم الغيظ واحتمال المكروه بالعفة ونحوها الثالث
ان تهجر بالليل غمضها وهو كناية عن احياء ليلها بعبادة ربها واشتغالها
بذكره حتى اذا غلب النوم عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها
اي لم يكن لها كلفة في تهيئة فراش وطيب وشاد بل كانت بريئة
عن كل كلفة عرية عن كل زينة منزهة عن كل ترفه **وقوله**
في معشر يصلح للتعلق من افعال النفس المذكورة اي فعلت هذه الافعال
في جملة معشر من شانهم كذا وعرفهم بصفات اربع احدها
كونهم اسهر عيونهم خوف معادهم الثاني تجافت جنوبهم
عن مضاجعهم وهو كناية عن اشتغالهم ليلا بعبادة ربهم كقوله
تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الثالث وهمهمت بذكر
ربهم شفاههم كقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ۝
الرابع وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم وهو
لازم عن الثلاثة الاولى وثمرة لها واستعار لفظ التقشع لانجلاء
ذنوبهم ووجه المشابهة ان الذنوب والهيئات البدنية في تسويدها
لالواح النفوس وتغطيتها وحجبها لها عن قبول انوار الله تشبه
السحاب المتراكم الحاجب لوجه الارض عن قبول نور الشمس
الاستعداد بها للنبات وغيره فاستعار لزوالها وانمحائها من الواح النفوس
لفظ التقشع كل ذلك للترغيب في طاعة الله والجذب الى الدخول

في زمرة اوليائه وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام
الى بعض عماله

اما بعد فانك ممن استظهر به على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد
به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما اهمك واخلط الشدة بضغث
من اللين وارفق ما كان الرفق ارفق واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك الا الشدة
واخفض للرعية جناحك وألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة
والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء
من عدلك **اقول** النخوة الكبر والاثيم الآثم
والضغث النصيب من الشيء يخلط بغيره واصله القبضة من الحشيش
المختلط من رطبه ويابسه واعتزم بكذا اي لزمه واخذ به وقد
استماله اولا بامور ثلاثة اعلمه بها من نفسه واعزه لقبول اوامره وهي
كونه ممن يستظهر به على اقامة الدين ويقمع به نخوة الاثيم ويسد به
الثغر المخوف واستعار لفظ اللهاة لما عساه ينفتح من مفاسد الثغر
فيحتاج الى سده بالعسكر والسلاح ملاحظة لتشبيهه بالاسد
الفاتح فاه للحم فترايس ثم اردف ذلك بما امره به من مكارم الاخلاق
اولها ان يستعين بالله على ما اهمه من الامور فان الفزع اليه والاستعانة
به افضل ما اعان على حصول المهمات الثاني ان يمزج الشدة
بضرب من اللين ويضع كلا موضعه فيرفق حيث ما كان الرفق اولى
به واوفق له ويأخذ بالشدة حين لا تغني الا الشدة الثالث
ان يخفض جناحه لرعيته وهو كناية عن التواضع الرابع

ان يبسط لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والبشر وترك
العبوس والتقطيب الخامس ان يلين لهم جانبه وهو كناية
عن المساهلة معهم وعدم التشدد عليهم السادس ان يواسي
بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة واللحظة اخص من النظرة وهو امر
بفضيلة العدل بين الرعية لئلا يطمع عظماؤهم في حيفه على الضعيف
فيتسلط عليه ولا ييأس الضعيف من عدله على القوي فيضعف نفسه
ويكل عما هو بصدده من الاعمال المصلحية وبالله التوفيق

ومن وصية له عليه السلم

للحسن والحسين عليهما السلم لما ضربه
ابن ملجم لعنه الله

اوصيكما بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تاسفا على شيء منها زوي
عنكما وقولا بالحق واعملا للاخر وكونا للظالم خصما وللمظلوم
عونا اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله
ونظم امركم وصلاح ذات بينكم فاني سمعت جدكما رسول
الله صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات البين افضل من عامة
الصلاة والصيام الله الله في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا
بحضرتكم والله الله في جيرانكم فانهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم
حتى ظننا انه سيورثهم والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به
غيركم والله الله في الصلوة فانها عمود دينكم والله الله في بيت
ربكم لا تخلوه ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد
باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل

واياكم والتدابر والتقاطع لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ثم قال عليه السلم
يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل
امير المؤمنين قتل امير المؤمنين الا لا تقتلن بي الا قاتلي انظروا اذا انا مت
من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل بالرجل فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور

اقول تغبوا كرر اردته واغباب افواههم ان
يطعموهم يوما ويتركوهم يوما والمناظرة المحافظة والمراقبة والتدابر
التقاطع والمعاداة والمثلة التنكيل وقد اوصاهما بامور اولها
تقوى الله التي هي راس كل خير الثاني الزهد في الدنيا وان لا
يريداها وان ارادتهما اي اقبلت عليهما بما يعد فيها خيرا واستعار
وصف البغية لها باعتبار سهولتها عليهما عن اسباب تحريها لهما
فهي بذلك الاعتبار كالطالبة لهما الثالث ان لا ياسفا على ما
قبض وغيب عنهما من خيراتها وهو من لوازم الزهد الحقيقي فيها
الرابع ان يقولا الحق وهو ما ينبغي قوله من اوامر الله ونواهيه
وان يكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا وذلك من لوازم قول
الحق والعمل به اذ من كان على حاق العدل فلا بد ان يجانب الظالم
المنحرف الى طرق الجور ويخاصمه ليرده الى فضيلة العدل ويكون
حينئذ عونا للمظلوم ثم عاود موكدا لوصيتهما مع جميع ولده
واهله ومن بلغه كتابه من عباد الله بتقوى الله مكررا لها ومردفا
باوامر اخرى احدها صلاح ذات البين وذات كناية عن

الجاله الموجبه للبين والافتراق وقيل هي الحاله بين الرجلين او القبيلين او الرجل واهله امر باصلاح ما بينهما من فساد وقيل يحتمل ان يريد بالبين هنا الوصل وبالذات النفس اي اصلحوا نفس وصلكم من فساد يقع فيه وقيل ان ذات هنا مقحمه زائده ونحوه قوله تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وصلاح ذات البين من لوازم الالفه والمحبه في الله وهي فضيله تحت العفه ورغب في ذلك بما رواه سماعا عن رسول الله عليه السلام من قوله صلاح ذات البين افضل من عامه الصلوه والصيام ووجه الافضليه هنا انك علمت فيما سلف ان اهم المطالب للشارع صلى الله عليه جمع الخلق على سلوك سبيل الله وانتظامهم في سلك دينه ولن يتم ذلك مع تنازعهم وتنافر طباعهم وثوران الفتنه بينهم وكان صلاح ذات بينهم مما لا يتم اهم مطالب الشارع الا به وهذا المعنى غير موجود في الصلوه والصيام لامكان المطلوب المذكور بدونهما فتحقق افضليته من هذه الجهه والخبر في قوه صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فواجب ان يفعل السادس الحذر من الله تعالى في الايتام ونهى عن اجاعتهم وكنى عنها باغباب افواههم اذ هو مظنه جوعهم ثم عن اضاعتهم واستلزم ذلك النهي امرهم برهم والاحسان اليهم وهو فضيله تحت العفه السابع الوصيه في الجيران والحذر من الله فيهم ونبه على حفظ قلوبهم واكرامهم بوصيه الرسول صلى الله عليه في حقهم وجعلهم نفس الوصيه تاكيدا للمحافظه عليهم كالمحافظه على وصيه الرسول صلى الله عليه والمجاز من باب اطلاق اسم المتعلق على المتعلق

وقوله ما زال الى قوله سيورثهم تفسير للوصيه المذكوره وهي ايضا في قوه صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من اوصى النبي صلى الله عليه في حقه كذلك فواجب ان يحفظ الرابع الوصيه بما اشتمل عليه القران الكريم من القوانين والقواعد والتحذير من الله سبحانه وتعالى في تركه والنهي عن ان يسبقهم بذلك غيرهم المستلزم للامر بالمسارعه والسبق اليه الخامس الوصيه بامر الصلوه والتحذير من الله في امرها ونبه على فضلها بضمير صغراه قوله فانها عمود الدين وهو عين ما رويناه من الحديث قبل وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فواجب ملازمته وهو ما يستلزمه تركه من عدم مناظره الله لتاركيه وترك محافظته عليهم ومراقبته لان من لا يحفظ الله في بيته ويراقبه في مراعاه جانبه لم يحفظه الله ولم يراقبه ويحتمل ان يريد لم يناظركم الاعدا ولم يراقبوكم اذ في الاجتماع على بيت الله والمحافظه عليه عز بالله واعتصام به يوجب مراقبه الخلق للمعتصمين به وانفعال القلوب عنهم وعن كثرتهم وما طرتهم السادس الوصيه بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس واللسان والتحذير من الله في تركه وهو فيما علمت فضيله السابع الوصيه بالتواصل والتباذل اي بذل كل منهما النصره لصاحبه في سبيل الله الثامن التحذير من التقاطع والتدابر وسره ظاهر التاسع النهي عن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المستلزم للامر بهما وتفرع عن ذلك الترك ما يستلزمه ويعد له من تولي الاشرار عليهم وعدم استجابه دعاء الداعين منهم ووجه اعداده لذلك ترك الاجتماع على الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلة المعروف من طباع الأشرار
وبعدٌ لاستيلائها وغلبتها وولاية اهلها وذلك يستلزم كثرة الشر
والأشرار وقلة الصالحين وضعف هممهم عن استنزال رحمة الله
تعالى بادعيتهم فيدعون ولا يستجاب لهم ثم عقب ذلك بوصية اهل
بيته من بني عبد المطلب بما يخصه من امر دمه والوصية بأمور
احدها نهاهم عن اثارة الفتنة بسبب قتله فقال لا اجدنكم
تخوضون دماء المسلمين خوضا وكنى به عن كثرة القتل وقوله
تقولون قتل امير المؤمنين حكاية ما جرت به العادة ان يقوله طالب
الثار حين هاجه اظهار العذر والسبب الحامل له على اثارة الفتنة
الثاني نهاهم ان يقتلوا الا قاتله اذ ذلك هو مقتضى عدله عليه السلم
الثالث نبههم بقوله انظروا الى قوله هذه على انه لا يجوز قتله
بمجرد ضربه حصل الموت بسبب غيرها الا ان يعلم ان موته كان بسببها
الرابع ان يضربوه ضربة وذلك مقتضى عدله عليه السلم ايضا
الخامس نهى عن المثلة به معللا بما رواه سماعا من رسول
الله صلى الله عليه وذلك لما في المثلة من تعدي الواجب وقسوة القلب
وشفاء الغيظ وكل ذلك رذائل يجب الانتهاء عنها وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل ما نهى رسول الله صلى الله عليه عنه فواجب
ان لا يفعل وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلم
الى معاوية

وان البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه
وقد علمت انك غير مدرك ما قضي فواته وقد رام اقوام امرا بغير الحق
فتاولوا على الله فاكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله
ويندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا الى
حكم القران ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكنا اجبنا
القران الى حكمه **اقول** هذا الفصل من كتاب
له اليه بعد التحكيم وتمسك معاوية بما حكم به الحكمان ويحتمل
ان يكون عند اجابته الى التحكيم والوتغ بالتحريك الهلاك واوتغ
فلان دينه بالاثم اهلكه وافسده وفي نسخة الرضي رحمه الله
يزيغان اي يظهران والغبطة السرور والغبطة تمني مثل حال الغير
وصدر الفصل بذكر الظلم والكذب والتنفير عنهما بما يلزمهما
من اهلاك دين المرء ودنياه وبيان خلله وعيبه اما دينه فلكونهما
رذيلتين مضادتين للعدل والعفة ومجانبتين للايمان والدين واما
في دنياه فلان اعظم مطالب الدنيا للعقلاء الذكر الجميل وانما
يحصل بظهور مكارم الاخلاق دون رذائلها واراد بما قضي
فواته ما جعله معاوية شبهة له في محاربته وهو الطلب بدم عثمان
وهو في قوة صغرى ضمير احتج به على وجوب ترك المشاقة وتقدير
كبراه وكل من كان كذلك تعين عليه ان يترك ذلك الطلب ثم
اعلمه بحال من طلب امرا باطلا وتاول على الله في ذلك والاشارة
الى اصحاب الجمل حيث كانوا طالبين الامرة والملك فتاولوا على الله اي
على سلطان الله وهو الخلافة الحقة فجعلوا خروجهم وبغيهم عليها
تاويلا وهو الطلب بدم عثمان ونحوه من الشبه الباطلة فاكذبهم الله

نصره عليهم ورد مقتضى شبههم والا كذاب كما يكون بالقول كذلك
يكون بالفعل وقـــال القطب الراوندي رحمه الله معناه
وقد طلب قوم امر هذه الأمه بغير حق فتأولوا القرآن كقوله تعالى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فسموا من نصبوه
من الامراء اولى الامر متحكمين على الله فاكذبهم الله بكونهم ظالمين
بغاة ولا يكون الوالي من قبل الله كذلك ثم حذره يوم القيامه منبها
له على ما فيه من سرور الذين جدوا وعاقبة اعمالهم بما حصلوا عليه
من السعاده الباقيه واغتباط غيرهم لهم وبمنى مثل مراتبهم ونذره
من امكن الشيطان قيادة فصرفه كيف شاء ولم يجاذبه واستعار
لفظ الممكن من القياد لمطاوعة النفس الامارة وعرض التحذير
ان لا يكون كمن يسمو من طالبي هذا الامر بالمنا ويتألى على الله وقوله
دعوتنا الى آخره صورة سؤاله والجواب عنه وكونه ليس من اهله
اذ لم يكن صالحا للامامه كما سبق بيانه مرارا وحيث لم يكن اهلا
لان يجاب الى الرضى بالتحكيم اعلمه بذلك وانه انما اجاب القرآن الى
حكمه وذلك في قوله تعالى في حق الزوجين وان خفتم شقاق بينهما
الآيه فجعل عليه السلام هذا اصلا وقياسا عليه بطريق الاولى حال
الامه عند وقوع الشقاق بينهم وبعين ذلك احتج ابن عباس
رضي الله عنه على الخوارج حيث انكروا التحكيم فقالوا كيف يجوز
لعلي ان يحكم في دين الله الرجال فقال لهم ان ذلك ليس بامر
علي وانما هو بامر من الله تعالى في كتابه اذ يقول في حق الزوجين
وان خفتم الآيه افترون انه تعالى امر بذلك في حق الرجل والمراه لمراعاة
مصلحتهما ولا يامر بذلك في حق الامه رعيا لمصلحتهم فرجع كثير منهم
الى قوله وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

اما بعد فان الدنيا مشغله عن غيرها ولم يصب صاحبها منها
شيئا الا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما
نال منها عما لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما
ابرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلام **اقول**
اللهج الحرص الشديد وصدر الكتاب بالتنبيه على معايب الدنيا المقلل
الرغبه فيها وذكر منها امورا الاول كونها مشغله عن
غيرها اى عن الآخره وهو ظاهر الثاني كونها لم يصب
صاحبها منها شيئا الا كان ذلك معدا للحرص عليها واللهج بها واليه
الاشاره بقوله صلى الله عليه لو كان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى
لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب الثالث كونها لا
يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها وذلك من لوازم
العيب الثاني فان حصول بعضها اذا كان معدا للافتقار اليها لم
يستغن طالبها ابدا منها ثم اردف ذلك بذكر امور للتنفير عنها ايضا
احـــدها استعقابها لفراق ما جمع منها الثاني نقض
ما احكم من امورها ثم نبه على وجوب الاعتبار بما مضى من العمر او
من احوال الدنيا والقرون الماضيه لغايه حفظ ما بقي من العمر ان
يضيع في الباطل او حفظ ما بقي من السعاده الاخرويه بالسعي في
تحصيلها وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

الى امرائه على الجيوش

من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب المسالح اما بعد فان حقا على
الوالي ان لا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان
يزيده ما قسم الله له من نعمته دنوا من عباده وعطفا على اخوانه
الا وان لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا
اطوي دونكم امرا الا في حكم ولا اؤخر لكم حقا عن محله ولا
اقف به دون مقطعه وان تكونوا عندي في الحق سواء فاذا فعلت
ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وان لا تنكصوا
عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وان تخوضوا الغمرات الى الحق فان
انتم لم تستقيموا على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم
اعظم له العقوبة ولا يجد فيها عندي رخصة فخذوا هذا من امرائكم
واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به امركم والسلام **اقول**
احتجز امنع والنكوص الرجوع على الاعقاب والغمرة الشدة واعلم
انه قدم هاهنا ما يجب على الوالي المطلق لرعيته بوجه كلي كما
هو عادة الخطيب ثم ثنى ببيان ما يجب عليه لهم بتفصيل ذلك الكلي
ثم ما يجب عليهم له ثم امرهم بلزوم ما اوجبه عليهم اما الاول
فقوله اما بعد الى قوله اخوانه واشار فيه الى امرين احدهما ان لا يغيره
عنهم ما اختص به من الفضل والطول لان تغيره عنهم خروج عن
شرائط الولاية الثاني ان يزيده تلك النعمة من الله دنوا
من عباده وعطفا على اخوانه لان ذلك من تمام شكر النعمة واما

الثاني فاشترط على نفسه لهم خمسة امور احدها
ان لا يحتجز دونهم سرا في الامور المصلحية الا في الحرب ويحتمل
ترك مشورتهم هناك امرين احدهما ان اكثرهم ربما لا
يختار فلو توقف على المشورة فيه لما استقام امره بها ولذلك كان عليه
السلام كثيرا ما يحملهم على الجهاد ويتضجر من تثاقلهم عنه وهم له
كارهون كما سبق الثاني ان يكتم ذلك خوف اشارة به الى
العدو فيكون سبب استعداده وتاهبه للحرب ولذلك كان رسول
الله صلى الله عليه اذا اراد سفرا للحرب ورى بغيره كما روي انه لما
نوى غزاة بدر كتب للسرية كتابا وامرهم ان يخرجوا من المدينة الى صوب
مكة يومين او ليلة ثم ينظروا في الكتاب ويعملوا بما فيه فلما ساروا المدة
نظروا فيه فاذا هو يامرهم فيه بالخروج الى نخلة محمود وان يفعلوا كذا
وكذا ففعلوا وخرج النبي عليه الصلوة والسلام خلفهم الى بدر وكان
الظفر لهم ولو اعلمهم عليه السلام حين امرهم بالخروج انه يسير الى قريش
لانتشر ذلك الى قريش وكان استعدادهم اقوى وجاز ان يكون
ذلك ايضا مانعا لبعض الصحابة عن النهوض خوفا من اهل مكة وشوكتهم
الثاني انه لا يطوي دونهم امرا الا في حكم استعار لفظ الطي
لكتمان الامر اي لا اخفي عنكم امرا الا ان يكون حكما من احكام الله
فاني امضيه دونكم من غير مراقبة ومشاورة فيه كالحدود وغيرها
الثالث ان لا يؤخر لهم حقا عن محله كالعطاء وساير الحقوق
اللازمة له ولا يقف به دون مقطعه كالاحكام المتعلقة بالمتخاصمين
المحتاجة الى الفصل الرابع ان يسوي بينهم في الحق والاولان

مقتضى فصله الحكمه فبدا بوجوب حق لله تعالى اولاً اذ كان حكم
قضا به نصبه لهم اماماً وبعله بهم ما ذكر من اتمه نعمه تعالى عليهم
ثم ثنى بما يجب له وذكر اموراً احدها بذل طاعته اذ لا
حجه لهم عليه تكون سبباً للعصيان ثم الثاني ان لا ينكصوا
عن دعوه له اذا دعاهم وهو من تمام الطاعه الثالث ان لا
يقفوا في حيز المفرط في مصلحه يراها او يدبر لهم الرابع
ان يخوضوا الغمرات ويركبوا الشدايد في نصره الحق وطلبه ثم اردف
ذلك بالوعيد لهم ان لم يستقيموا له على ما وجب له عليهم مما عدده
وتوعد بامرين احدهما هوان المعوج منهم عن طاعته عليه
وسقوط منزلته والثاني اعظام العقوبه له وعدم الرخصه
فيها عنده ولما بين لهم ما وجب عليهم امرهم ان ياخذوا ذلك البيان
والنصح منه ومن سائر امراء العدل ويعطوهم من انفسهم ما يصلح
الله به امورهم من الطاعه وفعل ما امروا به وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

الى عماله على الخراج

من عبد الله علي امير المومنين الى اصحاب الخراج اما بعد فان من لم يحذر
ما هو صاير اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها واعلموا ان ما كلفتم
يسير وان ثوابه كثير ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان
عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه
فانصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوايجهم فانكم خزان الرعيه
ووكلاء الامه وسفراء الايمه ولا تحشموا احداً عن حاجته ولا تحبسوه

عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج كسوه شتاء ولا صيف ولا دابه
يعتملون عليها ولا عبداً ولا تضربن احداً سوطاً لمكان درهم ولا تمسن
مال احد من الناس مصل ولا معاهد الا ان تجدوا فرساً او سلاحاً
يعدى به على اهل الاسلام فانه لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك في ايدي
اعداء الاسلام فيكون شوكه عليهم ولا تدخروا انفسكم نصيحه
ولا الجند حسن سيره ولا الرعيه معونه ولا دين الله قوه وابلوا في سبيله
ما استوجب عليكم فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم
ان نشكره بجهدنا وان ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوه الا بالله

اقول السفر الرسول واحشمته وحشمته بمعنى
اي اغضبته واخجلته والشوكه القوه وابليته معروفاً اي اعطيته
وصدر الكتاب بمقدمه كليه وهو ان من لم يحذر ما يصير اليه من
العواقب المخوفه لم يقدم لنفسه استعداد ما يحرزها منها فان الانسان
انما يستعد للامر المرغوب او المرهوب اذا رغب فيه او خافه وهي
في معرض التوبيخ على ترك الحذر لعرض تقدم طاعه الله تعالى
وما يستعد به الانسان مما يحرز نفسه من عذاب الله ثم اعلمهم
بكون المكلف لهم يسيراً سهلاً لهم وكون ثوابه كثيراً ترغيباً فيه وهو
في قوه صغرى ضمير رغبهم به في القيام بالامور المكلف بها وتقدير
كبراه وكلما كان كذلك وجب القيام به والاجتهاد فيه ثم اردفه
بالتنبيه على وجوب ترك البغي والظلم بما يلزم فعله من العقاب
الابدي وتركه من الثواب العظيم الذي لا عذر في ترك طلبه ولو لم
يكن في فعله عقاب والمعنى انه لو لم يكن فيه عقاب يخاف فترك

لأجله لكان في تركه ثواب يجب لأجله فكيف وفي فعله العقاب الأليم فالأولى ان يجب تركه وهو من افصح الكلام والغرض الزجر من الوقوع في رذيلة الظلم ثم اردف ذلك باوامر ونواهي

من الأوامر امران احدهما انصاف الرعية من انفسهم وتوفيها الثاني ان يصبر والحوائجهم لتعظيم امر مصلحتهم وعلّل ذلك بكونهم خزّان الرعية ووكلاؤهم على بيت مالهم وسفراء ائمتهم اليهم وهو في قوّة ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فعليه النصفة في حقهم والصبر على حوائجهم

ومن النواهي ستة احدها ان لا تغضبوا احدًا ولا تحجبوه فيستحيي عن حاجته الثاني ان لا يمنعوا احدًا عن حاجته ويحجبوا دونه الثالث ان لا يحوجوا احدًا في طلب الخراج الى بيع ما يضطرّ اليه من كسوة او دابّة يعمل بها في عمل ولا عبدًا الرابع ان لا يضربوا احدًا سوطًا لمكان درهم فانه ليس من السنّة استخراج ما يستحق من الاموال شرعًا بالضرب الخامس ان لا يأخذوا من مال احد من اهل القبلة او المعاهد من اهل الكتاب شيئًا الا ان يكون فرسًا او سلاحًا يعدى به على المسلمين والاسلام فانه يجب اخذه من ايدي اعدائهم لئلا يكون شوكة عليهم وعونًا السادس ان لا يدخروا انفسهم اي عن انفسهم نصيحة بل ينصح بعضهم لبعض ولا عن الجند حسن سيرة ولا عن الرعية معونة ولا عن دين الله قوّة ثم امرهم ان يبلوا في سبيله ويعطوا ما استوجب عليهم من شكر نعمه وطاعته

ثم علّل وجوب ذلك بقوله فان الله الى آخره وهو في قوّة صغرى ضمير والمعنى انه تعالى جعل شكره بجهدنا ونصره بما بلغت قوّتنا صنيعة عندنا اذ كان شكره ونصرته من اعظم نعمه علينا كما سبق وقيل اراد لان يشكره وتقدير الكبرى وكل من اصطنع عندنا وجب علينا شكره وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلم

كتبه الى امراء البلاد في معنى الصلوة

امّا بعد فصلّوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مربض العنز وصلّوا بهم العصر والشمس بيضاء حيّة في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان وصلّوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاجّ وصلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلّوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلّوا بهم صلاة اضعفهم ولا تكونوا فتّانين

اقول بيّن في هذا الكتاب اوقات الصلوات المفروضة فالأول وقت الظهر وحدّه بوقت فيء الشمس اي وقت رجوعها وميلها الى المغرب ثم نبّه على تقديره بمربض العنز وهو اول وقت الظهر وذلك مما يختلف باختلاف البلاد الثاني وقت العصر وقدّره ببقاء الشمس بيضاء لم تصفرّ للمغيب وحيّة واستعار لفظ الحيوة لظهورها على الارض لمكان المشابهة في عضو من النهار واراد القسم والقطعة منه ثم قدّر ذلك العضو بمقدار ان يسار فيه فرسخان المسير المعتاد الثالث وقت المغرب وعرّفه بامرين احدهما حين يفطر الصائم وذلك عند

سقوط القرص والثاني حين يرفع الحاج ويفيض من عرفات
ولشهرة هاتين العلامتين وتعارفهما مع المخاطبين عرّفه بهما
الرابع وقت العشاء الآخرة وعرّفه بتواري الشفق وذلك
ناحية المغرب وحدّ آخره ثلث الليل وانما حدّ آخر هذا الوقت
دون اوقات ساير الفرايض لانّ الفرايض بين آخر كل وقت منها وبين
اول وقت الاخرى ولا كذلك آخر وقت العشاء الآخرة لاتصاله
بالليل الخالي عن الفرايض وامّا آخر وقت الصبح فحدّه بطلوع الشمس
انضاطا هر الخامس وقت صلوة الغداة وحدّه بحين يعرف
الرجل وجه صاحبه وذلك حين طلوع الفجر الثاني وهو الحمرة
المعترضة من ناحية المشرق والعلامة التي ذكرها اوضح لساير
الناس ثم اوصاهم بفعل وترك اما الفعل فان يصلّوا بالناس
صلاة اضعفهم وهو ان لا يطيلوا القراءة في الفرايض كقراءة البقرة
والسور الطوال فانّ ذلك لا يستطيع القيام به كل الناس فيؤدّي
ذلك الى المشقّة وعجز بعضهم عن اداء الفريضة في الجماعة وهو
ضرر ومفسدة في الدين واما الترك فان لا يكونوا فاتنين باطالة
الصلوة ووجه الفتنة هنا انهم يكونون صارفين للناس عن الاتفاق
والتساعد على صلوة الجماعة باطالتها المستلزمة لتخلف العاجزين
والضعفاء والله اعلم

ومن عهد له عليه السلام

كتبه للأشتر النخعي رحمه الله على
مصر واعمالها حين اضطرب امر اميرها محمد بن ابي بكر
رحمه الله وهو اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن
هو مالك بن الحرث الاشتر النخعي من اليمن وكان من اكابر اصحابه
ونصحايه عليه السلم وذوي النجدة والشجاعة الذين عليهم عمدته في
الحروب وروى ان الطرمّاح لما دخل على معاوية قال له قل لابن ابي
طالب جمعت من العساكر بعدد حبّ جاورس الكوفة وها انا قاصده فقال
له الطرمّاح انّ لعلي عليه السلم ديكا اشتر يلتقط جميع ذلك فانكسر
معاوية من قوله وفي العهد فصول

الفصل الاول

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به عبد الله علي امير المومنين مالك بن
الحرث الاشتر في عهده اليه حين ولّاه مصر جبوة خراجها وجهاد
عدوّها واستصلاح ارضها واهلها وعمارة بلادها امره بتقوى الله
وايثار طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا
يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر
الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره
واعزاز من اعزّه وامره ان يكسر من نفسه عند الشهوات ويزعها
عند الجمحات فانّ النفس امّارة بالسوء الا ما رحم الله

اقول يزعها يكفّها وصدّر عليه السلم هذا العهد
بذكر امور هي غرض الولاية وبها يكون نظام الامر فمنها
ما يعود الى منفعة الوالي وهو جبوة الخراج ومنها ما يعود
الى الرعيّة وهي جهاد عدوّهم واستصلاحهم بالسياسة وحسن
الرعي ومنها ما يعود اليهما وهو عمارة البلاد ولواحقها ثم
امره باوامر خمسة تعود الى اصلاح نفسه اولا احدها

تقوى الله وخشيته وقد سبق بان كونها اصل لكل فضيلة
الثاني اتباع اوامره في كتابه من فرائضه وسننه ورغب
في ذلك بقوله لا يسعد الى قوله اضاعتها وقد تكرر بيان ذلك
الثالث ان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد العدو
وانكار المنكرات ورغب في ذلك بقوله وقد تكفل الى قوله اعزه
كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم الرابع
ان يكسر من نفسه عند الشهوات وهو امر بفضيلة العفة
الخامس ان يكفها ويقدعها عند الجمحات وهو امر بفضيلة
الصبر عن اتباع الهوى وهو فضيلة تحت العفة وحذر من النفس
بقوله فان النفس الى اخره وهو من قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء
الآية وما بمعنى من وهي نصب على الاستثناء اي الا نفسا رحمها ربي

الفصل الثاني في اوامره ووصاياه بالاعمال الصالحة المتعلقة
باحوال الولاة وتدبير الملك والمدينة وذلك قوله ثم اعلم يا مالك اني قد
وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان
الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك
ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين
بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة
العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان
الشح بالنفس الانصاف منها فيما احببت وكرهت واشعر قلبك
الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا
ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين واما نظير

لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد
والخطا فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله
من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق
من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك
لحرب الله فانه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا
تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت عنها
مندوحة ولا تقولن اني مؤمر آمر فاطاع فان ذلك ادغال في القلب
ومنهكة في الدين وتقرب من الغير واذا احدث لك ما انت فيه من
سلطانك ابهة ومخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك
على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك مما غرب عنك
من عقلك واياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته
فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال انصف الله وانصف الناس
من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك
الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده
ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب
وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان
الله سميع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن احب الامور
اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضا الرعية
فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر
مع رضا العامة وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء
واقل له معونة في البلاء واكره للانصاف واسأل بالالحاف

واقل شكرا عند الاعطاء وابطا عذرا عند المنع واضعف صبرا عند
ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة
للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن
ابعد رعيتك منك واشناهم عندك اطلبهم لمعايب الناس فان
في الناس عيوبا الوالي احق من سترها ولا تكشفن عما غاب عنك منها
وانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر
العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك ۝ اطلق
عن الناس عقد كل حقد واقطع عنهم سبب كل وتر وتغاب
عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه
بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك
الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره
بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله
شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الاثام
فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الاثمة واخوان الظلمة ۝ خير
الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم
ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه اولئك اخف عليك
مؤونة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل لغيرك الفا
فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك
اقولهم بمر الحق واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه
واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق باهل الورع والصدق ثم
رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء

تحدث الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء وتدريبا لاهل
الاساءة على الاساءة والزم كلا منهم ما الزم نفسه ۝ واعلم انه ليس
شيء بادعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه
المؤونات عليهم وترك استكراهه على ما ليس له قبلهم فليكن منك
في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع
عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده
وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ۝ ولا تنقض سنة
صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها
الرعية ۝ ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الاجر
لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء
ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما
استقام به الناس قبلك ۝ **لغوه** الضاري المعتاد
للصيد المجري عليه والصفح الاعراض عن الذنب والبجح سكون الجسم
للفرح والسرور والبادرة الحدة والمندوحة السعة والادغال
ادخال الفساد في الاصل والنهك الضعف والابهة المخيلة
والكبر ويطامن يسكن وطماح النفس جماحها وطمح البصر ارتفع
وغرب الفرس حدته واول جريه والمساماة مفاعلة من السمو والجبروت
الكبر العظيم وادحض حجته ابطلها ونزع رجع واجحف به ذهب
والاجحاف شدة السؤال وملمات الدهر ما يلم من خطوبه وجماع
المسلمين جمعهم والصغو الميل واشناهم ابغضهم والوتر الحقد
والتغابي التجاهل والتغافل وبطانة الرجل خاصته والاصار الاثام

عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان

وحفلانك اى جلسائك فى المحافل والمجامع ه والاطرا المدح السابغ
والزهو الكبر والتدريب التعويد والمنافثه المجادثه ه واعلم
ان مدار هذا الفصل لما كان على امره وهو الذكر الجميل فى العقبى
والكون من الصلحين لعمل له وذلك بقوله انى قد وجهتك الى قوله
تقول فيهم وهو فى قوه صغرى ضمير تقديرها انك موجه الى بلد جالها
كذا وحال الناس فى فعلك بها كذا ونقدير الكبرى وكل من
وجه الى بلد كذلك وكان الناس ينظرون من امره مثل ما كان ينظر
فيه من امر الولاه ويقولون فيه مثل ما كان يقول فيهم فيجب عليه ان يكون
احب الامور اليه العمل الصالح ليحصل منه على الذكر الجميل من الناس
الدال على كون المذكور عند الله من الصالحين ونبه على تلك الدلاله
بقوله وانما يستدل على الصالحين بما اجرى الله لهم على السن عباده
وفى نسبه اجراء القول الى الله ترغيب عظيم فى تحصيل الذكر الجميل
ثم عقب ذلك بامره ان يجعل العمل الصالح احب الذخائر اليه واستعار
لفظ الذخيره باعتبار ان تحصيله فى الدنيا لغايه الانتفاع به فى العقبى
كالذخيره ولما امره بالعمل الصالح اجمالا شرع فى تفصيله وذكر انواعا
احـــــدها ان يملك هواه فى شهوته وغضبه فلا يتبعهما ويشح
بنفسه عما لا يحل لها من المحرمات وقوله فان الشح الى قوله كرهت تفسير
لذلك الشح بما يلازمه وهو الانصاف والوقوف على حد العدل فى
المحبوب ولا تقوده شهوته الى حد الافراط من فضيله العدل فيقع فى رذيله
الظلم والتهور وظاهر ان ذلك شح بالنفس وبخل بها عن القائها فى
مهاوى الهلاك الـــــثانى ان يشعر قلبه الرحمة للرعيه والمحبه

لهم واللطف بهم وهى فضائل تحت ملكه العفه اى اجعل هذه
الفضائل شعارا لقلبك ولفظا الشعار والسبع مستعاران واشار
الى وجه استعاره السبع بقوله تغتنم اكلهم الثالـــــث
ان تعفوا وتصفح عنهم وهو فضيله تحت الشجاعه وقوله فانهم
الى قوله فى الخلق بيان لسببين من اسباب الرحمه لهم واللطف بهم
وقوله تفرط منهم الزلل الى قوله الخطا تفسير للمثليه وهى السبب
الثانى والكلام فى قوه صغرى ضمير فى تحسين العفو والصفح واراد
بالعلل التى تعرض لهم الامور المشغله الصارفه لهم عما ينبغى من
اجراء اوامر الوالى على وجوهها وقوله وتؤتى على ايديهم كنايه
عن كونهم غير معصومين بل هم ممن يؤتون من قبل العمد والخطاء
وتاتى على ايديهم اوامر الولاة والمواخذات فيما يقع منهم من عمد او
خطاء وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغى ان يرحم ويشمل
بالمحبه واللطف به ويقابل خطاؤه بالعفو والصفح وفى امره باعطاء
العفو مثل الذى يحب ان يعطيه الله من عفوه اتم ترغيب فى العفو
واقوى جاذب اليه وكذلك قوله فانك فوقهم الى قوله واستكفاك امرهم
تخويف من الله فى معرض الامر بالعفو واللطف وهو صغرى ضمير آخر وذلك
الـــــرابع نهاه ان ينصب نفسه لحرب الله وكنى بحربه عن الغلظه
على عباده وظلمهم ومبارزته تعالى فيهم بالمعصيه وقوله فانه لا يدى لك
الى قوله ورحمته صغرى ضمير نبه به على انه لا يجوز ظلم عباد الله ومحاربته
وكنى بعدم اليدين عن عدم القدره فقال ما لى بهذا الامر يدا اذا كان
مما لا يطاق وحذف النون من يدين للاضافه المضاف وقيــــل

لكثرة الاستعمال وتقدير الكبريات وكل من كان كذلك فلا يجوز
ان ينتصب لحرب الله بظلم عباده الخامس نهاه عن الندم
على العفو وعن البجح بعقوبة الغير والتسرع الى الغضب الذي يجد
عنه مندوحة فان ذلك كله من لوازم اعطاء القوة الغضبية
قيادها وقد علمت انها شيطان يقود الى النار السادس
نهاه ان يامر بما لا ينبغي الامر به ويخالف الدين ونهى عما عساه
يعرض في النفس من وجوب طاعة المخلوق لامرته وان عليهم ان
يسمعوا وعليه ان يامر فان ذلك فساد في القلب والدين واشار الى
ذلك الفساد بقوله ادغال الى قوله الغير وهو من وجوه ثلثة
احدها انه ادغال في القلب وصرف له عن دين الله وهو معنى
افساده الثاني ان ذلك منهكة للدين واضعاف له
الثالث انه مقرب من الغير لان الظلم من اقوى الاسباب
المعدة باجتماع همم الخلق على زواله واليه الاشارة بقوله تعالى
ان الله لا يغير ما بقوم د الاية الكلام في قوة ثلث صغريات لثلاثة
ضماير وتقدير الكبريات فيها وكل ما كان كذلك فلا يجوز ارتكابه
السابع ارشده الى دواء داء الابهة والكبر الذي عساه
يعرض له في سلطانه وولايته وذلك ان ينظر الى عظمة الله تعالى
فوقه وقدرته على ما لا يملكه من نفسه ولا يستطيع جلبا لها او
دفعا عنها فان ذلك يسكن داء الكبر الذي يحدث له فيطغيه
ويكسر حدة غضبه ويرد اليه ما قهرته قوته الغضبية من عقله فعزب
عنه حلمها وهذه ايضا صغريات ملتة لثلاثة ضماير بينة فيها على وجوب

فعل ما ارشده اليه من الدواء وتقدير الكبريات فيه وكل ما كان
كذلك فيجب عليك فعله الثامن حذره عن التعاظم والتجبر
ونفر عن ذلك بكونهما مساماة لله وتشبها به وبان التكبر يستلزم ان
يذل الله صاحبه ويهينه وتقدير الاحتجاج فانك ان تجبرت اذلك
الله واهانك وهو في قوة صغرى ضمير ايضا تقدير كبراه وكل
من كان كذلك فيجب ان يحذر من الله بترك التجبر التاسع امره
بانصاف الله وانصاف الناس من نفسه واهل هواه من رعيته فانصاف
الله العمل باوامره والانتهاء عن زواجره مقابلا بذلك نعمه وانصاف
الناس العدل فيهم والخروج اليهم من حقوقهم اللازمة لنفسه
ولاهل خاصته واحتج على وجوب ذلك الانصاف بقياس مفصول
صغرى الاول قوله فانك ان لا تفعل تظلم اي تظلم عباد الله وكبراه
ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده وتقدير نتيجته
فانك ان لا تفعل ادحض الله حجتك عند مخاصمته وكنت له حربا
الى ان ينزع ويتوب من ظلمك وقوله وليس شيء
الى قوله على ظلم تنبيه على لازم اخر لعدم الانصاف والاقامة
على الظلم وهو كونه ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من كل شيء
وذلك قوله فان الله الى قوله بالمرصاد بيان للزوم اللازم المذكور وذلك
ان الله سبحانه اذا كان يسمع دعوة المظلوم ويطلع على فعل الظالم
فانه يسرع الى تغيير نعمته وتعجيل نقمته اذا استعد لذلك العاشر
امره ان يكون احب الامور اليه اقربها الى الحق الوسط من طرفي الافراط
والتفريط وهو الحق واعمها للعدل واجمعها لرضا الرعية فان العدل قد

يوقع على وجه لا يعم العامة بل يتبع فيه رضا الخاصة ونبه على لزوم
العدل العام للرعية وحفظ قلوب العامة وطلب رضاهم بوجهين
احدهما ان سخط العامة لكثرتهم لا يقاومه رضا الخاصة
لقلتهم بل يجحف به ولا ينفع برضاهم عند سخط العامة وذلك يؤدي
الى وهن الدين وضعفه ن اما سخط الخاصة فانه مغتفر ومستور
عند رضا العامة فكان رضاهم اولى الثاني انه وصف
الخاصة بصفات مذمومة يستلزم قلة الاهتمام بالنسبة الى العامة
ووصف العامة بصفات محمودة توجب العناية بهم اما صفات
الخاصة فاحدها كونهم اثقل مؤونة على الوالي في الرخاء لتكلفه
لهم ما لا يتكلفه لغيرهم الثاني كونهم اقل معونة له في
البلاء لمحبتهم الدنيا وعزة جانبهم الثالث وكونهم اكره
للانصاف لزيادة اطماعهم في الدنيا على العامة الرابع كونهم
اسأل بالالحاف لبعدهم عن الحاجة الى السؤال استجراء على الوالي
والطمع في جانبه الخامس كونهم اقل شكرا عند الاعطاء
لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامة وانهم احق بما يعطونه واعتقادهم
حاجة الوالي اليهم وخوفه منهم السادس كونهم ابطأ عذرا
للوالي ان منعهم اي انهم اقل مسامحة له ان اعتذر اليهم في امر
لاعتقادهم فضله انفسهم وكونهم واجبي قضاء الحقوق السابع
كونهم اضعف صبرا عند ملمات الدهر لتعودهم الترفه وجزعهم على
ما في ايديهم من الدنيا واما صفات العامة فاحدها
كونهم عمود الدين واستعار لهم لفظ العمود باعتبار قيام الدين بهم

كقيام البيت بعموده الثاني كونهم جماع المسلمين لكونهم الاغلب
والاكثر والسواد الاعظم الثالث كونهم العدة للاعداء لكثرتهم
ايضا ولانهم كانوا اهل الحرب في ذلك الزمان وهذه الصفات للفريقين
يستلزم وجوب حفظ قلوب العامة وتقديمه على حفظ قلوب الخاصة
ولذلك امره ان يكون صغوه وميله الى العامة الحادي عشر امره
ان يكون ابعد رعيته منه وابغضهم اليه اطلبهم لمعايب الناس ونبهه
على وجوب ذلك بقوله فان في الناس عيوبا الوالي احق
من سترها الرابع ان لا يكشف عما غاب عنه منها وذلك بقمع اهل النميمة
وابعادهم وان لزمه ما يجب عليه وهو تطهير الخلق مما ظهر له من ذنوبهم
دون ما غاب عنه واكد ذلك بالامر بستر العورة من الغير بقدر الاستطاعة
فان كل عيب عورة ن ونبه على الرغبة في ذلك بما يستلزمه من اعداده
لستر الله ما يحب ان يستره على رعيته من الذنوب والعيوب الثاني
عشر امره بنزع الحقد وحل ما عقده في قلبه منه لكونه من الرذائل
الموبقة وان يقطع اسبابه من قبول قول السعاة واهل النميمة
الثالث عشر امره ان يتغافل عن كل امر لا يتضح له ولا يقوم به
برهان ونهاه ان يعجل الى تصديق من سعى به ونبه على ذلك بضمير صغراه
قوله فان الساعي الى قوله الناصحين ووجه غشه كونه يثير الاحقاد
والضغائن بين الناس ويشيع الفاحشة والفساد في الارض وتقدير
كبراه وكل من كان غاشا وجب ان لا يلتفت اليه الرابع
عشر نهاه ان يدخل في مشورته ثلثة البخيل والجبان والحريص ونبه على
وجه المفسدة في استشارة كل واحد من الثلثة بضمير صغرى الاول قوله

يعدل به الى قوله للفقر وذلك أن البخيل لا يشير إلا بما يراه مصلحة
عنده وهو البخل وما يستلزمه من التخويف بالفقر وهو يعدل
بالمستشير عن الفضل وصغرى الثاني قوله يضعفك عن الأمور
لأن الجبان لا يشير إلا بوجوب حفظ النفس والتخويف من العدو
وهو المصلحة التي يراها وكل ذلك مضعف عن الحرب ومقاومة
العدو وصغرى الثالث قوله يزين لك الشره بالجور وذلك
أن المصلحة عنده جمع المال وحفظه وهو يستلزم الجور عن
فضيلة العدل والقصد ويقدر الكبرى في الثلاثة وكل من
كان كذلك فلا يجوز استشارته ثم يفرع على الثلاثة بضمير آخر نبه
بصغراه على مبدأ رذائلهم الثلاث وهي البخل والجبن والحرص ليعرف
فيجتنب وينفر عن أهلها فذكر أنها غرائز أي أخلاق متفرقة تحصل
للنفس عن أصل واحد تنتهي إليه وهو سوء الظن بالله عن عدم معرفته تعالى
فالجاهل به لا يعرفه من جهة ما هو جواد فائض بالخيرات لمن استعد
لطاعتها فيسيء ظنه به وبأنه لا يخلف عليه عوض ما بذله فيمنعه ذلك مع
ملاحظة الفقر عن البذل ويلزمه رذيلة البخل وكذلك الجبان
جاهل به تعالى من جهة لطفه بعباده وعنايته بوجودهم وعدم
علمه بسر قدره فيسيء ظنه بأنه لا يحفظه من التلف ويتصور الهلاك
فيمنعه ذلك عن الإقدام في الحرب ونحوها فيلزمه رذيلة الجبن وكذلك
الحريص جاهل به تعالى من الوجهين المذكورين فيسيء ظنه ويعتقد أنه
إذا لم يحرص الحرص المذموم لم يوصل إليه تعالى ما يصلح حاله مما يسعى
فيه ويحرص عليه فيبعثه ذلك على الحرص وكذا الفقر وكانت هذه

الأخلاق الثلاثة المذمومة راجعة الى ما ذكره عليه السلام الخامس
عشر لما كان من الأعمال الصالحة اختيار الوزراء والأعوان نبهه
على من لا ينبغي استصلاحه لذلك ليجتنبه ومن ينبغي ليرغب فيه فمن لا
ينبغي هو من كان للأشرار من الولاة قبله وزيرا ومشاركا لهم في
الآثام ونهاه عن اتخاذه بطانة وخاصة له ونفر عنهم بضمير صغراه
قوله فإنهم الى قوله الخلف ويقدر كبراه وكل من كان كذلك فلا
تتخذه بطانة **وقوله** ممن له مثل آرائهم بمن له
هو خير الخلف من الأشرار وهم الذين ينبغي أن يستعان بهم وبيان وجه
خيريتهم بالنسبة الى الأشرار وهو أن يكون لهم مثل آرائهم ونفاذهم في
الأمور وليس عليهم مثل آصارهم ولم يعاون ظالما على ظلمه ثم رغب
في اتخاذ هؤلاء أعوانا بضمير صغراه قوله أولئك أخف الى قوله إلفا
أما أنهم أخف مؤونة فلأن لهم وازعا من أنفسهم عما لا ينبغي لهم من الإجحاف
ولا يحتاج في إرضائهم بما ينبغي لهما وردعهم عما لا ينبغي الى مزيد
كلفة بخلاف الأشرار والطامعين فيما لا ينبغي ويجذب قربهم الى الحق
ومجانبتهم الأشرار كانوا أحسن معونة وأشد عنده قلوبا وأشد حنوا
عليه وعطفا وأقل لغيره إلفا ويقدر كبراه وكل من كان كذلك فينبغي
أن يتخذ عونا ووزيرا ولذلك قال فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك
ثم ميز من ينبغي أن يكون أقرب هؤلاء إليه وأقواهم في الاعتماد عليه
بأوصاف أخر أحدها أن يكون أقولهم بمر الحق له الثاني
أن يكون أقل مساعدة له فيما يكون منه ويقع من الأمور التي يكرهها الله لأوليائه
واستصعب قوله واقعا على الحال التي يحال ووقع ذلك القول منه في النصيحة

وقلّة المساعدة حيث وقع من هواك سواء كان في هوى عظيم او يسير او
حيث وقع هواك اى سواء كان ما تهواه عظيما او يسيرا ويحتمل ان يريد
واقعا ذلك الناصح من هواك ومحبتك حيث وقع اى يجب ان يكون له
من هواك موقعا ان يأمره في اعتبارهم واختبارهم بامر احدها
ان يلازم اهل الورع منهم والاعمال الجميلة واهل الصدق وهما فضيلتان
تحت العفة الثاني ان يروضهم ويؤدبهم بالنهي عن الاطراء
له او يوجبوا له سرورا بقول باطل ينسبونه فيه الى فعل ما لم يفعله
فيدخلونه في ذم قوله تعالى وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ه ونفّر
عن كثرة الاطراء بضمير صغراه قوله فانّ كثرة الاطراء الى قوله العزة
واستلزام الاطراء للرذيلتين المذكورتين ظاهر وتقدير الكبرى وكلّ ما
كان كذلك فيجب اجتنابه الثالث نهاه ان يكون المحسن والمسيء
عنده بمنزلة سواء ونفّر عن ذلك ببيان وجه المفسدة في ضمير صغراه قوله
فانّ ذلك الى قوله الاساءة وسرّه انّ اكثر فعل الاحسان انما يكون طلبا
للمجازاة بمثله خصوصا من الولاة وطلبا لزيادة الرتبة على الغير وزيادة
الذكر الجميل مع انواع من الكلفة في ذلك فاذا راى المحسن مساواة منزلته
لمنزلة المسيء كان ذلك صارفا له عن الاحسان وداعيا الى الراحة من
تكلّفه وكذلك اكثر التاركين للاساءة انما يتركون خوفا من الولاة
واشفاقا من نقصان الرتبة عن النظراء فاذا راى المسيء مساواة رتبته
مع رتبة المحسن كان المصير به اولى وتقدير الكبرى وكلّ ما كان
فيه تزهيد للاحسان وتدريب على الاساءة فينبغي ان يجتنب ه ثمّ اكّد
ذلك بامره ان يلزم كلّا من اهل الاحسان والاساءة بما الزم به نفسه من

الاستعداد بالاحسان والاساءة لهما فيلزم المحسن منزلة الاحسان ويلزم
المسيء منزلة الاساءة السادس عشر نبّهه على الاحسان الى رعيّته
وتخفيف المؤونات عنهم وترك استكراههم على ما ليس له قبلهم بما
يستلزمه ذلك من حسن ظنّه بهم المستلزم لقطع النصب عنه من قولهم
والاستراحة اليهم وذلك انّ الوالي اذا احسن الى رعيّته قويت رغبتهم
فيه واقبلوا بطباعهم على محبّته وطاعته وذلك يستلزم حسن ظنّه بهم
فلا يحتاج معهم الى كلفة في جميع احوالهم والاحتراز من شرورهم
واكّد ذلك بقوله وانّ احقّ من حسن ظنّك به الى قوله عنده السابع
عشر نهاه ان ينقض سنّة صالحة عمل بها السلف الصالح من صدور هذه
الامّة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعيّة فانّ نقض مثلها
يستلزم فساد اثرها من الالفة وصلاح الرعيّة وذلك مفسدة ظاهرة في
الدين الثامن عشر نهاه ان يحدث سنّة تضرّ بشيء من ماضي
السنن واشار الى وجه الفساد فيها بضمير صغراه قوله فيكون الى قوله
منها والضمير في قوله سنّها يعود الى السنن التي دخل عليها الضرر اي فيكون
الاجر لمن سنّ السنّة الماضية التي اضررت بها بسنّتك الحادثة والوزر
عليك بما نقضت منها وتقدير كبراه وكلّ ما كان كذلك فينبغي ان
يجتنب وينفر عنه التاسع عشر امره ان يكثر مدارسة
العلماء اي باحكام الشريعة وقوانين الدين ومنافثة الحكماء اي
العارفين بالله واسراره في عباده وبلاده العاملين بالقوانين الحكمية العملية
التجربية والاعتبارية وتصفّح انواع الاخبار في تثبيت القواعد
والقوانين التي يصلح عليها امر بلاده واقامة ما استقام به الناس قبله

الفصل الثالث

منها وبالله التوفيق
في التنبيه على طبقات الناس الذين ينتظم بهم امر المدينة ووضع كل ع
حيزه وطبقته الى ما يقتضي الحكمة النبوية وضعه فيها والاشارة الى
تعلق كل طبقة بالاخرى بحيث لا صلاح لبعضهم الا بالبعض وبين كل
يكون قوام المدينة بهم بالاشارة الى من يستصلح من كل صنف وطبقة
ويكون اهلا لتلك المرتبة والوصية في كل ما يليق به وذلك قوله
واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها
عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها
قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية
والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها
الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه
ووضع على حده فريضته في كتابه او سنة نبيه محمد صلى الله عليه واله
عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة
وعز الدين وسبيل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود
الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون
عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا
بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون به
من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور
وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات فيما
يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمون من اسواقهم ويكفونهم من الترفق
بايديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة

والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل ع
الوالي حق بقدر ما يصلحه فول من جنودك انصحهم في نفسك لله
ولرسوله ولامامك وانقاهم جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب
ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء وممن لا
يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي الاحساب
واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة واهل النجدة والشجاعة
والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد
من امورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء
قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى
بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم
اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به
وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه وليكن آثر رؤوس جندك
عندك من واساهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم
ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في
جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا يصح نصيحتهم
الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولتهم وترك استبطاء
انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل حسن الثناء عليهم وتعديد
ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع
وتحرض الناكل ان شاء الله ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا
تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك
شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان عظيما واردد الى الله ورسوله

ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه
لقوم احب ارشادهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ۝
فالراد الى الله الآخذ بمحكم كتابه والراد الى الرسول الآخذ بسنته
الجامعة غير المفرقة ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك
ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من
الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بادنى فهم دون
اقصاه اوقفهم عند الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة
الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم
ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء واولئك قليل ثم اكثر تعاهد
قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه
من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال
الرجال له عندك وانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان
اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا ثم انظر
الى امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة واثرة فانهما
جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل
البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام (المتقدمه) فانهم اكرم اخلاقا واصح
اعراضا واقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا ثم
اسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى
لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امرك او ثلموا
امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم

فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق
بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت
بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه
العقوبة في بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة
ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة ن وتفقد امر الخراج بما يصلح
اهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن
سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك
في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك
الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد
ولم يستقم امره الا قليلا فان شكوا علة او ثقلا او انقطاع شرب
او بالة او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم
بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم
فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك
حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم
بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك
عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم
من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب
الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع
وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك
فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك واسرارك
باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك

في خلافٍ لك بحضرة ملأٍ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك
عليك وإصدار جواباتها على الصواب عنك، وفيما يأخذ لك ويعطي منك،
ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل
مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره
أجهل. ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن
منك، فإن الرجال يتعرّفون لفراسات الولاة بتصنّعهم وحسن
خدمتهم، ليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما وُلّوا
للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم
بالأمانة وجهاً، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وَليتَ أمره.
واجعل لرأس كل أمرٍ من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها ولا
يتشتّت عليه كثيرها، ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه
ألزمته. ثم استوصِ بالتجّار وذوي الصناعات، وأوصِ بهم خيراً،
المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفّق ببدنه، فإنهم موادّ المنافع
وأسباب المرافق وجلّابها من المباعد والمطارح في برّك وبحرك
وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها،
فإنهم سِلْمٌ لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقّد أمورهم
بحضرتك وفي حواشي بلادك. واعلم مع ذلك أن في كثيرٍ منهم ضيقاً
فاحشاً، وشحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكّماً في البياعات، وذلك
باب مضرّة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله
صلى الله عليه منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار
لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرةً بعد نهيك إياه

فنكّل به وعاقب في غير إسراف. ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة
لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن هذه الطبقة
قانعاً ومعترّاً، فاحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم، واجعل لهم قسماً
من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى
منهم مثل الذي للأدنى، وكلٌّ قد استُرعيتَ حقّه، فلا يشغلنك
عنهم بطر، فإنك لا تُعذر بتضييع التافه لإحكامك الكثير المهمّ، فلا
تشخص همّك عنهم، ولا تصعّر خدّك لهم، وتفقّد أمور من لا يصل إليك
منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل
الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى
الله سبحانه يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من
غيرهم، وكلٌّ فأعذر إلى الله في تأدية حقّه إليه. وتعهّد أهل اليتم
وذوي الرقّة في السنّ ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك
على الولاة ثقيل، والحقّ كلّه ثقيل، وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا
العاقبة فصبّروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم.
أقول المعاقد جمع معقد مصدراً، والمرافق المنافع،
وتفاقم الأمر عظم، والحلوف المحلفون جمع خَلِفٍ بالفتح، والحيطة
الشفقة، وتضلّعك ثقلك، والمَجل? الحاج?، والحصر العيّ والعجز، والتبرّم
الضجر، والازدهاء افتعال من الزهو وهو الكبر، والإطراء كثرة المدح،
والاغتيال الأخذ على غرّة، والمحاباة المعاطاة في الأمور والمقاربة
فيها، والأثرة الاستبداد، والجماع الجمع، والتوخّي التقصّد، والجدوة الجنّة?،
والشِّرب النصيب من الماء، والبلالة اليسير من الماء لما يبلّ به الأرض، وأحالت

الارض تغيرت عما كانت عليه من الاستواء فلم يخصب زرعها ولا
اثمر نخلها والاجمام الاراحة ومعمرًا فاصلا والاعواز الفقر واستنام الى
كذا سكن اليه والمترفق طالب الرفق من التجار والمطارح جمع
مطرح وهي الارض البعيدة والمانفة الراهية والغايلة الشر والاحتكار
حبس المنافع عن الناس عند الحاجة اليها والبؤسى الشدة والقانع
السايل والمعتر الذي يتعرض للعطاء من غير سؤال والصوافي جمع
صافية وهي ارض الغنيمة والتافه الحقير واشخصه همه رفعه وتصعير
الخد امالته كبرًا ونقمه يزدريه واعتذر في الامر صار ذا عذر
فيه واعلم ان في الفصل ابحاثا **البحث الاول**
انه قسم اهل المدينة الى سبع طبقات وحكم بانه لا يصلح بعضها
الا بالبعض على ما بيّنه **وقوله** من اهل الذمة ومسلمة
الناس تفصيل للاهل الاول واهل الذمة تفسير لاهل الجزية ومسلمة
الناس تفسير لاهل الخراج ويجوز ان يكونا تفسيرًا لاهل الجزية والخراج
لان للامام ان يقبل ارض الخراج من سائر المسلمين واهل الذمة واراد
بالسهم الذي سماه الله لكل منهم الاستحقاق لكل من ذوي الاستحقاق
في كتابه اجمالا من اصحاب الصدقات كالفقراء والمساكين وعمال الخراج
والصدقة وفصله في سنة نبيه صلى الله عليه وحده الذي وضع الله عليه
عهدًا منه عند اهل بيت نبيه هو مرتبته ومنزلته من اهل المدينة التي لا
تقوم الا بهم فان للجندي منزلة وحدًا محدودًا لا يجوز له تعديه وفي نصبه
وقوفه عنده والعمل بما يلزم تلك المرتبة وكذلك الكتاب والعمال
والقضاة وغيرهم فان لكل منهم حدًا يقف عنده وفريضة يلزمها عليه

عهد من الله محفوظ عند نبيه واهل بيته عليهم السلام اشتملت عليها الشريعة
البحث الثاني انه نبه بقوله فالجنود باذن الله الى قوله
معونتهم على ان لكل من الاصناف المذكورة تعلقا بالآخر حيث لا
تقوم الا به والحاجة اليه ضرورية وبمجموعهم تقوم صورة المدينة
فبدأ بالجنود لانهم الاصل وذكر وجه الحاجة اليهم في اربعة
اوصاف احدها كونهم حصون الرعية واستعار لهم لفظ
الحصون باعتبار حفظهم الرعية وحياطتهم لهم كالحصن
الثاني انهم زين الولاة فان الوالي بلا جند كاحد الرعية لا يبالي
به ولا يطاع له امر والمشابهة فيه ظاهرة الثالث كونهم عز
الدين واطلق لفظ العز عليهم اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ
كان العز للدين لازمًا لوجودهم الرابع استعار لفظ سبل
الامن لهم باعتبار لزوم الامن لوجود الجند في الطرق ووجوهها
والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك
فليس تقوم الرعية الا به وقوله وليس تقوم الرعية الا بهم نتيجة
القياس المذكور وقال باذن الله لينبه على انه اراد
جنود الحق الذين هم مقتضى الحكمة لا مطلق الجنود
الثاني اهل الخراج ومن يوخذ منهم واشار الى وجه استلزام
الحاجة الى الجند بقوله لا قوام للجنود الى قوله حاجتهم فقوله لا
قوام الى قوله الخراج دعوى **وقوله** الذي
يقوون به الى قوله حاجتهم في قوة صغرى ضمير نبه به عليها
وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا قوام للجند الا به فينتج انه

لا قوام للجند الا بما يخرج الله لهم من الخراج ولما كان الخراج انما
يحصل من جماعة من الرعيه ولا تقوم الا بوجودهم وجب ان
يكون الحاجه اليهم ضروريه ولا تقوم الجند الا بهم الثالث
القضاه والعمال والكتاب وجمعهم لان وجه الحاجه اليهم
واضح واشار اليه بقوله لما يحكمون به الى قوله وعوامها فانهم
امنا الوالى والرعيه على ما يعنيهم من الامور او يخص كلا منهم على
الا بهم يكون احكام العقود وجمع المنافع وهو في قوة صغرى
ضمير تقديره كبراه وكل من كان كذلك فالحاجه للجند والرعيه
اليه ضروريه الرابع التجار وذوى الصناعات وادعى
انه لا قوام للاصناف السابقه الا بهم ونبه على ذلك بقوله فيما
يجتمعون عليه من مرافقهم وان كان ما يفعله التجار من جلب
الامتعه وبيعها وشرايها ويقيمونه من الاسواق بذلك ۞ وما
يفعله الصناع من الصنعه بايديهم مما لا يحصل من غيرهم الانتفاع
به فهي مرافق ومنافع للرعيه في مهام حاجتهم وضروريتهم وهو في
قوة صغرى ضمير كبراه ما سبق الخامس الطبقه السفلى
من اهل الحاجه والمسكنه ونبه على وجه الحاجه اليهم بقوله
الذين يحق رفدهم ومعونتهم وبيان ذلك ان رفد هولاء ومعونتهم يستلزم
اجتماع هممهم وتوفر دواعيهم لرافدهم ومعينهم وبهم تستنزل
الرحمه وتستدر البركه من الله تعالى لاهل المدينه ويدرك الثواب
بهم في الاخرى فكانت الحاجه اليهم داعيه لذلك ۞ ولما اشار الى
وجه الحاجه الى جميعهم قال وفي الله لكل سعة اى في

جود الله وعنايته ليعتمد على الله في تدبير امورهم اذ هو تعالى رب
العنايه الاولى وقال ولكل على الوالى حق بقدر ما
يصلحه ليعلم ان مراعاة كل منهم واجبه عليه ويشتمل عليها
وبالله التوفيق ۞

البحث الثالث

في امره باستصلاح كل صنف باوصاف يجب ان يكون عليها
ونصبه في مهامه

فالصنف الاول

الجند واشار الى تعيين من يصلح لهذه المرتبه باوصاف وامره ونهاه
فيهم باوامر ونواهي اما الاوصاف فاحدها من كان
انصح في نفسه لله ولرسوله ولامامه جيبا اى اكثرهم امانه في
العمل باوامر الله ورسوله وامامه وناصح الجيب كنايه عن
الامين الثاني افضلهم حلما ثم وصف ذلك الافضل فقال
ممن يبطى عن الغضب ويستريح الى العذر فيقبله اذا وجده ويروف
بالضعفاء ولا يتغلظ عليهم وينبوا عن الاقويا اى يعلوا عليهم
ويتجنب الميل اليهم على من دونهم وممن لا يثيره العنف اى
لا يكون له عنف يثيره كقولك ولا ارى الضب بها ينجحر
وقيل لا يهيجه العنف ولا يزعجه اذا قعد ولا يقعد
به الضعف عن اقامه حدود الله واخذ الحقوق من الظالمين
اى لا يكون له ضعف يقعده عن ذلك ۞ الثالث من كان
من اهل الاحساب والبيوتات الصالحه والسوابق الحسنه من الاحوال
والافعال والاقوال الخيريه الرابع من يكون من اهل
النجده والشجاعه ۞ الخامس من يكون من اهل السخاء

والشجاعة **وأما الأوامر** فأحدها أن يولي من
الجند من كان بهذه الصفات الثاني أن يلصق بمن ذكر
منهم أي يلزمهم في هذه المرتبة ورغب فيهم بقوله فإنهم في
قوله العرف ووصفهم بكونهم جماع من الكرم وشعب من المعروف
أطلقه فالاسم اللازم على مطلق ومنه أركان الجمع من الكرم وهو
الفضائل المذكورة لازمة لهم والأمانة والسخاوة والسماحة
فضائل تحت العفة والحلم والنجدة فضائل تحت الشجاعة ويحتمل
أن يكون الضمير في قوله فإنهم عائدا إلى الفضائل المذكورة كقوله
تعالى فإنهم عدو لي إشارة إلى الأصنام الثالث أن
يتفقد من أمورهم ومصالحهم ما يتفقده الوالدان وهو كناية عن
نهاية الشفقة عليهم الرابع نهاه أن يعظم في نفسه
شيء يقويهم به من مال أو نفع فيدعوه ذلك إلى التناقص في حقهم
الخامس أن لا يحقر لطفا تعاهدهم به فيحمله احتقاره
على تركه الضمير وكل ما كان كذلك فالأولى بك فعله
السادس نهاه أن يدع تفقد الصغير من أمورهم اعتمادا
على تفقد عظيمها واحتج لأولوية فعله بقوله فإن لليسير إلى قوله
موقعا ينتفعون به والمعنى ظاهر فإن موضع اليسير المنتفع به
يستغنى به عن الجسيم ويعد مدركه بهذا الضمير وكل ما كان
له موضع ينتفع به فالأولى فعله موضعه لينتفع به السابع
أمره أن يكون آثر رؤوس جنده عنده من كان بالصفات المذكورة وهو
الذي يواسي من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونة ويفضل عليهم

مما في يده بما يسعهم ويسع من وراءهم من ضعفاء أهليهم وخلوفهم حتى يكون
بذلك همهم واحدا فيكونوا بمنزلة رجل واحد في جهاد العدو. ثم
رغب في العطف عليهم بما يستلزم من عطف قلوبهم عليه وهو في
قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان مستلزما للعطف قلوبهم
ففعله واجب ومصلحة. وأيضا لما كانت صحة محبتهم من أهم
المطالب بين أنها لا تتم إلا بأمور ثلاثة أحدها حيطتهم
وحفظهم على ولاة أمورهم الثاني قلة استثقال دولهم
الثالث أن يتركوا استبطاء انقطاع مدة دولهم وذلك في قوة
صغرى ضمير تقدير كبراه وما لا يتم أهم المطالب إلا به كان من أهم
المطالب. الثامن أمره أن يفسح في آمالهم أي يجعل لهم من
نفسه طمعا يفسح به آمالهم فيه لأن ذلك مما لا يتم الأمور الثلاثة
المذكورة إلا به ولذلك رتب هذا الأمر عليها بالفاء التاسع
أمره أن يواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم
واحتج لوجوب ذلك بقوله فإن كثرة الذكر إلى قوله إن شاء الله وهو ظاهر
والقضية صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك كان واجبا
العاشر أمره أن يعرف لكل امرئ ما أبلى ونسبته إليه لأنه يهز الشجاع
ويشجع الجبان الحادي عشر نهاه أن يضم بلاء امرئ إلى غيره
الثاني عشر وأن يقصر دون غاية بلائه فيذكر بعضه أو يحقره
الثالث عشر أن يدعوه شرف امرئ إلى أن يعظم صغير بلائه
أو ضعة امرئ أن يستصغر كبير بلائه فإن كل ذلك داعية الكسل
والفتور عن الجهاد الرابع عشر أمره أن يرد إلى الله ورسوله

ما يضلعه من الخطوب ويشتبه عليه من الأمور محتجًا بالآية ۝ ثم فسّر
الردّ الى الله بالأخذ بمحكم كتابه والردّ الى الرسول بالأخذ بسنّته
ووصف السنّة بكونها جامعة لأنّ مدارها على وجوب الألفة
واجتماع الخلق على طاعة الله وسلوك سبيله ۝ **الصنف**
الثاني قضاة العدل وعيّنهم له بأوصاف وأمره فيهم بأوامر
أمّا التعيين فأوجب أن يكون أفضل رعيّته في نفسه وميّز ذلك
الأفضل بصفات أحدها أن يكون ممن لا تضيق به الأمور
فيحار فيها حين تورد عليه الثاني وممن لا تمحكه الخصوم أي
تجعله على الحقّ باللجاج ۝ وفسّر ذلك كناية عن كونه ممن
ترضيه الخصوم ولا يلاجّه ويقبل بأوّل قوله الثالث أن لا
يتمادى في زلّته إذا زلّ فإنّ الرجوع الى الحقّ خير من التمادي في
الضلال الرابع أن لا يحصر من الفيء الى الحقّ إذا عرفه كما تفعله قضاة
السوء حفظًا للجاه وخوفًا من شناعة الغلط الخامس أن لا تشرف
نفسه على طمع فإنّ الطمع في الناس داعية الحاجة إليهم والميل عن الحقّ
السادس لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه لأنّ ذلك مظنّة الغلط
السابع أن يكون أوقف الناس عند الشبهات لأنها مظنّة الوقوع
في المآثم الثامن وآخذهم بالحجج التاسع وأقلّهم تبرّمًا
بمراجعة الخصم لما يستلزمه التبرّم من تضييع الحقوق العاشر
وكذلك وأصبرهم على تكشّف الأمور الحادي عشر وأصرمهم عند
اتضاح الحقّ فإنّ في التأخير آفات الثاني عشر وممن لا يزدهيه
كثرة المدح كبرًا الثالث عشر وممن لا تستميله الى غير الحقّ

إغراء به ثم حكم بقلّة من يجمع فيه هذه الصفات تنبيهًا على أنّ فيها
ما هو أولى دون أن يكون شرطًا في القضاء ۝ وأمّا الأوامر
فأحدها أن يختار من كان بالصفات المذكورة الثاني
أن يكثر تعاهد قضاياه ليقطع طمعه في الانحراف عن الحقّ لو خطر
باله الثالث أن يفسح له من البذل ما يزيح علّته وهو
كناية عمّا يكفيه ويقلّ معه حاجته الى الناس ولا يميل إليهم
ويحتمل أن يكون بدلاً من البذل وأن يكون مفعولاً ليفسح أي
يوسع له ما يكفيه من المال ۝ ويحتمل أن يكون في معنى مصدر
يفسح أي يفسح له فسحًا يزيح عليه الرابع أن يعطيه من
المنزلة عنده ما لا يطمع فيها غيره من خاصّته ليأمن بذلك اغتيال
الأعداء ويقدّر كبرى هذا الضمير وكل ما كان كذلك فواجب
بذله للقاضي الخامس أن ينظر في اختيار من كان بهذه
الصفات وفيما أمره به نظرًا بالغًا ليعمل بأقصاه وعلّل ذلك
بقوله فإنّ هذا الدين الى قوله الدنيا ۝ واستعار له لفظ الأسير
باعتبار تصرّفهم له كالأسير والكلام صغرى ضمير تقدير
كبراه وكل ما كان كذلك فيجب النظر في اختيار من يعمل
فيه بالحقّ ويخرجه من أسر الأشرار وبالله التوفيق ۝
الصنف الثالث العمّال وميّزهم أيضًا
بأوصاف وأمره فيهم بأوامر مصلحيّة أمّا الأوصاف فأحدها
أن يكون العمل بيد من هو من أهل التجربة للأعمال والولايات
ليعمل على علم بقواعدها وبراءة من ذلك لأنّه الأصل الأكبر للعمل

الثاني ان يكون من اهل الحياء فلا يتهور في الافعال الى الاسترسال
وهو طرف التفريط فتضيع به الحقوق والمصالح ولا يتجاوز به
حد الفضيلة فيقع في طرف الافراط وما يلزمه من الجفاوة ونفرة
الخلق عنه الثالث ان يكون من اهل البيوتات الصالحة
والقدم السابقة في الاسلام وهي كناية عن البيوت المتقدمة في
الدين والخير ولهم في ذلك اصل معروف واشار الى وجه الحكمة
في تولية من كان بهذه الصفات الثلث بقوله فانهم الى قوله نظرا
وذلك ان الحياء وصلاح البيوت والتقدم في الاسلام يفيدهم كرم
الاخلاق والمحافظة على الاعراض من المطاعن وقلة الاشراف
والتطلع الى المطامع الدنية والتجربة تفيدهم بلاغة النظر في
عواقب الامور والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
من كان كذلك فهو اولى بان يخص بالتولية والعمل ولما
الاوامر فاولها ان ينظر في امورهم فيستعملهم بعد التجربة
والاختبار ولا يوليهم محاباة واثرة كان يعطونه شيئا على الولاية
فيوليهم ويستأثر بذلك دون مشاورة فيه فانهما اي المحاباة والاثرة
والخيانة لما كما هو مصرح به في بعض النسخ عوض الضمير جماع من شعب
الجور والخيانة اما الجور فللخروج بهما عن واجب العدل
المامور به شرعا واما الخيانة فلان تجري في اختياره
من الدين وهو امانة في يد الناصب لهم وكان نصبهم من دون
ذلك بمجرد المحاباة والاثرة خروجا عن الامانة ونوعا من الخيانة
وثانيها ان يقصد بالعمل من كان بالصفات المذكورة

للعلل المذكورة الثالث ان يسبغ عليهم الارزاق وبيّن
المصلحة في ذلك من ثلثة اوجه احدها ان عمومهم بالارزاق
يكون قوة لهم على استصلاح انفسهم الذي لابد منه الثاني
انه غنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم من مال المسلمين الثالث
انه يكون حجة له عليهم ان خالفوا امره او ثلموا امانته واستعار
لفظ الثلم للخيانة والوجوه الثلثة صغريات ضمائر تقدير كبرياتها
وكلما كان كذلك كان فعله مصلحة واجبة الرابع ان
يتفقد اعمالهم ويبعث العيون عليهم والجواسيس من اهل الصدق
والوفاء عليه واشار الى وجه المصلحة في ذلك بقوله فان تعاهدك
الى قوله بالرعية فان تعهده لامورهم مع علمهم بذلك منه يبعثهم
على اداء الامانة فيما ولوا من الاعمال وعلى الرفق بالرعية والمذكور
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب فعله
الخامس ان يتحفظ من خيانة الاعوان من العمال وارشد
بقوله فان احد منهم بسط الى قوله التهمة الى ما ينبغي من ادابه واقامة
سنة الله فيهم واستعار لفظ التقليد لعلو نسبة التهمة اليه
ملاحظة لشبهها بما يقلد به من الشعار المحسوس واللفظ في غاية
الفصاحة وهذه العقوبة مقدرة بحسب العرف وراى الامام
او من ارتضاه ن **الصنف الرابع** اهل الخراج
وامره فيهم باوامر احدها ان يتفقد امور خراجهم ويفعل
فيه ما يصلح اهله مما يستخرجه ثم اشار الى وجه المصلحة فيه
بضمير صغراه قوله فان في صلاحه الى قوله الا بهم ونبه بقوله لا صلاح

لمن سواهم الا بهم على حصر صلاح الغير فيه تأكيدًا وتقدير الكبرى
وكل من كان لا صلاح للناس الا به فيجب مراعاة اموره وتفقد
احواله ن ثم ترك الصغرى بقوله لان الناس عيال على الخراج واهله
وهو ظاهر في ذلك الوقت الثاني ان يكون نظره في عمارة
الارض ابلغ من نظره في طلب الخراج واستجلابه ونبّه على وجه
الحكمة فيه بقوله لان ذلك اى الخراج لا يدرك الا بالعمارة وهو
في قوة صغرى ضمير بيّنها بقوله ومن طلب الى قوله قليلا وهو اشارة
الى ما يلزم بعض المدّعى وهي مفاسد ثلث احدها اخراب
البلاد لعدم العمارة والثاني اهلاك العباد لتكليفهم ما
ليس في وسعهم والثالث عدم استقامة امر الطالب
للخراج والوالي على اهله وهو لازم عن الاولين وتقدير الكبرى
وكل ما لا يدرك الا بالعمارة وجب ان يكون النظر فيها ابلغ
من النظر فيه فينتج ان النظر في العمارة يجب ان يكون ابلغ من النظر
في الخراج ن الثالث امره ان يخفف عنهم من خراجه ما يرجوا
به امرهم على تقدير ان شكوا من حالهم ما عناه بلحقهم من قبل ارضهم
من ثقل خراج او علة سماوية او انقطاع نصيب كان لهم من الماء
او تغيّر ارض او فسادها بسبب غرق او عطش ن ثم نهاه ان يستثقل
ما خفّف عنهم به المؤنة واشار الى وجه الحكمة فيه بقوله فانه ذخر
الى قوله العدل فيهم ومعناه ظاهر ومعتمدًا نصب على الحال
والعامل يخفف وفضل نصب بالمعمول عن معتمدًا وقوله
والثقة عطف على المعمول المذكور ونبّه على وجه المصلحة في

[illegible]

اعتمادًا فضل قوتهم بارا حتهم والثقة منهم بما عوّدتهم من عدله من قوله
فربما حدث الى قوله انفسهم به وتقدير الكلام خفف عنهم معتمدًا
فضل قوتهم فان ذلك يستلزم احتمالهم لما عساه يحدث من
الامور فيحتملونه اذا عولت عليهم فيه بطيب نفس وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فواجب ان يخفف عنهم ويعتمد
فضل قوتهم وفي قوله فان العمران يحتمل ما حمّلته سرّ للصغرى لان
التخفيف عنهم يستلزم عمران ارضهم وهو يستلزم احتمالهم لما
يرد عليهم من حوادث الامور ثم نبّه بقوله وانما يؤتى خراب الارض
الى قوله اهلها على سبب الخراب وبقوله وانما يعوز الى قوله الغير على
ذلك السبب وهو مركب من ثلثة اجزاء احدها اشراف نفوس
الولاة على الجمع والثاني سوء ظنهم لانه لا بقاء لهم في العمل ن
والثالث عدم انتفاعهم بالعبر لقلة التفاتهم اليها وظاهر ان
هذه الامور اذا اجتمعت في الوالي استلزمت جمعه للمال واستقصاه
على الرعية واستلزم ذلك اعوازهم وفقرهم واستلزم ذلك خراب
ارضهم وتعطيل عمارتها ن

الصنف الخامس

الكتّاب وامره فيهم بامور احدها ان يولّي اموره خيرهم
ويفسّر الخير هنا هو من كان نقيًّا فيما يراد منه من مصالح العمل
الثاني ان يخص رسائله واسراره ومكائده باجمعهم لصالح
الاخلاق وقد علمت اصولها غير مرة ن وهي العلم بوجوه الآراء المصلحية
والتهدي الى وضع كل شيء موضعه ثم العفة والشجاعة والعدالة مع ما
تحت الاربعة من الفضائل الخلقية ثم من بعض الفضائل التي عناها تخفى

وذكر منها خمسًا الاول عدم البطر وهي فضيلة تلزم الشكر
وهو فضيلة تحت العفة ونفر عن صاحب البطر بقوله فيجترى
الى قوله ملا، وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من يجترى
عليك كذلك صالح لولا به لعزلك الثانية الفطنة والذكا
فيما هو بصدده من الامور المذكوره وكنى عن ذلك بقوله ممن لا
تقصر به الغفلة الى قوله منك ن والذكا فضيلة تحت الحكمة الثالثة
ان لا يكون ممن يضعف عقدًا يعقده لك من الامور بل يجعله محكمًا
الرابعة ان لا يعجز عن اطلاق ما عقده عليك خصومك من الامور
بالحيلة والخديعة وهذان الامران لاصالة الراي وهي فضيلة تحت
الحكمة ه الخامسة ان لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور
فيرفعها الى فوق محلها ومرتبتها وهي فضيلة تحت الحكمة الخلقية
ايضا ونبه على اجتناب الجاهل بذلك بقوله فان الجاهل الى قوله
اجهل وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب اجتنابه
الثالث نهاه ان يكون اختياره للعمال تفرسًا منه وتكونا
وحسن ظن باجرهم واشار الى وجه المفسدة في ذلك بقوله فان الرجال
الى قوله شيء والمعنى ان الرجال قد يتصنعون لحسن الخدمة ويتعرضون
لان يتفرس فيهم الولاة فيعرفونهم بذلك مع انه ليس وراء ذلك الصنع
من النصيحة والامانة شيء وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
من كان كذلك فينبغي ان لا يعتمد على اختياره بحسب الفراسة
الرابع لما نهاه ان يوقع اختيارهم كذلك امره ان يختبرهم
بولايتهم لمن كان قبله من الصالحين ارشادًا الى وجه الاختيار

ويقصد الى من كان بالصفات المذكوره وهو ان يكون احسن اثرًا في
العامة واعرفهم بوجه الامانة في الدين ورغبه في ذلك بضمير
تقدير صغراه فان ذلك الى قوله امره وتقدير كبراه وكل ما كان
كذلك وجب فعله الخامس امره ان يجعل لراس كل
امر من اموره راسًا من الكتاب الموصوفين يكون مناسبًا له بحيث لا
يكبر عليه كبيره فيقهره ولا يكثر عليه كثيره فيتشتت عن ضبطه
ويقصر دونه السادس نهاه ان يتغافل عما يكون في كتابه
من عيب ونبهه على ذلك بقوله ومهما الى قوله الزمته وهو صغرى
ضمير تقديرها ان كلما تغافل عنه من ذلك يلزم به وتقدير كبراه
وكل ما يلزم به فلا يجوز ان يتغافل عنه ه الصنف

السادس

التجار وذوو الصناعات وامره فيهم
بامور اولها ان يستوصي بهم خيرًا الثاني ان يوصي
بهم كذلك واصنافهم المقيم منهم والمضطرب في تجارته بماله
والمترفق ببدنه وهم اهل الصنائع واشار الى وجه الحكمة في الوصية
بهم والعناية بحالهم من وجهين احدهما منفعتهم وذلك
قوله فانهم الى قوله عليها والضمير في قوله مواضعها وعليها يعود الى
المنافع وقوله وحيث اي ومن مكان لا يجتمع الناس لمواضع تلك المنافع
ولا يجترئون عليها وذلك كالبحار والجبال ونحوها الثاني
انه لا مضرة فيهم وذلك قوله فانهم سلم الى قوله غائلته وتقدير كبرى
الضميرين وكل من كان كذلك فيجب الاستيصاء به والوصية بالخير
في حقه الثالث ان يتفقد امورهم بحضرته وفي حواشي بلاده

وما عناه بحرفت لهم من المظالم والموانع لتزيلها عنهم الرابع
ان تعلم ما فيهم من المعايب المعروفه وهي الضو الفاحش والنجش
والضو هنا البخل ثم الاحتكار للمنافع التي يعم نفعها وهي الحنطه
والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح ثم التحكم في الساعات
وهو عباره عن البيع على حكمه بالهوى المطلق من غير تقييد بشريعه
او عرف فان ذلك عدول عن العدل الى رذيله الجور ثم نبه على
وجه المفسده اللازمه لتلك المعايب بقوله وذلك الى قوله الولاه اما
انه مضره فظاهر واما انه عيب على الولاه فلان قانون العدل
بايديهم فاذا اهملوه بترك ردها ولاه عن طرق الجور توجهت اللائمه
نحوهم والعتب عليهم وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان
كذلك فيجب انكاره ودفعه الخامس لما تقرر له وجه
المفسده في تلك المعايب امره بمنع الاحتكار واحتج بمنع الرسول
صلى الله عليه وآله السادس امره بكون البيع سهلا سمحا وان
يكون بموازين عدل واسعار لا تجحف بالبائع مذهب اهل مبيعه
ولا بالمشترى مذهب رأس ماله السابع امره بايقاع النكال
على من احتكر بعد نهيه عن ذلك وان يعاقبه من غير اسراف
الصنف السابع الطبقه السفلى وميزهم
باوصاف وامره فيهم باوامر ونواهي اما تمييزهم فالعاجزون
عن الحيله والاكتساب والمساكين والمحتاجون واهل البؤسى والزمنى
وهؤلاء كلهم وان دخل بعضهم في بعض الا انه عددهم بحيث
تعدد صفاتهم لمزيد العنايه بهم كيلا يتغافل عن احدهم ويتناول

فيه ن واما الاوامر فاحدها انه يحذر من الله
فيهم واشار الى وجه الحكمه في ذلك التحذير بقوله فان فيهم قانعا
ومعترا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب
ان يحذر الله فيه ويحفظ له ما استحفظ من حقه فيه الثاني
ان يجعل لهم قسما من بيت ماله ومن صوافي الاسلام في كل بلد واضاف
بيت المال اليه واراد الذي يليه ونبه على ذلك بقوله فان للاقصى
الى قوله حقه ن وتقدير كبرى هذا الضمير وكل من كان كذلك
وجب ان يحسن الرعايه في حفظ ما اداه اليه الثالث نهاه ان يشغله
عنهم بطر ونفر عن الاشتغال عنهم بقوله فانك لا تعذر الى قوله
المهم واراد بالتافه القليل من امورهم واحوالهم وهو ضمير تقديره
كبراه وكل من لا تعذر بذلك ولا يجوز له التشاغل عنه الرابع
نهاه ان تشخص همه عنهم اي ترفعه حتى لا تتناولهم الخامس
نهاه ان يصعر خده لهم وهو كنايه عن التكبر عليهم السادس
امره ان يتفقد امور من لا يمكنه الوصول اليه منهم لعجزه وحقارته
في عيون الاعوان والجند وان يفرغ لهؤلاء ثقته له من اهل الخشيه
والتواضع وينصبه لهم ليرفع اليه امورهم السابع ان يعمل فيهم
بالاعذار الى الله سبحانه يوم يلقاه اي يعمل في حقهم بما امره الله به
بحيث يعذر اليه اي يكون ذا عذر عنده اذا سأله عن فعله بهم
ونبه على وجه الحكمه في مزيد العنايه بهم بقوله فان هؤلاء بين
قوله غيرهم الثامن اكد الامر بالاعذار الى الله في تادية حق
كل واحد من المذكورين اليه التاسع امره ان يتعهد الايتام

وذوي الرقة في السن اي الذين بلغوا في الشيخوخة الحال رق جلدهم
وضعف حالهم عن النهوض فلا حيلة لهم ومن لا ينصب نفسه
للمسألة حياء مع حاجته وفقره ثم اشار الى ثقل التكليف بمجموع
الاوامر السابقة بقوله وذلك على الولاة ثقيل وبقوله والحق كله
ثقيل توطينا لنفسه على ذلك ثم رغب فيه بقوله وقد يخففه الله
الى قوله لهم فنسب تخفيفه الى الله ليرغب اليه فيه وشجعه على
فعله واستماله بذكر صفات الصالحين وهم الذين طلبوا العاقبة من
الله في الآخرة فاستسهلوا ما صعب من التكاليف الدنيوية بالقياس
اليه ووثقوا بصدق موعود الله لهم في القرآن وبالله التوفيق

الفصل الرابع

في اوامر ونواهي مصلحية وآداب خلقية
وسياسية بعضها عامة وبعضها خاصة تتعلق بعماله وبخاصته وبطانته
ونفسه واحوال عادته الى غير ذلك وهو قوله واجعل لذوي الحاجات
منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع
فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك
وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ
للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح
عنك الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب
لك ثواب طاعته واعط ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار
ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك
بما يعيا عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس عند ورودها

عليك بما يحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم
ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل
تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها
الرعية وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك اقامة فرائضه التي هي
له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت
به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ
واذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس
من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله
حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم كصلاة
اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما بعد هذا فلا تطولن احتجابك
عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم
بالامور والاحتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر
عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب
الحق بالباطل وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور
وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما
انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسه بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب
حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس
عن مسألتك اذا ايسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك ما
لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة ثم ان
للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف فاحسم
مؤونة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من خاصتك

وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك في اعتقاد عقده تضر بمن يليها من الناس
في شرب او عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك
لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة والزم الحق من لزمه من القريب
والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك
حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة وان
ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك
فان في ذلك اعذارا تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن
صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضا فان في الصلح دعة لجنودك
وراحة من همومك وامنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك
بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك
حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقده او البسته منك ذمة
فانه ليس من فرائض الله سبحانه شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق
اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك
المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر
فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترئ
على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا افضاه
بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى
جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه
العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التاكيد والتوثقة ولا يدعونك
ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على
ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان

فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت

الكامل

يحيط بك فيه من الله طلبة ولا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك اياك
والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة
ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها
والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم
القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه
ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل
العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطاء وافرط عليك سوطك او
يدك بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة ولا تطمحن بك نخوة
سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم واياك والاعجاب
بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق
فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين واياك
والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او ان
تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب
بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس وان الله سبحانه
يقول كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون واياك والعجلة
بالامور قبل اوانها والتساقط فيها عند امكانها واللجاجة فيها اذا
تنكرت والوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه
واوقع كل عمل موقعه واياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة
والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك
وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم
املك حمية انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس

من كل ذلك بكف البادرة وباخر السطوة حتى يسكن غضبك فتملك
الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك
والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة
فاضلة او اثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله او فريضة في كتاب الله فتقتدي
بما شاهدت مما عملوا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك
في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك
علة عند تسرع نفسك الى هواها ان **اقول** الشرط
قوم يتقدمون لنفسهم بعلامات الخدمة يعرفون بها والخرق ضد الرفق
والانف الانفة وهي خصلة تلازم الكبر والاكناف الجوانب والابتداء
الاعطاء والحامة القرابة والعقدة الضيعة والعقدة ايضا المكان
كثير الشجر والنخل واعتقد الضيعة اقتناها والمغبة العاقبة واصحر
اي ظهر والدعة الراحة واستوبلوا الامر استثقلوه والوبال الوخم
يقال استوبلت البلدة اذا استوخمت فلم يوافق ساكنها وخاس بالعهد
نقضه والختل الخداع وافضاه بسطه واستفاض الماء سال والادغال
الافساد والدغل الفساد والمدالسة مفاعلة من التدليس في البيع وغيره
كالمخادعة ولحن القول كالتورية والتعريض فيه والوكزة مثل الضربة
والدفعة وقيل هي جمع اليد على الذقن والفرصة النوبة والتمكن
من الامر وسورة الرجل سطوته وحدة بأسه وغرب اللسان حدته
والبادرة سرعة السطوة والعقوبة ن اما الامور التي تعم مصلحتها
فاحدها ان تجعل لذوي الحاجات نصيبا من نفسه تفرغ لهم
فيه بدنه عن كل شاغل وتجلس لهم مجلسا عاما في الاسبوع او دونه

حسب ما يمكن الثاني ان تتواضع فيه لله ورغبة في التواضع
نسبته الى الله باعتبار انه خالقه الذي من شانه ان يكون له التواضع
الثالث ان تقعد عنهم جنده واعوانه واما ان وجه المصلحة
في ذلك بقوله حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع واشار الى علة وجوبه
بقوله فاني سمعت الى قوله القوي ووجه الاستدلال من هذا الخبر لما دل
بالمطابقة على وعيد الامة التي لا تنصف فيها ضعيف من قوي بعدم طهارتها
المستلزم لعذابها الاخروي دل بالالتزام على وجوب ان يكون فيها ذلك
ثم لما كانت الامور المامور بها مما لا يتم ذلك الواجب الا بها
كانت باسرها واجبة الرابع امور يلزمه مباشرتها وان عمت
مصلحتها وامور مبتدأ حذف خبره اي وهناك امور او نحوه منها
اجابة عماله بما يرى المصلحة في الجواب به فقد يعجز الكتاب عن كثير
من ذلك ومنها اصدار حوائج الناس التي تضيق منها صدور اعوانه
عند ورودها عليه ولا ينبغي ان يكلها اليهم فان غاية قصاراهم اذا
قضت ان يكون على غير الوجه المرضي الخامس ان يمضي لكل يوم
عمله ونبه على ذلك بقوله فان لكل يوم ما فيه وهو صغرى ضمير تقدير
كبراه واذا كان لكل يوم ما فيه وجب ان يمضي فيه ماله السادس
ان تجعل لنفسه في معاملته لله افضل تلك المواقيت اي الاوقات المفروضة
للاعمال واجزل اقسام الاعمال الموقتة فافضلها ابعدها عن الشواغل
الدنيوية واقربها الى الخلوة بالله سبحانه ونبه بقوله وان كانت الى قوله
الرعية على ان اصلح الاعمال اخلصها لله السابع ان يكون في
خاصة ما تخلص به لله في دينه اقامة فرائضه فخصها بمزيد عناية منه

ورعايه الثامن ان يعطي لله من بدنه في ليله ونهاره اي طاعه
وعباده يحذف المفعول الثاني للعلم به ولقرينه كون الليل والنهار محلين
للافعال ولقرينه ذكر البدن التاسع ان يوفي ما يتقرب به
الى الله من ذلك وكلا ما وعد من صلوه وبالغا ما قال وما نصب على
المصدر بقوله بالغا اي بالغا من بدنك ما بلغ من القوه على الطاعه
العاشر من الاداب الراجعه الى حال الامامه بالناس في الصلوه
ان يكون متوسطا في صلوته بين المطول المنفر للناس بتطويله وبين
المضيع لاركان الصلوه وفضلها واحتج بنفي التنفير للتطويل
بالمعقول والمنقول اما المعقول فضمير صغراه قوله فان في
الناس الى قوله الحاجه وتقدير كبراه وكل من كان فيه ما ذكر
فيجب ان يرفق به ويخفف عنه واما المنقول فما رواه عن رسول
الله صلى الله عليه من الخبر ووجه التشبيه بصلاة الاضعف تخفيف
الصلوه بعد حفظ اركانها وواجباتها الحادي عشر من
الاداب المصلحيه لمدبر المدينه النهي عن طول الاحتجاب عن
الرعيه ورغب في الانتهاء عنه من وجوه احدها انه نوع من
انواع الضيق على الرعيه اذ كانت مشاهدتهم للوالي تفرج عنهم ما
يكربهم من الامور المهمه لهم الثاني انه قله علم بالامور اي
ملزومه ذلك فاطلق اللازم على ملزومه واكد ذلك بقوله والاحتجاب
عنهم يقطع منهم اي الولاه علم ما احتجبوا دونه من امور الرعيه
ثم اشار الى ما يلزم عدم علمهم من المفاسد وهو ان يصغر كبير الامور
عندهم كان يظلم بعض حاشيه الامير احدا فيصغر الاعوان جريمته عنده

فتصغر وكذلك تعظم صغيرها لو وقع من ضعيف صغير ذنب في حق كبير
وكذلك يقبح عندهم الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل
ويلبس به وذلك قوله فيصغر الى قوله بالباطل ثم نبه على وجه لزوم
قطع العلم بالامور لطول الاحتجاب بقوله وانما الوالي بشر الى قوله
الصدق والكذب والتقدير انه بشر والبشر من خاصته انه لا يعرف
ذلك الا بعلامه وليس على الحق علامات يعرف بها ضروب صدق
القول من كذبه الثالث انه رغب في الانتهاء عنه بضمير صغراه
شرطيه منفصله وهي قوله وانما انت الى قوله بذلك وتلخيصه انك اما ان يكون
مطبوعا على السخاء بالبذل في الحق او مبتلى بالمنع منه وتقدير الكبرى وكل
من كان كذلك فلا يجوز له الاحتجاب بيان الكبرى اما ان كان سخيا
ببذل الحق فانه عند الطلب منه اما ان يعطي حقا يجب عليه او يفعل فعل
الكرماء وذلك لا يجوز الاحتجاب منه واما ان كان مبتلى بالمنع فان
الناس يسرعون الكف عن مسئلته اذا ايسوا من بذله وحينئذ لا معنى
للاحتجاب عنهم الرابع قوله مع ان اكثر الى قوله معامله وهو
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكثر حاجات الناس اليه مالا
مؤونه عليه فيه من الامور المذكوره فلا معنى لاحتجابه عنهم الثاني
عشر من الامور المصلحيه المتعلقه بخاصته ان يحسم مؤنتهم عن الرعيه
وقوله تقطع اسباب المؤنه ارشاد الى سبب قطعها واشار الى وجه
ذلك بذكر ما فيه من الاستئثار على الرعيه بالمنافع والتطاول عليهم
بالاذى وقله الانصاف وهو في قوه صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
من كان كذلك فيجب قطع مؤنته عنهم والاحوال التي امر بقطع

اسبابها هي وجوه المؤنة المذكورة من الاستئثار والتطاول وقلة الانصاف
وقوله ولا تقطعن الى قوله مشترك تفصيل لوجوه قطع الاسباب المذكورة
فان اقطاع احدهم قطيعة وطمعه في اقتناء ضيعة تضر من يليها من الناس
في شرب او عمل مشترك يحمل مؤنته على الناس كعمارة ونحوها هي اسباب
الاحوال المذكورة من وجوه المؤنة وقطع تلك الاحوال بقطع اسبابها
ثم نفر عن اسباب المؤنة على الناس بما يلزم تلك الاسباب من المفسدة
في حقه وهي كون مهنأ ذلك لهم دونه وعيبه عليه في الدنيا والآخرة وهو في قوة
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان مهنأه للغير وعيبه عليك فلا يجوز
فعله الثالث عشر ان يلزم الحق من لزمه الحق من القريب والبعيد
ويكون في ذلك الالزام صابرا لما عساه يلحقه اقاربه من مر الحق محتسبا
له اي مدخله في حساب ما يتقرب به الى الله تعالى ويعده خالصا
لوجهه واوقعا ذلك الالزام من قرابته وخواصه حيث اتفق وقوعه
بمقتضى الشريعة والواو في قوله وكن للحال وواقعا ايضا حال
والعامل قوله والزم الرابع عشر ان يبتغي عاقبة ذلك الالزام
بما يثقل عليه من فعله لخاصته كانه يستعيض بفعله ما يلزمه في العاقبة
من عيب الدنيا وعذاب الآخرة ورغب في ذلك بقوله فان مغبة ذلك
محمودة وهي تلك العاقبة وما يلزمها من السعادة الباقية وهو صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل ما كان مغبته محمودة وجب الرغبة في فعله
الخامس عشر امره على تقدير ان تظن الرعية به حيفا ان يظهر
لهم عذره فيما ظنوا فيه الحيف ويعدل عنه ظنونهم باظهاره ورغب
في ذلك بضمير صغراه قوله فان الى قوله الحق اي فان في اظهار عذرك لهم

ان يصير ذا عذر يبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق لمعرفتهم ان فعلك
حق لا حيف فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغي فعله
السادس عشر نهاه ان يدفع صلحا دعاه اليه عدوه اذا كان
صلحا يرضى الله ونبه على وجوه المصلحة فيه بضمير صغراه قوله فان في
الصلح الى قوله لبلادك وهي ثلاث مصالح ظاهرة اللزوم لصلح العدو
وتقدير كبراه وكل ما كان فيه هذه المصالح فواجب قبوله السابع
عشر بالغ في تحذيره من العدو بعد صلحه وامره ان ياخذ بالحزم ويتهم
في الصلح حسن ظنه الذي عساه ينشأ عن صلحه ونبه على وجوب
ذلك الحذر بضمير صغراه قوله فان العدو ربما قارب ليتغفل اي
قارب عدوه بصلحه ليطلب غفلته فيظفر به وله عليه السلام في ذلك
شواهد التجربة وحذف المفعولين للعلم بهما وتقدير كبراه وكل
من كان كذلك فواجب ان يحذر منه الثامن عشر امره على
تقدير ان يعقد بينه وبين عدوه عهدا ان يحوطه بالوفاء ويرعى ذمته
بالامانة ويجعل نفسه جنة دون ما اعطى منهما اي يحفظ ذلك بنفسه
ولو ادى الى ضررها واستعار لفظ اللبس لادخاله في امان الذمة ملاحظة
لشبهها بالقميص ونحوه وكذلك لفظ الجنة لنفسه ملاحظة لشبهها
في الحفظ بالترس ونحوه ورغب في ذلك بوجهين اشتمل عليهما
قوله فانه الى قوله الغدر احدهما ان الناس اشد اجتماعا
على ذلك من غيره من فرائض الله الواجبة عليهم مع تفرق اهوائهم
وتشتت آرائهم الثاني ان المشركين لزموا ذلك فيما بينهم
واستثقلوا الغدر لما فيه من سوء العاقبة المذكورة اذ صغرى ضمير تقدير الكبرى

منهما وكل ما كان كذلك فيجب لزومه والمحافظة عليه ثم اكد ذلك
بالنهي عن الغدر في العهد ونقض الذمة وخداع العدو وبمعاهدته ثم
الغدر به وتفرع عن ذلك بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله الاشقى
وهو صغرى ضمير تلخيصها ان المجترى على الله شقي ويقدر كبراه وناقض
العهد والمدغل مجترٍ على الله ينتج من الرابع الشقي هو ناقض والمدغل فيه
ويجوز ان يكون يقدر الصغرى فان ذلك جراة على الله يستلزم الشقاوة
ويقدر الكبرى وكل ما كان كذلك وجب اجتنابه لينتج من الاول
المطلوب الثاني قوله وقد جعل الى قوله جواره وامنا اي مامنا
واستعار لفظ الحريم للعهد ورشح بذكر السكون الى منعته والاستفاضة
الى جواره ونبه بذلك على وجه الاستعارة وهو الاطمئنان اليه والامن
الفتنة بسببه فاشبه الحريم المانع والكلام صغرى ضمير يقدر كبراه
وكل ما كان كذلك فلا يجوز نقضه والادغال فيه التاسع
عشر نهاه ان يعقد عقدا يجوز فيه العلل اي الاحداث المفسدة له وهو
كناية عن امره باحكام ما يعقد من الامور … العشرون نهاه
ان يعتمد على لحن القول في الايمان والعهود بعد ان يؤكدها ويتوثق
من غيره فيها لو توثق غيره منه فيها ومثال لحن القول ما ادعاه طلحة
والزبير من التورية في بيعتهما له عليه السلام اي لا يعتمد
على ذلك من يمينك ولا يلتفت اليه من غيرك لو ادعاه الحادي
والعشرون نهاه ان يدعوه ضيق امر لزمه فيه عهد الله الى ان يطلب
ابطاله بغير حق ورغب في الصبر عليه بقوله فان صبرك الى قوله
آخرتك وهو صغرى ضمير واراد بتبعته ما يتبعه من العقوبة والطلبة

ما يطالب به يوم القيامة من لزوم العهد واحاطتها به كناية عن لزومها له
ووصف الطلبة بقوله لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك واراد انه لا
يكون لك معها دنيا تستقيلها وتطرحها لعدم الدنيا هناك ولا
آخرة تستقيلها اذ لا تستقيل في الآخرة الا الامور الخيرية ومن احاطت
به طلبة من الله فلا خير له في الآخرة تستقيله … وروى تستقبل بالباء
اي لا يكون لك من تلك الطلبة والتبعة اقالة في الدنيا ولا في الآخرة
الثاني والعشرون حذره من الدخول في الدماء وسفكها بغير
حق وهو كناية عن القتل وتفرع عنه بوجهين احدهما قوله فانه
الى قوله بحقها وهي صغرى ضمير تقدير بيانها ان سفك الدماء بغير حق ادعى
الاشياء لحلول نقمة الله واعظمها في لحوق التبعة منه واولاها
بزوال النعمة وانقطاع مدة الدولة والعمر … وظاهر انها
اقوى المعدات للامور الثلثة لما يستلزمه من تطابق همم الخلق
ودواعيهم على زوال القاتل واستنزال غضب الله عليه لكون
القتل اعظم المصائب المنفور عنها وتقدير الكبرى وكل ما كان
كذلك فيجب ان يحذر فعله الثاني قوله والله سبحانه الى قوله
القيامة ونبه بابتدائه تعالى بالحكم بين العباد في القتل على انه اعظم
عنده تعالى من سائر الكبائر وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما
ابتدا الله بالحكم فيه فيجب التحري فيه واجتناب ما يكره منه
الثالث والعشرون نهاه ان يقوي سلطانه ودولته بسفك
الدم الحرام وتفرع عنه بقوله فان ذلك الى قوله وينقله وهي صغرى
ضمير بيانها ما سبق فان سفك الدم الحرام لما استلزم الامور الثلثة

المذكوره كان ذلك مضعفاً للسلطان ومزيلاً له وتقدير الكبرى وكل
ما كان كذلك وجب اجتنابه الرابع والعشرون نهاه عن قتل
العمد حراماً ونفّر عنه بامرين احدهما انه لا عذر به عند الله
ولا عنده الناس والثاني ان فيه قود البدن وهما صغريا ضمير تقدير
الكبرى فيهما وكل ما كان كذلك وجب اجتنابه الخامس
والعشرون نهاه ان يرتكب رذيلة الكبر عند ان يبتلى بقتل خطاء او افراط
شرط اوبده عليه في عقوبة فاخذه عزة الملك والكبر على اولياء المقتول
فلا يؤدّي اليهم حقهم ونبّه بقوله فان في الوكزة فما فوقها مقتلة على ان الضرب باليد
المسمى وكزاً قد يكون فيه القتل وهو مظنة له السادس والعشرون
حذّره الاعجاب بنفسه والثقة بما يعجبه منها وحب الاطراء والاخيران
سببان لدوام الاعجاب ومادة له ونفّر عن الثلثه بقوله فان ذلك
قوله المحسن وفي نفسه متعلق باوثق وقوله ليمحق احسان المحسن واذا
تمكّن الشيطان من الفرصه وزيّن الاعجاب للانسان وارتكبه يمحق
بذلك ما يكون له من الاحسان والثاني ان المعجب بنفسه لا يرى لاحد
عنده احساناً فيكون اعجابه ماحقاً لاحسان من احسن اليه ولما كان مبدا
الاعجاب هو الشيطان كان الماحق لاحسان المحسن ايضاً هو الشيطان
فلذلك نسبه اليه والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
ما كان اوثق فرص الشيطان في نفسه وجب الاحتراز عنه السابع
والعشرون حذّره رذائل ثلاثا احدها المنّ على رعيته باحسانه
اليهم الثانيه التزيد فيما فعله في حقهم وهو ان ينسب الى نفسه
من الاحسان اليهم ازيد مما فعل الثالثه ان يخلف موعوده لهم

ثم نفّر عن المنّ بقوله فان المنّ يبطل الاحسان وذلك اشارة الى قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى وعن
التزيد بقوله فان التزيد يذهب بنور الحق واراد بالحق هنا الاحسان اليهم
او الصدق في ذكره في موضع يحتاج اليه فان على ذلك نوراً عقلياً
يرتاح له النفوس وتلتذّ به ولما كان التزيد نوعاً من الكذب وهو
رذيلة عظيمة لاجرم كان مما يذهب نور ذلك الحق ويطفيه ولا
يكون له وقع في نفوس الخلق ونفّر عن الخلف بقوله يوجب المقت
عند الله والناس اما عند الناس فظاهر واما عند الله فلقوله
تعالى كبر مقتاً عند الله الآيه والثلثه صغريات ضماير تقدير
كبرياتها وكل ما كان كذلك وجب اجتنابه الثامن
والعشرون حذّره من ايقاع الامور على احد طرفي التفريط والافراط
في الطلب والعجلة بها قبل اوانها او اللجاجة فيها عند تنكّرها وتغيّر
وجوه ماخذها وعدم اتضاحها وتسهّلها وطرف التفريط التساقط
فيها والقعود عنها اذا امكنت وهو مقابل العجلة فيها او الضعف عنها
اذا استوضحت وهو مقابل اللجاجة فيها عند تنكرها واستلزم النهي
عن هذين الطرفين الامر بايقاعها على نقطة العدل وهي الحدّ
الاوسط من الطرفين وموقعها الحق ولذلك قال فضع كل امر
موضعه واوقع كل عمل موقعه التاسع والعشرون حذّره
من الاستئثار بما يجب تساوي الناس فيه كالذي يستحسن من مال
المسلمين ونحوه ن للمليون وعن التغافل عما يجب العلم والعنايه
به من حقوق الناس الماخوذه ظلماً فانما قد وضح للعيون انما لك له ونفّر

عن ذلك بقوله فانه الى قوله للمطلوب واراد ما يستأثر به من حقوق
الناس ويتغافل عنها وما في قوله عمّا زايره واراد بالقليل مدة الحياة
الدنيا واشار بما غطيه الامور الى الهيئات البدنية الحاجبة لحقائق
الامور من ان يدركها بصر بصيرته وقد علمت ان انكشاف تلك الاغطية
عند طرح بدنه وحينئذ يشاهد ما أعدّ له من خير او شر كما قال
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية الحادي
والثلثون امره ان يملك حمية انفه اي انفته مما يقع من الامور المكروهه
وسوره حدّه حدّة لسانه وملكه هذه الامور انما يكون بالاحتراس عن
تعدّي قوته الغضبية ووقوفه في فعلها على حاق الوسط حتى لا تعبر
منها الى حدّ الافراط فيقع في رذيلة التهور ويلزمه في ذلك رذيلة الظلم
الثاني والثلثون امره بالاحتراس من تلك الامور وارشده
الى اسبابه وهو كف البادرة وتأخير السطوة الى حين سكون الغضب
ليحصل له بذلك الاختيار في الفعل والترك الذي عساه مصلحة واشار
الى وجه احكام تلك الاسباب بقوله ولن تحكم ذلك الى قوله
عليك وذلك ان كثرة الهم عن ذكر المعاد والفكر في امور الآخرة
ماحٍ للرغبة في الامور الدنيوية التي هي المهيجات لثوران الغضب
الثالث والثلثون اوجب عليه امرين فيهما جماع ما اوصاه
به في هذا العهد اجمالاً احدهما ان يتذكر ما مضى لمن تقدّمه
من الحكومات العادلة للولاة قبله او من الآثار المنقولة عن نبينا
صلى الله عليه او فريضة من فرائض الله ليقتدي بما شاهد من عمله عليه
السلام فيها الثاني ان يجتهد لنفسه في اتباع ما عهد اليه في عهده

هذا واستوثق به من الحجة لنفسه عليه وهي الموعظة والتذكير باوامر الله
لكيلا يكون له علة يحتج بها عند تسرّع نفسه الى هواها كما قال الله
تعالى لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وهو آخره وانا اسأل الله سبحانه بسعة رحمته
وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة
على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل
الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي
ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون والسلم على رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم تسليما كثيرا **اقول**
ختم هذا العهد بسؤال الله ان يوفقهما لما فيه رضاه واقسم عليه في اجابة
سؤاله برحمته التي وسعت كل شيء وبقدرته العظيمة على اعطاء كل
رغبة وظاهر كونهما مبدئين لاجابة السائلين ثم فصّل ما سأله مما فيه رضا
الله وهي امور احدها الاقامة على العذر الواضح الى الله والى
خلقه فان قلت العذر انما يكون عن ذنب فمن اقام على طاعة
الله كيف يكون فعله عذرا قلت يحتمل ان يريد بالعذر هنا ما
يصلح عذرا عما يمكن ان يكون ذنبا من ترك اوامر الله والتقصير فيها
ويحتمل ان يكون العذر اسما من الاعذار الى الله وهو المبالغة في
الاتيان باوامره وكانه قال من الاقامة على المبالغة اليه في اداء اوامره
الثاني حسن الثناء في العباد وجميل الاثر وهو ما يؤثر من الافعال
الحميدة وذلك مما سأله الانبياء كابرهيم عليه السلم اذ قال واجعل
لي لسان صدق في الآخرين قيل هو الذكر الجميل في الناس

الثالث ان يتم بيعته عليهما الرابع تضعيف كرامته لهما الخامس الخاتمة الحسنة بالسعادة وما يوصل اليها من الشهادة ونبه بقوله إنّا اليه راغبون على صدق نيته في سؤاله ثم ختم بالسلام على رسول الله والصلوة عليه واله

ومن كتاب له عليه السلام

الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين وذكر هذا الكتاب ابو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات

امّا بعد فقد علمتما وان كتمتما انّي لم اُرد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني وانكما ممن ارادني وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لحرص حاضر فان كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية ولعمري ما كنتما باحقّ المهاجرين بالتقيّة والكتمان وانّ دفعكما هذا الامر قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما انّي قتلتُ عثمان فبيني وبينكما من تخلّف عنّي وعنكما من اهل المدينة ثم يلزم كل امرئٍ بقدر ما احتمل فارجعا ايها الشيخان عن رايكما فانّ الآن اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار والنار

اقول خزاعة حيّ من الأزد وقيل الإسكافي منسوب الى اسكاف رستاق كبير كان بين النهروان والبصرة وكتاب المقامات الذي صنّفه الشيخ المذكور في مناقب امير المؤمنين وقد احتجّ عليهما في نكث بيعته بحجّتين احداهما قوله امّا بعد الى قوله حاضر وهو في قوّة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من علمتما من حاله ذلك

فليس لكما ان تنكثا بيعته وتخرجا عليه وقوله وان كتمتما اشارة الى انهم بعد نكث بيعته كتموا ارادتهم لبيعته وارادة كثير من الناس وزعموا انه انما حملهم عليها كرهًا الحجة الثانية قوله فان كنتما الى قوله اقراركما به وهي شرطية منفصلة تقديرها انه لا يخلوا امّا ان تكونا بايعتماني طائعين او كارهين والاول هو المطلوب ويلزمكما ارتكاب المعصية والرجوع الى الله بالتوبة منها من قريب قبل استحكام المعصية في نفسيكما والثاني باطل من ثلثة اوجه احدها انه يلزمكما النفاق حيث اظهرتما لي الطاعة واضمرتما المعصية فجعلتما لي بذلك السبيل عليكما في القول والفعل الثاني انكما ما كنتما بالتقيّة مني والكتمان لعصيانكما احق من المهاجرين وذلك لانهما كانا اقوى الجماعة واعظمهم شانًا وكان غيرهما من المهاجرين اولى منهما بالتقيّة عند البيعة وبكتمها بعد ذلك الثالث ان دفعهما البيعة قبل الدخول فيها اوسع لعذرهما من خروجهما منها بعد اقرارهما وهذه الاقوال الثلثة صغريات ضمائر تقدير الكبرى في الاول وكلما جعلتما لي عليكما به السبيل فمحجوج عليكما فعله وليس لكما ان تدعياه وفي الثاني وكلما لا يكون احق من المهاجرين بدعواه فليس له ان يدعيه اذا لم يدعوه وفي الثالث وكل ما كان اوسع لعذرهما فليس لهما العدول عنه الى ما هو اضيق

وقوله وقد زعمتما انّي قتلتُ عثمان اشارة الى شبهتهما المشهورة في خروجهما عليه وقوله فبيني الى قوله احتمل جوابها اي فيحاكمني الى من تخلف عن نصرتي ونصرتكما من اهل المدينة ثم يلزم كل منا اللائمة والعقوبة بقدر ما احتمل من الاثم والبغي ثم بعد ان اقام الحجة عليهما امرهما

بالرجوع عن ذلك بقوله فان الآن الى اخره وهو في قوة صغرى ضمير تقدير
كبراه والعار اسهل من اجتماع العار والنار في الآخرة واراد بالعار
الغدر والآن ظرف اسهل ما عظم الذي هو اسم ان ويجوز ان
يكون هو اسمها واعظم مبتدا اخبره العار والجملة خبر ان والعايد
الى اسمها محذوف تقديره فان الآن اعظم امر كان فيه للعار ن

ومن كتاب له عليه السلم

الى معاوية ن اما بعد فان الله سبحانه جعل
الدنيا لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ن
ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا فيها لنبتلى
بها وقد ابتلاني بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الآخر فعدوت
على طلب الدنيا بتاويل القران وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني
وعصبته انت واهل الشام بي والب عالمكم جاهلكم وقايمكم
قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى
الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر ان يصيبك الله منه
بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع الدابر فاني اولي بالله الية غير
فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لا ازال بباحتك حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين ن **اقول** عصبه علقه به
والتاليب التحريض والقارعة الداهية والدابر المتاخر من النسل
والالية اليمين ن **وقوله** انما بعدها الى قوله لنبتلى بها
اشارة الى غرض الدنيا وغايتها التنبيه لذلك والعمل له واراد بالسعي
فيها الذي لم نعرف به اكتسابها لها دون غيره مما يكون للضرورة فان

ذلك مامور به في قوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ن
وقوله وقد ابتلاني الى قوله للآخر تفسير لبعض اغراضها
وقد علمت كيفية ابتلاه لخلقه فيما قبل ووجه ابتلايه عليه السلم بمعوية
عصيانه له ومحاربته اياه حتى لو قصر في مقاومته ولم يقم في وجهه
كان ملوما وكان معاوية حجة لله عليه ن ووجه ابتلاء معوية
به عليه السلم دعوته الى الحق وتحذيره اياه من عواقب المعصية حتى
اذا لم يجب داعي الله لحقه الذم والعقاب وكان عليه السلم هو
حجة الله عليه وذلك معنى قوله فجعل احدنا حجة على الآخر ن
وقوله فعدوت الى قوله واعدكم اشارة الى بعض وجوه
ابتلايه عليه السلم به ومعنى ذلك انه انما طلب بخروجه عليه
الدنيا وجعل السبب الى ذلك تاويل القران لقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ن وغيره من الآيات الدالة على
وجوب القصاص فاوله بادخال نفسه فيها وطلب القصاص
لعثمان وانما كان دخوله في ذلك بالتاويل لان الخطاب خاص بمن
قتل وقتل منه ن ومعاوية بمعزل عن ذلك اذ لم يكن من اولياء
دم عثمان ففسر الآية بالعموم ليدخل فيها ن والذي لم تجنه
يده ولسانه عليه السلم هو ما نسبوه اليه والب بعضهم بعضا
عليه فيه وهو قتل عثمان ن واراد وعلب عالمكم الى جاهلكم
به وقايمكم وجميعكم فاعدكم عنه ن ثم نبهه على غاية الدنيا وجعل
الله سبحانه كلا منهما حجة على الآخر ليعلم ايهم احسن عملا
رجع الى موعظته وتحذيره بامره بتقوى الله في نفسه ان يهلكها

بعصيانه ومخالفة امره ن وان ينازع الشيطان قياده واستعار لفظ القياد للميول الطبيعية ووجه الاستعارة كونها زمام الانسان الى المعصية واذا اسلمها سلسل الشيطان وانهمك بها في اللذات الموبقة ن ومنازعته للشيطان مقاومته لنفسه الأمارة عن طرف الافراط الى حاق الوسط في الشهوة والغضب وان يصرف الى الآخرة وجهه اي يولي وجهه شطر الآخرة مطالعا ما اعدّ فيها من خير وشرّ وسعادة وشقاوة بعين بصيرته ليعمل لها **وقوله**

وهي طريقنا وطريقك صغرى ضمير نبّه به على وجوب صرف وجهه الى الآخرة وتقدير كبراه وكل ما كان طريق الانسان فواجب ان يصرف اليها وجهه ن وجعلها طريقا مجازا عن غاية الطريق اطلاقا لاسم ذي الغاية عليها ن ثم حذّره من الله ان يصيبه بداهية تصيب اصله وتقطع نسله واراد بها ما ينواه له من نهوضه اليه وحربه اياه ولذلك اقسم على تقدير ان تجمعهما جوامع الاقدار ان لا يزال بباحته مقيما حتى يحكم الله بينهما وفي ذلك غلظ الوعد بعذاب شديد ن

الفصل الخامس

وصى به شريح بن هانى لما جعله على مقدمته الى الشام

اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال واعلم انك ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه سمت بك الأهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا رادعا ولنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا ن

اقول قد ذكرنا طرفا من حال انفاذه لشريح بن هانى مع زياد بن النضر على مقدمته بالشام في اثنى عشر الفا ن والنزوة الوثبة والحفيظة الغضب والواقم الذي يردّ الشيء اقبح الردّ ن يقال وقمه اي ردّه بقهر وعنف ن والوقم القهر والاذلال وكذلك القمع وقد امره بتقوى الله دائما ولمّا كانت تستلزم الاعمال الجميلة اردف ذلك بتفصيلها وهي ان يحذر على نفسه الدنيا ونسب الغرور اليها لانها سبب ما يتأدّى له ن وان لا يأمنها على حال لما يستلزمه ذلك من الغفلة عن الآخرة ن ثم اعلمه انه ان لم يردع نفسه الأمّارة بالسوء عن الانهماك في كثير من مشتهياتها التي تخاف مكروهها في العاقبة وتقف بها عند حدود الله وتسلك بها صراطه المستقيم لم تزل تسمو به اهواؤها وميولها حتى توردها موارد الهلكة ثم اكّد وصيته بمنعها وقهرها عند نزواتها ووثباتها في الغضب وقد عرفت ان اهمالها مبدا لكل شرّ يلحقه في الدنيا والآخرة ن

ومن كتاب له عليه السلام

الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة

اما بعد فاني خرجت عن حيّي هذا اما ظالما واما مظلوما واما باغيا واما مبغيا عليه وانا اذكّر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر اليّ فان كنت محسنا اعانني وان كنت مسيئا استعتبني **اقول**

غرض الكتاب اعلام اهل الكوفة بخروجه من المدينة لقتال اهل البصرة واستنفادهم اليه وقد مرّ مثل ذلك ن وحيّه قبيلته **وقوله** اما ظالما الى قوله عليه من باب تجاهل

العارف ولأن القضية لم يكن بعد ظهرت لأهل الكوفة وغيرهم ليعرفوا
هل هو مظلوم او غيره ولذلك ذكرهم الله لينفروا اليه فيحكموا
بينه وبين خصومه فيعينوه لو يطلبوا منه العتبى وهي الرجوع الى
الحق واذكر متعدي الى مفعول اول وهو المذكر والثاني هو المذكر
به وهو الله تعالى وقد قدمه لكونه هو المقصود من المذكر ولما
مشددة بمعنى الا ومخففة هي ما زائدة دخل عليها لام التأكيد
اي ليسفرن الا والله الموفق

ومن كتاب له عليه السلام

الى اهل الامصار يقص فيه ما جرى بينه وبين اهل صفين

وكان بدو امرنا انا التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا واحد
ونبينا واحد ودعوتنا في الاسلام واحدة لا نستزيدهم في الايمان بالله
والتصديق لرسوله صلى الله عليه وآله ولا يستزيدوننا والامر واحد الا
ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك
اليوم باطفاء النائرة وتسكين العامة حتى يشتد الامر ويستجمع فنقوى على
وضع الحق في مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فابوا حتى جنحت الحرب
وركدت ووقدت نيرانها وحمست فلما ضرستنا واياهم ووضعت
مخالبها فينا وفيهم اجابوا عند ذلك الى الذي دعوناهم واجبناهم الى
ما دعوا وسارعناهم الى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت
منهم المعذرة فمن تم على ذلك منهم فهو الذي انقذه الله من الهلكة
ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء
على راسه **اقول** بدا الامر اوله ويروى بدى

بفعل بمعنى بدا والنائرة العداوة وجنحت مالت وركدت ثبتت وحمست
اشتدت ويروى بالشين المعجمة اي التهبت غضبا واستنقذه خلصه
والتمادي في الشيء الاقامة عليه وطلب الغاية فيه والركس رد الشيء
والله اركسهم اي ردهم الى عقوبة كفرهم والرين التغطية والدائرة
الهزيمة يقال عليهم الدائرة وتوكيد سعيها بالاضافة الى السوء والفصل
من حكاية حاله مع اهل الشام وحالهم والقوم عطف على الضمير في
التقينا في قوله والظاهر ايضا الى بمعنى لهم يعتقد ذلك كما صرح به هو
وعمار في صفين فانه كان يقول والله ما اسلموا ولكن استسلموا
واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه والواو للحال
وقوله فلا نستزيدهم اي لا نطلب منهم زيادة في
الايمان لتمامه منهم في الظاهر وقد تقدم في حكاية الحال الاتحاد
الذي بينهم في الامور المذكورة التي لا يكون الاختلاف معها الظاهر الحجة
واستثنى من ذلك ما وقع الاختلاف فيه وهي الشبهة في دم عثمان
والجواب عنها اجمالا ثم حكى وجه الراي الاصلح في نظام امر
الاسلام وسلامة اهله وشوره عليهم واباهم عن قوله الى الغاية المذكورة
والباء في قوله باطفاء النائرة متعلق بقوله نداو وما لا يدرك اي ما لا
يمكن تلافيه بعد وقوع الحرب ومستدرك من القتل وهلاك المسلمين
وقوله فقالوا بل نداويه بالمكابرة حكاية قولهم
بلسان حالهم حين دعاهم الى نظام امر الدين بالرجوع عما هم عليه
فكابروه واصروا على الحرب ونحو راس الجنوح اطلاقا لاسم المضاف
على المضاف اليه واستعار لفظ النيران للحركات في الحرب لمشابهتهما

في استلزام الأذى والهلاك ورشّح بذكر الوقود وذلك لفظ الجمر والضرس
ووضع المخالب ثم حكى إجابتهم ورجوعهم إلى رأيه الذي رآه لهم
وذلك أنهم صبيحة ليلة الهرير حين حملوا المصاحف على الرماح
كانوا يقولون لأصحابه عليه السلام معاشر المسلمين نحن إخوانكم في
الدين الله الله في البنات والنساء كما حكيناه أولاً وذلك عين ما
كان يذكّرهم به عليه السلام من حفظ دماء المسلمين وذريتهم ولما
إجابتهم له إلى ما دعوا فإجابته إلى تحكيم كتاب الله حين دعوا إليه
وظهور الحجة عليهم برجوعهم إلى عين ما كان يدعوهم إليه من حقن
الدماء وفي ذلك انقطاع عذرهم في المطالبة بدم عثمان إذ كان
سكوتهم عن دم صحابي لا حق لهم فيه أسهل من سفك دماء بعض
الناس من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان **وقوله**
من تمّ على ذلك أي على ذلك الرضا بالصلح وبحكم كتاب الله
وهم أكثر أهل الشام وأكثر أصحابه عليه السلام والذين لجّوا في
التمادي في الحرب واعتزلوه عليه السلام بسبب التحكيم وكانت
قلوبهم في أغشية من الشبهات الباطلة حين صارت دائرة السوء
على رؤوسهم فضلوا

ومن كتاب له عليه السلام

إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان

أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل
فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل
فاجتنب ما تنكر أمثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجياً

ثوابه ومتخوفاً عقابه واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط فيها
ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة وأنه لن يغنيك عن
الحق شيء أبداً ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية
بجهدك فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك
والسلام . **أقول** في الفصل لطائف أحدها
أنه نبّهه على وجوب ترك متابعة الأهوية والإعراض عن اتباع مختلفاتها
مما يستلزمه من المفسدة وهي الامتناع عن كثير من العدل ووجه
الاستلزام ظاهر لأن اتباع الأهوية المختلفة يوجب الانحراف عن
حاقّ الوسط في المطالب . ولمّا نبّهه على مفسدة الجور أمره
ببسط العدل والتسوية بين الخلق في الحق . ثم نبّه على فضيلته
بضمير صغراه قوله فإنه إلى قوله العدل وتقديرها فإن العدل
ليس في الجور عوض عنه فيجب لزومه واتباعه الثانية
لما كان اتباع مختلف الأهوية مما ينكر مثله عند وقوعه في
حقه أو حق من يلزمه أمره كالأذى اللاحق له مثلاً أمره باجتنابه وأن
لا يقع منه في حق غيره ما يكره وقوع مثله في حقه والعبارة وافية بهذا
المعنى والغرض المسفر عنه الثالثة أمره بعد ذلك أن
يبتذل نفسه فيما افترض الله عليه حال الرجاء لثوابه وخوفه من عقابه
لكونهما داعيي العمل الرابعة نبّهه على أن الدنيا دار
ابتلاء بالعمل كما قال تعالى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم
أيكم أحسن عملاً . ولمّا كان العمل الصالح فيها هو سبب
الاستعداد للسعادة الباقية لا جرم كان الفراغ من العمل فيها تركاً

لتشبث بسعادة لا تحصل يوم القيامة الا به وكان من لوازم فرعته منه في الدنيا الحسرة على ثمرته يوم القيامة الخامسة تنبيه على ضرورة العمل بالحق بانه لا تغنيه عنه شيء عنه ولأن كل ما عدا الحق باطل والباطل سبب للفقر في الآخرة ولا يفيد غنى السادسة تنبيه على ان من الحقوق الواجبة عليه حفظ نفسه اي من زلة القدم عن الصراط المستقيم والوقوع في سواء الجحيم ثم الاحتساب على رعيته بجهده وطاقته والاخذ على ايديهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقدم حفظ النفس لانه الأهم ونبه على وجوب الامرين بقوله فان الذي الى آخره واراد ان الذي يصل اليك من الكمالات والثواب اللازم عنها في الآخرة بسبب لزومك الامرين المذكورين افضل مما يصل بعد ذلك واحسانك الى الخلق من النفع ودفع الضرر والله الموفق

ومن كتاب له عليه السلام

الى العمال الذين

من عبد الله علي امير المؤمنين الى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد اما بعد فاني قد سيرت جنودا هي مارة بكم ان شاء الله تعالى وقد اوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى وصرف الشذى وانا ابرأ اليكم والى ذمتكم من معرة الجيش الا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهبا الى شبعه فنكلوا من تناول منهم ظلما عن ظلمهم وكفوا ايدي سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم وانا بين اظهر الجيش فارفعوا الي مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من امرهم ولا تطيقون دفعه الا بالله وبي اغيره بمعونة الله تعالى ان شاء الله **اقول**

الشذى الاذى ومعرة الجيش المضرة الواصلة منه وعره معرة اي شانه ونكل بالضم جبن ونكلوا خوفوا وعراه الامر غشيه وحاصل الكتاب اعلام من على طريق الجيش من الجباة وعمال البلاد بمسيرهم عليهم ليتنبهوا ويحترزوا منه ثم وصيته الجيش بما سيجب لهم ويجب لله عليهم من كف الاذى عمن يمرون به ليعرفوا عموم عدله ويتأدبوا بآدابه ثم اعلامهم انه بريء اليهم والى ذمتهم التي اخذها منهم من اساءة الجيش فانه ليس بامره من ذلك الا معرة جوعة المضطر التي لا يجد عنها الى شبعه مذهبا وتقدير الكلام فاني ابرأ اليكم من معرة الجيش الا من معرة جوعة المضطر منهم فاقام المضاف اليه مقام المضاف او اطلقه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ثم امرهم ان يخوفوا ويجبنوا من تناول من الجيش شيئا عن ظلمه ويدفعوه بالدفع الممكن لهم لئلا يكون سطوتهم خراب الاعمال ثم ان يكفوا ايدي سفهائهم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثناه من المعرة الضرورية لئلا تثور بذلك الفتنة بينهم وبين الجيش ثم اعلمهم انه بين اظهر الجيش كناية عن كونه مرجع امرهم ليرفعوا اليه مظالمهم وما غشيهم من امر يغلب عليهم من الجيش لا يطيقون دفعه الا بالله وبه فيغيره بمعونة الله ومشيئته

ومن كتاب له عليه السلام

الى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه دفع من اجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة

اما بعد فان تضيع المرء ما ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر وان
تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس
بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع فقد صرت جسرا لمن اراد
الغارة من اعدائك على اوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا
ساد ثغره ولا كاسر شوكة ولا مغن عن اهل مصره ولا مجز عن اميره
والمسلمين **اقول** المتبر الهالك والفاسد والشعاع المتفرق
وقرقيسيا وقوله اما بعد الى قوله متبر صدر الكتاب اعلم
فيه اجمالا كما جرت عادة الخطيب بما يريد ان يوبخه عليه من تعاطيه امرا
مع اهماله ما هو اهم منه ثم ذكر غرضه من الكتاب مفصلا بقوله وان
تعاطيك الى قوله شعاع ونفره عن ذلك الرأي بما فيه من المفاسد والرذائل
احدها كونه جسرا واستعار لفظ الجسر له باعتبار عبور العدو
عليه الى غرضه ن وروي جسرا وهو ايضا مجاز باعتبار خلو مسالحه عن
العسكر الذي تتقى به العدو فهو كالجاسر عليهم الامة الثاني
كونه غير شديد المنكب وكنى بذلك عن ضعفه وكذلك كونه غير مهيب الجانب
الثالث كونه غير ساد ثغره الرابع ولا كاسر شوكة
عدوه الخامس ولا مغن عن اهل مصره في دفع عدوهم
السادس ولا مجز عن اميره فيما يريده ن

ومن كتاب له عليه السلم

الى اهل مصر مع مالك الاشتر
رحمه الله لما ولاه امارتها

اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه نذيرا للعالمين ومهيمنا
على المرسلين فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الامر من بعده فوالله
ما كان يلقى في روعي ولا يخطر على بالي ان العرب تزعج هذا الامر من بعده
صلى الله عليه وآله عن اهل بيته ولا انهم منحوه عني من بعده فما راعني الا
انثيال الناس على فلان يبايعونه فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس
قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه فخشيت
ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه هدما وثلما تكون المصيبة به علي
اعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع ايام قلائل يزول منها ما كان كما
يزول السراب او كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح
الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه ومنها اني والله لو لقيتهم
واحدا واحدا وهم طلاع الارض كلها ما باليت ولا استوحشت واني من ضلالهم
الذي هم فيه والهدى الذي انا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي واني
الى لقاء الله لمشتاق وحسن ثوابه لمنتظر راج ولكنني آسى ان يلي هذه
الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين
حربا والفاسقين حزبا فان منهم الذي شرب فيكم الحرام وجلد حدا في
الاسلام ن وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ فلولا
ذلك ما اكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم اذا
ابيتم ونيتم الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى امصاركم قد افتتحت
والى ممالككم تزوى والى بلادكم تغزى انفروا رحمكم الله الى قتال
عدوكم ولا تثاقلوا الى الارض فتقروا بالخسف وتبوؤا بالذل ويكون
نصيبكم الاخس ان اخا الحرب الارق ومن نام لم ينم عنه والسلام
اقول المهيمن الشاهد والروع القلب والانثيال

الانصباب وراح ذهب وزهق اضمحل وتبهنه اتسع وطلاع الارض ملؤها
واتي الحزن والدوله في المال ما الضمان ان يكون مره لذا ومره لذاك والحول
العسد والرضخ الرضخه واصله الرمي والتاليب التحريض والدابيء اللوم
والوني الضعف والعور وعروي ونبوا وارتجعوا والحسف النقيصه وصدره
ما اقتصاص حال النبي صلى الله عليه باعتبار كونه نذيرًا للعالمين بعقاب الله
وشاهدا على المرسلين بكونهم مبعوثين ومصدقًا لهم في ذلك ثم اقتصاص
حال المسلمين بعده في تنازع امر الخلافه منذ رحلته من ذلك الى شرح
حاله معهم في معرض الشكايه من ازاحه امر الخلافه عنه مع كونه
احق بها وانصبابهم على بيعه فلان وهو كنايه عن ابي بكر وامثال بدو عن
القيام في ذلك والطلب للامر الى غايه ارتداد الناس في زمن ابي بكر عن
الاسلام وطمعهم في محق الدين ثم شرح حاله من النهوض على الاسلام
واهله ان يثلم ويهدم وكون المصيبه عليه في عدم اصل الدين اعظم
من فوت الولايه القصيره الامد التي غايتها اصلاح فروع الدين
ومتمماته وشبه زوالها بزوال السراب وتقشع السحاب ووجه
الشبه سرعه الزوال وكونها لا اصل لثباتها كما لا ثبات لحقيقه
السراب ووجود السحاب ۞ وقدم ذكر الارتداد لغرض بيان
فضيلته في الاسلام ولذلك عقبه باقتصاص حال نهوضه في تلك
الاحداث التي وقعت من العرب الى غايه زهوق الباطل واستقرار الدين
واشاره ۞ بم اقسم انه لو لقيهم وحده وهم ملء الارض لم يكترث بهم
ولم يستوحش منهم لامرين احدهمـــا علمه اليقين بانهم على الضلاله
وانه على الهدى الثـــاني اشتياقه الى لقاء ربه ورجاؤه وانتظاره

لثوابه وهما يجريان مجرى ضمير من نقد بركبراهما وكل من كان
كذلك فلا يبالي بهم ولا يستوحش منهم **وقولـــــه**
لكني جرى مجرى جواب سوال مقدر كانه قيل فاذا كنت تعلم انك
واياهم على الحالين المذكورين فلم تحزن من فعلهم فكانه قال انى
لا احزن من لقاءهم وحربهم ولكن احزن ان يلي امه محمد عليه
السلام سفهاؤها وفجارها الى قوله حربًا وعنى بالسفهاء بني اميه
واشياعهم ثم نبه على انهم مظنه ان يفعلوا ذلك لو ولوا هذا
الامر بقوله فان منهم الى قوله الرضاخ والذي شرب منهم في
المسلمين الحرام اشاره الى المغيره بن شعبه لما شرب الخمر في عهد
عمر حين كان واليًا من قبله على الكوفه فصلى بالناس سكران
وزاد في الركعات وقاء الخمر فشهدوا عليه وجلد الحد وكذلك
عتبه بن ابي سفيان وجلد في الخمر خالد بن عبد الله بالطائف والذي
لم يسلم حتى رضخت له الرضائخ قيل هو ابو سفيان وابنه معاويه
وذلك انهما كانا من المؤلفه قلوبهم الذين يستمالون الى الدين
وجهاد عدوه بالعطاء ۞ وقيـــل هو عمرو بن العاص
ولم يشتهر عنه مثل ذلك الا ما حكاه عنه عليه السلام من اشتراطه
على معاويه طعمه في مصر في مساعدته بصفين كما مر ذكره ۞ ثم
نبههم على ان ما ذكره من الاسى هو السبب التام لتوبيخهم وتحريضهم
على الجهاد ولولا ذلك لتركهم اذ ابوا وضعفوا ثم نبههم على فعل
عدوهم بهم وافتتاحه لامصارهم وغزوهم ليستثير بذلك حميه
طباعهم ولذلك امرهم بعده بالنفور الى قتال عدوهم ونهاهم عن

التثاقل في ذلك ونفّرهم عنه بما الزمه من الاقرار بالحيف والرجوع
الى الذل وخسة النصيب ثم نبّههم على من يكون اهلا للحرب وهو
الأرق وكنى به عن كبير الهمة اذ كان من لوازمه قلة النوم ونفّرهم
عن ضعف الهمة والتواني في الجهاد بما يلزم ذلك من طمع العدو فيهم
بسكونهم عنه والرقدة عن مقاومته ○

ومن كتاب له عليه السلام

الى ابي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة
وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج اليه لما ندبهم لحرب اصحاب الجمل

من عبد الله علي امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس ○ اما بعد فقد بلغني عنك
قول هو لك وعليك فاذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك واشدد
مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك فان حققت فانفذ وان
تفشلت فابعد وايم الله لتؤتين حيث انت ولا تترك حتى يخلط زبدك
بخاثرك وذائبك بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك وتحذر من امامك
كحذرك من خلفك وما هي بالهوينا التي ترجو ولكنها الداهية
الكبرى يركب جملها ويذل صعبها ويسهل جبلها فاعقل عقلك
واملك امرك وخذ نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير رحب
ولا في نجاة فبالحري لتكفين وانت نائم حتى لا يقال اين فلان والله
انه لحق مع محق وما ابالي ما صنع الملحدون ○ **اقول**
روي عن ابي موسى انه كان حين سار علي عليه السلام الى البصرة واستنفاره
لاهل الكوفة الى نصرته يثبط الناس عنه ويقول انها فتنة فلا يجوز
القيام فيها ويروي عن النبي عليه السلام اخبارا تتضمن وجوب القعود

عن الفتنة والاعتزال منها فكتب اليه مع ابنه الحسن عليهما السلام هذا
الكتاب والقول الذي بلغه عنه هو نهي الناس وتثبيطهم عن النهوض
اليه وذلك قول هو له باعتبار ظاهر الدين ونهيه عن الخوض في
الفتن وهو عليه من وجوه الأول انه كان يتّهمه بانه
لم يقصد بذلك الا قعود الناس عنه وفهم منه ذلك وهو خذلان
الدين في الحقيقة وهو عائد عليه بمضرة العقوبة منه عليه السلام ومن
الله تعالى في الآخرة الثاني انه لما كان عليه السلام على الحق
وحربه كان تثبيط ابي موسى عنه جهلا بحاله وملخصا من نصرته
والقول بالجهل عائد على القائل بالمضرة الثالث انه في
ذلك القول مناقض لغرضه لانه نهى عن الدخول مع الناس ومشاركتهم
في زمن الفتنة ○ وروى خبرا يقتضي انه يجب القعود عنهم حينئذ مع
انه كان امرا تهافت على الولاية وذلك متناقض وكان عليه لا له ○
ثم امره عند قدوم رسوله عليه باوامر على سبيل الوعيد والتهديد
احدها ان يرفع ذيله ويشد مئزره وهما كنايتان عن
الاستعداد للقتال بواجب امره والمسارعة الى ذلك الثاني
ان يخرج من جحره واراد خروجه من الكوفة واستعار له لفظ الجحر
ملاحظة لشبهه بالثعلب ونحوه الثالث ان يندب اي
يبعث من معه من العسكر ويدعوهم الى الخروج وقوله فان حققت اي
عرفت حقيقة امري واني على الحق فانفذ اي فامض فيما امرك به وان
تفشلت اي جبنت وضعفت عن هذا الامر ومعرفته فاقعد عنه ثم
توعده على تقدير قعوده واقسم ليأتينّه بالمكان الذي هو به من لا

يركبه حتى يخلط زبده بخاثره وذائبه بجامده وهما مثلان كنى بهما عن
خلط احواله الصافية بالتكدير وعزته بذلته وسروره بغمه وسهوله
امره بصعوبته وحتى يعجله عن بعدته وهي هيئة قعوده واراد غاية
الاعجال وحتى يكون حذره من امامه كحذره من خلفه وهو كناية عن
غاية الخوف وانما جعل الحذر من خلف اصلا في المشبه لكون الانسان
من ورائه اشد خوفا ٥ وقيل اراد حتى يخاف من الدنيا كما يخاف
من الآخرة **وقوله** وما هي بالهوينا اي وما القصة
المعهودة لك بالهينة السهلة التي ترجوا ان يكون فيها على اختيارك
ولكنها الداهية الكبرى من دواهي الدهر ومصائبه **وقوله**
يركب جملها اي يركب فيها ويذلل صعبها اي يسهل الامور الصعاب
فيها وهو كناية عن شدتها وصعوبتها ثم اردف وعيده وتحذيره
بنصيحته وامره باوامر احدها ان يعقل عقله وعقله يحتمل
النصب على المصدر وهو امر له ان يراجع عقله ويعتبر هذه الحال
العظيمة دون هواه ٥ وقيل هو مفعول به اي اضبط عقلك
واحبسه على معرفة الحق من الباطل ولا تفرقه فيما لا يعني الثاني
ان يملك امره اي شانه وطريقته وتصرفها على قانون العدل والحق
دون الباطل الثالث ان ياخذ نصيبه وحظه من طاعة الله
والقيام بامره في تصرفه والمرتب عن دين الله ٥ وقيل اراد خذ
ما قسم لك من الحظ ولا تتجاوز الى ما ليس لك ثم اردف ذلك بامره
بالتنحي عن الولاية على تقدير كراهيته ما ذكر وعدم امتثاله لما امره
وقوله فبالحرى لتكفين اي فما احرى ان تكفي هذه

المؤنة وانت نائم عن طاعة الله حتى لا تفتقد ولا يسال عنك لقلة المبالاة
بك ٥ ثم اقسم انه لحق اي الامر المعهود الذي فعله من حربه بالبصرة
مع محق اي صاحب حق محقق لما يدعيه عالم به لا يكترث بما صنع
الملحدون في دين الله من مخالفته لمعرفته انه على الحق دونهم ٥

ومن كتاب له عليه السلام

الى معاوية جوابا عن كتاب منه

اما بعد فانا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة ففرق
بيننا وبينكم امس انا آمنا وكفرتم واليوم انا استقمنا وفتنتم وما
اسلم مسلمكم الا كرها وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول الله
صلى الله عليه وآله حربا وذكرت اني قتلت طلحة والزبير وشردت
بعائشة ونزلت بين المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك ولا العذر
فيه اليك وذكرت انك زائري في المهاجرين والانصار وقد انقطعت
الهجرة يوم اسر ابوك فان كان فيك عجل فاسترفه فاني ان ازرك فذلك جدير
ان يكون الله انما بعثني للنقمة منك وان تزرني فكما قال اخو بني اسد ٥
مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين اغوار وجلمود
وعندي السيف الذي اعضضته بجدك وخالك واخيك في مقام واحد
فانك والله ما علمت الاغلف القلب المقارب العقل والاولى ان يقال لك
انك رقيت سلما اطلعك مطلع سوء عليك لا لك لانك نشدت غير ضالتك
ورعيت غير سائمتك وطلبت امرا لست من اهله ولا في معدنه فما ابعد
قولك من فعلك وقريب ما اشبهت من اعمام واخوال حملتهم الشقاوة
وتمني الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله فصرعوا مصارعهم

حيث علمت لم يدفعوا عظيما ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها
ولم يماشها الهوينا وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس
ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله واما تلك التي تريد فانها
خدعة الصبي عن اللبن في اول الفصال والسلام **اقول**
انف الاسلام اوله والتشريد الابعاد واسترفه اي نفس عنك من الرفاهية
وهي السعة والاغوار المنخفضة من الارض واغصصت السيف
فلانا اي جعلته يغص به وهو من المقلوب لان المضروب هو الذي
يغص بالسيف اي لا يكاد يسيغه وروي بالضاد المعجمة اي جعلته
عاضا لهم والزمته بهم والمقارب بالكسر الذي ليس بالتمام وقد كان
معاوية كتب اليه عليه السلام يذكره ما كانوا عليه قديما من الالفة والجماعة
وينسب اليه بعد ذلك قتل طلحة والزبير والتشريد لعائشة ويتوعده
بالحرب ويطلب منه قتلة عثمان فاجابه عليه السلام عن كل من ذلك بجواب
اما الاول فسلم له دعواه من القدر المشترك بينهم وهو الالفة
والجماعة قبل الاسلام ولكنه ذكر الفارق بينهم وهو من وجوه احدها
انه عليه السلام في اول الاسلام آمن في جملة من اهل بيته ومعاوية واهل بيته
حينئذ كانوا كفارا الثاني انه عليه السلام واهل بيته في اول الامر
لم يزالوا مستقيمين على الدين ومعاوية واهله مفتونين جاهلين يفتنهم
الثالث ان من اسلم من اهل بيته عليه السلام اسلم طوعا ومن اسلم
اهل معاوية لم يسلم الا كرها بعد ان اشتد الاسلام وصار للرسول عليه
السلام حزب قوي من اشراف العرب واستعار لفظ الاسلام لهم باعتبار
كونهم اعز اهله وممن اسلم كرها ابو سفيان وذلك انه لما اتى رسول الله

صلى الله عليه الى مكة في غزوة الفتح اتى ليلا فنزل بالبطحاء وما حولها
فخرج العباس بن عبد المطلب على بغلة رسول الله صلى الله عليه يدور حول
مكة في طلب من يبعثه الى قريش ليخرجوا الى رسول الله صلى الله عليه
وليعتذروا اليه فلقي ابا سفيان فقال له كن رديفي لنمضي الى رسول الله
وناخذ الامان لك منه فلما دخلا على رسول الله صلى الله عليه عرض عليه
الاسلام فابى فقال عمر ايذن لي يا رسول الله لاضرب عنقه وكان
العباس يحامي عنه للقرابة فقال يا رسول الله انه يسلم غدا فلما جاء الغد
دخل به على رسول الله فعرض عليه الاسلام فابى فقال له العباس في السر يا
ابا سفيان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وان لم يكن ذلك
في قلبك فانه يامر الآن بقتلك ان لم تقل فشهد الشهادتين على كره لخوف
القتل وقد راى اكثر من عشرة الاف رجل حول رسول الله صلى الله عليه
وقد تحزبوا معه واجتمعوا اليه فذلك معنى قوله لما بعد الى قوله حربا
الثاني ما ادعاه عليه من قتل طلحة والزبير وتشريد عايشة
والنزول بين المصرين البصرة والكوفة فاجاب عنه بقوله وذلك الى قوله
اليك وهو في صورة ضمير تقديره وكل من غاب عن امر ولم يكن له
فيه مدخل فليس بتكليفه عليه ولا العذر من المقصر او المفرط فيه
اليه الثالث ما توعده به من زيارته في المهاجرين والانصار فاجابه
بوجهين احدهما انه اوهم في كلامه انه من المهاجرين فاكذبه بقوله
وقد انقطعت الهجرة يوم اسر ابوك اي حين الفتح وذلك ان معاوية واباه وجماعة
من اهله انما اظهروا الاسلام بعد الفتح فلا تصدق عليهم اذن اسم
المهاجرين وسمى عليه السلام اخذ العباس لابي سفيان الى رسول الله صلى الله عليه

غير مختار وعرضه على القتل اسيرا وروى يوم اسر اخوك وقد كان اسر
اخوه عمرو بن ابي سفيان يوم بدر فعلى هذه الرواية يكون الكلام في معرض
التذكير له بان من شانه وشان اهله ان يوسروا ولا يسلموا فكيف يدعون مع ذلك
الهجرة وهي بهذا الاعتبار منقطعة عنهم ولا يكون يوم اسر ظرفا لانقطاع
الهجرة انما انقطعت بعد الفتح ا لثـــــاني مقابلة وعيده بوعيد
مثله وهو قوله فان كان الى قوله مقام واحد واراد ان كنت مستعجلا في
مسيرك الي فاطلب الرفاهية على نفسك في ذلك فانك انما تستعجل الى ما
يضرك ونبه على ذلك بقوله فاني الى قوله واحد وهو في قوة صغرى مضمر
ووجه التمسك بالبيت انه شبه استقبال معويه في جمعه لهم باستقبالهم
رياح الصيف وشبه نفسه برياح الصيف وجعل وجه المشابهة كونه عليه
السلام يضرب وجوههم في الحرب بالسيوف والرماح كما تضرب رياح
الصيف وجوه مستقبليها بالحصباء وقد بينا انه عليه السلام قتل جد معاوية
وهو عتبه وخاله الوليد بن عتبه واخاه حنظلة بن ابي سفيان ونقد بدر
الكبرى وكل من كان حاله كذلك فمن الواجب ان يحذر منه ولا
يتوعد بحرب وقتال **وقولـــــه** وانك والله الى قوله
الهوينا توبيخ مشوب بتهديد وما في قوله ما علمت موصولة واستعار لفظ
الاغلاف لقلبه ووجه الاستعارة انه محجوب بالهيات البدنية واغشية
الباطل عن قبول الحق وفهمه فكانه في غلاف منها ووصف المقاربة في
عقله لاختياره الباطل ثم اعلمه على سبيل التوبيخ بما هو الاولى ان يقال
في حاله واستعار لفظ التسلق للاحوال التي ركبها والمنزلة التي طلبها
ورشح بذكر الارتقاء والاطلاع والمطلع مصدر ويجوز ان يكون اسم

الموضع واحتج لصحة قوله بقوله لانك الى قوله معدنه واستعار لفظ
الضالة والمتاع لمرتبته التي ينبغي له ان يطلبها ويسعى عنها وما هو
غيرها هو امر الخلافة اذ ليس من اهلها ورشح بذكر التشديد والزعيم
تعجب من بعد ما بين قوله وفعله وذلك ان مدار قوله في الظاهر
طلب قتلة عثمان وانكار المنكر كما ادعاه ومدار فعله وحركاته
على التغلب في الملك والبغي على الامام العادل وشتان ما هما
ثم حكم بقرب شبهه باعمامه واخواله وما مصدرية والمصدر مبتدا
خبره قريب من اهل الشقاوة من جهة عمومته حمالة الحطب ومن جهة
خؤولته الوليد بن عتبه وانما لزم الاعمام والاخوال لانه لم يكن له
اعمام واخوال كثيرون والجمع المنكر جاز ان يعبر به عن الواحد
والاثنين للمبالغة مجازا في معرض الشناعة ولا كذلك الجمع المعرف
واشار الى وجه الشبه بقوله حملتهم الى قوله الهوينا وموضع قوله
حملتهم الجر صفة لاخوال واراد الشقاوة المكتوبة عليهم في الدنيا
والاخرة التي استعدوا لها بجحود محمد صلى الله عليه واله وتمني الباطل
وهو ما كانوا يتمنونه ويبذلون انفسهم واموالهم فيه من قهر الرسول
صلى الله عليه واله واطفاء نور النبوة واقامة امر الشرك
وقولـــــه يوقع متعلق بقوله فصرعوا وما خلا
صفة لسيوف ولفظ المماشاة مستعار والمراد ان تلك السيوف
لم يلحق ضربها ووقعها هون ولا سهولة ولم يجر معها ورُوي لم تماشها
بالسين المهملة من المماشة اي لم يخالطها شيء من ذلك الباسـ
طلبه لقتلة عثمان ولجابه بقوله فادخل الى اخره واراد فيما دخل فيه الناس

من الطاعة والبيعة وصدق الجواب ظاهر لأنه لا بد للمتحاكمين من حاكم وهو عليه السلام نصب الحاكم الحق فليس لمعاوية أن يطلب منه أن يقدم قوما منهم المهاجرون والأنصار ليسلمهم إليه حتى يقتلهم من غير محاكمة بل يجب أن يدخل في طاعته ويجري عليه أحكامه ليحاكم القوم إليه فأما الله وأما عليه **وقوله** وأما تلك التي تريد أي الخدعة عن الشام لغرض إقراره على إمارتها ووجه مشابهتها لخدعة الصبي ضعفها وظهور كونها خدعة لكل أحد وإنما قال والسلام لأهله لأن معاوية لم يكن في ظنه من أهله والله الموفق

ومن كتاب له عليه السلم

إليه أيضا

أما بعد فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور فقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل واقتحامك غرور المين والأكاذيب وبانتحالك ما قد علا عنك وابتزازك لما اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو ألزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملئ به صدرك فماذا بعد الحق إلا الضلال وبعد البيان إلا اللبس فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها فإن الفتنة طالما أغدفت جلابيبها وأغشت الأبصار ظلمتها وقد أتاني منك كتاب ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السلم وأساطير لم يحكها منك علم ولا حلم أصبحت منها كالخائض في الدهاس والخابط في الديماس وترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام نازحة الأعلام تقصر دونها الأنوق ويحاذى بها العيوق وحاش لله أن تلي بعدي للمسلمين صدرا أو وردا أو أجري لك على أحد منهم عقدا أو عهدا فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها فإنك إن فرطت حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور ومنعت أمرا هو منك اليوم مقبول **أقول** المدارج المسالك والمذاهب جمع مدرجة والاقتحام الدخول في الشيء بسرعة من غير روية وانتحال الكلام ادعاؤه لنفسه وليس له والابتزاز الاستلاب وأغدفت المرأة جلبابها أرسلته على وجهها والأفانين التخليط والتنويع والسلم الصلح والأساطير جمع أسطورة بالضم وإسطارة بالكسر والدهاس المكان السهل اللين دون الرمل والديماس المكان الشديد الظلمة كالسرب ونحوه والمرقبة موضع مشرف يرتفع عليه الراصد والأنوق الرخمة والعيوق نجم معروف وتنهد تنهض وارتجت أغلقت وللكتاب جواب أيضا **فقوله** أما بعد إلى قوله الأمور تنبيه على وجوب الاتعاظ والانزجار عن دعوى ما ليس له والمراد أنه قد حضر وقت انتفاعك من عيان الأمور ومشاهدتها بلمحك الباصر ولفظ اللمح مستعار لدرك الأمور أي انتفاعها الواقعة لخفة وسرعة ورؤى عيون الأمور وحقائقها التي هي معادن اللمح والاعتبار ووصفه بالباصر مبالغة في الأبصار كقولهم ليل أليل **وقوله** فقد سلكت إلى قوله اللبس إشارة إلى سبب حاجته إلى التنبه المذكور وهو سلوكه طرائق أسلافه بالأمور الأربعة المذكورة وادعاؤه الأباطيل ادعاؤه ما ليس له بحق من دم عثمان وطلحة والزبير وغير ذلك واقتحامه

لغرور الكاذب دخوله في الفصلة عن سوابقها واكاذيبه في
دعواه ظاهرة وما قد علا عنه هو امر الخلافة وما اختزن دونه
ما بتزه هو مال المسلمين وبلادهم التي تغلب عليها واراد انه اختزن
بالاستخفا من الله وفرارًا وجحودًا امضى دان شد امسد الحبال
وما هو الزم له من لحمه ودمه مما قد وعاه سمعه عن رسول الله
صلى الله عليه وامتلا به صدره علمًا في مواطن كغدير خم وغيره
وهو وجوب طاعته وانما كان الزم له من لحمه ودمه لانهما دايمًا في
التغير والتبدل ووجوب طاعته امر لازم لنفسه لا يجوز تبدله وتغيره
ويجوز بلفظ الصدر في القلب اطلاقًا للاسم المتعلق على المتعلق واشار
بالآية الى ان الحق الذي علمته لي بين ورآه لم تعدله الا الضلال والهلاك
لان الحق حد من جاوزه وقع في احد طرفي الافراط والتفريط وكذلك
ليس بعد البيان الذي تركك في امري الا اللبس ثم حذره الشبهه
واشتمالها على لبستها كشبهه دم عثمان ولفظ اللبسه مستعار للداخل
فيها لاحاطته لشبهها بالقميص ونحوه وعلل حذره اياه ووجوب
وقوفه دونها بقوله فان الفتنة الى قوله ظلمتها وهو صغرى ضمير واستعار
لفظ الجلابيب لامورها المغطية لبصاير اهلها عن الحق كالجلباب للمراة
عند ارسال جلبابها على وجهها وكذلك استعار لفظ الظلمة باعتبار
التباس الامور فيها وعدم الهدى الى الحق كالظلمة التي لا يهتدى
فيها ورشح بذكر الاغداف والاغشاء ثم شرع في احوال كتابه فبدا
بذمه ولما كان مداره على اللفظ والمعنى اشار الى ذم اللفظ بانه ذو
افانين من القول اي انه اقوال ملفقة لا يناسب بعضها بعضًا ٥

وقوله ضعف قواها عن السلم اي ليس لها قوة ان
توجب صلحًا واشار الى ذم المعنى بانه اساطير غير محكمة النسج لا من جهة
العلم اذ لا علم له ولا من جهة الحلم لان الكتاب كان فيه خشونة وتهدد
وذلك ينافي الحلم وينافي غرضه من الصلح ولفظ الحوك مستعار لسبك
الكلام **وقوله** لاضحت منها صفة لاساطير ووجه
شبهه بالخائض والخابط ضلاله وعدم هدايته الى وجه الحق كما لا
يهتدي خائض الدهاس وخابط الديماس فيهما ثم شرع في جوابه
وكان مقصوده في كتابه ان ينص عليه بالخلافة بعده ليبايعه
فوبخه اولا على طلبه امرًا ليس من اهله بقوله وترقيت الى قوله
العيوق ولفظ المرقبة مستعار لامر الخلافة ورشح بلفظ الترقي
والاوصاف الاربعة بعدها لانها من شان المرقبة التامة وانما خص
الانوق لانها تقصد الاماكن العالية الصعبة من رؤوس الجبال
فتبني اوكارها هناك ٥ ثم صرفه عن المطلوب بان يابى الله سبحانه
ان يلي بعده للمسلمين خروجًا او دخولًا في امر من امورهم او ان يجري
على احد منهم له عقدًا او عهدًا والعقد كالنكاح والبيوع والاجارة
والعهد كالبيعة والامان واليمين والذمة اي لا يمكنه من ذلك
ولما آيسه من المطلوب امره بتدارك نفسه بالنظر لها فيما هو
مصلحتها من طاعته وتوعده على تقصيره في ذلك بما يلزم تقصيره
من نهوض عباد الله اليه والتغلق والامور حينئذ عليه ومنعه
العذر الذي هو منه الآن مقبول وبالله التوفيق ٥

ومن كتاب له عليه السلام

الى عبد الله بن العباس رحمه الله وقد مضى هذا
الكتاب فيما تقدم بخلاف هذه الرواية

اما بعد فان العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على
الشيء الذي لم يكن ليصيبه ولا يكن افضل ما نلت في نفسك من دنياك
بلوغ لذة او شفاء غيظ ولكن اطفاء باطل واحياء حق وليكن سرورك بما
قدمت واسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت **اقول**
قد سبق شرح هذه الكلمات ونشير فيه منها انه نبهه على لزوم
فضيلتي العفة والحلم بالنهي عن ان يجعل بلوغ لذته من دنياه او شفاء غيظه
اللذين هما طرفا الافراط من الفضيلتين المذكورتين افضل ما نال منها في
نفسه ثم نبهه على ما ينبغي ان يكون افضل في نفسه من دنياه وهو اطفاء
الباطل واحياء الحق واطفاء الباطل بنفسه على وجه استعمال قوتي الشهوة
والغضب وهو ان يكون الغرض من فعلهما دفع الضرورة وتحصيل الحاجة
ومنها انه امره في الرواية الاولى ان يكون فرحه بما نال من آخرته
وامره هنا ان يكون سروره بما قدم لنفسه من زاد التقوى وهو امر
مقدمه الآخرة وامره في الرواية الاولى ان يكون اسفه على ما فات
من آخرته وامره هنا ان يكون اسفه على ما خلف اي ترك من العمل
لها وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة

اما بعد فاقم للناس الحج وذكرهم بايام الله واجلس لهم العصرين فافت
المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم ولا يكن لك الى الناس سفير الا
لسانك ولا حاجب الا وجهك ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها فانها ان
ذيدت عن ابوابك في اول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها وانظر
الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال
والمجاعة مصيبا به مواضع المفاقر والخلات وما فضل عن ذلك فاحمله الينا
لنقسمه فيمن قبلنا ومر اهل مكة الا ياخذوا من ساكن اجرا فان الله سبحانه
يقول سواء العاكف فيه والباد فالعاكف المقيم به والبادي
الذي يحج اليه من غير اهله وفقنا الله واياكم لمحابه والسلام
اقول ذيدت ردت والخلة الحاجة وفيه مقاصد
احدها امره باقامة الحج للناس واقامته القيام باعماله
وتعليم الجاهل كيفيته وجمعهم عليه الثاني ان يذكرهم
بايام الله اي عقوباته التي وقعت بمن سلف من المستحقين لها كي يحذروا
بطاعته من امثالها وعبر عنها بالايام مجازا اطلاقا لاسم المتعلق
على المتعلق الثالث ان يجلس لهم العصرين اي الغداة والعشي
لكونهما اطيب الاوقات بالحجاز واشار الى اعظم فوائد جلوسه في
الوقتين وهي فائدة العلم وحصر وجوه حاجة اهلها اليها وامره بسد
تلك الوجوه وبيان الحصر ان الناس اما غير عالم او عالم وغير العالم
اما مقلد او متعلم طالب والعالم اما هو او غيره فهذه اقسام اربعة
فوجه حاجة القسم الاول وهو الجاهل المقلد ان يستفتي
فامره ان يفتيه ووجه حاجة الثاني وهو المتعلم الجاهل
ان يتعلم فامره ان يعلمه ووجه حاجة الرابع وهو العالم
ان يتذاكرا فامره بالمذاكرة له الرابع نهاه ان يجعل له في

الناس سفيراً يعبر عنه الا لسانه ولا حاجباً الا وجهه لأن ذلك مظنة
الكبر والجهل بأحوال الناس التي يجب على الوالي الإحاطة بها بقدر
الإمكان، والأخير حصر وما بعدها خبر كان الخامس نهاه أن
يحجب احداً عن لقائه بحاجته مؤكداً لما سبق ورغبه في ملاقاة ذي الحاجة
بضمير صغراه قوله فإنها الى قوله قضائها اي لم تحمد فيما بعد وان قضيتها
له وتقدير الكبرى وكل امر كان كذلك فلا ينبغي أن يحجب صاحبه
عن لقائك فيه وتذاد عن ابوابك في اول ورده السادس امره
أن يعتبر بيت مال المسلمين ويصرفه في مصارفه متوخياً به ذلك المحوج
فالأحوج ويحمل الباقي إليه ومصيباً خلال واضاف مواضع الى المفاقر
لتغاير اللفظ السابع امره بنهي اهل مكة عن اخذ الأجرة ممن
يسكن بيوتهم بها واحتج بالآية مفسراً لها وهي صغرى ضمير تقدير
كبراه وكلما قال الله فيه ذلك لم يجز مخالفته ثم ختم بالدعاء لنفسه
وله ان يوفقهما للمحابة وبه التوفيق لذلك ۝ صح

ومن كتاب له عليه السلام

الى سلمان الفارسي رضي الله عنه قبل ايام خلافته

اما بعد فإن مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عما يعجبك
منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت به من فراقها
وكن آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها فإن صاحبها كلما اطمأن
فيها الى سرور اشخصته عنه الى محذور والى ايناس ازالته عنه الى
ايحاش **أقول** اشخصته اذهبته ومدار الفصل على
الموعظة وذم الدنيا وضرب لها مثلاً وذكر من وجوه الشبه من جانب
الممثل به امرين احدهما لين المس ويماثله من جانب الدنيا رفاهية
العيش ولذته والثاني قتل سمها ويماثله من الدنيا هلاك
المنهمكين في لذاتها يوم القيامة ۝ ثم امره في مقابلة بهاتها وامرا احدها
أن يعرض عما يعجبه منها وعلل وجوب اعراضه بقوله لقلة ما يصحبك منها
وهي صغرى ضمير تقديرها ما يصحبك منها قليل وتقدير كبراه وكلما
كان كذلك فينبغي أن يعرض عنه الثاني أن يضع عنه همومها
طلبها وعلل وجوب ذلك بضمير صغراه قوله لما ايقنت من فراقها اي
لأنك متيقن لفراقها وتقدير كبراه وكلما تيقنت فراقه فالواجب أن
تضع همك عن طلبه الثالث أن يكون آنس ما يكون منها احذر
ما يكون منها وما مصدرية وآنس نصب على الحال واحذر خبر
كان اي في حال كونك آنس بها كن احذر ما تكون منها والغرض
أن يحذر منها بقدر جهده ولا يأنس بها وعلل وجوب الحذر
منها بقوله فإن صاحبها الى آخره وهو صغرى ضمير تقديرها فإنها كلما
اطمأن صاحبها فيها الى آخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب
أن يحذر صاحبه منه ولا يأنس اليه صح فالدنيا يجب أن يحذر صاحبها منها

ومن كتاب له عليه السلام

الى الحرث الهمذاني

وتمسك بحبل القرآن وانتصحه واحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما
سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا فإن بعضها يشبه بعضاً وآخرها
لاحق بأولها وكلها حائل مفارق وعظم اسم الله ان تذكره الا على
حق واكثر ذكر الموت وما بعد الموت ولا تتمن الموت الا بشرط

وشر واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة المسلمين واحذر
كل عمل تعمل به في السر وتستحي منه في العلانية واحذر كل عمل
اذا سئل عنه صاحبه انكره او اعتذر عنه ولا تجعل عرضك غرضا
لنبال القول ولا تحدث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا
ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به وكفى بذلك جهلا واكظم
الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند القدرة واصفح مع
الدولة تكن لك العاقبة واستصلح كل نعمة انعمها الله عليك
ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك ولير عليك اثر ما انعم الله به
عليك ۝ واعلم ان افضل المؤمنين افضلهم تقدمة من نفسه وماله
وانك ما تقدم من خير يبق لك ذخره وما تؤخر يكن لغيرك خيره
واحذر صحابة من يفيل رايه وينكر عمله فان الصاحب معتبر بصاحبه
واسكن الامصار العظام فانها جماع المسلمين واحذر منازل
الغفلة والجفا وقلة الاعوان على طاعة الله واقصر رايك على ما
يعنيك واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر الشيطان ومعاريض
الفتن واكثر ان تنظر الى من فضلت عليه فان ذلك من ابواب الشكر
ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلوة الا فاصلا في سبيل الله
او في امر تعذر به واطع الله في جمل امورك فان طاعة الله فاضلة
على ما سواها وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ
عفوها ونشاطها الا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فانه لا بد من
قضائها وتعاهدها عند محلها واياك ان ينزل بك الموت وانت آبق
من ربك في طلب الدنيا ومصاحبة الفساق فان الشر بالشر ملحق ووقر

الله واحبب احباءه واحذر الغضب فانه جند عظيم من ابليس ۝
اقول هذا الفصل من كتاب طويل اليه وقد امره فيه
باوامر وزجره بزواجر مدارها على تعليم مكارم الاخلاق ومحاسن
الآداب احدها ان تمسك بحبل القران ولفظ الحبل
مستعار كما سبق واراد لزوم العمل به الثاني ان ينتصحه
اي يتخذه ناصحا له بحيث يقبل امره وشوره لانه يهدي الى الحق والى طريق
مستقيم ۝ الثالث ان يحل حلاله ويحرم حرامه وذلك ان
يعتقد ما فيه من الحلال والحرام حلالا وحراما ويقف عند اعتقاده
ويعمل بمقتضاه الرابع ان يصدق بما سلف من الحق مما
حكاه القران الكريم من احوال القرون الماضية واحوال الانبياء مع
اممهم ليحصل منه الاعتبار الخامس ان يعتبر ما مضى من الدنيا
بما بقي منها ويقيسه به فيجعل ما مضى اصلا وما بقي فرعا ويجعل القدر المشترك
بينهما من العلة هو كونها مظنة التغير والزوال فيحكم في الفرع
بحكم الاصل وهو وجوب الزوال وقد نبه على المشترك بقوله فان بعضها
يشبه بعضا ۝ وعلى ما يلزم ذلك في الفرع بقوله وآخرها لاحق باولها
وكلها حائل اي زائل مفارق السادس ان يعظم اسم الله
ويكره ان يذكره حالفا الا على حق السابع ان يكثر ذكر الموت
وما بعده فان ذكرهما اعظم واعظ واشد زاجر عن الدنيا الثامن
نهاه ان يتمنى الموت الا بشرط وثوقه من نفسه بطمأنينته في طاعة الله
ولطاعته فان تمنيه بدون ذلك سفه وحمق التاسع امره ان
يحذر كل عمل يرضاه لنفسه ويكرهه للمسلمين وهو في المعنى نهي عن الاستيثار

عليهم بالخيرات وهو كقوله رد للناس ما تريد لنفسك واكره لهم ما تكرهه
لها العاشر امره ان يجعل ما يجعله في السر ويستحيي منه في
العلانية والاشارة الى معاصي الله ومعارفه الدنيا من المباحات وكذلك
كل عمل من شانه ان ينكره اذا سئل عنه ويعتذر منه الحادي
عشر ان يحفظ عرضه ونهاه ان يجعله غرضا واستعار لفظ الغرض و النبال
ما يرمى به من القول وقد سبق وجه الاستعارة الثاني عشر ان
يحدث الناس بكل ما سمع على وجه ان يقول كان كذا او كذا دون ان يقول
سمعت ولانا نقول كذا فان بينهما فرقا ولذلك قال فكفى بذلك كذبا
لانه جاز ان يكون ما سمع في نفس الامر كذبا فيكون قد كذب في قوله كان
كذا وقوله سمعت كذا لا يكون كذبا الا على وجه اخر الثالث عشر
ان لا يرد كل ما حدث به الناس ويقابله بالتكذيب والانكار لانه جاز
ان يكون حقا فيحصل من انكاره جهل الحق وقوله ويكفي في الموضعين صغرى
ضمير تقديره وكبرى الاول كفى به كذبا من سعى ان لا يحدث به وتقدير
كبرى الثاني وكل ما كفى برده جهلا وجب ان لا يرد الرابع
عشر امره بكظم الغيظ والحلم والتجاوز والصفح وهي فضائل تحت
ملكة الشجاعة وشرطها وجود الغضب والقدرة والدولة تسمى
حلما وتجاوزا وصفحا والا لم يصدق عليها الاسم وقوله يكن لك العاقبة
اي العاقبة الحسنة من ذلك وهي صغرى ضمير تقديرها فان فاعل هذه
الخصال يكون له العاقبة منها وتقدير الكبرى وكل ما كان له
العاقبة الحسنة منها فيجب ان يفعلها الخامس عشر ان يستصلح
كل نعمة الله تعالى عليه اي يديمها بالشكر السادس عشر ان لا

يضيع من نعمة الله تعالى اي بالقصور عن الشكر والغفلة عنه السابع
عشر ان يظهر اثر نعمة الله تعالى عليه بحيث يراها الناس وظهور اثرها
عليه باظهارها على نفسه وذويه وصرف فاضلها الى اهل الاستحقاق
واعلمه بدليل وجوب ذلك من وجهين احدهما قوله ان افضل المومنين
افضلهم تقدمة اي صدقة تقدمها من نفسه باقواله وافعاله وامواله و
اهله كذلك له ان يجعل نفسه من افضل المومنين بالصدقة الثاني
قوله وانك الى قوله خير اي ما تقدمه وتؤخره من المال وتخلفه وهو
صغرى ضمير تقديره وكلما اذا قدمته كان لك ذخرا واذا
اخرته كان لك خيره فواجب عليك تقديمه الثامن عشر
ان يجتنب صحابة من قل رايه اي ضعف وينكر عمله لشؤمه وعلل
ذلك التحذير بقوله فان الى قوله بصاحبه اي فانك تقارنه وتنسب
فعالك الى فعله ولان الطبع مع الصحبة اطوع للفعل منه للقول ولو
صحبه لشابه فعله فعله التاسع عشر ان يسكن الامصار العظام
والغرض الجمعية على دين الله لقوله صلى الله عليه عليكم بالسواد الاعظم
ولذلك علل بكونها جماع المسلمين اي مجمعهم واطلق اسم المصدر
على المكان مجازا وهو صغرى ضمير تقديره وكل ما كان كذلك
ينبغي ان يختص بالسكنى العشرون ان يجتنب منازل الغفلة
والجفا وقلة الاعوان على طاعة الله وتلك هي منازل اللذات والاستغراق
في طلب الدنيا والغفلة والجفا لاهل طاعة الله الحادي
والعشرون ان يقصر رايه على ما يعنيه فان فيه شغلا عما لا يعنيه
فيجاوزه اليه سفه الثاني والعشرون ان يحذر مقاعد

الاسواق واشار الى وجه المفسدة بقوله فانها الى قوله الفتن ومعنى كونها
محاضر الشيطان كونها مجمع الشهوات ومحل الخصومات التي مبدأوها
الشيطان ومعاريض جمع معرض وهو محل عروض الفتن والكلام صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا يجوز القعود فيه الثالث
والعشرون ان امره بكثرة نظره الى من هو دونه ممن فضل هو عليه في النعمة
وعلل ذلك بقوله فان ذلك الى قوله الشكر ووجه كونه بابا للشكر انه يكون
سببا للدخول اليه منه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان من
ابواب الشكر فواجب ملازمته الرابع والعشرون ان لا
تسافر في يوم الجمعة الا ان يكون في جهاد او عذر واضح وسره ان
صلوة الجمعة عظيمة في الدين وهو محل التأهب لها والعبادة فوضعه
للسفر وضع الشيء في غير محله الخامس والعشرون ان يطيع الله
في جميع اموره ورغب فيها بضمير صغراه قوله فان الى قوله سواها وتقدير
كبراه وكل ما فضل على ما سواه فالاولى لزومه وايثاره على ما سواه
السادس والعشرون ان يخادع نفسه في العبادة فانه لما كان
شان النفس اتباع الهوى وموافقة الطبيعة فالحرى ان يخادع عن
مالوفها الى غيره تارة بان يذكرها الوعد وتارة الوعيد وتارة
بالاشتباه بمن هو دونها ممن شمر في عبادة الله وتارة باللوم لها على
التفريط في جنب الله واذا سلك بها مسعى ان يكون بالرفق من غير
قهرها على العبادة لكون ذلك داعية الملال والانقطاع كما اشار
اليه سيد المرسلين صلى الله عليه ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق
ولا تبغض بنفسك عبادة الله تعالى فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى

ما يأخذ معها عفوها ونشاطها في العبادة الا الفريضة فانه لا يجوز
المساهلة فيها السابع والعشرون حذره ان ينزل به
الموت حال ما هو آبق من ربه واستعار له لفظ الآبق باعتبار خروجه
عن امره ونهيه عن طلب الدنيا الثامن والعشرون ان
يحذر صحبة الفساق ونفر عن ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر بالشر
ملحق اي فانه يصير لك شرا كشرهم لان القرين بالمقارن يقتدي
وتقدير كبراه وكل ما صير لك شرا كذلك فلا يجوز فعله
التاسع والعشرون ان يجمع بين توقير الله وتعظيمه وبين
محبة احبائه واوليائه وهما اصلان عظيمان الثلثون
ان يحذر الغضب ونفر عنه بقوله فانه الى آخره ومعنى كونه جندا له انه
من اعظم ما يدخل به على الانسان فيملكه ويصير نفسه كالملك
الداخل بالجند العظيم على المدينة وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
ما كان كذلك فواجب ان يحذر منه وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

الى سهل بن حنيف الانصاري وهو عامله
على المدينة في معنى قوم من اهلها لحقوا بمعوية

اما بعد فقد بلغني ان رجالا ممن قبلك يتسللون الى معوية فلا
تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم
غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وايضاعهم الى العمى
والجهل وانما هم اهل الدنيا مقبلون عليها ومهطعون اليها
قد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا ان الناس عندنا

في الحق اسوة فهربوا الى الاثرة فبعداً لهم وسحقاً انهم والله لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل وانا لنطمع في هذا الامر ان يذلل الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه ان شاء الله تعالى والسلام **اقول** السلال الذهاب واحداً بعد واحد والايضاع الاسراع وكنى
الاهطاع والاثرة الاستبداد **وقوله** اما بعد الى قوله معوية اعلام له بعلمه بحالهم **وقوله** فلا تأسف الى قوله مددهم تسلية له عما فاته من عددهم ومددهم **وقوله** وكفى الى قوله العدل استدراج له عن الاسف على فراقهم بذكر معايبهم في ضمن صغرى الاول منهما قوله وكفى الى قوله الجهل وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا يجوز الاسف عليه وفراره
ما عل كفى وغيا تمييز وصغرى الثاني قوله وانما هم اهل الدنيا اي انما كان شأنهم ذلك وعرفوا العدل عندنا وعلموا استواء الناس عندنا في الحق هربوا الى الاستئثار والاستبداد عند معاوية وتقدير كبراه وكل من كان بهذه الحال فلا يجوز الاسف عليه ولذلك دعا عليهم بالبعد والسحق وهما مصدران وضعا للدعاء ثم اقسم انهم لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل من معاوية لتأكيد حصره لاحوالهم التي هربوا لاجلها ووعده بما يطمع فيه من الله تعالى من تذليل ما صعب من امر الخلافة لهم وتسهيل حزنه بمشيته سبحانه

ومن كتاب له عليه السلام

الى المنذر بن الجارود العبدي وقد كان
استعمله على بعض النواحي فخان الامانة

اما بعد فان صلاح ابيك غرني منك وظننت انك تتبع هديه وتسلك سبيله فاذا انت فيما رقي الي عنك لا تدع لهواك انقياداً ولا تبقي لآخرتك عتاداً تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغني عنك حقاً لجمل اهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس باهل ان يسد به ثغر او ينفذ به امر او يعلى له قدر او يشرك في امانة او يؤمن على خيانة فاقبل الي حين يصل اليك كتابي هذا ان شاء الله والمنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه امير المؤمنين انه لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه
يعني انه ينفض التراب من شراكيه اذا اصابهما الغبار **اقول** العتاد العدة والشسع سير بين الاصبعين في النعل العربي ومدار الفصل على توبيخه بسبب خيانته فذكر سبب غروره به وهو ثقته في الصلاح على ابيه الجارود العبدي وانه يتبع ما كان عليه من الهدى ثم ذكر ما رقي اليه عنه من المعار ومن اربعة اوجه احدها انقياده لهواه في كلما يقوده اليه الثاني اعراضه عما يعتد به لآخرته من مصالح الاعمال الثالث كونه يعمر دنياه بما يستلزم خراب آخرته من تناول الحرام الرابع كونه يصل عشيرته بما يقطع دينه من ذلك وراعى السجع في قرينتين والمقابلة في قرينتين ثم اخذ في توبيخه والحكم بنقصانه وحقارته ان حق ما نسب اليه وذلك بتفضيل جمل اهله وشسع نعله وجمل الاهل مما يتمثل به في الهوان واصله مما قيل ان الجمل يكون لاهل القبيلة فيصير ميراثاً لهم يسوقه كل منهم ويصرفه في حاجته فهو ذليل حقير بينهم ثم حكم في معرض توبيخه على من

كان بصفته انه لا تصلح للولاية عمل يراد له الوالي وراعي في القرائن
الاربع التسجيع المتوازي فالغدر بازاء الامر والخيانة بازاء الامانة
وانما قال او يشرك في امانة لان الخلفاء امناء الله في بلاده فمن ولوه
من قبلهم فقد اشركوه في امانتهم **وقوله**
او يؤمن على خيانة اي حال خيانتك لان كلمة على تفيد الحال ثم بعد
توبيخه استقدمه عليه عزلا له والذي حكاه السيد رحمه الله من وصف
امير المؤمنين عليه السلام له وكنايته عن كبره والمثل في التشاكل نفخ
الغبار عنه والحكاية مناسبة للكتاب لاشتمالهما على الذم وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام

الى عبد الله بن العباس رحمه الله

اما بعد فانك لست بسابق اجلك ولا مرزوق ما ليس لك واعلم
بان الدهر يومان يوم لك ويوم عليك والدنيا دار دول فما كان
منها لك اتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك
اقول الفصل موعظة نبهه فيها على امور احدها
انه لا يسبق اجله ولما كان الاجل هو الوقت الذي علم الله ان زيدا يموت
فيه لم يمكن ان يموت زيد دونه لان ذلك يستلزم انقلاب علم الله
جهلا وانه محال الثاني ولا مرزوق ما ليس له اي ما علم الله
انه ليس رزقا له فمحال ان يرزق اياه لما بيناه الثالث اعلمه
ان الدهر يومان يوم وهو اليوم الذي يكون له فيه المنافع كاللذة وكمالاتها
ويوم عليه وهو ما يكون عليه فيه المضرة كالالم وما يستلزمه وذلك معنى
كون الدنيا دار دول كما قال سبحانه وتعالى وتلك الايام نداولها بين الناس ۝

الرابع اعلمه ان ما كان له من خير الدنيا اتاه على ضعفه وان كان
امرا اكبر العلم لله سبحانه بانه يصل اليه وكذلك ما كان عليه من شرها
لم يتمكن من دفعه وان كان قويا وذكر الضعف والقوة ليعلم ان
استناد الامور والارزاق الى مدبر حكيم هو مفيضها ومبدأ اسبابها
وناظم وجودها ومقسم كمالاتها ومعطي كل منها ما استعد له من خير
او شر فقد يحصل الضعف للحيوان ويرزق رزقا واسعا ويكون ضعفه
من الاسباب المعدة لسعة رزقه وبالعكس فيحصل له القوة فيكون
من اسباب الحرمان والله من ورائهم محيط وهو الرزاق ذو القوة المتين ۝

ومن كتاب له عليه السلام

الى معاوية

اما بعد فاني على التردد في جوابك والاستماع الى كتابك لموهن رأيي
ومخطئ فراستي وانك اذ تحاولني الامور وتراجعني السطور كالمستثقل
النائم تكذبه احلامه والمتحير القائم يبهظه مقامه لا يدري اله
ما ياتي ام عليه ولست به غير انه بك شبيه واقسم بالله انه لولا بعض
الاستبقاء لوصلت اليك مني قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم واعلم
ان الشيطان قد ثبطك عن ان تراجع احسن امورك وتاذن لمقال
نصيحتك **اقول** موهن مضعف ويبهظه اثقله والقوارع
الشدائد وتهلس اللحم تذهب به وتسحته وتقرب منه الهلس وثبطه
عن كذا شغله ومدار الفصل على منافرته وتوبيخه **فقوله**
اما بعد الى قوله فراستي اي مضعف رايي وفراستي فيك لغلبة ظني ان
مكاتبتك وجوابك لا فائدة فيه ثم شبهه في محاولته امر الشام وما تحدثه

عنه من جعل امر الخلافة فيه بعده ن ومراجعته السطور اى الكتب في
ذلك بالمستثقل في النوم الغريق فيه وانتصب السطور بحذف الجار
اما في او الى واشار الى وجه الشبه بقوله تكذبه احلامه واراد ان
تمنياته واما نيه في وصول هذا الامر اليه تخيلات كاذبة صادرة عن
جهل غالب كالاحلام الكاذبة للمستغرق في نومه اذا استيقظ
لم يجد شيئا ولذلك شبهه بالمتحير القائم واشار الى وجه الشبه
بقوله يهبطه الى قوله عليه ن وبيانه ان معاوية مجد في هذا الامر
متحير في تحصيله متهور في طلبه مع جهله بعاقبته يعنيه هل هي خير
او شر كالقائم المتحير في الامر يتعب بطول مقامه ولا يعرف غاية
من قيامه ثم لم يرض له بذلك التشبيه بل زاد مبالغة في غفلته ونومه
في مرقد طبيعته وحيرته وقال ولست به اى ولست بهذا شبيها فيكون
هو اصلا لك في التشبيه غير انه بك شبيه اى انك اصل له في ذلك التشبيه
ثم اقسم لولا بعض الاستبقاء اى الامور المصلحية لوصلت اليه منه
قوارع واراد شدائد الحرب وكنى عن شدتها بكونها تقرع العظم
وتهلس اللحم ثم اعلمه في معرض توبيخه ان الشيطان قد ثبطه عن
مراجعة احسن اموره وهو الدخول في طاعته وترك الفتنة وان يأذن
اى يصغي اذنه لمقال نصحه وهو جذب له اليهما نسبة تركه لهما
الى تثبيط الشيطان وبالله التوفيق ن

ومن حلف له عليه السلام

من اليمن وربيعة نقل من خط هشام بن الكلبي

هذا ما اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها
انهم على كتاب الله يدعون اليه ويأمرون به ويجيبون من دعى اليه وامر به لا
يشترون به ثمنا ولا يرضون به بدلا وانهم يد واحدة على من خالف ذلك
وتركه انصار بعضهم لبعض ودعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة
عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما
على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك
عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسئولا وكتب علي بن ابي طالب

اقول الحلف العهد وفيه نكت الاولى هذا مبتدأ
وما موصول له وهي صفة المبتدأ وخبره انهم ويجوز ان يكون هذا مبتدأ خبره
ما اجتمع عليه ويكون قوله انهم تفسيرا لهذا به كانه قال ما الذي اجتمعوا
عليه فقيل على انهم على كتاب الله اى اجتمعوا على ذلك وخبر انهم هو
على كتاب الله ويدعون حال والعامل متعلق الجار وحاضرها وباديها
بدل من اهل اليمن وكذلك من ربيعة الثانية كونهم لا يشترون
به ثمنا كناية عن لزومهم له والعمل به الثالثة قوله وانهم يد
واحدة اى متعاونون على من خالفه فاطلق اسم اليد على التعاون مجازا اطلاقا
لاسم السبب على المسبب وانصار خبر ثان لان وبعضهم فاعله ويجوز ان
يكون بعضهم مبتدأ خبره انصار الرابعة قوله ولا استذلال قوم قوما ولا
لمسبة قوم قوما اى لا ينقضون عهدهم لكون القبيلة الاخرى استذلت قومهم
او سبتهم ن وروى لمشية قوم قوما اى لاجل اذيتهم لهم وفي رواية وكتب
علي بن ابو طالب وهي المشهورة عنه عليه السلام ووجهها انه جعل هذه
الكنية علما بمنزلة لفظة واحدة لا يتغير اعرابها ن

ومن كتاب له عليه السلام

الى معاوية من المدينة في اول ما بويع له بالخلافة
وذكره الواقدي في كتاب الجمل

من عبد الله علي امير المؤمنين الى معاوية بن ابي سفيان اما بعد فقد علمت
اعذاري فيكم واعراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له والحديث
طويل والكلام كثير وقد ادبر من ادبر واقبل من اقبل فبايع من
قبلك واقبل الي في وفد من اصحابك **اقول** الوفد
الوارد على الملك واعلمه اولا اعذاره فيهم الى الله اي اظهار عذره
وذلك باجتهاده في نصيحة عثمان اولا ونصرة بني امية بالذب عنه
ثانيا واعراضه عنهم بعد ياسه من قبول عثمان لنصيحته وعجزه عن
نصرته والدفع عنه حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له من قتله ثم قال
والحديث طويل والكلام كثير اي في امره ومن قتله وقوله وقد ادبر
الى قوله اقبل يحتمل ان يكون اخبارا له بان بعض الناس ادبر عنه كطلحة
والزبير ومن تابعهما وبعضهم اقبل عليه ويحتمل ان يكون انشاء اي قد
دخل في الادبار من ادبر عني ودخل في الاقبال من اقبل علي ثم امره ان يبايع
له من قبله من الجماعة ويقبل اليه ويحتمل ان يكون الضمير في قوله فيكم وعنكم
خطابا لمعاوية مع سائر المسلمين على سبيل العتب والشكوى اي قد
علمت اني اعذرت فيكم حيث لم اعاجل مسيئكم بالعقوبة واعرضت
عنكم حتى كان ما كان من خروج طلحة والزبير ومن تابعهما ما لا بد من
وقوعه منهم ولا دفع له والحديث في شانهم طويل والكلام في شبهتهم
كثير وقد ادبر من ادبر اي هولاء الخارجون واقبل من اقبل وتمام الكلام
بحاله والله اعلم

ومن وصية له عليه السلام
لعبد الله بن العباس عند استخلافه اياه على البصرة

سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك واياك والغضب فانه طيرة من
الشيطان واعلم ان ما قربك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله
يقربك من النار **اقول** الطيرة فعلة من الشيطان ويستعمل
في الخفة وما لا ثبات له وروي طيرة من التطير وهو التشاؤم وقد
امره بفضائل من الاخلاق احداها ان يسع الناس بوجهه وكنى
بذلك عن البشر والطلاقة وبمجلسه وهو كناية عن التواضع وبحكمه
وكنى به عن العدل لان الحكم العدل يسع كل احد والجور يضيق
لا يحتمله الكل الثانية حذره من الغضب وهو امر بفضيلة
الثبات والحلم ونفره عنه بقوله فانه طيرة من الشيطان اي خفة
منه من الشيطان او انه مما يتشاءم الناس بصاحبه ويكرهه ونسبه
الى الشيطان لينفر عنه واراد الغضب المذموم وهو صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فواجب ان يحذر الثالثة رغبه
فيما يقربه من الله بما يستلزمه من كونه مباعدا له عن النار ونفره
عما يبعده من الله بما يستلزمه من كونه مقربا الى النار وهما صغريا
ضميرين تقدير كبرى الاول منهما وكلما باعدك من النار فواجب
اخذه وتقدير كبرى الثاني وكلما قربك من النار فواجب ان
يحذره وبالله التوفيق

ومن وصية له عليه السلام
لعبد الله بن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج

لا تخاصمهم بالقرآن فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن
حاججهم بالسُّنّة فإنّهم لن يجدوا عنها محيصًا **أقول** المحيص المعدل وقد نهاه أن يحاجّهم بالقرآن ونبّه على ذلك
بضمير صُغراه قوله فإنّ القرآن إلى قوله ويقولون أي أنّ الآيات التي
يمكنه الاحتجاج بها غير ناصّة في المطلوب بل هي ظاهرة وتأويلات
محتملة يمكنهم أن يتعلّقوا بها عند المجادلة وتقدير الكبرى وكلّ
ما كان كذلك فلا يتمّ الغرض به في مخاصمتهم ثمّ أمره أن يحاجّهم
بالسُّنّة ونبّه على ذلك بضمير صُغراه قوله فإنّهم لا يجدون عنها معدلًا
لكونها ناصّة في المطلوب كقوله صلى الله عليه حربك يا علي حربي
وتقدير الكبرى وكلّ ما لم يجدوا عنه معدلًا فالأولى محاجّتهم به
وقد أشرنا من قبل إلى مجادلة ابن عباس لهم

ومن كتاب له عليه السلام

أجاب به أبا موسى الأشعري عن كتاب كتبه
إليه من المكان الذي أقعدوا فيه للحكومة وذكر
هذا الكتاب سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي

فإنّ الناس قد تغيّر كثير منهم عن كثير من حظّهم فمالوا مع الدنيا
ونطقوا بالهوى وإنّي نزلت من هذا الأمر منزلًا معجبًا اجتمع به أقوام
أعجبتهم أنفسهم فأنا أداوي منهم قرحًا أخاف أن يعود علقًا وليس
رجل فاعلم أحرص على جماعة محمّد صلى الله عليه وألفتها منّي أبتغي بذلك
حسن الثواب وكرم المآب وسأفي بالذي وأيت على نفسي وإن تغيّرت عن
صالح ما فارقتني عليه فإنّ الشقيّ من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة فإنّي

لأعبد أن يقول قائل بباطل وأن أفسد أمرًا قد أصلحه الله فدع ما لا تعرف فإنّ
شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السوء **أقول**
العلق الدم الغليظ ووأيت وعدت وأعبد استنكف وأغضب **وقوله**
فإنّ الناس إلى قوله حظّهم أي الحظّ الذي ينبغي لهم من الدين والهدى
وقوله فمالوا إلى قوله الهوى بيان لأنواع تغيّرهم
وقوله وإنّي نزلت من هذا الأمر أي أمر الخلافة منزلًا
معجبًا وهو الحال التي انتهى إليها أمر الصحابة وصارت محلّ التعجّب
منها وكيف صار محكومًا لهم في قبول الحكومة والرضا بالصلح
وغيره **وقوله** اجتمع به أقوام صفة منزل أي أنّ
هذا المنزل الذي أنا فيه من الأمر قد اجتمع معي وشاركني في رأيي فيه
أقوام أعجبتهم أنفسهم وآراؤهم فأفسدوا عليّ الأمر فأنا أداوي
منهم قرحًا واستعار لفظ القرح لما فسد حاله باجتماعهم على
التحكيم ولفظ المداواة لاجتهاده في إصلاحهم وتدوي أدارك
وكذلك استعار لفظ العلق لما يخاف من تفاقم أمرهم ثمّ أعلمه
حاله أنّه ليس رجل أحرص منه على ألفة جماعة محمّد صلى الله عليه
للغرض المذكور **وقوله** فاعلم اعتراض حسن بين ليس وخبرها
ورجل يفيد العموم وإن كان مفردًا نكرة لكنّه في سياق النفي على
ما ثبت في أصول الفقه ثمّ أخبر أنّه سيفي بما وعد على نفسه من
شرط الصلح على ما وقع عليه وتوعّده بلزوم الشقاوة إن تغيّر عن
صالح ما فارقه عليه من وجوب الحكم بكتاب الله وعدم اتّباع الهوى
والاغترار بمقارنة الأشرار وفسّر الشقيّ بمن حرم نفع ما أوتي من

العقل والتجربة مشيرا بذلك الى انه خُدع او تغيّر بامر الحق فقد جحد نفع
عقله وسابقة تجربته فلزمته الشقاوة ۞ ثم نبّهه على انه يانف من قول
الباطل وان يفسد امرا اصلحه الله به وهو امر الدين ليحترز من غضبه
بلزوم الحق والصدق وحفظ جانب الله في حقه واكّد ذلك بقوله
ودع ما لا تعرف اي من الحكم في هذه القضية بالشبهة **وقوله**
فان شرار الناس الى آخره اراد عمرو بن العاص ونحوه فيما كان يسرع القاء
اليه من الوساوس والشُبه الكاذبة التي هي اقاويل المتون(؟) ۞

ومن كتاب له عليه السلام

لما استخلف الى امراء الاجناد

اما بعدُ فانما اهلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق فاشتروه واخذوهم
بالباطل فاقتدوه ۞ ذكر ان ذلك هو سبب هلاك من كان قبلهم من امثالهم
وقوله فاشتروه اي فباعوه وتعوّضوا عنه بالباطل لمّا منعوا
منه كقوله تعالى وشروه بثمن بخس ۞ وكذلك قوله واخذوهم بالباطل اي
جعلوا تصرّفاتهم معهم بالباطل فاقتدوه اي اقتدوا الباطل وسلكوا
فيه مسلك من اخذهم به كقوله تعالى فبهداهم اقتده ۞ وبالله التوفيق ۞

تمّ باب الكتب والوصايا والعهود والحمد لله حق حمده

باب

المختار من حكم امير المؤمنين عليه السلام ومواعظه
ويدخل في ذلك المختار من اجوبة مسائله والكلام
القصير الخارج في سائر اغراضه

قال عليه السلام كُن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب

اقول ابن اللبون ولد الناقة اذا استكمل سنتين ودخل في
الثالثة لان امّه على الاغلب قد وضعت ولدا غيره فهي ذات لبن وقد امر
صاحبه زمن الفتنة ان يتشبّه بابن اللبون واشار الى وجه الشبه بقوله لا
ظهر الى   واراد انه يكون في زمانها في زمانها خامل الذكر ضعيف غير
مُستكثر من المال كيلا يصلح لمعاونة الظالمين بنفسه ولا بماله ولا ينتفع
به في الفتنة كابن اللبون الذي لا ينتفع بظهره ولا لبنه ۞ وظهر مبتدأ خبره
محذوف تقديره له ويُركب عطف على الجملة وروي منصوبا باضمار ان في
جواب النفي وكذا قوله فيُحلب ۞ **وقال** عليه السلام اجرى في عشرين
كلمة من الادب والحثّ على مكارم الاخلاق احدها قوله
ازرى بنفسه مَن استشعر الطمع ۞ وهو تنفير عن الطمع المضادّ لفضيلة
القناعة بذكر ما يستلزمه من التهاون بالنفس والازراء بها وذلك انّ الطمع
فيما في ايدي الناس يستلزم الحاجة اليهم والخضوع لهم وهو يستلزم
الهوان عليهم وسقوط المنزلة واستعار وصف الاستشعار لملازمة
الطمع ومباشرته القلب كالشعار للجسد **الثانية** قوله ورضي
بالذلّ مَن كشف ضُرّه وهو ايضا تنفير للانسان عن شكاية فقره وضُرّه
للناس بذكر ما يلزم ذلك من المذلّة والرضا به **الثالثة**
وهانت عليه نفسه مَن امّر عليها لسانه وهو تنفير للانسان عن الاكثار
في القول من غير تدبّر ومُراجعة لعقله بما يلزم ذلك من هوان نفسه
عليه امّا في الدنيا فلانّ زيادة القول قد يكون سببا للهلاك واليه
اشار القائل ۞

احفظ لسانك ايها الانسان لا يلدغنّك انه ثعبانُ

كم في المقابر من لديغ لسانه كانت تهاب لقاؤه الاقران

واما في الآخره فلقوله صلى الله عليه وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم ولا هو ن لهتك الانسان عليه اعظم من اهلاكها واستعار وصف الناس لتسليط اللسان على ما يوذي النفس من غير مراجعتها وكانها صارت محكومه له الرابعه قوله والبخل عار وذلك لانه رذيله التفريط من فضيله الكرم ونقل رحم الدينار على الكرم يكون ذمه وتعييره برذيله البخل الخامسه والجبن منقصه لانه رذيله التفريط من فضيله الشجاعه التي هي اصل من الكمالات النفسانيه كان الجبن رذيله ومنقصه السادسه والفقر يخرس الفطن عن حجته وذلك لكونه مذله وله في النفس فعل عظيم من القبض والقنوط والاشتغال عن الفكر ومبدا كل ذلك تصور العجز وتوهم القصور بسبب عدم المال عن مقاومه الخصوم فيحصل التخوف من الكلام والعي عنه ان كان صاحبه فطنا واستعار لذلك وصف الخرس ملاحظه الشبه به السابعه والمقل غريب في بلدته اي المفتقر واستعار لفظ الغريب باعتبار عدم التفات الناس اليه وقله الاعوان والاخوان له لا قلاله فهو كالغريب الذي لا يعرف الثامنه والعجز افه العجز لفظ مهمل يحتمل العجز البدني وهو عدم القدره على التصرفات البدنيه عما من شانه ان يقدر ن ويحتمل العجز النفساني وهو عدم القدره على مقاومه الهوى ودفعه والاول افه بدنيه ونقصان فيه والثاني افه في العقل وعاهه فيه التاسعه والصبر شجاعه

الصبر فضيله تحت العفه ترسم بانها مقاومه الهوى لئلا تقود النفس الى قبائح اللذات وهو جهاد مع النفس الاماره يستلزم فضيله الشجاعه فلذلك حمل الشجاعه عليه حمل اللازم على ملزومه العاشره والزهد ثروه وهو فضيله تحت العفه ورسم بانه اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها ولما كانت الثروه في العرف عباره عن الغنى بالمال وكثرته واستعار لفظها للزهد لمشابهته اياها في استلزامهما الغنى وعدم الحاجه الحاديه عشر والورع جنه وحقيقه الورع لزوم الاعمال الجميله فلذلك استعار له لفظ الجنه لمشابهتهما في الوقايه من عذاب الاخره ومن اكثر المصائب الدنيويه كما تجن بالترس وغيره من السلاح الثانيه عشر ونعم القرين الرضا وقد علمت ان الرضا بقضاء الله وما نزل به القدر باب عظيم من ابواب الجنه وغايه من الملكات الفاضله وظاهر انه نعم القرين في الدنيا والاخره الثالثه عشر والعلم وراثه كريمه وهو فضيله النفس العاقله وهو اشرف الكمالات التي تعتني وبحسب ذلك كان وراثه كريمه من العلماء ٥

بل كان اكرم موروث ومكتسب

والمراد الوراثه اللغويه كقوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب اي العلم والحكمه الرابعه عشر والاداب حلل مجدده والمراد الاداب الشرعيه ومكارم الاخلاق واستعار لها لفظ الحلل المجدده باعتبار دوام زينتها

الانسان بها ويجدد بهايه وجنته ويهذب نفسه على استمرار الزمان
بلزومها واستخراج محاسنها كالحلل التي لا تزال تجدد على لابسها
الخامسة عشر والفكر مرآة صافيه ن الفكر قد يراد
به القوه المفكره ن وقد يراد به حركة هذه القوه مطلقا اية
حركة كانت ن وقد يراد به معنى اخر والمعنى هنا القوه نفسها
واستعار لها لفظ المرآة باعتبار انها اذا وجهت نحو تحصيل المطالب
التصوريه والتصديقيه ادركها وتمثلت بها كما تمثل في المرآة
صور ما يحاذى بها السادسه عشر وصدر العاقل
صندوق سره واستعار للصدر لفظ صندوق السر باعتبار
حفظه له كما يحفظ الصندوق ما فيه وهو في المعنى امر للانسان
بكتمان سره ورغب في ذلك بذكر العاقل فكانه قال العاقل
من جعل صدره صندوق سره وحفظه السابعه عشر
البشاشه حبالة الموده واستعار لها لفظ الحباله باعتبار اقتناص
الانسان بها الناس واستمالتهم الى صداقته ومحبته كحبالة الصايد
التي تقتنص فيها الطير الثامنه عشر الاحتمال قبر
العيوب ن اراد احتمال المكروه والاذى من الاخوان وسائر
الناس وهو فضيله عظيمه تحت الشجاعه واستعار له لفظ قبر العيوب
باعتبار ستره لمعايب صاحبه عند الناس كما يستر القبر ما فيه من جيفة
الميت ن قال السيد رحمه الله وروى انه عليه السلم
قال في العبارة عن هذا المعنى ايضا المسالمه خبا العيوب ن قال
الجوهري الخباء واحد الاخبيه بيت من وبر او صوف ولا يكون من
شعر ويكون على عمودين او ثلثه وما فوق ذلك فهو بيت ن والمسالمه
فضيلة تحت العفه واستعار لها لفظ الخبا باعتبار انها فضيلة تستجلب
المحبه وتستلزم سكوت الناس عن المعايب وسترها كالخباء ن وتبين
استلزامها لستر العيوب باستلزام نقيضها وهو المخاصمه وعدم
المسالمه لثوران الطباع على ذكر المعايب وابرازها لغرض الاهانه
والتبكيت التاسعه عشر ومن رضى عن نفسه كثر
الساخط عليه وذلك لوجهين احدهما ان الراضي عن نفسه
معتقد لكمالها على غيرها وناظر الى غيره بعين النقصان غير موف
للناس حقوقهم فيكثر بذلك الساخط عليه منهم الثاني
انه لاعتقاده كمالها يرفعها فوق قدرها والناس يرونه بقدره فيكثر
المنتقص له والساخط عليه العشرون والصدقه دواء منجح
استعار لفظ الدواء النافع للصدقه لمشابهتها الدواء اما في الدنيا
فلقوله صلى الله عليه داووا مرضاكم بالصدقه وسر ذلك انها تستجلب
الهمم وبطانق القلوب على محبة المتصدق والرغبه الى الله سبحانه في
دفع المكاره عنه لبقايه فهي في ذلك سبب للشفاء كالدواء ن واما
في الاخره فلانها سبب لدفع المكاره الاخرويه كما سبق بيانه
الحاديه والعشرون واعمال العباد نصب اعينهم في
اجلهم اى ظاهره قايمه في اعينهم وسر ذلك ما علمته من كون النفوس
ما دامت في الدنيا فهي تكتسب ملكات الخير والشر لكنها في اغشيه
من الهيات البدنيه تحجب عن ادراك الامور كما هي واذا زالت تلك
الاغشيه بالمفارقه انكشفت لها الامور فادركت ما عملت من خير

وما استعدّت له من شرّ كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد ٥ وكما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا الآيه ٥ وقال عليه السلام اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم
ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم ٥ نبّه على لطف خلق
الانسان بعض اسرار حكمة الله فيه وغايته من ذلك الاستدلال على
حكمة صانعه ومبدعه وذكر اربعة من مجال النظر والاعتبار
وهي آلة البصر والكلام والسمع والتنفس وخصّها بالذكر لكونها
مع ضعفها ضرورية في وجود الانسان على شرفه وعلوّ رتبته في
المخلوقات ولا تقوم الا بها لتكون ذلك محل التعجب واعتبار لطف
الصانع الحكيم ٥ واراد بالشحم الذي ينظر به الرطوبة المسمّاة في
عرف الاطباء بالبيضية او الرطوبة الجليدية فان العين مركبة من سبع
طبقات وثلث رطوبات كل منها مختص في عرفهم باسم وعنى
باللحم اللسان فانه لحم ابيض رخو ملتف به عروق صغار كثيرة فيها
دم ولذلك يحمر وتحته عروق وشريانات واعصاب كثيرة
وتحته فوهتان تسيل منهما اللعاب تسميان الحلم غددي رخو
موضوع في اصله يسمّى مولد اللعاب وبهاتين الفوهتين يبقى اللسان وما
حوله الندوة الطبيعية واراد بالعظم الذي يسمع به العظم المسمّى
الحجري وهو عظم صلب فيه مجرى الاذن كثير المعارج والعطفات
ثم كذلك الى ان يلقى العصبة النابتة من الدماغ التي هي مجرى الروح الحامل
للقوة السامعة واراد بالخرم ثقب الانف وفي هذه وامثالها من بدن
الانسان وسائر الحيوان عبرة لمن اعتبر وكمال شهادة بوجود الصانع

انما كانت حيث كان المسلمون قليلين فامّا الآن فقد كثروا وضعف
الكفار فهو مباح وكنّى عن ذلك بقوله فامرؤ وما اختار واستعار
لفظ النطاق وما اشتر منه ولفظ الضرب بالجران لثباته واستقراره
ملاحظة لشبهه بالبعير البارك ٥ وقوله فامرؤ مبتدأ وما اختار
عطف عليه وما مصدرية وخبر المبتدأ محذوف تقديره مقترنان كقولهم
كل امرئ وصنعته والله الموفق ٥ وقال في الذين اعتزلوا
القتال معه خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل ٥ منهم عبد الله بن عمر
وجماعة من القرّاء وغيرهم كابي موسى الاشعري والاحنف بن قيس
في حرب صفين ٥ ويشبه ان يكون هذا اشارة الى توسّط درجتهم
في الضلال وجري مجرى العذر لهم فكانه قال انهم وان خذلوا الحق
معنا لم ينصروا الباطل مع خصومنا ٥ وقال من جرى
في عنان امله عثر باجله وهو تنفير عن تطويل الامل بذكر قطعه
بالاجل واستعار لفظ العنان له ملاحظة لشبهه بالفرس ولفظ
الجري للاندفاع في الامل والعمل بحسب طوله ٥ ولفظ العثار
للامتناع عن ذلك الجري بعارض الاجل ومواقعه كعثار العادي
بما يعرض له من حجر ونحوه ٥ وقال اقيلوا ذوي المروّات
عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعه ٥ رغّب
في اقالة ذوي المروّات عثراتهم التي تقع وقوعها نادرا لسعيهم
لما يلحقه الندم عليه ٥ ونحوه بذكر كون يد الله بايديهم برفعهم
واستعار لفظ العثرات لما يقع منهم خطأ ومن غير قصد ولفظ
اليد لعناية الله وقدرته وكنّى عن تعلقها به وتدارك حاله بكون

به بيده يرفعه وذلك ان المروة فضيلة عظيمة تستجلب بها الخلق
وقلوبهم ومساعداتهم ۝ وبحسب ذلك يكون استعداد العاثر
من ذوي المروات لعنايته لله وقيامه من عثرته ۝ وقال
قرنت الهيبة بالخيبة والحيا بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب
فانتهزوا فرص الخير ۝ اراد بالهيبة الخوف من المقابل والاحتشام
وظاهر ان ذلك يستلزم عدم قضاء الحاجة منه والظفر بالمطلوب
لعدم الانبساط في القول معه وهو معنى اقترانها بالخيبة وكذلك
الحيا بالحرمان لاستلزام الحيا ترك الطلب والتعرض له وهو تنفير
عن الهيبة والحيا المذمومين ۝ ثم امر بانتهاز فرص الخير اي المبادرة
الى فعله عند حضور وقت امكانه ورغب في ذلك بضم صغراه قوله
الفرصة تمر مر السحاب اي انها سريعة الزوال وتقدير
الكبرى وكلما كان كذلك فواجب ان يبادر اليه ويغتنم
وقت امكانه ۝ وقال لنا حق ان اعطيناه والا
ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى ۝ قال السيد
وهذا من لطيف الكلام وفصيحه ومعناه انا ان لم نعط حقنا
كنا اذلاء وذلك ان الرديف يركب عجز البعير كالعبد والاسير
ومن يجري مجراهما ۝ وقال الازهري في تهذيب اللغة
قال القتيبي اعجاز الابل مآخيرها جمع عجز وهو مركب شاق
قال ومعناه ان منعنا حقنا ركبنا مركب المشقة وصبرنا عليه
وان طال ولم نضجر منه مخلين بحقنا ۝ ثم قال الازهري لم يرد
عليه السلام ركوب المشقة ولكنه ضرب اعجاز الابل مثلا لتاخره

عن غيره في حقه من الامامة وتقدم غيره عليه فاراد ان منعنا حقنا
منها واخرنا عن ذلك صبرنا على الاثرة فيها وان طالت الايام والسرى
سير الليل ۝ واقول الذي ذكره الثلاثة احتمالات
حسنة وهي متقاربة لان ركوب الاعجاز مظنة الذلة والمشقة وتاخر
المنزلة ۝ ويحتمل ان يكون كلها مرادة ولم يفرق الازهري
بين المثل والكناية فان ركوب الاعجاز كناية عن الامور المذكورة ۝
وكذلك طول السرى كناية عن طول المشقة لانه مظنتها
وملزومها ويحتمل ان يكون كناية بالمثل ۝ وقال
من ابطا به عمله لم يسرع به حسبه ۝ اي من لم يكن له عمل صالح
حسن فتاخر بسبب ذلك عن معالي الرتب الدينية او الاخروية
لم يسرع به حسبه وشرف نسبه اليها ان كان ذا حسب وكنى
ببطوء عمله عن عدم وصوله الى منزلة الخير لعدم ما يوصله اليه من زكي
الاعمال وجعل الاسراع في مقابلة البطوء ۝ وقال
من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب ۝
الملهوف المظلوم يستغيث والتنفيس التفريج عنه الكروب الذي
ياخذ بنفسه وجعلهما من كفارات الذنوب العظام لكونهما فضيلة
عظيمة يستلزم فضائل كالرحمة والعدل والسخاء والمروة وغيرها
وظاهر ان حصول هذه الملكات في النفس مما يستلزم ستر الذنوب
ونحوها ومنافاة ملكات السوء التي يعبر عنها بالسيئات والذنوب
كما سبقت الاشارة اليه ۝ وقال يا ابن ادم اذا رايت ربك
سبحانه يتابع عليك نعمه وانت تعصيه فاحذره ۝ نفر الانسان عن

معصية لله حال تتابع نعمه عليه فتحذر منه وذلك انه لما كان
دوام شكرها معدّ للمزيد منها كان كفرانها ومقابلتها بالمعصية
المستلزمة لعدم الشكر مستلزما لعدم الاستعداد للمزيد ومعدّا
للنقصان ونزول النقمة كما قال تعالى ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد ۝ وهو محل الحذر منه ۝ والواو في قوله وانت للحال ۝
وقـــال ما اضمر احدكم شيئا الا ظهر في فلتات لسانه
وصفحات وجهه ۝ الفلتة الامر يقع من غير تروّ وصفحة الوجه
بشرته ولما كان الانسان انما يضمر في نفسه امرا مهما عنده من
عداوة او بغض او محبة الى غير ذلك كان الوجود اللساني عبارة عن
الوجود النفساني ومظهرا له لم يتمكن المرء ان يحفظ ما اضمره بالكلية
لان مراعاة ذلك الحفاظ انما يكون للعقل بحسب ما يراه من المصلحة
والعقل قد يشتغل بالتصرف في مهم آخر فيغفل عن ضبط ما اضمره
فيفلت الخاطر به من اسر العقل ويلقيه في فلتات القول من غير تروّ
وكذلك لما كانت التصورات والامور النفسانية مبادي الآثار
الظاهرة كصفرة الوجل وحمرة الخجل ما ينفك بعض الامور المضمرة
عن ظهور ما يعرف به من الآثار في صفحات الوجه والعين وشاهد
ذلك التجربة ۝ وقـــال امش بدائك ما حملك ۝ وفي
رواية ما مشى بك اي ما دام المرض يهملك ولا يعجزك فلا تنفعل
عنه وتعاجز به بل كن في صورة الاصحاء وفـــي قوله ايماء الى
ما امر به من كتمان المرض كما قال الرسول صلى الله عليه من كنوز
البر كتمان الصدقة والمرض والمصيبة وربما كانت فائدة ذلك

كونه نوع تجلّد والتجلّد معاونة للطبيعة وتقوية على المرض ومن
الامراض ما يحلله الحركات البدنية واستعار للمرض وصف الماشي
باعتبار انه لا يلزمه الارض والفرش فهو كالحامل له والماشي به
وقـــال افضل الزهد اخفاء الزهد منه ظاهر ومنه خفي
وهو الزهد الحقيقي المشفوع به كما قال صلى الله عليه ان الله لا ينظر
الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فلذلك كان
افضل والمراد الزهد المخفي فاضاف الصفة الى الموصوف
وقدّمها لانها اهم ولان الزهد الظاهر يكاد لا ينفك عن رياء
وسمعة فكان مفضولا ۝ وقـــال اذا كنت في ادبار
والموت في اقبال فما اسرع الملتقى ۝ وهو حث با قبال الموت
ولقائه الى الاستعداد له ولما بعده بالاعمال الصالحة والادبار
والاقبال امران لكل الانسان باعتبار انقضاء آخر مدته وقتا فوقتا
في ادبار ويجيب ذلك يكون اعتبار قربه في اقباله اليه وبحسبهما
يكون سرعة التقائهما والملتقى مصدر ۝ وقـــال الحذر
الحذر فوالله لقد ستر حتى كانه قد غفر ۝ حذّر من سخط الله
بسبب معصيته لطول امهاله وستره الى الغاية المذكورة وقوله
فوالله الى آخره صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من ستر على عبد الى
الغاية المذكورة فواجب ان يحذر غضبه ويجتنب معصيته ويرجع الى
طاعته التي هي الغاية من عنايته ستره ۝ وسئل عليه السلام
عن الايمان فقال الايمان على اربع دعائم ۝ على الصبر وعلى اليقين
والعدل والجهاد ۝ فالصبر منها على اربع شعب على الشوق

والشوق والزهد والترقب ٥ فمن اشتاق الى الجنة سلا عن
الشهوات ٥ ومن اشفق من النار اجتنب المحرمات ٥ ومن زهد في
الدنيا استهان بالمصيبات ٥ ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات
واليقين منها على اربع شعب على تبصرة الفطنة وتأول
الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين ٥ فمن تبصر في الفطنة
تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة ومن
عرف العبرة فكانما كان في الاولين ٥ والعدل منها على
اربع شعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة
الحلم فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع
الحكم ومن حلم لم يفرط في الامور وعاش في الناس حميدا ٥ والجهاد
منها على اربع شعب ٥ على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين ٥ فمن امر بالمعروف
شد ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن
صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنأ الفاسقين وغضب لله
غضب الله له وارضاه يوم القيامة ٥ والكفر على اربع دعائم
على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق ٥ فمن تعمق لم ينب الى
الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ٥ ومن زاغ ساءت
عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة
ومن شاق وعرت عليه طرقه واعضل عليه امره وضاق مخرجه
والشك على اربع شعب على التماري والهول والتردد والاستسلام
فمن جعل المراء دينا لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه

ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين ٥ ومن استسلم لهلكة
الدنيا والآخرة هلك فيهما ٥ قال السيد وبعد هذا كلام
طويل تركنا ذكره خوف الاطالة والخروج عن الغرض المقصود في
هذا الكتاب **اقول** الدعائم اعمدة البيت والشعبة
الغصن والتبصر التعرف والتأويل التفسير والزهرة النور والشنآن
البغض والتعمق التعسف في معنى الكلام ٥ واعضل اشتد ٥ واعلم
ان هذا الفصل من لطائف الحكمة ومداره على شرح قواعد الايمان
والاشارة الى فروع تلك القواعد ٥ ثم الى ثمرات تلك الفروع ٥
ولما كان الكفر مضاد الايمان والشك مقابلا له مقابلة
العدم للملكة اشار الى دعائم الكفر وشعب الشك لتتبين
بهما الايمان اذ بضدها تتبين الاشياء ٥ اما الايمان فاعلم
انه عليه السلام اراد الايمان الكامل وذلك له اصل وله كمالات
بها يتم فاصله هو التصديق بوجود الصانع تعالى وما له من
صفات الكمال ونعوت الجلال وبما نزلت به كتبه وبلغته
رسله ٥ وكمالاته المتممة هي الاقوال المطابقة ومكارم الاخلاق
والعبادات ٥ ثمرة هذا الاصل ومتمماته هو كمال النفس الانسانية
لانها ذات قوتين علمية وعملية وكمالها بكمال هاتين القوتين واصل
الايمان هو كمال القوة العلمية منها ومتمماته وهي مكارم الاخلاق
والعبادات هي كمال القوة العملية اذا عرفت هذا فنقول لما
كانت اصول الفضائل الخلقية التي هي كمال الايمان اربعا هي
الحكمة والعفة والشجاعة والعدل اشار اليها واستعار لها لفظ

الدعايم باعتبار ان الانسان الكامل لا يقوم في الوجود الا بها كدعايم
البيت فعبر عن الحكمة باليقين والحكمة منها علمية وهي استكمال
القوة النظرية بتصور الامور والتصديق بالحقايق النظرية والعملية
بقدر الطاقة البشرية ن ولا تسمى حكمة حتى يصير هذا
الكمال حاصلا لها باليقين البرهاني ومنها عملية وهي استكمال
النفس بملكة العلم بوجود الفضائل النفسانية الخلقية وكيفية
اكتسابها ووجوه الرذائل النفسانية وكيفية الاحتراز عنها واجتنابها
وظاهر ان العلم الذي صار ملكة هو اليقين ن وعبر عن العفة
بالصبر والعفة هي الامساك عن الشره في فنون الشهوات
المحسوسة وعدم الانقياد للشهوة وقهرها وتصريفها بحسب
الراي الصحيح ومقتضى الحكمة المذكورة ن وانما عبر عنها بالصبر
لانها لازم من لوازمه اذ رسمه انه ضبط النفس وقهرها عن
الانقياد لقبايح اللذات ن وقيل هو ضبط النفس
عن ان تقهرها الم مكروه ينزل بها ويلزم في العقل احتماله او
يغلبها حب مشتهى يتوق الانسان اليه ويلزمه في حكم العقل
اجتنابه حتى لا يتناوله على غير وجهه ن وظاهر ان ذلك يلازم
العفة ن وكذلك عبر عن الشجاعة بالجهاد لاستلزامه اياها
اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه والشجاعة هي ملكة الاقدام
الواجب على الامور التي يحتاج الانسان ان يعرض نفسه
لاحتمال المكروه والالام الواصلة اليه منها ن واما
العدل فهو ملكة فاضلة تنشأ عن الفضايل الثلاث المشهورة

وقد علمت فيما سلف ان كل واحدة من هذه الفضائل
بين رذيلتين هما طرفا الافراط والتفريط منها ومقابلة برذيلة هي ضدها
واما شعب هذه الدعايم فاعلم انه جعل لكل دعامة
منها اربع شعب من الفضائل تتشعب عنها وتتفرع عليها
فهي كالفروع لها والاغصان ن اما شعب الصبر الذي
هو عبارة عن ملكة العفة فاحدها الشوق الى الجنة
ومحبته للخيرات الباقية الثاني الشفق وهو الخوف من
النار وما يؤدي اليها الثالث الزهد في الدنيا وهو الاعراض
بالقلب عن متاعها وطيباتها الرابع ترقب الموت ن
وهذه الاربع فضايل متشعبة عن ملكة العفة لان كلا منها
يستلزمها ن واما شعب اليقين فاحدها
تبصرة الفطنة واعمالها والفطنة هي سرعة هجوم النفس
على حقايق ما توردها الحواس عليها الثاني تاول
الحكمة وهو تفسيرها واكتساب الحقايق ببراهينها واستخراج
وجوه الفضائل ومكارم الاخلاق من مظانها ككلام
نبي او امام او عبرة تعتبر ن الثالث موعظة العبرة
وهو ان يحصل من اعتبار العبر على الاتعاظ والانزجار ن
الرابع ان يلحظ سنة الاولين حتى يصير كانه فيهم ن
وهذه الاربع هي فضائل تحت الحكمة كالفروع لها وبعضها
كالفرع لبعض ن واما شعب العدل فاحدها
غوص الفهم اي الفهم الغائص فاضاف الصفة الى الموصوف

وقدّمها الإبهام بهان ورسم هذه الفضيلة انها قوة ادراك
للمعنى المشار اليه بلفظ او كناية او اشارة وجودها ۝
الثاني غور الفهم واقصاه وهو العلم بالشي كما هو
حقيقته وكنهه ۝ الثالث نور الحكم اي يكون
الاحكام الصادرة عنه نيّرة واضحة لا لبس فيها ولا تشبيه
الرابع ملكة الحلم ۝ وعبّر عنها بالرسوخ لان شان
الملكة ذلك ۝ والحلم هو الامساك عن المبادرة الى قضاء
وطر الغضب فمن جنى عليه جناية يصل مكروهها اليه
واعلم ان فضيلتي جودة الفهم وغور العلم وان كانتا داخلتين
تحت الحكمة ۝ وكذلك فضيلة الحلم داخلة تحت ملكة الشجاعة
الا ان العدل لما كان فضيلة موجودة في الاصول الثلثة
كانت في الحقيقة هي وفروعها شعبا للعدل ۝ بيانه
ان الفضائل كلها ملكات متوسطة بين طرفي افراط وتفريط
وتوسطها ذلك هو معنى كونها عدلا فهي باسرها شعب له
وحسنات منه وامّا شعب الشجاعة التي عبّر عنها
بالجهاد فاحدها الامر بالمعروف والثاني النهي عن
المنكر والثالث الصدق في المواطن المكروهة ووجود
الشجاعة في هذه الشعب الثلث ظاهر والرابع شنآن
الفاسقين وظاهر ان بغضهم مستلزم لجهادهم في الله وثوران
القوة الغضبية في سبيله لجهادهم وهو مستلزم للشجاعة ۝
وامّا ثمرات هذه الفضائل فاشار اليها بالترغيب في

ثمراتها فثمرات شعب العفة اربع احدها ثمرة الشوق
الى الجنة وهو السلوّ عن الشهوات وظاهر كونه ثمرة له اذ
السالك الى الله ما لم يشتق الى ما وعد المتقون لم يكن له صارف
عن الشهوات الحاضرة مع توفر الداعي اليها فلم يسل عنها ۝
الثانية ثمرة الخوف من النار وهو اجتناب المحرمات
الثالثة ثمرة الزهد وهي الاستهانة بالمصائب لان
غالبها وعامتها انما يحصل بسبب فقد محبوب من الامور الدنيوية
فمن اعرض عنها فلا بد ان كانت المصيبة بها هيّنة عنده الرابعة
ثمرة ترقب الموت وهي المسارعة في الخيرات والعمل له ولما
بعده ۝ وامّا ثمرات اليقين فان بعض شعبه ثمرة لبعض
فان تبين الحكمة وتعلمها ثمرة لاعمال الفطنة والفكر ومعرفة
العبر ومواقع الاعتبار بالماضين والاستدلال بذلك على
صانع حكيم ثمرة لتبين وجوه الحكمة وكيفية الاعتبار ۝
وامّا ثمرات العدل فبعضها كذلك ايضا وذلك ان
جودة الفهم وغوصه مستلزم للوقوف على شرائع غور العلم
وغامضه والوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على شرائع
الحكم العادل والصدور عنها بين الخلق من القضاء الحق ۝
وامّا ثمرة الحلم فعدم وقوع الحليم في طرفي الافراط والتفريط
عن هذه الفضيلة وهو رذيلة الجبن وان يعيش في الناس محمودا
بفضيلته ۝ وامّا ثمرات الجهاد فاحدها ثمرة
الامر بالمعروف وهي شدّ ظهور المؤمنين ومعاونتهم على اقامة

الفضيلة الثانية ثمرة النهي عن المنكر وهي ارغام انوف
المنافقين واذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات واطفاء
الرذيلة الثالثة ثمرة الصدق في المواطن المكروهة وهي قضاء
الواجب من امر الله في دفع اعدائه والذب عن الحريم الرابعة
ثمرة بغض الفاسقين والغضب لله وهي غضب الله لمن وارضاه يوم
القيامة في دار كرامته فاما الكفر وثمرته انه جحد الصانع او انكار
احد رسله عليهم السلام او ما علم مجيئهم به بالضرورة وله اصل هو
ما ذكرناه وكمالات ومتممات هي الرذائل الاربع التي جعلها دعائم
له وهي الرذائل من الاصول الاربعة للفضائل الخلقية فاحدها
التعمق وهو الغلو في طلب الحق والتعسف فيه بالجهل والخروج في
حد الافراط وهو رذيلة الجور من فضيلة العدل ويعتمد الجهل
بمظان طلب الحق ويتفرع عن هذه الرذيلة ما ذكر ثمرتها وهو عدم
الانابة الى الحق والرجوع اليه لكون تلك الرذيلة صارت ملكة
الثانية التنازع وهو رذيلة الافراط من فضيلة العلم ويسمى
ويعتمد الجهل المركب ولذلك تفرع عنه بما يلزمه عند كثرته وصيرورته
ملكة من دوام العمى عن الحق الثالثة الزيغ ويشبه ان يكون
رذيلة الافراط من فضيلة العفة وهو الميل عن حاق الوسط فيها الى
رذيلة الفجور ويعتمد الجهل ولذلك لزمه قبح الحسنة وحسن السيئة
وسكر الضلالة واستعار لفظ السكر لغفلة الجهل باعتبار ما يلزمهما
من سوء التصرف وعدم وضع الاشياء مواضعها ويحتمل ان
يكون اشارة الى رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة المسماة غباوة

الرابعة الشقاق وهو رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة
المسمى تهورا او مستلزم له ويلزمها توعر المسالك على صاحبها وضيق
مخرجه من الامور لان مبدأ سهولة المسالك واتساع المداخل والمخارج
في الامور هو مسالمة الناس والتجاوز عما يقع منهم والحلم عنهم في احتمال
مكروههم واما الشك فعبارة عن التردد في اعتقاد
احد طرفي النقيض وتقابل الامر كما سبق وذكر له اربع شعب
احدها التماري وظاهر ان مبدأ المرا الشك ويتفرع من
اتخاذه ملكة وعادة بكونه لا يصبح ليله وذلك كناية عن عدم وضوح
الحق له من ظلمة ليل الشك والجهل الثاني الهول لان الشك
في الامور يستلزم عدم العلم بما فيها من صلاح او فساد وذلك يستلزم
الفزع منها والخوف من الاقدام عليها وثمرتها النكوص والرجوع على
الاعقاب الثالث التردد في الشك اي الانتقال من حالة
الى حالة ومن شك في امر الى شك في آخر من غير ثقة بشيء وذلك دأب
من تعود الشك في الامور ويتفرع عن ذلك بما يلزمه مما كنى عنه
بوطء سنابك الشياطين وهو تمكن الوهم والخيال الارضي في قلبه حتى
يكون سلطان العقل بمعزل عن الجزم بما من شأنه الجزم به الرابع
الاستسلام لهلكة الدنيا والآخرة ولزومه عن الشك لان الشاك
في الامور الدنيوية والاخروية المتعود لذلك غير عامل لشيء منها ولا
مهتم باسبابها وبحسب ذلك يكون استسلامه لما يرد منها عليه
ولزوم هلاكه فيها لاستسلامه ظاهر وبالله التوفيق
وقال عليه السلام فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر

منه وانما كان كذلك لأن العلة اقوى من معلولها فكان اقوى في خيريته
وشريته وباثرهما ما صدر عنه من خير او شر ن وقال
عليه السلم كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا ن هو
امر بفضيلة السماحة والكرم ونهي عن الكون على طرفي الافراط
والتفريط منها وطرف الافراط هو التبذير وطرف التفريط هو
التقتير ن وقال عليه السلم اشرف الغنى ترك المنى
جمع منية بمعنى التمني ن ولما كان ذلك رذيلة يلزم عن رذائل
كالشره والحرص ونحوهما واقلها انها اشتغال عما يعني بما لا فائدة
فيه رغب في تركها بان فسره اشرف الغنى حتى جعله هو
وظاهر ان ترك المنى يستلزم القناعة واستلزامها للغنى النفساني
وعدم الحاجة ظاهر ن وقال من اسرع الى الناس بما
يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون ن لما كان من شان الطبع النفرة عن
الاذى وبغض المؤذي وعداوته كان من شانه في غالب الخلق
تقبيح ذكره بما امكن من قول صادق او كاذب او يحتمل الغرض
ان يوافقهم السامعون على ذمه واذاه ن وقال من اطال
الامل اساء العمل ن لما كان طول الامل في الدنيا مستلزما للاقبال
عليها والانهماك في العمل لها والغفلة عن الآخرة كان ذلك عملا
سيئا بالنسبة الى الآخرة ن وقال عليه السلم وقد
لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار فترجلوا له واشتدوا بين
يديه ما هذا الذي صنعتموه فقالوا خلق منا نعظم به امراءنا فقال عليه
السلم والله ما ينتفع بهذا امراؤكم وانكم لتشقون به على انفسكم

وتشقون به في آخرتكم وما اخسر المشقة وراءها النار واربح الدعة
معها الامان من النار ن **اقول** استدرّ واعتذر بين
يديه وخلاصة سفرهم عما اعتمدوه معه بضمير صغراه قوله والله
الى قوله آخرتكم ن ونبه على الكبرى بقوله وما اخسر المشقة
وراءها العقاب وتقديرها وكل ما كان مشقة على النفس
ويتبعها العقاب في الآخرة فهو اشد الخسارة ن وجذبهم الى
ترك ذلك بما يلزمه من الدعة والراحة في الدنيا مع الامان من
النار فكانه قال ينبغي ان تتركوا ذلك التكلف فانه دعة وراحة
مع الامان من النار وكل ما كان كذلك فهو اعظم الارباح
وانما يلزمهم الشقاء بذلك في الآخرة لكونه تعظيما لغير الله بما لا
يرضي الله ن وقال عليه السلم لابنه الحسن عليه السلم
يا بني احفظ عني اربعا واربعا لا يضرك ما عملت معهن ن ان
اغنى الغنى العقل ن واكبر الفقر الحمق ن واوحش الوحشة
العجب ن واكرم الحسب حسن الخلق ن يا بني اياك ومصادقة
الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك ن واياك ومصادقة
البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه ن واياك ومصادقة
الفاجر فانه يبيعك بالتافه ن واياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب
يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب ن وانما قال اربعا
واربعا لان الاربع الاولى من باب واحد وهو اكتساب الفضائل
الخلقية النفسانية ن والاربع الثانية من باب المعاملة مع الخلق
وفصل الاربع الاولى من باب الاثبات والثانية من باب النفي

اما الاربع الاولى فالعقل واراد المرتبه الثانيه من مراتب
العقل النظري المسمى عقلا ما بالملكه وهو ان تحصل للنفس من العلوم
البديهيه والحسيه والتجربيه قوه تتوصل بها الى العلوم النظريه وغايه
ذلك ان تحصل على ما بعد هذه المرتبه من مراتب العقل ورغب فيه
بكونه اغنى الغنى وذلك ان به تحصل الدنيا والاخره فهو اعظم
اسباب الغنى وفيه الغنى كله ؛ الثانيه الحمق وهو
رذيله التفريط من العقل المذكور ؛ ونفر عنه بكونه اكبر
الفقر لانه سبب للفقر من الكمالات خصوصا النفسانيه التي بها الغنى
التام فكان اكبر الفقر ؛ الثالثه العجب وهو رذيله تلازم الكبر
وتضاد التواضع ؛ ونفر عنها بكونها اوحش الوحشه وظاهر كونها
اقوى اسباب الوحشه ونفره الانس لان تواضع المتواضع لما
استلزم انس الخلق به وشده ميلهم اليه كان ضده مستلزما لنفرتهم
وتوحشهم لمن هو منه ؛ الرابعه حسن الخلق ورغب فيه
بكونه اكرم الحسب لكونه اشرف الكمالات الباقيه وهذه المنفرات
والمرغبات صغريات ضمائر ؛ واما الاربع الثانيه فالاولى
الحذر من مصادقه الاحمق ونفر عنه بما يلزم حمقه من وضع
المضره موضع المنفعه عند ارادتها لعدم الفرق بينهما
الثانيه الحذر من مصادقه البخيل ونفر عنه بما يلزم
بخله من بعده عن صاحبه عند الحاجه اليه واحوج حال
من الضمير وعكسا الثالثه الحذر من مصادقه الفاجر والفجور
رذيله الافراط من فضيله العفه ونفر عنه بما يلزم فجوره من قلته

الحكيم لها ؛ ومن نظر في ترجيح بدن الانسان حصرته شواهد من الحكمه
الالهيه حار فيها لبه وبرهنت فيها عقله ؛ وقرا الصادق عليه السلام
قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا ثم قال وكيف لا يكون ضعيفا وهو
ينظر بشحم ويسمع بعظم وينطق بلحم ؛ وقد راعى في القرائن الاربع
السجع المتوازي ؛ وقال عليه السلام اذا اقبلت الدنيا
على قوم اعارتهم محاسن غيرهم ؛ واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن
انفسهم ؛ مراده ان الدنيا اذا اقبلت بجاهها ومالها على قوم بحسب
توافق اسباب السعاده الدنيويه لهم استلزم ذلك اقبال الناس عليهم
وتقربهم اليهم بكل ممكن لميلهم الى الدنيا ومحبتهم لها وحسنوا في
اعينهم فاستعاروا لهم الاوصاف الجميله التي كانت في غيرهم وان
لم يكونوا في نفس الامر كذلك حتى يصفوا بالعلم للجاهل وبالكرم
المبذر وبالشجاعه المتهور وبالظرف ولطف الاخلاق الماجن
وربما كان اقبال الدنيا عليهم ايضا سبب استعدادهم لتحصيل
الكمالات النفسانيه والملكات الفاضله التي كانت محاسن لغيرهم
فلهم وان كانوا قبل ذلك غير اهل لشيء منها ؛ ويحتمل ان يريد
بالمحاسن محاسن الدنيا من مركوب وملبوس وابنيه وحسن آله
وتصرف وذلك ظاهر وكونه عاريه باعتبار عدم دوامه فكذلك
اذا ادبرت عنهم بحسب توافق اسباب الشقاوه فيها قبحوا في
اعين الناس حتى يكون احدهم ذا فضيله في نفسه فيجحدها الناس
ويصفونه بضدها فان زهد في الدنيا نسبوه الى الرياء والسمعه
وان حسن اخلاقه نسبوه الى الخلاعه والمجون ؛ وان شجع

نسبوه الى التهور والجنون وهو معنى سلبها محاسن انفسهم وربما
استعد ذو الفضيلة منهم بذلك لتركها واهمالها والتحلي بضدها
حتى يسلب عنه الفضيلة بالكلية ۝ وقال عليه السلم
خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم وان عشتم حنوا اليكم
نبه بذلك على حسن المعاشرة للناس ومعاملتهم بمكارم الاخلاق
وكنى عن ذلك بقوله ان متم الى اخره اذ من لوازم حسن المعاشرة
للمخالط الحنة اليه في حياته وافتقاده والبكاء عليه بعد وفاته
والجملة الشرطية في موضع نصب المخالطة ۝ وقال
عليه السلم اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة
عليه وهو تنبيه على فضيلة العفو وجذب اليه بكونه شكر القدرة
اي ملازما للشكر عليها وذلك ان القدرة على العدو نعمة من
الله تعالى تجب شكرها والاعتراف لله والخضوع له ويلزمه الرقة
وفتور الغضب ويتبع ذلك العفو فاقامه مقام الشكر للملازمة
بينهما ولما كان الشكر واجبا كان العفو لازما ۝ وقال
عليه السلم اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز منه من ضيع
من ظفر به منهم ۝ الاخوان جمع اخ كخرب وخربان واراد الاصدقاء
الصادقين وفي الكلمة حث على مكارم الاخلاق ولان الاخوان لا
يكتسبون الا بها وانما جعل العاجز عن تحصيلهم اعجز الناس
لان ذلك لا يحتاج الى اتعاب قوة بدنية ولا اعمال فكرة عقلية
وانما يفتقر الى دمث الاخلاق وحسن المعاشرة والملاقاة بالبشر
والطلاقة وهي امور طبيعية في اكثر الناس ومن اهون الاشياء عليهم

وكان العاجز عنها اعجز الناس عما هو مقدور لهم وانما جعل من
ظفر به منهم ثم ضيعه اعجز لان المكتسب للاخوان لا بد له من كلفة
ما في اكتسابهم ۝ واما الظافر بهم فهو غير محتاج الى ذلك القدر
من الكلفة وكان سبب حفظ الاخوان اسهل من سبب تحصيلهم
وكان المضيع لحفظهم اعجز من العاجز عن اكتسابهم لعجزه عن حفظ
الامر الاسهل ۝ فان قلت فقد قال ان المضيع لهم اعجز
من اعجز الناس ولا يكون اعجز من اعجز الناس لعجز الناس هو الخلف
قلت لفظ الناس لفظ مطلق لهما من الزمان لو كان للعموم
وقال عليه السلم اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا
تنفروا اقصاها بقلة الشكر نبه على وجوب الشكر على النعمة لغرض
دوامها ونفر عن قلته بما يستلزمه من كونه منفرا لما يستقبل منها
واستعار لفظ التنفير ملاحظة لشبهها بالطير المتصل اذا سقط
اوله اتصل به اخره لم ينفر وفيه ايماء الى ان دوام الشكر يستلزم
لدوامها وكثرتها كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ۝ وقال
عليه السلم من ضيعه الاقرب اتيح له الابعد اي قدر واراد ان الله
سبحانه جعل لكل شيء سببا يجب معه وجوده ولما كانت منافع
الانسان وضروراته في الاغلب يقوم بها من كان اقرب اليه من اهله
وعشيرته ولم يجب في الحكمة ان يكون له نفع الا من جهتهم لا جرم
انهم اذا ضيعوه واهملوه لا بد ان يقيض الله له من يقوم بمصالحه ومعاونته
ممن هو ابعد عنه ۝ وقال عليه السلم ما كل مفتون
يعاتب ۝ الفتنة قد تكون في الدين وقد تكون في الدنيا وقد يكون فيهما

وعلى المقدرات فقد يلحق الانسان بسبب منه والذى يعاب على
فتنه من هولاء من كانت اسباب فتنته منه او بعضها كوقوع النفسه
بمصاحبه الفساق وفى وجوه هذا اذا حملناه على ظاهره ن ويحمل ان
يريد ليس كل مفتون يتبع معه العتاب ن وقال
عليه السلم يذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف فى التدبير
استعار ذل الامور لمطاوعتها المقدر وجريانها على وفق القضا
ولما كان الانسان جاهلا باسرار القدر جاز ان يكون من
غايات مطاوعه الامور للقدر كون ما يعتقده الانسان
الجاهل مصلحه وبفعله تدبير لمصلحته سببا لحتفه وهلاكه
وفيه ايماء الى وجوب اسناد الامور الى الله وعدم التوكل على
التدبير والانقطاع اليه ن وسئل عليه السلم عن قول النبى
صلى الله عليه وسلم غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود فقال انما
قال ذلك والدين قل فاما الان وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه
فامرؤ وما اختار ن النطاق شقه طويله عريضه تجر على الارض
اذا لبست وجران البعير صدره ن وكان رسول الله صلى الله عليه
فى اول الاسلام يامر اهل الشيب من المسلمين بتغيير شيبهم ويندبهم
اليه وكان ينفرهم عن تركه بكونه تشبها باليهود لان اليهود لم
يكونوا يفعلون ذلك وكانوا لا يخضبون بالسواد وقيل
بالحنا والغرض ان ينظر اليهم الكفار بعين القوة والشبيبة فيفعلون
عنهم ولا يطمعون فيهم ن وسئل عليه السلم عن ذلك فى زمن
خلافته فجعله من المباح دون المندوب واشار الى ان تلك السنة

ما انقضى اى قدر على لسان النبى صلى الله عليه ن وقال
عليه السلم سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنه تعجبك ن اراد
بالسيئة التى تسوؤه كذنب يصدر عنه فيندم عليه ويحزن لفعله وبالحسنه
التى تعجبه كصلاة او صدقه يحصل بها العجاب ن وانما ان تلك السيئة
خير عند الله من هذه الحسنه لان الندم العاقب للسيئة ماح لها
والحسنه المستعقبه للعجب مع احباطها به يكون لها اثر هو سيئة
ورذيله تسود لوح النفس فكانت السيئه اهون وكانت خيرا عند
الله ن وقال عليه السلم قدر الرجل على قدر همته وصدقه
على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته اشار
الى امور اربعه وجعلها مبادى لامور اربعه احدها
الهمه وجعلها مبدا لقدر الرجل وقدره هو مقداره فى اعتبار الناس من
رفعه رتبه وتبجيل او خسة واحتقار وهو من لوازم علو همته او
دناتها فعلو الهمه هو ان لا يقتصر على بلوغ غايه من الامور التى يزداد بها
فضيله وشرفا حتى يسموا الى ما وراها مما هو اعظم قدرا واجل خطرا
ويلزم ذلك نبله وتعظيمه ومدحه ن وصغرها ان يقتصر على محقرات
الامور وخسائسها ويقصر عن علياتها وبحسب ذلك يكون صغر
خطره وقله قدره الثانيه جعل مبدا الصدق المروة والمروة
فضيله يتعاطى معها الانسان الافعال الجميله واجتناب ما يعود
عليه بالنقص وان كان مباحا فلذلك يلزمه الصدق فى مقاله وعلى
قوة هذه الفضيله وضعفها يكون قوة لازمها وضعفه الثالثه
جعل الانفه مبدا للشجاعه والانفه حميه الانف وثوران الغضب لما

تحمل من مكروه يعرض استكبارًا له واستنكافًا من وقوعه في ظاهر
كونه مبدأ للشجاعة والاقدام على الامور وتحمّلها لكون قوة الاقدام
وضعفه الى الجبن فجعل الغيرة مبدأ الحقد والغيرة نفرة
طبعية تكون من الانسان عن تحمل مشاركة الغير في امر محبوب له
او معتقد لوجوب حفظه وبحسب شدة ذلك الاعتقاد والتخيل
وضعفهما او تصور وقوع مثل ذلك الفعل في نفسه او حرمه مثلًا
تكون امتناعه عن مشاركة الغير ووقوفه عن اتباع الشهوة في مشاركة
الناس في الامور المحبوبة لهم من وجه ونحوها وهو معنى العفة ٥
وقال الظفر بالحزم والحزم باجالة الرأي والرأي
بتحصين الاسرار ٥ الحزم تقديم العمل في الحوادث الواقعة في باب
الامكان قبل وقوعها بما هو اقرب الى السلامة وابعد من الغرور واجالة
الرأي اعماله وتحصين الاسرار كتمانها وحفظها واشار الى السبب القريب
للظفر وهو الحزم والى البعيد منها وهو كتمان السر والى الوسط منها وهو
اجالة الرأي ٥ واما سببية كتمان السر للرأي الصحيح فلأن اظهار السر
بما يرى من الرأي في الحرب وغيرها يستلزم ظهور العدو على ذلك والعمل
فيما يعارضه ويفسده وذلك من افسد الرأي ٥ واما سببية اجالة
الرأي في اختيار المصلحة للحزم فلأنه لولاه لجاز ان يكون العمل المقدم
في الحوادث المستقبلة غير صواب فلا يحصل الحزم ٥ واما ان الحزم سبب
للظفر فظاهر ٥ وقال احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم
اذا شبع ٥ اراد بالكريم شريف النفس ذا الهمة العلية وجوعه كناية
عن شدة حاجته وذلك يستلزم لثوران حميته وغضبه عند عدم

التفات الناس اليه وحمل نفسه على المبالغة في طلب امر كبير يصول عليهم
به ويتسلط بواسطته على قهرهم ومكافاتهم كالولاية عليهم ونحوها
فلذلك اوجب الحذر منه والاحتراز من صولته حال التفاته اليه في حاجته
واوقات ضرورته بما امكن فعله وشبع اللئيم كناية عن غناه وعدم حاجته
وذلك يستلزم استمراره على مقتضى طباعه من اللؤم وشبعه موكد لذلك
فاما جوعه فربما كان سببًا لتغير اخلاقه وتجويدها للغرض واستمرار ذي
الشبع من اللئام على مقتضى طباعه من اللؤم مستلزم لأذى من كان تحت
يده ومن يحتاج اليه من الناس فمن الواجب إذن الحذر من صولته وحسم
اسباب سبعه عند التمكن من ذلك ٥ وقال قلوب الرجال
وحشية فمن تألفها اقبلت عليه ٥ جعل علة السلب الوحشة هنا
اصلية وذلك باعتبار كون الالفة مكتسبة والوحشة عدم الالفة
عما من شانه ان يألف والمعوط هو ٥ وقال عيبك مستور
ما اسعدك جدك ٥ سعادة الجد عبارة عن حسن البخت وتوافق
اسباب المصلحة في حق الانسان ومن مصالحه ستر العيوب والرذائل
وبحسب دوام ذلك يدوم سترها ٥ وقال اولى الناس بالعفو
اقدرهم على العقوبة ٥ لما كانت فضيلة العفو انما تطلق في العرف على
من قدر على العقوبة ولم يعاقب وكان العفو والقدرة مقولين بالاشد
والاضعف لجرم كانت اولوية العفو تابعة لأولوية القدرة واشديتها
اي من كان اشد قدرة على العقوبة وعدمها كان اولى بان يسمى عفوًا ٥
وقال السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسألة فحياء
وتذمم ٥ التذمم الاستنكاف والسخاء عبارة عن ملكة بذل المال

لمن يستحقه بقدر ما ينبغي ابتداءً عن طيب نفس وحسن المساواة لذوي
الحاجة منه وبهذا الرسم تبين ان ما كان من البذل عن مسئلة فخارج
عن رسم السخاء وذكر له سببين لجرهما الحياء من السائل او من الناس
فيكلف البذل لذلك والثاني الاستكفاف مما يصدر من السائل
من الحاح او مشبهه بالبخل ونحوه ○ وقـــال اربع كلمات
احـــداها لا غنى كالعقل ولما سوّانه اغنى الغنى وان يكون لا غنى
مثله الثـــانيه ولا فقر كالجهل وذلك كما مر ان اكبر الفقر الحمق
والمراد بالجهل هنا ما يقابل العقل بالملكه وهو الحمق او ما يلازمه
الثالثـــه ولا ميراث كالادب ○ الادب هو التحلي بمكارم
الاخلاق وهو افضل من كل موروث من مال وقنيه واراد الوراثه
اللغويه الرابعـــه ولا ظهير كالمشاوره ○ لما كانت المشاوره تنتج
في غالب الاحوال الراي الصحيح فيما يراد من الامور والراي الصحيح
انفع في المدبر من القوه وكثره العدد والعده كما قال ابو الطيب

الراي قبل شجاعه الشجعان　　　　لا جرم لم يكن للمشاوره

التي هي مظنته ما يساويها في المعونه على المنفعه من الامور التي يستظهر
بها ويستعان ○ وقـــال الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر على
ما تحب ○ التعدد في الصبر هنا تعدد صنفي لا ان حقيقته في الموضعين
واحده على ما عرفت حقيقته ○ وقـــال الغنى في الغربه وطن
والفقر في الوطن غربه ○ استعار لفظ الوطن للغنى في الغربه باعتبار انه
يسكن اليه ويونس به ولا يرى اثر الغربه على الانسان معه ○ واستعار لفظ
الغربه للفقر في الوطن باعتبار عدم الحلو معهما وتعسر الامور فيهما ○

تشبيها في اقبح صورة ○ وقـــال اذا لم يكن ما تريد فلا تبل كيف
كنت اي اذا لم يكن مرادك من الامر ولا تبل باي حال كنت عليه في ذلك
الامر ومفهوم هذه الكلمه النهي عن الاهتمام والاسف على ما لم ينفع
من الامور المطلوبه وذلك ان الاسف على فوات المراد يستلزم غمًّا
والمًا وهو مضره عاجله ثم فايده فان تكن [illegible] ○ وقـــال
لا ترى الجاهل الا مفرطا او مفرطا ان [illegible] نشيط وهو طرف المفرط
من وصف العلم ويسمى غباوه ○ واما [illegible] وهو طرف الا [illegible]
ذلك ان الجاهل جهله مركب امر بالغ في طلب الحق وحصل [illegible]
في شبه غطت عن بصيرته عن ادراكه مع جزمه [illegible] برهان اصاب
الحق وقد يسمى هذا الطرف جربزه وكان [illegible] على احد الوجهين وحينئذ
[illegible] يكون حاله في افعاله واقواله على احد طرفي الافراط والتفريط ○
[وقـــ]ـال اذا تم العقل نقص الكلام ○ تمام العقل يستلزم كمال
قوته على ضبط القوى البدنيه وتصريفها بمقتضى الاراء المحموده الصالحه
ودون ما يبرز الى الوجود الخارجي عنها من الاقوال والافعال [illegible]
[illegible] دون ذلك من الكلفه والشرايط ما يستلزم نقصان الكلام
[illegible] ما لا يورد ولا يكثر من الاقوال ○ وقـــال الدهر
يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنيه ويباعد الامنيه من ظفر
به نصب ومن فاته تعب ○ اخلاقه للابدان اعداده لضعفها وفسادها
بمرور وما يلحق اجزاءه وفصوله من الحر والبرد والمتاعب المنسوبه
اليه ○ وتجديده للامال بحسب الغرور الحاصل بالبقاء والصحه
[illegible] بعض [illegible] للشاخ فان طول اعمارهم [illegible] يجار بهما [illegible]

منه من الحاجة والفقر يغريه من الحرص على الجمع ومدّ الأمل فيه لتحصيل
الدنيا ويقربه للمنية بحيث اخلقه للابدان ن وسعيه للامنية
يجتنب تقربه للمنية ن ومن طرق به اي بنوائبه واعداده لما يراد فيه
من متاع الدنيا نصب بها وشقي بضبطها وحفظها ن ومن فاته ذلك منه
تعب في تحصيلها وشقي بعدمها ن وراعى عليه السلام في القرينتين الأولتين
السجع المتوازن وفي المتوسطتين السجع المطرف وفي الأخيرتين السجع
المتوازي ن وقال من نصب نفسه للناس اماما فعليه ان
يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه
بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من مؤدب الناس
ومعلمهم ن اشار الى آداب ائمة العلم ومكارم الاخلاق فالأول
اوجب على الامام البداءة بتعليم نفسه اي برياضتها بما يعلم من
الآداب لتكون افعاله واقواله موافقة لتعليمه وذلك لأن الناس
اقرب الى الاقتداء بما يشاهدونه من الافعال والاحوال منهم بالأقوال
فقط خصوصا مع مشاهدتهم لمخالفتها بالافعال وان ذلك يكون
سببا لسوء الاعتقاد في الاقوال المخالفة للفعل والجرأة على مخالفة
ما اشتهر منها وان كان ظاهر الصدق والى مثل ذلك اشار القائل

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

الثاني ارشده الى البداءة في التعليم بالسيرة وحميد الافعال لما
بينا ان الطباع لمشاهدة الافعال اطوع واسرع انفعالا منها للأقوال
ثم بمطابقتها بعد ذلك بالأقوال ثم رغب في تأديب النفس بكون مؤدب
نفسه احق بالتعظيم والاجلال من مؤدب غيره وذلك لكمال مؤدب

نفسه بالفضيلة وكون تأديب الغير فرعا على تأديب النفس والأصل أشرف
واحق بالتعظيم من الفرع وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان
احق بالاجلال والتعظيم وجب عليه ان يبدأ بما لاجله كان احق بذلك
لينتج ان معلم نفسه ومؤدبها يجب عليه ان يبدأ بما لاجله كان احق بالتعظيم
من غيره ن وقال نفس المرء خطاه الى اجله ن استعار للنفس لفظ
الخطا باعتبار انه على التعاقب والتقضي وهو مقرب من الغاية التي هي
الأجل كالخطا المتعاقبة الموصلة للانسان الى غاية طريقه ن وقال
كل معدود منقض وكل متوقع آت والكلمتان من المشهورات الخطابية
في معرض الموعظة والأولى اشارة الى انفاس العباد وحركاتهم والثانية
تخويف بما يتوقع من الموت وتوابعه ن وقال ان الامور
اذا اشتبهت اعتبر آخرها باولها اي اذا التبس في مبادئها معرفة وجه
تحصيلها وتعسر الدخول فيها قيس على ذلك آخرها واستدل على انه
كذلك في العسر فيجب التوقف عنها وعدم التعسف فيها ن ومن خبر
ضرار بن ضمرة الضبابي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن امير المؤمنين عليه
السلام قال فاشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وهو
قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين
ويقول يا دنيا يا دنيا اليك عني ابي تعرضت ام الي تشوقت لا حان
حينك هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة
فيها فعيشك قصير وخطرك يسير واملك حقير آه من قلة الزاد وطول
الطريق وبعد السفر وعظيم المورد ن **اقول**
كان هذا الرجل من اصحابه عليه السلام فدخل على معاوية بعد موته فقال صف

لي عليًّا فقال او تعفيني عن ذلك فقال والله لتفعلن فكلمه بهذا الفصل
فبكى معاوية حتى اخضلت لحيته ٥ والصبابة بطن من فهر بن مالك
بن النضر بن كنانة والسدل ولا جمع سدل وهو ما اسبل على الهودج
والتململ التقلقل من الالم والهم والسليم الملسوع والوله اشد الحزن
وقد نظر عليه السلم الى الدنيا بصورة امراة تزينت له وتعرضت
لوصوله اليها مع كونها مكروهة اليه فخاطبها بهذا الخطاب ٥ واليك
من اسماء الافعال اي تنحي وعني متعلق بما فيه من معنى الفعل
واستفهامه عن تعرضها به وتشوقها اليه استفهام استنكار لذلك
منها واستحقار لها واستبعاد لموافقته اياها على ما تريد ٥ ولا حان
حينك اي لا قرب وقتك اي وقت انخداعي لك وغرورك لي ٥
وقوله هيهات اي بعد ما طلبت مني ثم امرها بغرور
غيره وهو كناية عن انه لا طمع لها في ذلك منه لانه اراد منها غرور غيره
وهذا كمن يقول لمن خدعه وقد اطلع على ذلك منه اخدع غيري اي ان
خداعك لا يدخل علي ٥ ثم خاطبها خطاب الزوجة المكروهة منافرًا لها
فاخبرها بعد طرحه اليها ثم ابتّ طلاقها ليحصل البينونة موكدًا لذلك بقوله
لا رجعة فيها وهو كناية عن غاية كراهيتها واكد طلاقها لميله عليه السلم
الى ضرتها التي هي مظنة للحسن والبهاء ٥ ثم اشار الى المعايب التي لاجلها
كرهها وطلقها ٥ وهي قصر العيش اي مدة الحياة بها ٥ ويسير الخطر
اي قلة قدرها ومحلها في نظره ثم حقارة ما يؤمل منها ٥ ثم تاوه من امور
احـــدها قلة الزاد في السفر الى الله تعالى وقد علمت انه التقوى
والاعمال الصالحة وهكذا اشار العارفون في استحقار اعمالهم الثاني

طول الطريق الى الله ولا شي في الاعتبار اطول مما لا تناهي له المسالك
بعد السفر وذلك لبعد غايته وعدم تناهيها الـــرابع
عظم المورد واول منازله الموت ٥ ثم البرزخ ٥ ثم موقف القيامة
الكبرى والله المستعان ٥ وروي وخشونة المضجع وهو القبر ٥
وقـــال للشامي لما سال اكان مسيرنا الى الشام بقضاء من الله
وقدر بعد كلام طويل هذا مختاره ٥ ويحك لعلك ظننت قضاء لازمًا
وقدرًا حاتمًا ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط
الوعد والوعيد ان الله سبحانه امر عباده تخييرًا ونهاهم تحذيرًا
وكلف يسيرًا ولم يكلف عسيرًا واعطى على القليل كثيرًا ولم
يعص مغلوبًا ولم يطع مكرهًا ولم يرسل الانبياء لعبًا ولم ينزل
الكتب للعباد عبثًا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلًا
ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ٥
قوله روي ان السائل لما قال له عليه السلم
اخبرنا عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء الله وقدره ٥ قال
عليه السلم والذي فلق الحبة وبرى النسمة ما وطئنا موطئًا ولا
هبطنا واديًا الا بقضاء وقدر ٥ فقال السائل عند الله احتسب
اي ما ارى لي من الاجر شيئًا ٥ فقال مه ايها الشيخ لقد
اعظم الله اجركم في مسيركم وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم
منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين
فقال الشيخ وكيف والقضاء والقدر ساقانا فقال ويحك العصل
الا ان بعد قوله والوعيد قوله والامر والنهي ولم يات لائمة من الله

لذنب ولا محمدة لمحسن بل كمقالة عُبّاد الأوثان وجنود الشيطان
وشهود الزور واهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة
ومجوسها لأن الله تعالى امر تخييرًا الى آخره فقال الشيخ
فما القضا والقدر اللذين ما سرنا الا بهما فقال هو الامر
من الله تعالى والحكم ثم تلا قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا
الا اياه فنهض الشيخ مسرورًا وهو يقول

انت الإمام الذي نرجوا بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا
اوضحت من ديننا ما كان ملتبسًا جزاك ربك عنا فيه احسانا

الى آخره كلمة ترحّم والحاتم الواجب وتقرير سؤال السايل ان
كان مسيرنا بقضاء من الله وقدر لم يكن لنا في تعبنا ثواب وذلك
ان القضا قد يراد به في اللغة الخلق وما خلقه الله تعالى في العبد
ولا اختيار له فيه وما لا اختيار له فيه فلا ثواب له فيما فعله
وقوله وتلك الى قوله الوعيد بيان لمنشا وهمه وهو
ما لعله يظنه من تفسير القضا والقدر بمعنى العلم الملزم والايجاد
الواجب على وفقه **وقوله** ان الله تعالى امر تخييرًا
اشارة الى تفسير القضاء بالأمر كما صرح في جواب السايل عن معناه
مستشهدًا في تفسيره بالأمر والحكم بقوله تعالى وقضى ربك الا اياه الآية
ومعلوم ان امر الله ونهيه لا ينافي اختيار العبد في فعله وهذا
الجواب اقناعي بحسب فهم السايل وربما فسر القضاء بانه عبارة
عن ابداع الاول الأزلي لجميع صور الموجودات الكلية والجزئية
التي لا نهاية لها من حيث هي معقولة في العالم العقلي ثم لما كان

الحادث ما يتعلق منها بالمادة في مادته واخراج ما فيها من قبول تلك الصور
من القوة الى الفعل لا يمكن الا على سبيل التعاقب لامتناع قبول
المادة للصور الكثيرة قدر تعالى بلطف حكمته وجود
الزمان المديد لتخرج فيه تلك الصور من القوة الى الفعل واحدًا بعد واحد
كان القدر عبارة عن ذلك الايجاد لتلك الامور وتفصيلها واحدًا بعد احد
كما قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم
واعلم انه على هذا التفسير يمكن تقرير الجواب عن السؤال المذكور
ايضًا وذلك ان القضا بالمعنى المذكور لا ينافي اختيار العبد وحسن
تكليفه وثوابه وعقابه لان معنى الاختيار هو علم العبد بان له
قوة صالحة للفعل والترك الممكنين بنسبة لهما اذا انضم اليها
الميل الى الفعل المسمى ارادة فعل او النفرة المسماة كراهة ترك وذلك
امر لا ينافي علم الله تعالى بما يقع او لا يقع من الطرفين وان حصل عنه
وجوب فهو خارج عرضي ثم ان التكليف لم يرد على حسب ما في
علم الله بل له مبدأ ان احدهما اعلى وهو حكمته تعالى اعني ايجاده
الموجودات على احكم وجه واتقنه وسوق ما هو ناقص منها من مبدايها
الى كمالها سوقًا ملايمًا لها والثاني قابلي وهو كون العبد بالصفة
المذكورة من الاختيار ولذلك ذكر من لوازم الاختيار والتكليف
المقصود من الحكمة لغايته امور عشرة احدها امره لعباده
تخييرًا وتخييرًا اقصد رشد مشتد الحال الثاني نهيه تحذيرًا
وتحذيرًا مفعول له الثالث تكليفهم اليسير ليسهل عليهم العمل
فيرغبوا فيه الرابع عدم تكليفهم العسير لغرض ان يكونوا

بحال الاختيار ولا يحرجون بالعسر الى تكليف ما لا يطاق كما اشار
الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ٥
الخامس اعطاؤه على القليل كثيرا ليرغبوا في العمل وذلك
من لوازم اختيارهم ايضا ٥ السادس انه تعالى لم يعص حال
كونه مغلوبا عليهم اذ هو القاهر فوق عباده ٥ بل لانه خلى بينهم
وبين افعالهم وهيأهم لها وذلك من لوازم اختيارهم ٥ السابع
انه لم يطع مكرها اي لم تكن طاعة مطيعهم له عن اكراه منه تعالى له
عليها وذلك من لوازم اختيارهم ٥ الثامن ولم يرسل الانبياء
عليهم السلام لعبا ليكونوا مبشرين ومنذرين لمن اطاع بالجنة ولمن
عصى بالنار وذلك من لوازم الاختيار ٥ التاسع ولم ينزل
الكتب للعباد عبثا بل لمعرفة اوامره ووجوه تكليفهم واحكام افعالهم
التي امروا ان يكونوا عليها وسائر حدود الله التي امرهم بالوقوف عندها
وكل ذلك من لوازم اختيارهم ٥ العاشر ولا خلق السموات
والارض وما بينهما باطلا بل على وجوه من الحكمة منها
ان يحصل لعباده بما وهب لهم من الفكر في آياتها اعتبار فينتهوا
من ذلك للطف حكمته ويستدلوا على كمال عظمته كما قال تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات
لأولي الالباب الآية ٥ ونفى عن افعاله غير ذلك بانه ظن
الذين كفروا والآية اقتباس وقال عليه السلام خذ الحكمة انى
كانت فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج
وتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن ٥ اي تعلم الحكمة اين وجدت

ولو من المنافق ورغب من عساه يأنف من اخذها من بعض المواضع ان
ياخذها من اي موضع وجدها بتضمين صغراه قوله فان الحكمة الى آخره
وكنى بتلجلجها او اختلاجها على الرواسي عن اضطرابها وعدم ثباتها
في صدر المنافق وكونه ليس موطنا لها فهي غير مستقرة فيه الى ان تخرج
الى موطنها وهي صدر المؤمن فتسكن الى صواحبها من الحكم فيه وبقدر
كونه وكل ما كان كذلك فيجب على المؤمن اخذه الى موطنه واخراجه
من غير موطنه ٥ وقال عليه السلام في مثل ذلك الحكمة
ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق استعار لفظ الضالة للحكمة
بالنسبة الى المؤمن باعتبار انها مطلوبه الذي يبحث عنه وينشده كما
ينشد الضالة صاحبها ٥ وقال قيمة كل امرئ ما يحسنه
يحض هذه الكلمة على الترغيب في اعلى ما يكتسب من الكمالات
النفسانية والصناعات ونحوها فقيمة المرء مقداره في اعتبار المعتبرين
ومحله في نفوسهم من استحقاق تعظيم وتبجيل او احتقار واستنقاص
وظاهر ان ذلك تابع لما يحسنه المرء ويكتسبه من الكمالات المذكورة
فاعلاهم قيمة وارفعهم منزلة في نفوس الناس اعظمهم كمالا وانقصهم
درجة اخسهم بما هو عليه من حرفة او صناعة وذلك بحسب اعتبار
عقول الناس للكمالات ولوازمها ٥ وقال اوصيكم بخمس لو
ضربتم اليها آباط الابل لكانت لذلك اهلا لا يرجون احد منكم
الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحين احد اذا سئل عما لا يعلم ان
يقول لا اعلم ولا يستحين احد اذا لم يعلم الشيء ان يتعلمه وعليكم
بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد لا خير في جسد لا رأس

معه ولا في ايمان لا صبر معه ۞ كنى بضرب آباط الابل عن الرحلة في
طلبها وذلك ان الراكب للجمل يضرب ابطيه بكعبيه ۞ فاحد
الخمس الرجاء لله دون غيره ومن لوازم ذلك اخلاص العمل له ودوام طاعته
الثانية ان يخاف ذنبه دون غيره وذلك ان اعظم مخوف هو
عقاب الله ولما كان انما يلحق العبد بواسطة ذنبه فبالاولى ان يجعل
الخوف من الذنب دون غيره وهو جذب الى الهرب عنه بذكر الخوف منه
الثالثة عدم استحياء من لا يعلم الشيء من قول لا اعلم فان الاستحياء
من ذلك القول يستلزم القول بغير علم وهو ضلال وجهل يستلزم
اضلال الغير وتجهيله وفيه هلاك الآخرة ۞ قال صلى الله
عليه من افتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض وقد يكون سببا
للهلاك الدنيوي ايضا الرابعة عدم استحياء من لا يعلم الشيء
من تعلمه لما في استحياء الجاهل عن التعلم من بقائه على جهله ونقصانه
وهلاك آخرته الخامسة فضيلة الصبر وامر باقتنائها لان
كل الفضائل عنها واقل ذلك الصبر على اكتسابها ثم على البقاء عليها
وعن الخروج عنها ولذلك شبهها من الايمان بالرأس من الجسد ووجه
الشبه ان الصبر لما كان موجودا في كل الفضائل التي مجموعها هو
الايمان ولا يقوم الا به اشبه الرأس من الجسد في عدم قيامه بدونه
ثم اكد التشبيه والمناسبة بينهما بقوله لا خير في جسد الى آخره
وقوله فان الصبر ضعفي مجد رغب به فيه وتقديره كراه وكل ما كان كذلك فواجب
اقتناؤه واخذه ۞ وقال لرجل افرط في الثناء عليه وكان له
متهما انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك ۞ جواب لما في نفسه مما

تتهمه به من عدم اعتقاد فضيلته ۞ وقال بقية السيف ابقى
عددا واكثر ولدا اقول ذلك الا للعناية الالهية ببقاء النوع وحفظه
واقامته وبالجملة فمن قتل ممن بقي والله اعلم ۞ وقال من ترك
قول لا ادري اصيبت مقاتله ترك هذا القول كناية عن القول بغير علم
واصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه
من الضلال والاضلال وربما يكون بسببه هلاك الدنيا والآخرة
وقال رأي الشيخ احب الي من جلد الغلام وروي من مشهد
الغلام ۞ جلد الغلام قوته وقد مر ان الرأي مقدم على القوة والشجاعة
لاصالة منفعته وانما خص الرأي بالشيخ والجلد بالغلام لان كلا منهما
مظنة ما خصه به فان الشيخوخة مظنة الرأي الصحيح لكثرة تجارب
الشيخ وممارسته للامور ۞ والغلام مظنة القوة والجلد ۞ وعلى
الرواية الاخرى فمشهده حضوره والمعنى ظاهر ۞ وقال عجبت
لمن يقنط ومعه الاستغفار ۞ القنوط اليأس من الرحمة ولما كان
الاستغفار باخلاص سببا للرحمة بشهادة القرآن الكريم كما سيأتي كان
القنوط معه محل التعجب ۞ وحكى عنه ابو جعفر محمد بن علي
الباقر عليهما السلام انه صلى الله عليه وآله قال كان في الارض
امانان من عذاب الله تعالى وقد رفع احدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به
اما الامان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله واما الامان
الباقي فالاستغفار قال عز ذكره وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ۞ قال السيد
وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط كون وجود الرسول

صلى الله عليه من الأمة ورجوعه الى الله في رحمة امته وكون الاستغفار
بالخلاص معدّين لنزول رحمة الله ورفع عذابه مما شهد به البحث
العقلي وقد اكّد ذلك تصادق الشاهد السمعي كما استخرجه عليه
السلام فقال ثلاث كلمات احديها من اصلح ما بينه وبين
الله اصلح الله ما بينه وبين الناس الثانية ومن اصلح امر اخرته
اصلح الله امر دنياه الثالثة ومن كان له من نفسه واعظ
كان عليه من الله حافظ ٠ فاصلاح ما بينه وبين الله بتقواه المستلزم
لرضاه ولما كان من تقواه اصلاح قوتي الشهوة والغضب اللذين هما
مبدأ الفساد بين الناس ولزوم العدل فيهما كان من لوازم ذلك
الاصلاح اصلاح ما بينه وبين الناس وكذلك من لوازم اصلاح امر
الاخرة عدم مجاذبة الناس دنياهم والكف عن الشره فيما بايديهم
منها وذلك مع مشاكلتهم ومعاملتهم بمكارم الاخلاق التي هي
اصلاح امر الاخرة مستلزم لاشتغالهم وميلهم الى من كان كذلك
واقبالهم عليه بالنفع والمعونة وكف الاذى وبحسب ذلك يكون
صلاح امر دنياه ٠ ولان الدنيا المطلوبة لمن اصلح امر اخرته سهلة وهي
مقدار حاجته على الاقتصاد وذلك امر قد يطلب للعناية الالهية
تهيئته واصلاحه مدة الحيوة الدنيا ٠ واما الثالثة فلان واعظ
النفس باعثة على تقوى الله ولزوم العدل في قوتي الشهوة والغضب
اللذين هما مبدأ الشر المستلزم للهلاك في الدارين وذلك مستلزم
لحفظ الله فيهما ٠ وقال الفقيه كل الفقيه من لم يقنط
الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله

كنى بقوله كل الفقيه عن تمامه اى الفقيه الكامل في فقهه وذلك
ان من فقه وضع الكتاب العزيز علم ان غرضه الاول جذب الناس
الى الله في سبيل مخصوصة بوجوه من الترغيب والترهيب والوعد
والوعيد والبشارة والنذارة وغيرها فمن ضرورته اذن ان لا
يقنط الناس من رحمة الله بآيات وعيده ونذارته ولا يؤيسهم بذلك
من روحه لما يلزم ذلك اليأس من اغراء العصاة بالمعصية واتباع
الهوى الحاضر الذي لا يرجى من نهي النفس عنه ثمرة في الاخرة ولذلك قال
تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ٠ وقال تعالى
انه لا ييأس من رحمة الله الا القوم الكافرون ٠ وان لا يؤمنهم
مكر الله بالجزم بآيات وعده وبشارته لما يلزم السكون الى ذلك
والاعتماد عليه من الانهماك في المعاصي واتباع الهوى ولذلك قال
تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ٠ بل يكون
بالتعادل في وعظه وجذبه الى الله مقاصد سنته ووضع شريعته ٠
٤
وقال اوضع العلم ما وقف على اللسان وارفعه ما ظهر في
الجوارح والاركان كنى بالاول عن العلم الذي لا عمل معه وظهوره
ووقف على اللسان فقط وهو انقص درجات العلم ٠ واراد بالثاني
العلم المقرون بالعمل فان الاعمال الصالحة لما كانت من ثمرات العلم
بالله وبما هو اهله كان العلم بها ظاهرا على جوارح العبد واركانه ظهور
العلة في معلولها وذلك هو العلم المنتفع به في الاخرة ٠ وقال
ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة ٠

للنفوس وقد يقع لها انصراف عن العلم الواحد وملال النظر فيه لتشعب
متشابهه بعض اجزائه لبعض فاذا اطّلعت النفس على بعضه قاست
ما لم تعلم منه على ما علمت ولم يكن الباقي عندها من الغريب لتلتذ به
وتدوم على النظر فيه ن ولما كان ذلك الملال والانصراف عن
محمود لها امر بطلب طرائف الحكمة لها واراد لطائفها وغرائبها
المعجبة للنفس اللذيذة لها لتكون سببًا في اكتساب الحكمة بنشاط
والتذاذ في استفادتها من بعض غرائبها الى بعض واراد بالحكمة الحكمة
العملية واقسامها او اعم منها ه وقـال لا يقولن
احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد الا وهو مشتمل على
فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فان الله سبحانه
يقول انما اموالكم واولادكم فتنة ن ومعنى ذلك انه سبحانه
يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه
وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن لتظهر الافعال التي بها
يستحق الثواب والعقاب لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث
وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال ن قال السيد
رحمه الله وهذا من غريب ما سمع منه عليه السلام من التفسير ن حاصل
الكلام ان الفتنة اعم من الفتنة المستعاذ منها لصدقها على المال
والنفس باعتبار ابتلاء الله تعالى عباده واختباره لهم بهما وهما غير
مستعاذ منهما اذا راعى فيهما امر الله ولزم طاعته ن واما الفتنة
المستعاذ منها فهي التي يستلزم الوقوع فيها الضلال عن سبيل الله
كالخروج في المال عن وجه العدل وصرفه في امداد الشهوات واتباع

الهوى وسُئل عليه السلام عن الخير ما هو فقال ليس الخير ان يكثر مالك
وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك وان يعظم حلمك وان تباهي الناس
بعبادة ربك فان احسنت حمدت الله وان اسأت استغفرت الله ولا خير
في الدنيا الا لرجلين رجل اذنب ذنوبًا فهو يتداركها بالتوبة ن ورجل
يسارع في الخيرات ولا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل ن
اقول الخير في العرف العامي هو كثرة المال والقنيات
الدنيوية ن وفي عرف السالكين الى الله هو السعادة الاخروية وما يكون
وسيلة اليها من الكمالات النفسانية وربما فسّره قوم بما هو اعم من ذلك
وقد نفى عليه السلام ان يكون الاول خيرًا وذلك لفنائه ومفارقته ولما عساه
ان يجر بسببه من الشر في الاخرة ن وفسره بالثاني وعدّ منه كمال القوى
الانسانية فكثرة العلم كمال القوة النظرية للنفس العاقلة وعظم
الحلم من كمال القوة العملية وهو فضيلة القوة الغضبية ن ومباهاة
الناس بعبادة الله اي المفاخرة بها في الكثرة والاخلاص ن وحمد الله
على توفيقه للحسنة واستغفاره للسيئة وذلك من فضائل القوة الشهوية
وكمال القوة العملية ثم حصر خير الدنيا في امرين وذلك لان الانسان اما
ان يشتغل بمحو السيئات واعدامها وتدارك فارط ذنوبه فيجد نفسه
بذلك لاكتساب الحسنات فيها او لا واسطة من الخير المكتسب من هذين
الامرين ثم حكم بعدم قلة العمل المقرون بتقوى الله منبهًا بذلك على ان
تدارك الذنوب بمحوها والمسارعة في الخيرات مستلزم للتقوى
وانما كان غير قليل لانه مقبول عند الله والمقبول عنده مستلزم للثواب
العظيم وذلك ترغيب في الامرين المذكورين ن وقـال ان

اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به ثم تلا عليه السلام قوله تعالى ان
اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين
ثم قال عليه السلام ان ولي محمد صلى الله عليه من اطاع الله وان بعدت لحمته
وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته ؛ ولما كان الغرض من الانبياء
عليهم السلام جذب الخلق الى الله بطاعته وكل من كان ابلغ في الطاعة كان
اشد موافقة لهم واقرب اليهم واقوى نسبة اليهم ؛ ولما لم تكن
طاعتهم الا بالعلم بما جاؤا به كان اعلم الناس بذلك اقربهم اليهم واولاهم
بهم وبرهان ذلك الآية المذكورة وذكر حال الانبياء ليعلم مراده الاجمالي
ثم خصص الذكر بمحمد صلى الله عليه كما هو عادة الخطيب والمراد بالمولى هنا
الاولى واشار الى ان طاعة الله علة الاولوية بمحمد صلى الله عليه ومعصيته
علة لعداوته وان بعدت قرابة المطيع او قربت قرابة العاصي ليعلم ان
الطاعة والمعصية علتان مستقلتان للاولوية بمحمد والعداوة له فيحصل
الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية ؛ وقال عليه السلام وقد سمع رجلا
من الحرورية يتهجد ويقرا فقال نوم على يقين خير من صلوة في شك الحرورية
فرقة من الخوارج نسبوا الى حروراء تمد وتقصر قرية بالنهروان كان اول اجتماعهم
بها ؛ والتهجد السهر في العبادة وانما كان كذلك لان نوم العالم على
يقين منه بما ينبغي يقينه وعلمه ايضا مما ينبغي له ؛ وعبادة الجاهل على
شك منه فيما ينبغي يقينه من اصول العبادة مما لا ينبغي لما فيه من اتعاب
البدن من غير فايدة فكان الاول اولى وخيرا من الثاني واراد ما هم عليه من
الشك في امامة امام الوقت الذي هو مرشد لتعليم العبادات وكيفيتها والعلم
به ركن من اركان الدين فان الشك فيه يستلزم عدم الاستفادة منه والشك

في كثير مما يحتاج اليه فيه كعلم التوحيد واسرار العبادات وكيفية السلوك
الى الله تعالى بطاعته ؛ وقال اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل
رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل ؛ عقل
الرعاية ضبطه بالفهم ورعاية العلم وعقل الرواية ضبط الفاظه وسماعها
دون تفهم المعنى ورغب في ذلك بتصغيره قوله فان رواة العلم الى
آخره وتقريره وكل ما كان كذلك ينبغي ان يحصل عقل رعايته لكثرة
رعاته ؛ وسمع رجلا يقول انا لله وانا اليه راجعون فقال ان قولنا انا
لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا
بالهلك والكلمة تفسير ظاهره ؛ ومدحه قوم في وجهه فقال عليه
السلام اللهم انك اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلنا
خيرا مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون هذا كسر لنفسه عليه السلام في
مقابلة المدح الموجب للعجب ؛ ثم سال الله تعالى ان يعلي درجته في الخير فوق
ما يظنونه فيه وان يغفر له ما لا يعلمون من عيبه ؛ فان قلت انه
معصوم فكيف يصدر عنه عيب يطلب مغفرته قلت قد بينا فيما
سلف ان عيب مثله عليه السلام وما يسمى ذنبا في حقه انما هو من باب
ترك الاولى وليس هو من الذنوب المتعارفة التي عصم عنها ؛ وقال
لا يستقيم قضاء الحوائج الا بثلاث باستصغارها لتعظم واستكتامها
لتظهر وتعجيلها لتهنأ ؛ اشترط في استقامة قضاء الحوائج اي كون قضائها
على ما ينبغي من العدل ثلث شرائط احدها استصغار قاضي
الحاجة لها ليعظم بالسماحة وكسر النفس وتعظم عطاؤه وتشتهر
للناس ... ان يكتمها لتظهر فان طباع الناس ادعى الى اظهار ما

استكثر واكثر عناية به من غيره الناس ان تجعلها لنا هنيئا
اى لا يكون هنيئة يقال هنئ الطعام يهنأ وذلك ان الابطاء يقضي
الحاجة بعضها على طالبها فيكون انها مشوبة بتكدير بطوها
وقال عليه السلام يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا
الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف الا المنصف يعدون
الصدقة فيه غرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس
فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير
الخصيان وقال الماحل الساعي بالنميمة الى السلطان واصل المحل
الكيد والمكر وروي الماجن وهو المتكلم بما يشتهي من الباطل
والهزل والاستهزاء والغرض الذي يدل ان ذلك الزمان لسوء
اهله وبعدهم عن الدين وقوانين الشريعة يجعل فيه الرذائل مكان
الفضائل ويستعمل ما لا ينبغي مكان ما ينبغي فيقرب الملوك السعاة
اليهم بالباطل مكان اصحاب الفضائل ومن ينبغي تقريبه ويعد
الفاجر وهو صاحب رذيلة الافراط في قوته الشهوية صاحب فضيلة
الظرف وهو استعمال الاشياء الحسنة اللطيفة في مواضعها ويعد
المنصف العادل في حركاته ضعيفا عاجزا ويحتمل ان يريد بقوله
يضعف اى يستضعف عقله لتركه الظلم كانه تارك حق ينبغي له اخذه
وتعد فيه الصدقة التي ينبغي اداؤها برغبة طلبا للثواب عنها كالاداء
الدين في الثقل وكذلك تعد صلة الرحم منا وفيه ابطال الفضيلة
المذكورة لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
ويستطال بالعبادة على الناس ويترفع بصاحبها كالمان عليهم بذلك

ثم جعل من علامات ذلك الزمان كون السلطان والملك يدور بمشورة الاماء
وامارة الصبيان وتدبير الخصيان وهي علامات زماننا وقبله بمدة
وروي عليه السلام وعليه ازار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال يخشع له
القلب وتذل له النفس ويقتدي به المؤمنون ذكر في تبيين ذلك الخلق
ثلث فوائد وخشوع القلب خضوع النفس العاقلة وانكسارها عن
الفخر وذلة النفس انكسار النفس الامارة بالشهوة عنه واقتداء المؤمنين
بذلك للقصد الاول لذلك وقال عليه السلام ان الدنيا والاخرة
عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب الدنيا وتولاها ابغض
الاخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلما قرب من
واحد بعد من الاخر وهما بعد ضرتان استعار لفظ العدو لهما باعتبار ما
بينهما من البعد لطالبيهما وظاهر كونهما سبيلين مختلفين ومن لوازم
ما بينهما من العداوة والاختلاف كون المحب لاحدهما مبغضا للاخرى
ثم شبههما بالمشرق والمغرب ووجه الشبه تباينهما واختلاف
جهتيهما وشبه الطالب لهما بالماشي بينهما ووجه الشبه قوله كلما
قرب الى اخره فان الطالب للدنيا بقدر توجهه في طلبها يكون غفلته عن
الاخرة والطاعة وكلما امعن في تحصيلها ازداد غفلة وبعدا عن الاخرة
وبالعكس كالماشي الى احد جهتي المشرق والمغرب ثم شبههما بعد ذلك
بالضرتين ووجه التشبيه ايضا ان القرب من احدهما يستلزم البعد عن الاخرى
كالزوج ذي الضرتين وعن نوف البكالي قال رايت امير المؤمنين
عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر الى النجوم وقال يا نوف
اراقد انت ام رامق فقلت بل رامق يا امير المؤمنين قال يا نوف طوبى للزاهدين

في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها
فراشا وماءها طيبا والقرآن شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا
على منهاج المسيح يا نوف ان داود عليه السلام قام في مثل هذه الساعة
من الليل فقال انها ساعة لا يدعو فيها عبد الا استجيب له الا ان
يكون عشارا او شرطيا او صاحب عرطبة وهو الطنبور او صاحب كوبة
وهو الطبل ٥ وقد قيل ان العرطبة والكوبة الطنبور ٥
اقول البكالي بكسر الباء منسوب الى بكالة قوم من اليمن
والرامق الناظر والعريف نقيب الشرطة ٥ وكان خروجه عليه السلام في ذلك
الوقت لما نقله عن داود عليه السلام ولانه محل الفراغ للاعتبار والفكر في
طول السموات وزينتها ثم عرّف الزاهدين في الدنيا بستة اوصاف لغرض
الاقتداء بهم احدها اتخاذهم الارض بساطا الثاني وترابها
فراشا الثالث وماءها طيبا وذلك من لوازم زهدهم في متاعها كما
[illegible] بذلك الرابع اتخاذهم القرآن شعارا الخامس
والدعاء دثارا واستعار لفظ الشعار للقرآن باعتبار ملازمتهم لدرسه
وتفهم مقاصده كالشعار الملازم للجسد ولفظ الدثار للدعاء باعتبار
احترازهم به من عذاب الله والشدائد النازلة بهم كالاحتراز بالدثار
عن البرد ونحوه السادس قرضهم الدنيا اي قطعها عنهم بايسر ما
يدفع ضرورتهم منها كما فعله المسيح عليه السلام من هذه الاوصاف وكان
قيامه عليه السلام في النصف الاخير من الليل وانما كان مظنة الاجابة لخلو
النفس فيه عن الاشتغال بشواغل النهار المحسوسة وبعدها بعد النوم عن
الالتفات الى حضرة الملك الاعلى واستعدادها لقبول السوانح الالهية وانما

استثنى المذكورين لملازمتهم المعصية التي تحجب نفوسهم عن قبول
رحمة الله ٥ وقال عليه السلام ان الله افترض عليكم فرائض
فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشياء فلا
تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها ٥
فرائض الله واجبات دينه وحدوده نهايات ما اباحه من نعمه ورخص
فيه ٥ والاشياء المنهي عنها ما جاوز حدوده من المحرمات والرذائل وما
سكت عنه نحو تكلف دقائق علم لا نفع له في الآخرة فانه لم يسكت عنه
نسيانا لتقدسه عن ذلك بل لعدم فائدته الاخروية واستلزام الاشتغال
به ترك الاشتغال بعلم نافع فيلزمه المضرة ٥ وقال عليه السلام
لا يترك الناس شيئا من امر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم
ما هو اضر منه ٥ لما كانت مطالب الناس في الدنيا اذا فتح باب الطلب
لها غير متناهية لكون كل مطلوب يحصل بعد الطلب الزيادة فيه
والاستكثار منه وتحصيل شرائطه ولوازمه وكان بعد الانسان عن الله
بقدر رغبته من الدنيا وبعد امله فيها كان كل امر استصلح به الدنيا
لانها دنيا معدا لفتح باب من ابواب طلبها واصلاحها وهو اضر من
الاول لكونه اشد انغماسا فيها واشد ابعادا عن الله تعالى ٥ وقال
عليه السلام رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه اراد العلماء بما لا نفع
فيه من العلوم كعلم السحر والنيرنجات بل كعلم النحو وغيره من العلوم العقلية
مثلا من جهل شرائع الاسلام فافتى بغير علم او تعدى حدا او ارتكب منهيا
وكان ذلك سبب هلاكه في الدنيا وفي الآخرة او كعلم ما لا نفع فيه في الآخرة
استلزم ترك علم مهم فيها فكان سبب هلاكه هناك مع عدم انتفاعه

وخلاصه بما علم **وقال** عليه السلم لقد علق بنياط هذا الانسان
بضعه من اعجب ما فيه وهو القلب وله مواد من الحكمه واضداد من خلافها
فان سنح له الرجا اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان
ملكه الياس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ
وان اسعده الرضا نسي التحفظ وان غاله الخوف شغله الحذر وان اتسع له
الامن استلبته الغره وان اصابته مصيبه فضحه الجزع وان افاد مالا
اطغاه الغنى وان عضته الفاقه شغله البلا وان جهده الجوع قعد به
الضعف وان افرط به الشبع كظته البطنه وكل تقصير به مضر
وكل افراط له مفسد **اقول** النياط عرق علق به
القلب وغاله اخذه على غره واراد بالمواد من الحكمه الفضايل الخلقيه
فانها باسرها من الحكمه وهي العلم بما ينبغي ان يفعل وهو الاصلح في كل
باب وهي مواد كمال القلب واشار باضدادها المخالفه لها الى الرذايل
المضاده للفضايل والتي هي اطراف التفريط والافراط منها فالاولى
الطمع وهي رذيله الافراط من الرجا ويتفرع عنها بما يلزمها من الذله للمطموع
فيه وبما يلزم اشتداد الطمع من الحرص المهلك في الدارين الثانيه
الياس وهو رذيله التفريط من الرجا ويتفرع عنها بما يلزمها من شده الاسف
الثالثه رذيله الافراط من الغضب وهي اشتداد الغيظ
المسمى طيشا والوسط من الغضب فضيله الشجاعه وكظم الغيظ
الرابعه ترك التحفظ ونسيانه وهو رذيله الافراط من رضا الانسان
بما حصل عليه من دنياه الخامسه رذيله الافراط من عروض الخوف
وهي الاشتغال بالحذر عما ينبغي عند عروضه والذي ينبغي فيه الاخذ

بالحزم وترك الافراط في الخوف والعمل للامر المخوف السادسه رذيله
التفريط في عروض ضده وهو الامن وهي استلاب الغره لعقل الامن حتى
لا يفكر في مصلحته وحفظ ما هو عليه من الامن السابعه رذيله
التفريط من فضيله الصبر على المصيبه وهي الجزع ويتفرع عنه بما يلزمه
من الافتضاح به الثامنه رذيله الافراط من حصول المال وهو
الطغيان بكثرته والغنى منه والطغيان تجاوز الحد التاسعه رذيله
التفريط من فضيله الصبر على عض الفقر وهي الاشتغال بالبلا والمحنه
وضعف الصبر العاشره رذيله التفريط من الصبر على الجوع وذكر
لازمها وهو قعود الضعف به عما ينبغي ويتفرع عنها الحاديه
عشر رذيله افراط الشبع من فضيله القصد فيه وما يلزم تلك الرذيله
من كظه البطنه ويتفرع عنها بما يلازمها ثم ختم ذلك بالتنفير عن
طرفي الافراط والتفريط فيها بما يلزم التفريط من مضره للقلب بعدم
الفضيله ويلزم الافراط فيها من افساده لخروجه عنها وبالله العصمه
وقال عليه السلم نحن النمرقه الوسطى بها يلحق
التالي واليها يرجع الغالي اقول النمرقه الوساده الصغيره واستعار
لفظها له ولاهل بيته بصفه الوسطى باعتبار كونهم ائمه للحق مستندا
للخلق في تدبير معاشهم ومعادهم على وجه العدل المتوسط بين طرفي
الافراط والتفريط ومن حق الامام الحق المتوسط في الامور ان
يلحق به التالي اي المفرط المقصر وان يرجع اليه الغالي اي المفرط
المجاوز لحد العدل **وقال** عليه السلم لا يقيم
امر الله الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع المصانعه

المصلحة برشوة ونحوها والمضارعة مفاعلة من الضرع وهو الذلة كأن
كلا منهما تضرع للآخر وظاهر أن مصانعة الغير يستلزم طلب رضاه
وذلك يمنع من اقامة حدود الله وامره في حقه وكذلك المضارعة
واتباع المطامع من الغير فانهما يستلزمان ترك مواجهته بما يشق
عليه من اوامر الله وحدوده ۞ وقال عليه السلام وقد توفي
سهل بن حنيف الانصاري بالكوفة عند مرجعه معه من صفين وكان
من احب الناس اليه لو احبني جبل لتهافت ۞ قال السيد
ومعنى ذلك ان المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب اليه ولا يفعل ذلك
الا بالاتقياء الابرار والمصطفين الاخيار وهذا مثل قوله عليه السلام من
احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا ۞ وقد تؤول ذلك على
معنى آخر ليس هذا موضع ذكره واقول تهافت تساقط
قطعة قطعة وذلك مبالغة في كثرة ما يلحقه ويحبه من المصائب والابتلاء
وقوله من احبنا فليستعد للفقر جلبابا اي ليتهيأ له ذلك
والجلباب مستعار لتوطين النفس على الفقر والصبر عليه ووجه الاستعارة
كونهما ساترين للمستعد بهما من عوارض الفقر وظهوره في سوء الخلق وضيق
الصدر والضجر الذي ربما يؤدي الى الكفر كما يستر بالملحفة ۞ ولما كانت
محبتهم عليهم السلام بصدق يستلزم متابعتهم والاقتداء بهم
والاستشعار بشعارهم ومن شعارهم الفقر ورفض الدنيا والصبر على
ذلك وجب ان يكون كل محب لهم مستشعرا للفقر ومستعدا له جلبابا
من توطين النفس عليه والصبر له ۞ وقد ذكر ابن قتيبة هذا المعنى بعبارة
اخرى فقال من احبنا فليقتصر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها

قال وشبه الصبر على الفقر بالجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب
البدن ۞ قال ويشهد بصحة هذا التاويل ما روي انه عليه السلام راى
قوما على بابه فقال يا قنبر من هؤلاء فقال شيعتك يا امير المؤمنين فقال ما لي
لا ارى فيهم سيما الشيعة فقال وما سيما الشيعة فقال خمص البطون
من الطوى يبس الشفاه من الظما عمش العيون من البكاء ۞ وقال
ابو عبيد انه لم يرد الفقر في الدنيا الا ترى ان فيمن يحبهم مثل ما في ساير الناس
من الغنى وانما اراد الفقر يوم القيامة واخرج الكلام مخرج الوعظ
والنصيحة والحث على الطاعات فكانه اراد من احبنا فليعد لفقره
يوم القيامة ما يجبره من الثواب والتقرب الى الله تعالى والزلفة عنده
قال السيد المرتضى رحمه الله والوجهان جميعا حسنان وان
كان قول ابن قتيبة احسن هذا معنى قول السيد الرضي رحمه الله وقد
تؤول ذلك على معنى آخر وقد ذكر القطب الراوندي لهما الا ركيكا
لا يصلح محملا لهذا الكلام فلم نطول بذكره ۞ وقال
عليه السلام سبعة عشر كلمة ۞ اجد بها الامال اعود من
العقل اي اعود بالنفع على صاحبه واستعار لفظ المال للعقل
باعتبار ان به غنى النفس وهو راس مالها الذي به يكتسب الارباح
الباقية والكمالات المستعدة كالمال الذي به الكمال الظاهر
ولما كان من المال ما ليس من المنافع في الترف ما علمت لا جرم لم يكن
مال الا اعود منه بالمعنى المناسب ولا وحدة اوحش من
العجب وجعل الوحدة من جنس العجب باعتبار ما يستلزمه من
الوحشة الموحشة وقد سبق سر استلزام العجب لها ۞

الثالثة ولا عقل كالتدبير اراد بالعقل تصرف العقل العملي
فاطلق عليه اسمه مجازًا اطلاقًا لاسم السبب على المسبب وظاهر
ان من جملة تصرفاته التدبير واستخراج الآراء المصلحية في الامور
ولما كان المقصود منه التدبير لا جرم لم يكن له تصرف يشبهه فلا
عقل مثله ن الرابعة ولا كرم كالتقوى والمفهوم من
الكرم بذل ما ينبغي بذله ولما كان تقوى الله عبارة عن خشيته
وكان من لوازمها الزهد في الدنيا والاعراض عن متاعها كان ذلك
في الحقيقة بذلا لجميعها واذا كان بذل بعض قنياتها يسمى كرمًا
فبذلها باسرها ممن يبعثه له ذلك اولى ان يكون كرمًا لا يشبهه
كرم كما قال عليه السلام فيما سبق في وصفها وانها لمحاجه
فوهبت حملتها لها ن الخامسة ولا قرين كحسن الخلق
قد عرفت الاخلاق الحسنة وظاهر انه ليس فيما يعد قرينًا
اشرف منها لان غاية ما في القرناء ان يستفاد من صحبتهم ومحبتهم
حسن الخلق ويكون الحلو الحسن نفسه الذي هو الغاية قرينًا
اشرف من ذي الغاية الذي عساه لا يحصل منه ولا اذن يشبهه
السادسة ولا ميراث كالادب وقد مر بيانه عن قريب ن
السابعة ولا قائد كالتوفيق الى المطالب ولما
كان التوفيق عبارة عن توافق الاسباب للشيء وشرايطه حتى
يكون مجموعها مستلزمة لحصوله لا جرم لم يكن للمرء قايد الى
مطالبه كالتوفيق في شرعه وصوله اليه ن الثامنة
ولا تجارة كالعمل الصالح استعار لفظ التجارة له باعتبار كونه

مستلزمًا للخير كالتجارة المستلزمة للربح ولما كان شرف التجارة
بشرف غرضها وربحها فكلما كان الربح اشرف كانت التجارة اشرف
ولما كان ربح هذه التجارة الثواب الدائم الاخروي الذي لا ربح اعظم
منه لم يكن لتجارة العمل الصالح ما يشبهها من التجارات ن
التاسعة ولا ربح كالثواب وهو ظاهر ن العاشرة
ولا ورع كالوقوف عند الشبهة قد يفسر الورع بانه الوقوف
عن المناهي والمحرمات ولما كان الوقوف عما اشتبه من الامور
في حله وحرمته ابلغ اصناف الورع واكثرها تحرزًا به لم يكن فيها
ما يشبهه ن الحادية عشر ولا زهد كالزهد في الحرام
لما كان الزهد في الحرام هو المامور به والواجب دون غيره من
اصناف الزهد كان افضل لفضيلة الواجب على المندوب
الثانية عشر ولا علم كالتفكر اي كالعلم الحاصل عن
التفكر وذلك بالقياس الى ما يدعى علمًا من حفظ المنقولات
كالاحاديث والسير ونحوها والى العلوم الجزئية الحاصلة عن
الحواس لان العلم الفكري كلي وهو اشرف وحكم الشارع
والخطب اكثري واراد التفكر فيما ينبغي من خلق السموات
والارض وما خلق الله من شيء وتحصيل العبرة منه واطلق اسم
التفكر على العلم الحاصل منه اطلاقًا لاسم السبب على المسبب
ويحتمل ان يريد العلم بكيفية التفكر والقوانين التي تعصم مراعاتها
الفكر من الضلال ن الثالثة عشر ولا عبادة كاداء الفرائض
لكونها واجبة والواجب اشرف من غيره الرابعة عشر

ولا ايمان كالحياء والصبر اي لا ايمان كايمان يكمل بالحياء والصبر
وذلك اشرف هاتين الفضيلتين كما سبق واطلقهما على الايمان
مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه ۝ الحادية عشر
ولا حسب كالتواضع لما كان الحسب ما يعد من المآثر والفضايل
كان التواضع اشرف ما يعد لانه الناس اليه اكثر منها لما يستلزم من
الخيرات كما سبق بيانه ۝ السادسة عشر ولا شرف
كالعلم اي كشرف العلم فاطلق اسم الملزوم على لازمه مجازا
وظاهر ان العلم اشرف الكمالات ولا شرف كشرفه ۝
السابعة عشر ولا مظاهرة اوثق من مشاورة اي اقوى
وقد مر بيانه في قوله لا ظهير كالمشورة ۝ واعلم ان الحكم في
كثير من هذه الكلمات اكبرى وغرضه الترغيب في العقل
والتدبير والتقوى وحسن الخلق والادب والتوفيق بالرغبة في
الله فيه والعمل الصالح والثواب والوقوف عند الشبهة والزهد
في الحرام والمحافظة على الفرائض واقتناء الحياء والصبر والتواضع
والعلم والمشورة في الامور ۝ وقال عليه السلام اذا
استولى الصلاح على الزمان واهله ثم اساء رجل الظن برجل لم
يظهر منه خزية فقد ظلم ۝ واذا استولى الفساد على الزمان واهله
ثم احسن رجل الظن برجل فقد غرر ۝ قد مر ان الزمان من جملة
الاسباب المعدة لتوافق اسباب صلاح الخلق في معاشهم
ومعادهم فيسمى زمان الصلاح والخير وكذلك هو من جملة الاسباب
المعدة لعدم ذلك فيقال فسد الزمان وزمان فاسد والاول

هو الزمان الذي استولى الصلاح عليه وعلى اهله وبحسب ذلك يكون
مظنة فعل الخير وان يحسن الظن باهله فمن اساء الظن حينئذ
في احد منهم لم يظهر منه ما يخزى به عند الناس من فعل رذيلة
فقد وضع اساءة ظنه في غير موضعها وهو خروج عن العدل الى ظلم
وروى خزية اي اثم ۝ والثاني هو الزمان الذي استولى الفساد عليه
وعلى اهله وبحسب ذلك يكون مظنة فعل الشر وسوء الظن
باهله فمن احسن الظن في احد منهم حينئذ فقد غرر اي اوقع نفسه
في الغرة والغفلة عن حاله ۝ وقيل له عليه السلام يا امير
المؤمنين كيف تجدك فقال كيف يكون حال من يفنى ببقائه ويسقم
بصحته ويؤتى من مأمنه ۝ اجاب بصورة حاله على طريق الموعظة
والتشكي ولما كان البقاء عبارة عن استمرار زمان الوجود وكان
استمرار الزمان وتعاقب اجزائه مقربا بالاجل كان البقاء سببه
في فنائه وكذلك لما كان من غايات صحته السقم كان الصحة
سببه في سقمه ۝ واما كونه يؤتى من مأمنه فيشبه ان يكون المأمن
هنا مصدرا والمراد ان الداخل على المرء من نزول ما يكره به من الموت
واهوال الآخرة هو بسبب امنه في الدنيا وسكونه اليها وغفلته
عما وراءها مما لا بد منه ۝ ويحتمل ان يكون اسما من محل الامن
وهو الدنيا ۝ ومعنى كونه يؤتى من مأمنه ان يدخل عليه من الادواء
التي فيها هلكه والمصائب التي يلحقه هو من احوال الدنيا التي
هي مأمنه وعوارضها التي يعرض له من مأمنه حال امنه فيه بحيث لا
يمكنه الاحتراز منه ۝ وقال عليه السلام كم من مستدرج

بالاحسان اليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه وما ابتلى
الله احدًا بمثل الاملاء له فان المستدرج الماخوذ على غرة والاملاء
الامهال وتاخير المدة وقد ذكر عليه السلم من الامور التي ابتلى الله
بها عباده اربعة الاحسان الى العبد بضروب النعم الثاني
ستر المعصية عليه الثالث حسن القول فيه وثناء الخلق عليه
الرابع تاخير مدته وامهاله ولما كانت غاية الابتلاء بهذه الامور
التي كلها نعم في الحقيقة اما شكرها او كفرها كما قال تعالى
ليبلوني أأشكر ام اكفر الآية وكان الشكر هو الغاية
الخيرية المطلوبة بالذات نبه المبتلى بالنعمة الاولى على وجوب
شكرها بانه كثيرًا ما يستدرج بها فينبغي ان لا يغفل عنها ونبه
المبتلى بالثانية على انها كثيرًا ما يكون سببًا لغرته بالله والامن
من مكره فينهمك في المعاصي ونبه الثالث بكون نعمته قد
يكون سببًا لفتنته وصرفه عن شكر الله وارتكابه لرذيلة العجب بنفسه
ونبه الرابع بكون نعمته اعظم ما يبتلى به من النعم وقال
عليه السلم هلك فيّ رجلان محب غال ومبغض قال لما كانت
محبة اولياء الله تعالى فضيلة نفسانية كان طرف التفريط والتقصير
فيها الى غاية مقابلتها بالبغض وطرف الافراط فيها الى غاية الغلو
وتجاوز ما ينبغي فيها رذيلتين يستلزمان هلاك صاحبهما في
الآخرة اما رذيلة التفريط فلان بغض اولياء الله مستلزم لعداوتهم
ومن عادى وليًا من اولياء الله فقد عادى الله وكان من اهل الكبر
واما رذيلة الغلو والافراط فلان الغلاة اخرجوه عن حد البشرية

الى سماء الالهية وهو صريح الكفر المستلزم للهلاك وقال
عليه السلم اضاعة الفرصة غصة اي ان تضييع الامر وقت
امكانه من نفسه يستلزم الاسف والحزن على تفويته وهو يشير
عن تضييع الفرصة بما يلزمه وقال عليه السلم مثل الدنيا
كمثل الحية لين مسها والسم الناقع في جوفها يهوي اليها الغر
الجاهل ويحذرها ذو اللب العاقل مثل الدنيا بالحية ووجه التمثيل
قوله لين مسها الى آخره وذلك ان الدنيا الذيذة المتناول سهلة في
عين الناظر اليها مع ان فيما يتشبه منها ويتناوله الشقاوة الاخروية
والعذاب الاليم فيهوي اليها الجاهل بما فيها من سوء العاقبة ويحذرها
العاقل العارف بها كما ان الحية لين مسها حسن منظرها يحبها
الجاهل سوارًا من ذهب او فضة يهوي اليها لغرته بما فيها من سم
ويحذرها من يعرفه وسئل عن قريش فقال عليه السلم
اما بنو مخزوم فريحانة قريش تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم
واما بنو عبد شمس فابعدها رأيًا وامنعها لما وراء ظهورها واما
نحن فابذل لما في ايدينا واسمح عند الموت بنفوسنا وهم اكثر
وامكر وانكر ونحن افصح وانصح واصبح بنو مخزوم بطن من قريش
وهو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ومنهم ابو جهل
بن هشام بن المغيرة وآل المغيرة وكان لمخزوم ريح طيبة كالخزامى
ولونا كلونه والولد يشبه الوالد غالبًا ولذلك كانت هذه البطن
تسمى ريحانة قريش وكان المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم
يسمى بذلك وقيل لانه كان في رجالهم كثير لذلك تحب الحديث

البهم وفي بنائهم لطف وتصنع وتحبب الى الرجال فلذلك يحب
نكاحهن . واما بنو عبد شمس بن عبد مناف فمنهم ربيعة وابناه
شيبة وعتبة والاعياص وحرب بن امية وابنه ابو سفيان واسيد
بن عتاب ومروان بن الحكم ووصف هذا البطن ببعد الراي
وهو كناية عن جودته فقال ولان بعيد الراي اذا كان يرى
المصلحة من بعيد لقوة رايه . ثم بكونها امنع لما وراء ظهورها
وهو كناية عن الحمية . ثم وصف بنيه وهم بنو هاشم بكونهم
ابذل لما في ايديهم اي اسخى ثم بكونهم اسمح عند الموت بنفوسهم
اي اشجع ثم وصفهم بفضيلة خارجية ورذيلتين ووصف بني هاشم
بثلاث فضائل بدنيتين ونفسانية والفضيلة فيهم هي كثرة العدد
والرذيلتان كونهم امكر اي اكثر حيلة وخداعا وكونهم انكر
اي اكثر نكرا والنكر المنكر . واما فضائل بني هاشم فكونهم افصح
وكونهم اصبح اي احسن وجوها واجمل وهما فضيلتان تتعلق
بالبدن ويحتمل ان يريد بالاصبح كونهم القى للناس بالطلاقة
والبشر ومبدا ذلك فضيلة نفسانية . ثم كونهم انصح والنصيحة
لمن يبتغي نصيحته فضيلة نفسانية تحت العفة . وقال
عليه السلم شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل
تذهب مؤنته ويبقى اجره . شتان اي افترق بينهما والاول
العمل للدنيا وتبعته هو ما يتبعه من الشقاوة الاخروية والثاني
عمل الآخرة وظاهر ان بينهما فرقا عظيما . وتبع جنازة فسمع رجلا
يضحك فقال عليه السلم كان الموت فيها على غيرنا كتب

وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذي نشيع من الاموات
سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجداثهم وناكل تراثهم
كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة ورمينا بكل جائحة
طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت
خليقته وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته
السنة ولم ينسب الى بدعة . وقال السيد ومن الناس
من ينسب هذا الكلام الى النبي صلى الله عليه وسلم . الاجداث القبور
والجائحة الداهية المستاصلة . وغرض الفصل التنفير عن وضع
الضحك في غير موضعه والتذكير بامر الآخرة وذكر تشبيهات ثلثة
احدها تشبيه الموت بالمكتوب على غير الانسان والثاني
تشبيه الحق الواجب بما وجب على غيره دونه والثالث تشبيه
ما نشاهده من الاموات بالمسافرين الذين يقدمون عن قريب ووجه
الشبه في الثلثة قلة اهتمام الناس بالموت والتفاتهم الى اداء
واجب حق الله عليهم وعدم اعتبارهم بمن يموت وقوله
نبوئهم الى قوله جائحة من تمام وجه التشبيه فان الفاعل مثل
هذا الفعل بالاموات كانه لقساوة قلبه وعدم اتعاظه لم يكتب
عليه ما كتب عليهم من الموت وقوله طوبى الى آخره
ترغيب في اكتساب الفضائل المذكورة بان له طوبى وهي في الحقيقة
الحالة الشريفة التي تكون لاولياء الله في الآخرة من طيب الحال
واللذة الباقية وذكر ثمان فضائل احداها ذلة النفس لله
عن ملاحظة جانبها وقصرها عليه ونظرها الى معادها الباقية

طيب الكسب باخذه من وجوهه التي ينبغي الثالثه صلاح السريره
لله واخلاص الباطن من فساد النيات في المعامله مع الخلق الرابعه
حسن الخلق واقتناء فضايله الخامسه انفاق الفاضل عن الحاجه
من المال فيما ينبغي من وجوه القربات الى الله وهي فضيله السخاء
السادسه امساك الفضل من الكلام اي ما زاد منه مما لا
ينبغي وهو السكوت في موضعه السابعه عزل الشر عن الناس
وهو العدل او لازمه لما امنه ان ومن سنه الله ورسوله وعدم
الخروج عنها الى ما ابتدع في الدين ولا ينبغي ○ وقال عليه
السلام غيره الرجل ايمان وغيره المراة كفر اما الاول فلان
غيره الرجل يستلزم سخطه لما سخط الله من اشراك رجلين
في امراة وسخط ما سخط الله موافقا لرضاه ومؤتمرا لنهيه وذلك
ايمان ○ واما الثاني فلان المراة تقوم بغيرتها في تحريم ما احل
الله وهو اشتراك امراتين فما زاد في رجل واحد وتقابله بالرد والانكار
وتحريم ما احل الله وسخط ما رضيه رد عليه وهو لا محاله كفر ○
وقال عليه السلام لانسبن الاسلام نسبه لم ينسبها
احد قبلي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو
التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء
هو العمل ○ قيل هذا قياس مفصول مركب من قياسات
طوى نتايجها ونتيجه القياس الاول ان الاسلام هو اليقين و الثاني
انه التصديق والثالث انه الاقرار والرابع انه الاداء والخامس انه العمل
اما المقدمه الاولى فلان الاسلام هو الدخول في

الطاعه ويلزمه التسليم به وعدم النزاع في ذلك وصدق اللازم
على ملزومه ظاهر واما الثانيه فلان التسليم للحق
انما يكون عن تيقن استحقاق المطاع للتسليم له وكان اليقين بذلك
من لوازم التسليم لله فصدق عليه صدق اللازم على ملزومه ○
واما الثالثه فلان اليقين باستحقاقه التسليم مستلزم
للتصديق بما جاء به على لسان رسوله من وجوب طاعته فصدق
على اليقين به انه تصديق له ○ واما الرابعه فلان
التصديق لله في وجوب طاعته اقرار تصديق لله ○ واما
الخامسه فلان الاقرار والاعتراف بوجوب امر يستلزم
اداء المقر المعترف لما اقر به وكان اقراره اداء لازما ○ واما
السادسه فهو ان الاداء هو العمل ولان اداء ما اعترف
به لله من الطاعه الواجبه لا يكون الا عملا ويؤول حاصل هذا
الترتيب الى انتاج ان الاسلام هو العمل لله بمقتضى اوامره ○
واقول ان هذه النسبه بالتعريف اشبه ويؤول الى
تعريف الاسلام بانه العمل وهو تفسير له بخاصه من خواصه كما
سنبينه ○ وقال عليه السلام عجبت للبخيل يستعجل
الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في
الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الاخره حساب الاغنياء ○
وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفه ويكون غدا جيفه
وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله ○ وعجبت لمن نسي
الموت وهو يرى من يموت ○ وعجبت لمن انكر النشاة الاخرى

وهو يرى النشأة الأولى وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء ۝
تعجب عليه السلام من أربعة هو محل العجب والغرض التنفير عن رذائلهم
الأول البخيل وجعل محل التعجب منه ثلثة أمور أحدها
أنه إنما بخل خوف الفقر والفاقة ولو أنفق المال وتقتيره وعدم انتفاعه
به في الحال صورة فقر حاضر وكان بذلك مستعجلا للفقر الذي هرب منه
الثاني أنه طالب للغنى هو المفوت للغنى الثالث أنه يعيش
في الدنيا عيش الفقراء لعدم انتفاعه بماله ويحاسب في الآخرة حساب
الأغنياء لمشاركته إياهم في جمع المال ومحبته اللذين هما سببا
الحساب وكان منهم بهذا الاعتبار الثاني المتكبر
ونبه على وجه التعجب منه بذكر مبدأ كونه وهو كونه نطفة في غاية
الحقارة والسخف المنافي للكبر وغايته وهو كونه جيفة في نهاية
القذارة فجمعه بين هذين الأمرين وبين التكبر من العجب العجب
الثالث الشاك في الله وهو يرى خلقه وذلك جمع منه بين
الشك في وجوده وبين رؤيته ظاهرا في وجود مخلوقاته وعجائب
مصنوعاته وهو محل العجب الرابع الناسي لموته مع رؤيته
لمن يموت وظاهر أن نسيان الموت مع رؤيته دائما محل العجب
الخامس منكر النشأة الأخرى وإعادة الأبدان بعد عدمها
وظاهر أن إنكاره لذلك مع اعترافه بالنشأة الأولى وهي الوجود
الأول للحلوم من العدم الصرف محل العجب لأن الأخرى أهون كما
قال تعالى وهو أهون عليه السادس عامر الدنيا مع كونها فانية
زائلة مع تركه لعمارة الآخرة الباقية الباقي بأنها محل العجب وغرض التعجب

من هؤلاء والإشارة إلى وجوه سفه الخلق عن الأمور المذكورة ۝
وقال عليه السلام من قصر في العمل ابتلي بالهم ولا حاجة
لله فيمن ليس لله في نفسه وماله نصيب ۝ المقصر في العمل لله يكون
غالب أحواله متوفرا على الدنيا مفرطا في طلبها وجمعها وشدة التوفر
عليها يكون شدة الهم في جمعها وتحصيلها أولا ثم في ضبطها والخوف
على فواتها ثانيا وفي المشهور خذ من الدنيا ما شئت وخذ من الهم
ضعفه ونفر عن التقصير في الأعمال البدنية والمالية بقوله ولا
حاجة لله إلى آخره وكنى بعدم حاجته فيه عن إعراضه عنه وعدم
النظر إليه بعين الرحمة لعدم استعداده لذلك ۝ وقال
عليه السلام توقوا البرد في أوله وتلقوه في آخره فإنه يفعل في الأبدان
كفعله في الأشجار أوله يحرق وآخره يورق ۝ أما توقيه في أوله
فلأن البرد الخريفي يرد على الأبدان وقد استعدت لفعل الحرارة الصيفية
ويبسه وما يستلزمانه من التحليل والتخلخل فلذلك يكون قهره للحرارة
الغريزية وعكسها إلى أعماق البدن وحدوث ما يحدث عن اجتماع
البرد واليبس اللذين هما طبيعة الموت من ضمور الأبدان وضعفها
والحساد الأوراق ۝ وأما تلقيه في آخره وهو آخر الشتاء وأول
زمن الربيع واعتداله فتقوى لذلك الحرارة الغريزية وتنتعش
الأبدان ويكون بذلك نموها وقوتها وظهور الأوراق والثمار
وقال عليه السلام عظم الخالق عندك يصغر المخلوق
في عينك هذا أمر وجده العارفون بالله فإن من عرف عظمة الله
وجلاله لحظ جميع المخلوقات بالنسبة إليه حتى علم ما لها من دونها

وهو الامكان والحاجة وعدم استحقاق الوجود الا منه تعالى علما انها
في جنب عظمته عدم ولا احقر من العدم وشدة صغر المخلوق في
اعتبار العارف بحسب درجته في عرفانه ن وقيل لبعض
العارفين فلان زاهد فقال فيماذا قيل في الدنيا فقال الدنيا لا تزن
عند الله جناح بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها والزهد انما يكون في
شيء والدنيا عندي لا شيء ن وقال وقد رجع من صفين
فاشرف على القبور بظاهر الكوفة يا اهل الديار الموحشة والمحال
المقفرة والقبور المظلمة يا اهل التربة يا اهل الغربة يا اهل
الوحدة يا اهل الوحشة انتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق اما
الدور فقد سكنت واما الازواج فقد نكحت واما الاموال فقد
قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ن ثم التفت عليه
السلام الى اصحابه فقال اما لو اذن لهم في الكلام لاخبروكم ان
خير الزاد التقوى ن الفرط الذي يتقدم الوارد فيهيئ الارشا
والدلاء وخاطبهم عليه السلام خطاب من يسمع اقامة لحالهم المعهودة
مقام اشخاصهم الموجودة والديار الموحشة والمحال المقفرة
القبور وغرض الفصل ترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس
الغافلة عن غاية الدنيا ومتاعها لغاية العمل فيها كما سبق ولما كان
الحق هو ان خير الزاد التقوى كما نطق به القران الكريم وكان ذلك امرا
شاهده الموتى في حال موتهم وعاينوه في حال فقدهم لا
جرم لو اذن لهم في الجواب واعطوا آلة لكان جوابهم ما عرفوا
من الحق ن وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا

ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها المخدوع باباطيلها متى غرتك امصارع
آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم
مرضت بيديك تبغي لهم الشفا وتستوصف لهم الاطبا غداة لا
يغني عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك لم ينفع احدهم اشفاقك
ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك قد مثلت لك به
الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار
عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن
اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله
ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها
وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فمثلت
لهم ببلائها البلاء وشوقتهم بسرورها الى السرور وراحت بعافية
وابتكرت بفجيعة ترهيبا وترغيبا وتخويفا وتحذيرا فذمها رجال
غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكرتهم الدنيا فذكروا
وصدقتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا ن **اقول**
المتجرم المدعي جرمه واستهوتك طلبت هويك اليها وهواك فيها
ومثل صورت دعواه انها هي ذات الجريمة عليه باستفهامه عن وقت
استهوائها له اسعيها منك لذلك وموبخ عليه واكد ذلك باستفهام
ان ذلك الغرور له منها باي شيء كان امصارع الآباء ام مضاجع
الامهات وذلك على وجه الاستهزاء والتنبيه له على ما يوجب النفرة
منها وعدم الاغترار بها من سوء صنيعها باهلها حتى كانها قاصدة
لذلك التنبيه والتنفير عنها وقوله كم عللت الخ تقرير مصرعك

صُغرى ضمير دلّ به على ما ادعاه بها من كونها منبهة من الغفلة ولبس قصدها
الغرور وبعد برها فقد صورت لك الدنيا نفسك عن اكثر من تعليله
وتمر بضه مصرعك وتقدير الكبرى وكل من مثل لك ذلك
وصوره لك فليس من اهل التلبيس عليك والغرور لك بل من نصحائك
ومنبهيك من غفلتك ن ثم طالبقى عنها الذم احد في مدحها وذكر
لها اوصافا ثمانيه احدها انها دار صدق لمن صدقها اى
فيما اخبرت به بلسان حالها من فنائها وزوالها وتصديقها
اعترافه بذلك منها والعمل به الثاني ودار عافيه لمن
فهم عنها ما اخبرت به من عظاتها حتى احترز من آفاتها وعوفي
من عذاب الله بها الثالث ودار غنى لمن تزود فيها التقوى
زادا للسفره الى الله وظاهر ان التقوى وثمرتها في الاخره اعظم
غنى للمتقين الرابع ودار موعظه لمن اعتبر بها فعلم
وضعها وغاياتها الخامس كونها مسجد احباء الله من رسله
واوليائه السادس كونها مصلى ملايكه الله الارضيه
سجدوا لآدم عليه الصلوه والسلم السابع كونها مهبط
وحي الله الثامن كونها متجر اولياء الله الذين اكتسبوا
بعباداتهم فيها رحمته وربحوا جنته ثم استفهم بعد هذه
المدايح عمن يذمها منكرا عليه ومبينا الاحوال الاخرى لها تنافي
ذمها اى فمن ذا يذمها ولها هذه الصفات المذكوره وهي على هذه
الاحوال وذكر منها ستة احدها كونها آذنت اهلها
واعلمتهم بفراقها والواو في قوله وقد للحال الثاني ونادت

بفراقها الثالث ونعت نفسها كل ذلك بلسان حالها من
التغير والانتقال المؤذن بالزوال الرابع كونها ممثلة
لهم ببلائها البلاء في الاخره الخامس وتشويقهم بسرورها
الى السرور في الجنه وانما كان كذلك لان كل ما في هذا العالم
فهو صوره ومثال لما في الغيب وسحه منه تعتبر به وتقاس اليه
ولولا ذلك لانسد طريق الترقي الى الحضره الالهيه وتعذر الوقوف
على شيء من اسرارها والسالكون الى الله لما شاهدوا بلاء الاخره من
بلاء الدنيا عملوا للخلاص منه وشاهدوا سرورها من سرور الدنيا
وعلموا ان بينهما فرقا عظيما وان الاشرف لا يحصل الا برفض
الاخس فاقتضى آراؤهم الصالحه مع السرور الفاني بالباقي
السادس رواحها بعافيه وابتكارها بفجيعه وهو كنايه عن
سرعه انتقال احوالها وتبدل اطوارها من رخاء الى شده ومن
صحه الى سقم ونسب هذه الافعال اليها لان لها سببيه ما في ذلك ولما
نسب اليها الافعال الاختياريه وجعل لها منها غايات وهي ترغيب
الناس الى الله وترهيبهم منها ن ثم اشار الى سبب ذمها وهو ندامه
المفرطين في اتخاذ زاد التقوى الى الاخره منها فنسبوا ذلك التفريط
الى غرورها لهم وهو باطل كما بيناه ن ثم الى سبب مدحها ممن مدحها فهو
بلثه احدها تذكيرها لهم بزوالها ان وراها غايه باقيه يجب
العمل لها فذكروا ما ذكرتهم وعملوا الثاني حدثتها لهم بذلك
حتى صدقوا الثالث وعظتها لهم بعبرها حتى اتعظوا ن
وقال عليه السلم ان لله ملكا ينادي في كل يوم لدوا للموت

واتبوا الخراب واجمعوا للفناء ٥ ذلك النداء على وفق ما علم من القضاء
الالهي في طبيعة الدنيا وغاياتها والامور الملتبه وهو الموت والفناء
والخراب غايات طبيعيه واللام فيها هي اللام المسماه بلام العاقبه
وقال عليه السلم الدنيا دار ممر الى دار مقر والناس فيها
رجلان رجل باع نفسه فاوبقها ورجل ابتاع نفسه واعتقها اي انقذها
اهلكها وقد جمع في هذه الكلمه الاشاره الى حال الدنيا وحال الاخره
وحال اهلهما وكون الدنيا دار ممر باعتبار انها طريق الى الاخره
التي هي دار المقر واستعار لفظ البيع لبايع نفسه باعتبار تسليمها
الى الهلاك الاخروي واعتياضه عنها ما اصابه من اللذه الدنيويه
وكذلك لفظ الابتياع لمشتري نفسه باعتبار انقاذها من ذلك الهلاك
ببذل ما قدر عليه من حاضر اللذات والاعراض عنه وحصر المكلفين
في الرجلين المذكورين ظاهر ٥ وقال عليه السلم لا يكون الصديق
صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلث ٥ في نكبته وغيبته ووفاته جعل
لصديق الصدق خاصه يعرف بها وهو ان يحفظ صديقه في الامور
الثلثه وحفظه بالقيام مقامه فيما ينبغي فعله في صلاح حاله بقدر الامكان
وقال عليه السلم من اعطي اربعا لم يحرم اربعا ٥ من اعطي الدعا
لم يحرم الاجابه ٥ ومن اعطي التوبه لم يحرم القبول ٥ ومن اعطي
الاستغفار لم يحرم المغفره ٥ ومن اعطي الشكر لم يحرم الزياده ٥
وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى قال تعالى في الدعاء
ادعوني استجب لكم ٥ وفي الاستغفار ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ٥ وقال تعالى في الشكر

الخامس

لئن شكرتم لأزيدنكم ٥ وقال في التوبه انما التوبة على الله
للذين يعملون السوء بجهاله ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله
عليهم وكان الله عليما حكيما ٥ **اقول** الامور
الاربعه الاول اذا كانت باخلاص كان كل منها في اعداد النفس
لقبول صوره الرحمه الالهيه من واهبها فالدعاء للاجابه والتوبه
لقبولها واسقاط عقوبه المعصيه والاستغفار للمغفره والشكر للزياده
والشواهد الالهيه ناطقه بذلك على وفق مقتضى العقل ٥ وقال
عليه السلم الصلوه قربان كل تقي والحج جهاد كل ضعيف ولكل
شي زكوه وزكوه البدن الصيام وجهاد المراة حسن التبعل ٥
التبعل معاشره البعل وصحبته والكلام اشاره الى بعض اسرار
هذه العبادات ٥ فمن اسرار الصلوه كونها قربانا الى الله تعالى
وقد علمت انها اعظم ما يتقرب اليه المتقون به من العبادات ٥
ومن اسرار الحج كونه جهادا في سبيل الله لما فيه من مشقه السفر
ومجاهده الطبيعه وقهر النفس الامارة بالسوء مع قوتها
تشبهه عدم الاطلاع على اسرار الحج وفوايده مع ما في كيفيته من
الافعال الغريبه التي يتعجب منها الجاهلون وانما خص الضعيف
بذلك جبرا لضعفه ولان القوي جهاده الحج هو المشهور ٥ ومن
اسرار الصوم كونه زكوه للبدن لما فيه من نقص قوته وكسر
شهوته لغايه طاعه الله والثواب الاخروي كما ان الزكوه
تنقيص في المال يستلزم زياده الثواب في الاخره ٥ ومن اسرار
التبعل حسن معاشره الرجل وطاعته في طاعه الله وفي ذلك كسر النفس

الأمّارة للمراة وانقيادها في صراط الله ٥ وقـــــال عليه السلام
استنزلوا الرزق بالصدقة وفي الكلمة فايدتان احديهما
الترغيب في الصدقة بذكر كونها سببًا لاستنزال الرزق وقد مرّ انّ
الصدقة باب عظيم لملك معدّ لحصوله ومن وجوه اعدادها كونها
ملكًا متعديًا تستلزم تألّف قلوب اهل الله والصالحين من عبـاده
واجتماع هممهم على دعاء الله لصلاح حال المتصدق ٥
الثانيـــة التنبيه على اقوى الاسباب الباعثة عليها وعلى البذل
في اكثر الخلق ليعتمد فيسهل معه البذل وهو الثقة بالله والفنى
والطلب منه كما نطق به وعده تعالى ان تقرضوا الله قرضًا حسـنًا
يضاعفه لكم الآية ٥ وقـــــال عليه السلام تنزل المعونة
على قدر المؤونة ٥ المؤونة التعب والشدة وهي مفعلة من الاين
والمراد انّ الشدة والثقل بالعيال ونحوهم معدّة لاستنزال معونة الله
ورزقه وقوته على القيام باحوالهم ودفع المؤونة من جهتهم ٥
وقـــــال عليه السلام ما عال امرؤ اقتصد ٥ العيلة الفقر
والاقتصاد الانفاق بقدر الحاجة المتعارفة وذلك معدّ لعدم الحاجة
لانّ قدر الحاجة من المال امر قد تكفّل الله بادراره مدّة البقاء وهو
ما لا بدّ للمقتصد منه ٥ وقـــــال عليه السلام قلّة العيال
احد اليسارين والتودّد نصف العقل والهمّ نصف الهرم امّا
الاول فلانّ الغنى المتعارف يكون بحصول المال والمال له
اعتباران احدهما حصوله والثاني عدم انفاقه فحصوله يسار وفي عدم
انفاقه على العيال لقلّتهم يسار ثانٍ واطلق اليسار على قلّة العيال

مجازًا اطلاقًا لاسم المسبّب على السبب وامّا الثـــاني فاراد العقل
العملي ولفظه مجاز في تصرّفاته اطلاقًا لاسم السبب على المسبّب ٥ وكل
جملة تصرّفاته في التدبير التودّد الى الخلق ولمّا كان الانسان محتاجًا في
اصلاح معاشه الى غيره وكانت معاملته لهم في ذلك امّا على وجه
التودّد وما يلزمه من جميل المعاشرة وحسن الصحبة والمسامحة
والترغيب ٥ وامّا على وجه القهر والغلبة والترهيب لا جرم كان
التودّد وما يلزمه نصف العقل اي نصف تصرّفه في تدبير امر معاشه
وامّا الثالـــث فلانّ الهرم امّا طبيعي وامّا بسبب من خارج وهو
الهمّ والحزن والخوف المستلزم له فهو اذن قسيم للسبب الطبيعي
وقسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار له لفظ النصف واراد
والهمّ نصف الهرم ٥ وقـــــال عليه السلام ينزل الصبر
على قدر المصيبة ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط اجره
انّ الله سبحانه جعل للانسان قوّة استعداد لان يصبر بمقدار
مصيبته فمن تمّ استعداده افيض عليه ذلك المقدار من الصبر
ومن قصّر في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدّها وهو
الجزع حبط اجره وهو ثوابه على الصبر وكنى عن الجزع بما يلزمه في
العادة من ضرب اليدين على الفخذين ٥ وقيـــل بل الحبط ثوابه
السابق ايضًا لانّ شدّة الجزع يستلزم كراهة قضاء الله وتسخّطه
وعدم الالتفات اليها وعدمه من ثواب الصابرين وهو معدّ لمحو
الحسنات من لوح النفس وسقوط ما يلزمها من ثواب الآخرة ٥
وقـــــال عليه السلام كم من صائم ليس له من صيامه الّا الجوع والعطش

وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر والعناء حبذا نوم الاكياس وافطارهم
اراد بذلك من اخل بشرط من شرائط صيامه وقيامه ولم يات به
على وجه الاجزاء واعظم شرط لهما توجيههما الى المعبود الحق
عز سلطانه وكثرة ذلك لهما وفسادهما من كثير من الخلق انما يكون
للجهل بهذا الشرط وكنى بالقيام عن الصلوة وانما مدح نوم الاكياس
لان الكيس هو الذي يستعمل ذكره وفطنته في طرق الخير وعلى الوجه
المرضي للشارع ويضع كل شي موضعه ومن كان كذلك كان نومه
وافطاره وجميع تصرفاته في عاداته موضوعة موضعها من رضا
الله ومحبته ٥ وقال عليه السلم سوسوا ايمانكم بالصدقة
وحصنوا اموالكم بالزكوة وادفعوا امواج البلاء بالدعاء ٥ سوسوا
اي املكوا وذلك ان الصدقة من الايمان التام فملكه وحفظه لا
يكون بدونها واما خص المال بالزكوة فلان منعها انما يكون عن
البخل وشدة الحرص وذلك باعث لمستحقيها على ذمه وداع للخلق
الى التسبب في اذاه وكان مانعها متعرضا بذلك لتلف ماله وباداها
محصنا له واستعار لفظ الامواج للحوادث المتواترة وقد مر ان الدعا
مخلص مما تعده النفس للاجابة بالمطلوب وغرضه الحث على الصدقة
والزكوة والدعاء ٥

ومن كلامه عليه السلم

لكميل بن زياد النخعي رحمه الله

قال كميل اخذ بيدي امير المومنين عليه السلم فاخرجني الى الجبان فلما
اصحر تنفس الصعدا ثم قال يا كميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها
اوعاها فاحفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على
سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا
بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال لان العلم
يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكوا على الانفاق
وصنيع المال يزول بزواله ٥ يا كميل معرفة العلم دين يدان به يكسب
الانسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته فالعلم حاكم والمال
محكوم عليه ٥ يا كميل بن زياد هلك خزان الاموال وهم احياء ٥ والعلماء
باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ها ان ها هنا
لعلما جما واشار عليه السلم الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا
غير مامون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا مستظهرا بنعم الله على عباده
وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك
في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس
القياد للشهوة او مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شي اقرب
شي شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى
لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا
تبطل حجج الله وبيناته اولئك والله الاقلون عددا والاعظمون قدرا
يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب
اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين
واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا
الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه
والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رويتهم انصرف اذا شئت ٥

أقول الجبان الصحرا واصحر والصعدا نوع من التنفس يصعده المتلهف والحزين والهمج ذباب صغير كالبعوض والرعاع الاحداث والعوام واللقن سريع الفهم والاخفاء للجواب والمنهوم باللذة الشره فيها الحريص عليها والمغرم بالجمع شديد المحبة له وهجم دخل بغتة وفي الفصل نكت

احدها انه اعده عليه السلم وتنبيهه للفهم عنه بقوله ان هذه القلوب الى قوله لك الثانيه قسم الناس الى ثلثه اصناف ووجه القسمه ان الناس اما عالم او ليس والثاني اما طالب للعلم او ليس ثم قيد كلاً من الاقسام الثلثه بصفه او صفات فالاول العالم ووصفه بالرباني نسبه الى الرب تعالى على غير القياس اي العالم علم ربوبيته وهو العارف بالله تعالى وزيدت الالف والنون للمبالغه في النسبه قال تعالى كونوا ربانيين وقيل سموا بذلك لانهم يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وقيل لانهم يربون العلم اي يقومون باصلاحه الثاني المتعلم ووصفه بكونه على سبيل نجاة ولما كان العلم سببا للنجاة في الآخره وكان المتعلم في طريق تحصيله كان على سبيل النجاة ليصل اليها بالعلم الذي هو غايته المطلوبه والثالث العوام ووصفهم باوصاف احدها استعار لهم لفظ الهمج باعتبار حقارتهم الثاني وصفهم بالرعاع او الجهاله لكونهما مظنتي الجهل الثالث كونهم اتباع كل ناعق ملاحظه لتشبههم بالغنم في الغفله والغباوه الرابع كنى بكونهم يميلون مع كل ريح عن ضعفهم عن التماسك في مذهب واحد والثبات عليه الخامس كونهم لم يستضيئوا بنور العلم وهو كونهم على ظلمه

الجهل السادس ولم يلجئوا الى ركن وثيق واستعار الركن الوثيق للاعتقادات الحقه البرهانيه التي يعتمد عليها في دفع مكاره الآخره الثالثه في مدح العلم وتفضيله على المال من وجوه احدها ان العلم يحرس صاحبه من مكاره الدنيا والآخره والمال يحرسه صاحبه والفرق بين ما يكون حارسا لصاحبه وبين ما يحتاج صاحبه الى حراسته في الفضيله والنفع ظاهر الثاني ان العلم يزكو ويزيد باخراجه وافادته لطالبيه كتذكر العالم بتعليمه ومذاكرته لما غفل عنه واستنباطه ما لم يكن عنده والمال ينقصه النفقه والاخراج منه الثالث ان صنع المال وهو الاحسان به يزول بزوال المال والاحسان بالعلم باق ببقائه وصنيع فعيل بمعنى مفعول الرابع كون معرفه العلم اي تحصيله دينا يدان به وقد علمت كونه الاصل في الدين الخامس كونه يكسب الانسان طاعه الخلق له في حياته وجميل الاحدوثه بعد وفاته وهما من فضائله الخارجيه السادس كونه حاكما على المال وكون المال محكوما عليه اي ان تصرفه في جمعه وانفاقه انما يكون على وفق العلم بوجوه تحصيله ومصارفه السابع من افضليته على المال كون خزان المال هالكين في الآخره محكوما عليهم بذلك في الدنيا وان صدق عليهم انهم احيا كما قال تعالى يكنزون الذهب والفضه الآيه واما العلما فباقون ابدا وان فقدت اعيانهم من الدنيا فصورهم في القلوب مشاهده موجوده الرابعه اشار بعد تقرير كمال هذه الفضيله ان في صدره منها شيئا كثيرا وانما منعه عن اظهاره عدم وجدان

من حمله عنه وها للتنبيه جواب لو محذوف تقديره لاظهرته اذا شـــه
اسنب من تجده ونبه على عدم صلاحية جملة ما عنده من العلم واشار
الى اربعة اصناف منهم ووجه القسمة ان غير اهل الحلم من الناس
اما طالبون له او غير طالبين والطالبون اما قادرون على الهيام
بالحجة او غير قادرين وغير الطالبين اما هم المشغولون بغيره عنه
فاشتغالهم اما بالانهماك في لذاتهم وسهولة الانقياد للشهوات
واما بمحبة جمع المال وادخاره فالاول هو الخبيث الموصوف بذيله
الجزء واشار اليه بقوله بلى اصيب لقنا الى قوله على اوليائه واشار
الى وجوه عدم صلاحيته لحمله احدها كونه غير مامون عليه
اي هو مظنة ان يذيعه الى غير اهله ويضعه في غير مواضعه والضمير
في قوله عليه للعلم الثاني كونه مستعملا آلة الدين وهو
العلم في الدنيا واستعماله فيها كالتكسب به الثالث مستظهرا
بنعم الله وهي العلم على عباده كالبغي عليهم ومغالبتهم واستعمال
حجج الله وما علمه منها في مقابلة اوليائه وتلبيس الحق بالباطل واما
الثاني من لا يصلح لحمله فهو المقلد واشار اليه بقوله ومنقادا الى
قوله شبهة ن ومنقادا عطف على لقنا واراد بالانقياد للحق الايمان
به وتسليمه على سبيل الجملة واشار اليه الى كونه غير صالح لحمله من وجهين
احدهما كونه لا بصيرة له في جوانب العلم وتفاصيله الثاني
كونه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة وذلك لعدم العلم
وثباته في نفسه بالبرهان والحجة الواضحة وقوله الا ذا
ولا ذاك اي من حملة العلم والثالث هو المشار اليه بقوله او منهوما

الى قوله للشهوة والرابع هو المشار اليه بقوله او مغرما بالادخار
واسمهما في معرض الذم بوصفين احدهما كونهما ليسا من رعاة
الدين في شيء اي لا تعلق لهما بالدين واهله الثاني كونهما اقرب
شبها بهما الانعام السائمة باعتبار غفلتهما عن الدين وثمرته في
الاخرة وقوله كذلك اي تقارب تلك الاحوال من عدم
من يصلح لحمل العلم ووجدان من لا يصلح له موت العلم بموت
حامليه لان الشبه تقدر بمقارنة الاحوال وعنى بحامله نفسه
ومن عساه يكون من اهله يومئذ ثم استدرك بقوله اللهم بلى لا تخلو
الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا او مستترا مغمورا في الناس واراد
بالظاهر من عساه يمكن من اظهار العلم والعمل به من اولياء الله وخلفائه
او لنائه في موضع من الارض وبالخائف المغمور الذي لم يمكن من ذلك
قالت الشيعة هذا تصريح منه عليه السلام بوجوب الامامة في
كل زمان مادام التكليف باقيا وان الامام قائم بحجة الله على خلقه
ويجب وجوده بمقتضى حكمته وهو اما ان يكون ظاهرا معروفا من الناس
كالذين سبقوا الى الاحسان ووصلوا الى المحل الاعلى منه ومن ولده
العشرة واما ان يكون خائفا مستورا لكثرة اعدائه وقلة المخلص له
اوليائه كالحجة المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وقوله وكيلا استبطال المدة غيبة صاحب الامر وتبرمه
من امتداد دولة اعدائه وقوله اين هم استقلال العدد ائمة
الدين ولذلك نبه بقوله اولئك والله الاقلون عددا وذكر في معرض
مدحهم اوصافا احدها الاقلون عددا الاعظمون قدرا عند الله

السابع أنّهم حفظ الله حججه وبيّناته المشتمل عليها دينه حتى
يودعوها أمثالهم ويزرعوها في قلوب أشباههم بعدهم الثامن
كونهم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة أي فاجأهم ودخل على عقولهم
دفعة لأنّ علومهم لدنّية حدسية وقيل ذلك على المقلوب
أي هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم التاسع وباشروا روح
اليقين أي وجدوا لذّته الخامس واستلانوا ما استوعره
المترفون من الأمور الشاقّة كخشونة المطعم وخشونة المضجع
والملبس ومصابرة الصيام والسهر وذلك في جنب ما وجدوه
من لذّة اليقين وحلاوة العرفان هيّن ليّن عندهم السادس
وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وهو الأحوال التي ألفوها ممّا
ذكرنا فإنّ الجاهل لجهله بثمرتها ينفر منها ويستوحش من أهلها
السابع وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى
عاشقة لما شاهدته من جمال الحضرة الربوبية وصحبة الملأ الأعلى
من الملائكة ولمّا ميّزهم بالأوصاف المذكورة أشار في معرض مدحهم
إليهم بأنّ هؤلاء لما اشتملوا عليه من هذه الأوصاف هم خلفاء الله
في أرضه والدعاة إلى دينه ثمّ تأوّه شوقاً إلى رؤيتهم وآه كلمة توجّع
أصلها أوّه والفصل من أفصح ما نقل عنه عليه السلام وقال
عليه السلام المرء مخبوّ تحت لسانه أي حاله مستور في عدم نطقه
فحذف المضاف للعلم به وتحت لسانه كناية عن سكوته وذلك
أنّ مقداره بمقدار عقله ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه لدلالته
عليه فإذا تكلّم بكلام الحكماء ظهر كونه حكيماً أو بكلام السفهاء

عرف كونه منهم وما ليس الرئيس بالسببة وقال عليه السلام هلك
امرؤ لم يعرف قدره فقد علمت أنّ قدره هو مقداره في نفس الأمر ومنزلته من
الفضيلة وعدمها ومن لم يعرف منزلته أوشك أن يتجاوزها فيهلك مثلاً من لم
يعرف محلّه من العلم أوشك أن يرتفع به فوق محلّه أو يفتي بما لا يعرف لاعتقاده
كماله فيقع في الهلاك الأخروي وربما سعى هلاك دنياه ولزمه من تجاوز حدّه
تلعّب ألسنة الناس واستهزاؤهم به وهلاكه بذلك وقال عليه السلام
لرجل سأله أن يعظه لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير عمل ويرجّي التوبة بطول
الأمل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين إن أعطي منها
لم يشبع وإن منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى
ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي يحبّ الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين
وهو أحدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له إن سقم
ظلّ نادماً وإن صحّ أمن لاهياً يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي إن
أصابه بلاء دعا مضطرّاً وإن ناله رخاء أعرض مغترّاً تغلبه نفسه على ما
يظنّ ولا يغلبها على ما يستيقن يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه
بأكثر من عمله إن استغنى بطر وفتن وإن افتقر قنط ووهن يقصّر إذا
عمل ويبالغ إذا سأل إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف
التوبة وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملّة يصف العبرة ولا يعتبر
ويبالغ في الموعظة ولا يتّعظ فهو بالقول مدلّ ومن العمل مقلّ ينافس
فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرماً والغرم مغنماً يخشى الموت
ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقلّ أكثر منه من نفسه
ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه

مداهن للغنى مع الأغنياء أجنب الله من أن يكون مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه
ولا يحكم عليها لغيره يرشد غيره ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي ويستوفي
ولا يوفي ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه ن قـــال
السيد رحمه الله لو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى موعظة ناجعة
وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر مفكر ن **اقول**
يرجيها يؤخرها ويروى يزجيها بالزاي المعجمة أي يدفعها والقنوط اليأس
وعرته عرض له ومُدِلّ أي واثق وحاصل الفصل نهي طالب الموعظة
عن أربع وسبعين رذيلة احـــدها رجاء الآخرة وثوابها بغير عمل فإن
ذلك تمنٍّ على الله وقد علمت أن المنى بضائع النوكى الثانيـــة ترجية
التوبة أو إرجاؤها بطول الأمل فإن ذلك يستلزم البقاء على المعصية
والعذاب بها في الآخرة الثالثـــة أن يجمع بين قول الزاهدين في
الدنيا وعمل الراغبين فيها وهو خداع لله وعمله فيها عمل الراغبين يستلزم
أن يصيبه ما أصابهم من عذاب الآخرة بها الرابعـــة أن لا يشبع
مما يعطى منها وذلك رذيلة الشره والحرص الخـــامسة أن لا يقنع
إن منع وذلك رذيلة التفريط وفضيلة القناعة الســـادسة أن
يجمع بين العجز عن شكر ما أولي من نعمة الله وطلب الزيادة من حاصلها
وهو جمع بين رذيلة التفريط من فضيلة الشكر وبين رذيلة الحرص السابعة
أن يجمع بين نهيه عن المعاصي وعدم تناهيه عنها وهو نفاق وخداع لله
الثـــامنة أن يأمر بما يقصر عن فعله وهو الذي قبله التاسعـــة
أن يحب الصالحين ويقصر عن عملهم وتقصيره كالنقض على محبته لهم
العاشـــرة أن يبغض المذنبين وهو أحدهم فيكون فعله كالنقض على

بغضه لهم الحـــادية عشر أن يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره
الموت له من كثرة الذنوب فإقامته على ذنوبه كالنقض على كراهته
للموت لأجلها مع ما يلزمها من العذاب الأخروي الثـــانية عشر
أن يجمع بين ندمه حال سقمه على تفريطه في جنب الله وبين لهوه في
لذته حال أمنه وهو أيضا كالمتناقض الثالثـــة عشر أن يعجب
بنفسه حين عافيته فإن العجب من المهلكات الرابعـــة عشر أن
يقنط إذا ما ابتلاه ربه وييأس من رحمته وذلك كما قال تعالى إنه لا
ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون الخـــامسة عشر أن
يجمع بين دعاء الله باضطرار إليه عند نزول البلاء وبين الإعراض عنه
والاغترار بالدنيا عند إصابته للرخاء فإن الأول رذيلة إفراط
والثاني رذيلة تفريط الســـادسة عشر أن يجمع بين الانقهار
لنفسه والانقياد لها إلى ما تظنه من الأمور الدنيوية وبين عدم
قهرها وغلبها إلى ما تستيقنه من ثواب الآخرة وعذابها فلا يلزمها
العمل لذلك فإن ذلك عند العقلاء سفه وجنون السابعـــة
عشر أن يجمع بين الخوف على غيره من ذنوب هي أقل من ذنوبه وبين
الرجاء لنفسه ثوابا أكثر مما يستحق على عمله فإن الحزم في ذلك
أن يخاف على نفسه أكثر من الخوف على غيره لأكثرية ذنوبه
ويعمل لذلك الخوف الثامنـــة عشر أن يبطر ويفتتن إن أصاب
غنى فإن ذلك فجور التاسعـــة عشر أن يقنط ويضعف إن
افتقر وهو رذيلة تقصير وتفريط العشـــرون أن يقصر في العمل
الحـــادية والعشرون أن يبالغ إذا سأل وهو رذيلة الإلحاف

في السؤال الثانيـــه والعشرون ان يديم المعصيه ان عرضت شهوته
ويؤخر التوبه منها الثالثـــه والعشرون ان يخرج عن شرايط الملة
عند نزول المحنه به اي يخرج عن فضيلة الصبر على المصيبة الذي
هو شرط الملة ويتركها الـــرابعه والعشرون ان يجمع بين وصف
العبره وبين عدم الاعتبار الخـــامسه والعشرون ويبالغ في الموعظه
حال ما لا يتعظ فان ذلك يدخله في مقت الله تعالى لقوله عز وجل
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الســـادسه والعشرون
ان يجمع بين المنافسه فيما يفنى وهو الدنيا والمسامحه فيما يبقى وهو
ثواب الاخره وهو جهل وسفه ظاهر السابعـــه والعشرون ان
يرى الغنم مغرما كالانفاق في سبيل الله والغرم مغنما كالانفاق
في معصيه الله وهو عكس مقتضى العقل الثـــامنه والعشرون ان
يجمع بين خشيه الموت وعدم مبادرته بالاعمال الصالحه المسلمه
للخلاص من اهواله وما بعده التاسعـــه والعشرون ان يستعظم
من معصيه غيره ما يستقل اكبر منه من نفسه وكذلك يستكثر من
طاعته ما يحقره من طاعه غيره ويلزم من ذلك ان يكون طاعنا
على الناس في افعالهم ومداهنا لنفسه في فعلها الثـــلثون ان يكون
اللغو مع الاغنياء احب اليه من ذكر الله مع الفقرا وذلك لفرط محبته
الدنيا الحـــادي والثلثون ان يحمل نفسه على غيره فيما تشتهيه وان
كان باطلا ولا يحكم عليها لغيره في حق وهو ظلم الثانيـــه والثلثون
ان يجمع بين ارشاد غيره بالهادي من القول وبين اغوا نفسه بفعله اي
يعمل عمل الغاوين ويلزم من ذلك ان يطيعه غيره وهو يعصي الله ن

الثالثـــه والثلثون ان يستوفي ماله على غيره ولا يوفي ما عليه من حق الله او حق
خلقه الرابعـــه والثلثون ان يجمع بين خشيه الخلق في غير الله اي في امر
ليس لله وبين عدم خشيته لله في خلقه ويلزم الاول ان يرضيهم بما يسخط
الله ويلزم الثاني ان يسخط الله فيما يسخط خلقه واكثر هذه القراين مشتمله
من علم الفصاحه على التقابل والتضاد ورد العجز على الصدر ن وقـــال
عليه السلم لكل امر عاقبه حلوه او مره واشار الى غايته من حركاته
الخيريه والشريه فغاية الخيريه الجنه ولذاتها وهي العاقبه الحلوه ن
وغايه الشريه النار وعذابها وهي العاقبه المره واستعار لفظي الحلوه
والمره للذيذ والمكروه ن وقـــال عليه السلم لكل مقبل ادبار
وما ادبر كان لم يكن واراد المقبل من لذات الدنيا في معرض الزهد فيها
والمقبل من شدايدها في معرض تهوينها وتسهيلها وكان من اخوات ان
مخففه واسمها محذوف ن وقـــال عليه السلم لا يعدم الصبور
الظفر وان طال به الزمان والصبور كثير الصبر ورغب فيه بما يلزمه
من الظفر وان تاخر وذلك عند كمال استعداد الصبور بالصبر وقوته
وقـــال عليه السلم الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل
داخل في باطل اثمان اثم العمل له واثم الرضا ووجه التشبيه اشراكهم في
الرضا به المستلزم للمثليه ومناسبته لطبعه ويفرع عن الدخول في الباطل
بما يستلزمه من الاثمين اما اثم العمل فظاهر واما اثم الرضا فلان الرضا
بالباطل يستلزم محبته وهي رذيله واثم وقـــال عليه السلم
اعتصموا بالذمم في اوتادها فالذمم العهود والعقود والايمان واستعار
لفظ الاوتاد لشرايط العهود واسباب احكامها لانها اوتاد حافظه

لها وارادا امتنعوا من سخط الله وعذابه بحفظ النعم في اوتادها فكان
العصمة منه تكون في اسباب حفظها وفي معلولها اعتصموا وروي استعصموا
وقال عليه السلم عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته يريد الله تعالى
وقيل هو الجاذب لطاعة من تجب طاعته من ائمة الحق الذي يجب العلم
بحقه ولا يعذر الناس في الجهل بهم لتعلم قوانين الدين واحكامه منهم
وقال عليه السلم قد بصّرتم ان ابصرتم وقد هديتم ان اهتديتم واسمعتم
ان سمعتم اي قد بصّرتم سبل الرشاد وهديتم اليها واسمعتم الدلالة
عليها ان كان لكم استعداد ان تبصروها وتسمعوا وتهتدوا اليها وقد مر
مثله وقال عليه السلم عاتب اخاك بالاحسان اليه واردد شره
بالانعام عليه اي اجعل مكان عتابه بالقول والفعل الاحسان اليه والانعام
في حقه فانهما انفع في عطف جانبه اليك ودفع شره عنك والعتاب
مستعار للاحسان لاستلزامهما رجوع المعاتب وقال عليه السلم
من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من اساء به الظن لانه هو السبب
في اساءة الظن بنفسه ولا لوم على من اساء به الظن لان ظنه ذلك مستند
الى امارة من شانها تولد الظن وقال عليه السلم بلا ثلث كلمات اجراها
من ملك استأثر اي استبد واراد ان الملوك من شانهم الاستبداد بالامور
المرغوب فيها والانفراد بها وذلك لتسلطهم وعدم المنازع لقواهم
الامّارة بالسوء فيهم وهي كالمثل يضرب لمن غلب على امر فاختص به
ومنعه عن غيره الثانية ومن استبد برايه هلك لان انفراد الانسان
برايه وعدم قبوله النصيحة واستشارته في الحرب ونحوها مظنة الخطاء
فيه المستلزم للهلاك فكانه قال من استبد برايه فهو في مظنة الهلاك

فاقام الهلاك مقام مظنته مجازا اطلاقا لما بالفعل على ما بالقوة لما بينهما
ومن شاور الرجال شاركها في عقولها وذلك انه يستنتج منها الراي الاصلح
ليعمل به فكان عقول الرجال باسرها حاصلة له لانتفاعه بثمرتها وهو
ترغيب في الاستشارة وقال عليه السلم من كتم سره كانت
الخيرة بيده اي كان مختارا في افشائه وكتمانه بخلاف من اذاعه فانه لا
يمكنه بعد ذلك من كتمانه وقال عليه السلم الفقر الموت الاكبر
استعار لفظ الموت ووصف الاكبر اما كونه موتا فلانقطاع الفقير عن
مشتهياته ومطلوباته التي هي مادة الحياة وتالمه لفقدها واما انه اكبر
فلمعاناة الالم على الفقر مدة حياته واما الم الموت ففي وقت واحد
وهو مبالغة في شدته وقال من قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده
اراد قضاء الحق بين الاخوان وانما كان كذلك لان قضاء الحق لمن لا يقضي حقه
لا يكون لوصول نفع منه ولا دفع مضرة الغير عنه بل يكون عبادة له لانه
لقلة خوفا منه او طمعا فيه وذلك صورة عبادة وقال لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق وذلك كالوضوء بالماء المغصوب والصلوة في
الدار المغصوبة ويحمل النفي هنا على نفي جواز الطاعة كما هو المنقول
عنه وعن اهل بيته عليه وعليهم السلام وعند الشافعي رحمه الله قد يصح
الطاعة والنفي لفضيلتهان وقال لا يعاب المرء بتاخير حقه
انما يعاب باخذ ما ليس له اخذ الحق قد يكون واجبا لمن هو له وقد يكون
مندوبا واقله ان يكون مباحا ولا حرج في امر المباح واما اخذ ما ليس له
فظلم وهو من اقبح الرذائل التي يعاب بها المرء وقال
الاعجاب يمنع من الازدياد لاعجاب المرء بفضيلته الداخلة كعلمه او

الخارجه كجناه وفسه انما يكون عن تصور كماله فيها واعتقاده وانه قد
بلغ فيها الغايه والاعتقاد يمنعه عن طلب الزياده منها ه وقال
الامر قريب والاصطحاب قليل اراد امر الله وهو الموت والاصطحاب
في الدنيا ه وقال قد اضاء الصبح لذي عينين هو مثل واستعار
لفظ الصبح لسبيل الله ووصف الضياء لوضوحها وظهورها ووصف
الشارع ودلالته عليها ويحتمل ان يكون ذلك تمام وصف سبق
منه للحق كان سائلا سأله عن امر فشرحه له مرة او مرارا وهو
يستزيد فقال له هذا القول اي قد وضح لك الحق ان كنت تبصر
وقال ترك الذنب اهون من طلب التوبه اذ الترك لا كلفه
فيه لكونه عدما وطلب التوبه من الله يحتاج الى استعداد شديد يصلح
معه العبد لقبولها منه وافاضه العفو عليه ن وقال كم من
اكله منعت اكلات وهو جرى مجرى المثل يضرب لمن يفعل فعلا يكون
سببا لحرمانه ما كان يناله من خير سابق واصله ان الرجل يمتلي من الطعام
فيتخم ويمرض فيحتاج الى الحميه والامتناع من الاكلات وفي معناه من
يعاشر ملكا ويسعد بالانبساط معه فيفرط في انبساطه عليه فيكون
ذلك سببا لبعده عنه وزوال سعادته منه وقال عليه السلم
الناس اعدا ما جهلوا وذلك لان اكثر الجهال جازمون بان تصوراتهم
واعتقاداتهم الوهميه هي الحق وان ما وراها باطل لا فايده في تعلمه فيلزم
ذلك مجانبتهم له ثم يتأكد تلك المجانبه والبعد بكون العلم اثرا وفضيله
يفتخر بها اهله على الجهال ويكون لهم بها الحكم عليهم واستنقاصهم وحطهم
عن درجه الاعتبار مع اعتقاد الجهال لكمالهم ايضا فيشتد لذلك

مجانبتهم للعلم واهله وعداوتهم لحمله الفضيله ن وقال من
استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطا لا شك ان المتصفح لوجوه
الآراء والمفكر في ايها الصواب لابد ان يعرف مواقع الخطا في الامور
ومظانها وهو يرغب في الاستشاره والفكر في استصلاح الاعمال
قبل الوقوع فيها ه وقال من احد سنان الغضب لله قوي
على قتل اشدا الباطل لما كان تعالى هو العزيز المطلق وكان استناد
قوه الغضب لدينه والحميه الى عزته وصوله الغاضب اعتزازا به
اشد بكثير من صولته بدون ذلك الاستناد ويجب بتأكد القوه بعزه
الله يكون ضعفها بالاستناد الى الباطل المضاد لدينه ولذلك ما قهر
اوليا الله على قلتهم في صدر الاسلام اعداه على كثرتهم واطاق هو
عليه السلم قلع باب خيبر على شدته وقتل جبابره العرب واستعار
لفظ السنان لحده الغضب باعتبار استلزامهما النكايه في العدو
ورشح بذكر الحده وقال اذا هبت امرا فقع فيه فان شده
توقيه اعظم مما تخاف منه ان للنفوس فيما تتوقع مكروهه انفعالا
كثيرا وفكرا عظيما في كيفيه دفعه والخلاص منه وذلك اصعب من
الوقوع فيه لطول زمان الخوف هناك وتأكده بتوقع الامر المخوف وغب
الوقوع فيه تضمر صعوباته قوله فان الى اخره وتقدير كبراه وكلما
كان اعظم مما يخاف من الشي فينبغي ان يعدل عنه الى الوقوع فيه
ينتج ان شده توقيه ينبغي ان يعدل عنها الى الوقوع فيه وقال
الرياسه سعه الصدر سعه الصدر فضيله تحت الشجاعه وهي ان
لا يدع الانسان قوه التحمل عند ورود الاحداث المهمه عليه

واعلانها ولا يجار او يرهش فيها بل يتحمّلها ويستعمل الواجب في معناها
وقد يسمّي ذلك رحب الذراع وهي من اعظم لوازم الرياسة الحقّة التي
ينبغي لها اذ الرياسة مظنّة ورود الاحداث المهمّة والخطوب العظيمة
واحوال الخلق المختلفة فمن لم يكن محتملاً لهذه الامور وسيع الصدر
بها فلا بدّ ان يجار فيها ويرهش فيما يرد عليه منها فيعجز عن تدبيرها ويلزم
ذلك فساد دولته وزوال رياسته ه وقال ازجر المسيء
بثواب المحسن تصوّر المسيء جزاء المحسن باحسانه يدعوه الى الاحسان
والرجوع عن الاساءة فكانت المجازاة بالاحسان كالزجر للمسيء في استلزامها
ارتداعه وانزجاره فاستعير لفظ الزجر لها ه وقال احصد
الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك اغلب ما ينشأ الشرّ في صدر
العدوّ بسبب ما يتخيّله في عدوّه من اضمار الشرّ له وظنّ ذلك فيه وذلك
التخيّل والظنّ لابدّ ان يكون عن امارة من حركات عدوّه وفلتات لسانه
بالقول في حقّه ما دامت عداوته واضمار الشرّ له قائما في صدره فاذا
محا ما اضمره له من العداوة والشرّ زالت امارات ذلك من لسانه ووجهه
وبحسب ذلك ينقص تخيّل العداوة ويضعف سوء ظنّ عدوّه به ولا يزال
تتاكّد نقيض تلك الامارات وبامارات حالية او مقالية تظهر منه
الى ان يمحي ذلك الظنّ في حقّه واستعار لفظ الحصد لازالته ملاحظة
لشبهه بالزرع في زيادته بسعي تلك الامارات من عدوّه وتواترها
ونقصانه وعدمه بعدمها ه وقال اللجاجة تسلّ الراي اي
تاخذه وتذهب به وذلك انّ الانسان قد يطلب شيئا والراي الحقّ هو
التاني في طلبه والتثبّت فيه فيحمله طبعه على اللجاجة فيه حتّى يكون ذلك

كل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه وانّ الاجل
جُنّة حصينة اي اذا جاء القدر بموته على وفق القضاء الالهي وهو كقوله
تعالى ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت الآية
واستعار لفظ الجنّة بوصف الحصينة للاجل وقد بيّنا ذلك في قوله
وانّ عليّ من الله جُنّة حصينة ه وقال لطلحة والزبير نبايعك على
انّا شركاؤك في هذا الامر فقال لا ولكنكما شريكان في القوّة
والاستعانة وعونان على العجز والاود اي على دفع ما يعرض منهما
او حال وجودهما لانّ كلمة على تفيد الحال ه وقال
ايها الناس اتّقوا الله الذي ان قلتم سمع وان اضمرتم علم وبادروا الموت
الذي ان هربتم ادرككم وان اقمتم اخذكم وان نسيتموه ذكركم
رغّب في تقوى الله والخشية منه باعتبار سمعه لما تقول العبد
وعلمه بضميره وحذف المفعولين للعلم بهما اي سمع مقالكم وعلم
ضمائركم ورغّب في مبادرة الموت ومسابقته بالاعمال الصالحة
الى حفظ النفوس بها من عذاب الآخرة وهول الموت ونفّر منه لتسارع
الى مبادرته بكونه لا ينجو منه احد واستعار لوروده على الانسان لفظ
الذكر في مقابلة النسيان ملاحظة لشبهه بالقاصد له عن علم به
وقال لا يزهدنّك في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك
عليه من لا يستمتع بشيء منه وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر ممّا اضاع
الكافر والله يحبّ المحسنين نهى عن الزهد في المعروف بسبب عدم
شكر المحسن اليه له ورغّب فيه بضمائر بليه صغرى الاول قوله فقد
يشكرك عليه الى قوله منه وذلك لمحبّة الناس للاحسان والمحسنين

ويقدر كبراه وكلما يشكر كان عليه من لم يستمتع بشيء منه فواجب ان يفعله
وصغرى الثاني قوله وقد يدرك الى قوله الكافر اي فقد يحصل لك من
شكر من لم يستمتع اليه اكثر مما اضاعه كافر نعمتك من شكر احسانك
اليه وتقدير كبراه وكلما ادركت من شكر الشاكر نسبته اكثر مما
اضاع الكافر فواجب ان يفعله وصغرى الثالث قوله والله يحب
المحسنين اي لاحسانهم وتقدير كبراه وكل من يحبه الله لفعل
فواجب ان يدخل العاقل في زمرته ويتقرب الى الله بمثل فعله ن
وقال عليه السلم كل وعاء يضيق بما جعل فيه الا وعاء
العلم فانه يتسع به الاوعية المحسوسة لما كانت متناهية
الاتساع فمن شانها ان يضيق بما يجعل فيها واوعية العلم معقولة
وهي النفوس وقوة ادراك العلوم فيها غير متناهية وكل مرتسم
من ادراكها تستعد لما بعده الى غير النهاية فالواجب ان يتسع بالعلم
ويزيد بزيادته ن وقال عليه السلم اول عوض الحليم من حلمه
ان الناس انصاره على الجاهل اراد بالعوض ما يجازيه الناس به على حلمه
من النصرة له على الجاهل ويحتمل ان يريد من عوض حلمه اذ العوض يكون
عن شيء فات كالطيش ونحوه مما يفوت الحليم وفيه ترغيب في صفة
هذه الفضيلة بما يلزمها من نصرة الناس لصاحبها على الجاهل عند سفهه
عليه ن وقال ان لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم
الا واوشك ان يكون منهم امر بتعلم هذه الفضيلة فان مبادي اكثر
الملكات الخلقية حالات مكتسبة عن التعلم ورغب في تعلمها بضمير
صغراه قوله فانه قل الى اخره والضمير في انه ضمير الشان وتقدير الكبرى

وكل من اوشك ان يكون من اهل الحلم بتعلمه له فواجب ان يتعلمه ن
وقال كلمات اخراها من حاسب نفسه ربح لان
المحاسب لنفسه على اعمالها يعلم خسرانه من ربحه فيعمل للربح ويحترز
من الترك المستلزم للخسران الماسة ومن غفل عنها خسر وذلك
ان قربها من اللذات الحاضرة يستلزم ميلها اليها ما لم يجذب عنها
بالجواذب الالهية من الزواجر والمواعظ والتذكرة فالغفلة عن جذبها
وتنبيهها من هوادي الطبيعة بتذكير وعد الله ووعيده يستلزم اهمالها
للاعمال الصالحة التي يلزمها ربح السعادة الاخروية والحصول على
تركها ذلك هو الخسران المبين البالغ ومن خاف اي من عذاب
الله عمل للخلاص منه ليامن لحوقه الرائعة ومن اعتبر
ابصر اي من نظر مواقع العبرة بعين الفكر والاعتبار ابصر الطريق
الى الحق ومن ابصرها فهم العبور منها اليه ومن فهم ذلك حصل له
العلم النافع بالحق وقال عليه السلم لتعطفن الدنيا علينا
بعد شماسها عطف الضروس على ولدها وتلا عقيب ذلك قوله
تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم
ائمة ونجعلهم الوارثين الضروس الناقة سيئة الخلق تعض
حالبها ليبقى لبنها لولدها وذلك لفرط شفقتها عليه واستعار
لفظ الشماس للدنيا باعتبار اعدادها لمنعه عليه السلم منها
ملاحظة لشبهها بالفرس الذي يمنع ظهره ان يركب ن وشبه
عطفها بعد ذلك عليهم واعدادها لتمكينهم من الحكم فيها بعطف
الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة العطف والاستهلاك

بالأوبة طاهر وقـــال اتقوا الله تقية من شمّر تجريدًا وجدّ
تشميرًا واكمش في مهل وبادر عن وجل ونظر في كرّة الموئل
وعاقبة المصدر ومغبّة المرجع ن أكمش أسرع والمهل
الإمهال والكرّة الرجعة والموئل الملجأ والمغبّة العاقبة ن
وأراد اتقوا الله كتقية من شمّر عن ساق الجدّ في طاعة الله وجدّ
نفسه لمرضاته تشميرًا وسارع بالأعمال الصالحة ما دام في مهلة الحيوة
الدنيا وبادر مغفرته في وجل من ثمرات سيئاته وفكر في عوده إلى
الملجأ الأول الذي عنه بدا وهو حضرة الربوبية وهكذا عاقبة المصدر
الذي عنه صدر في ابتداء كونه وإليه يعود ومغبّة المرجع من خير
ليعمل للحصول عليه أو شرّ ليعمل للخلاص منه وقـــال
عليه السلام لمن عزه كلمة أحـــراها الجود حارس الأعراض
واستعار له لفظ الحارس باعتبار أن الجود يقي عرض صاحبه من
الشتم كالحارس الناس والحلم فدام السفيه ن والفدام
ما يوضع في فم الإبريق ليصفّي ما فيه وكذلك الخرقة التي يشدّ
المجوسيّ بها فمه واستعار لفظ الحلم باعتبار أن الحليم إذا قابل
السفيه بحلمه عن عقوبته سكت عنه وأقلع عن سفهه في حقه
فأشبه الفدام له بالناس والعفو زكوة الظفر استعار
لفظ الزكوة للعفو باعتبار أنه فضيلة يستلزم زيادة الثواب في
الآخرة والحظ في ذلك شبه الظفر بالمال الواجبة زكاته وهو عيب
في العفو الرابعة والسلوّ عوضك ممن غدر وهو أمر
للإنسان بالسلوّ عن الهمّ بسبب غدر من يطلب وفاه ن ورغبه

شبيهًا لفوته واستعار وصف التسلّل وسببه إلى الحاجة مجازًا باعتبار
أنها هي المفوّتة له وكأنها أخذته وغيّبته ن وقـــال الطمع
رقّ مؤبد استعار لفظ الرق للطمع باعتبار ما يستلزمه من التعبّد
للمطموع فيه والخضوع له كالرقّ وباعتبار دوامه للتعبّد بسببه
فإن الطامع دائم العبودية لمن يطمع فيه ما دام طامعًا وهو في ذلك
ألزم من الرق ن وقـــال ثمرة الحزم السلامة وثمرة التفريط الندامة
التفريط إضاعة الحزم في الأمور ولما عرفت أن الحزم عبارة عن تقديم
العمل للحوادث الممكنة المستقبلة بما هو أقرب إلى السلامة وأبعد
من الغرور لا جرم كان ذلك مظنة السلامة منها وكانت إضاعته
والتفريط في العمل لما يستقبل من الحوادث مظنة الوقوع فيها وعدم
السلامة من بلاياها وهو مستلزم للندامة على التفريط فيها وكانت
الندامة من ثمراته ن وقـــال لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه
لا خير في القول بالجهل الصمت عن النطق بالحكمة طرف تفريط من فضيلة
القول والنطق عن الجهل رذيلة مضادة لها والحق العدل وهو النطق
بالحكمة وهو الفضيلة النطقية ن وقـــال عليه السلام ما اختلف
دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة إذ الاختلاف الحقيقي إنما يكون بين
النقيضين ولما كانت الدعوة إما إلى الحق وهو سلوك سبيل الله أو إلى
غيره وكان كلما عدا الحق مما يدعى إليه فهو ضلال عن الحق وعدول عن
سبيل الله لا جرم لم يختلف دعوتان إلا كانت إحداهما حقًا والأخرى
ضلالة ومستلزمة للضلال وهذا يستلزم بطلان كون كل مجتهد مصيبًا
ومذهبه المنقول عنه عليه السلام أن الحق واحد في جهة والمصيب

له واحد وقال ما شككت في الحق مذ أُريته من كان له
استعداد درك الحق كمثله عليه السلام واستاذ كرسول الله صلى الله
عليه وسلم في اعداده وتربيته وطول صحبته لمثل ذلك الاستاذ كصحبته
محال ان يعرض له شك في امر يرى برهانه ويحرم من الحق وقال
ما كذبتُ ولا كُذبت ولا ضللت ولا ضُلّ بي اما عدم كذبه
فلتربيته من حجر الطفولية بالصدق ومكارم الاخلاق حتى صار ذلك
ملكة له تنافي الكذب والضلال وتعصمه منهما واما كونه لم
يُكذَّب فيما اخبر به من الحوادث المستقبلة والعلوم الغيبية فلم
يُضَلّ به فلكون مخبره معصوما وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم
والعصمة منافية للأمرين ومستلزمة لهداية المدلول وعدم زيغه
وقال للظالم البادي غدًا بكفه عضة اخبر بان البادي عن
المجازي للظلم بمثله وكنى بعض عن بعض الندامة وبعض كفه عن ندامته
على تفريطه في جنب الله لقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه
والغرض التنفير عن الظلم وقال الرحيل وشيكا اى قريب
واراد الرحيل الى الآخرة في معرض الوعظ والتخويف بالموت وقال
مَن ابدى صفحته للحق هلك اى مَن تجرد لنصرة الحق في مقابلة كل احد
هلك عند جهلة الناس لضعف الحق عندهم وغلبة الباطل على نفوسهم
وكنى بابداء صفحته عن اظهار نفسه ونصبها لذلك وقد مر بيانه
وقال مَن لم ينجه الصبر اهلكه الجزع قد يكون المصـ
عظيمة يستلزم الجزع المهلك فيها وحينئذ يجب ان يقابل الجزع فيها
بصبر ينجي من الهلاك والتقدير مَن لم يصبر على المصيبة لينجو الجزع هلك

وتحمل ان يريد الهلاك الاخروي اي مَن لم ينجه فضيلة الصبر هلك
برذيلة الجزع وهو تنفير عن الجزع وحث على الصبر وقال
واعجباه تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة وروى
عنه عليه السلام شعر في هذا المعنى

فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشيرون غُيّب
وان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبي واقرب

رُوي هذا القول عنه عند بيعة عثمان وهو صورة جواب ما كان يسمعه
من تعليل استحقاق عثمان للخلافة تارة بالشورى وتارة بانه من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقريره ان استحقاقه للخلافة اما
ان يكون معللا بالشورى او بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
او بقرابته فان كان الاول فكيف يملك عثمان امور الناس بالشورى
واكثر مَن يستحق الاشارة منهم لم يكونوا حاضرين وذلك معنى اشارته
بقوله فان كنت بالشورى تمام البيتين وان كان الثاني فكيف
يملك امورهم بالصحبة مع وجود مَن له الصحبة التامة والقرابة
مقابل يكون هذا اولى به وان كان الثالث فغيره اولى منه بالنبي
صلى الله عليه وسلم واقرب اليه وعنى نفسه في الوجهين وقوله
فكيف بهذا اي فكيف يملكها بهذا وقال انما المرء في
الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ونهب تبادره المصائب ومع كل جرعة
شرق وفي كل اكلة غصص ولا ينال العبد نعمة الا بفراق اخرى
ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله فنحن اعوان المنون
وانفسنا نصب الحتوف فمن اين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار

لم يرفعا من شيء شرفاً الا اسرعا الكرّ في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا
لاتصال الرمي وهذا فصل لطيف من الموعظة وقد استعمل فيه
ثمان كلمات واعطه احـــداها استعار لفظ الغرض للانسان
باعتبار رميه بمقدمات المنايا واسبابها من الامراض والاعراض
المهلكة ووصف الاتصال لذلك الرمي كأن المنايا هي الرامية
الثانيـــة استعار لفظ النهب بمعنى المنهوب باعتبار نزعه
المصائب الى آخره الثالثـــة كنى عن تنغص لذات الدنيا بما
تشوبها وتخالطها من الاعراض والامراض بقوله مع كل جرعة شرق
قوله غصص الرابعـــة كون العبد لا ينال نعمة الا بفراق اخرى
اذ النعمة الحقيقة هي اللذة وما يكون وسيلة اليها نعمة بواسطتها
وظاهر ان النفس في الدنيا لا يمكن ان تحصل على لذتين دفعة بل ما لم ينتقل
عن لذة اولى ويتوجه نحو اللذة الحادثة لا تحصل له الاخرى لتنافيهما
الخـــامسة ولا يستقبل يوماً من عمره الا بفراق آخر من اجله لأن
طبيعة الزمان التقضي والسيلان السـادسة كونها اعوان المنون
باعتبار ان كل نفس وحركة من الانسان فهي مقرّبة له الى اجله
وكأنه ساع نحو اجله ومساعد عليه السابعـــة كون نفوسنا نصب
الحتوف ونصب بمعنى منصوبة كالغرض الثامنـــة الاستفهام
عن جهة رجاء البقاء استفهام انكار لوجودها مع وجود الزمان
الذي من شأنه انه لم يرفع لشيء شرفاً ويجمع لامر شملاً الا اسرع العود
في هدم ما رفع وتفريق ما جمع اي اعدّ للثاني كما اعدّ للاول وقال
عليه السلام يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك فانت فيه خازن لغيرك اقول

اكتساب الزيادة على القوت والمؤنة بمقدار الحاجة وادّخاره غير
نافع للمدّخر اذ من ضرورته مفارقة ما ادّخره ووصوله الى الوارث
وغيره فهو اذن بمنزلة الخازن واستعار لفظه وهو ينفر عن البخل
بالفضل من المال عن قدر الحاجة ه وقـــال ان للقلوب شهوة
واقبالاً وادباراً فأتوها من قبل شهوتها واقبالها فان القلب اذا اكره
عمي اراد بالاقبال الميل وبالادبار النفرة عن ملال ونحوه وامر باعمال
النفوس فيما ينبغي اعمالها فيه من فكر ونظر وحملها على ذلك حتى
ميلها اليه واقبالها عليه لان ذلك نشاط في القوى النفسانية ومعاونة
ومواتاة للنفس ونفّر عن حملها عليه مع النفرة عنه والكراهية له
بضمير صغراه قوله فان القلب اذا اكره عمي اي ان اكراه النفس على الفكر
في الشيء حين نفرتها عنه عن ملال او ضعف قوة ونحوه يورثها كراهية
له ونفرة ويقوم لها بذلك مانع من الوهم والخيال عن ادراك ما يفكر
فيه ولا يدركه وان كان واضحاً حتى يكون كالاعمى ولذلك استعار
له وصف الاعمى ويقدر كبراه وكلما كان عماه في اكراهه على الشيء
فلا يجوز اكراهه عليه وقـــال متى اشفي غيظي اذا غضبت
احين اعجز عن الانتقام فيقال لي لو صبرت ام حين اقدر عليه فيقال
لي لو عفوت استفهم عن وقت جواز شفاء الغيظ استفهام انكار
لوجوده في معرض التنفير عن هذه الرذيلة ونفّر عنها بقوله احين
الى آخره وذلك انه اما حين العجز عن الانتقام او حين القدرة عليه
وشفاء الغيظ في الوقت الاول لا يجوز لانه يكون بالغضب والشناعة
ويقطع العرض ونحوه وذلك مستلزم للائمة الخلق وتعنيفهم

في الحث على فضيلة الصبر لو صبرت لكان اولى وفي الماسه ايضا لا
يجوز لاستلزام الشروع في العقوبة لائمة الخلق والحد ولا عن فرضه
العفو التي هي اولى وقول الناس في الحث عليها لو عفوت وان
للعفو بك اولى ❊ وقال عليه السلام وقد مر بقذر على
مزبلة هذا ما بخل به الباخلون ❊ وفي خبر آخر انه قال هذا ما كنتم
تتنافسون فيه بالامس اشار اليه بذلك لانه غاية مما بخل به الباخلون
وتنافس الناس فيه من المال والطعام اقامة للغاية مقام ذي الغاية
وقال لم يذهب من مالك ما وعظك اي القدر الذي يذهب من
مالك على طريق امتحان الله وابتلائه لك بامر يرهبه فيحصل لك بذهابه
موعظة لا يعد مالا ذاهبا بل كانه باق لبقاء منفعته وشرف ثمرته
وهي الموعظة ❊ وقال لما سمع قول الخوارج لا حكم الا لله
كلمة حق يراد بها باطل وقد مر تفسيره ❊ وقال في صفة الغوغاء
وهم العوام هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ❊
وقيل بل قال عليه السلام هم الذين اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا
نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم فقال
يرجع اصحاب المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى
بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه ❊ المهنة الحرفة
والصناعة والمصطار وقال وقد اتي بجان معه غوغاء
فقال لا مرحبا بوجوه لا ترى الا عند كل سوأة لانه مجتمعة اذ
العوام لا تجتمع غالبا الا في مثل ذلك وكلام الخطب على اغلب
الاحوال والسوأة فعلة من السوء ❊ وقال عليه السلام ان مع

بكونه عوضا منه ونعم العوض الخامسة والاستشارة عين الهداية
الاستشارة طلب اصلح الآراء في الامر وهي مستلزمة للهداية اليها
وجعلها عينها مجازا لقوة استلزامها لها السادسة وقد خاطر
من استغنى برأيه اي اشرف على الهلاك من استبد برأيه لان ذلك
مظنة الخطأ المستلزم للهلاك وقد مر مثله السابعة
والصبر يناضل الحدثان استعار لفظ المناضلة للصبر باعتبار
دفعه الهلاك عن الجزع في المصائب الثامنة والجزع من
اعوان الزمان وذلك ان الزمان معد للهرم والفناء والجزع
يعد لذلك فكان معينا له التاسعة واشرف الغنى
ترك المنى لان اشرف الغنى غنى النفس بالكمالات المستفادة
من الحكمة ومكارم الاخلاق وهو مستلزم لترك المنى
والا لجاز اجتماعه مع المنى المستلزمة للجهل ودوام اشتغال النفس
بما لا يغني عما يعني والافراط في محبة الدنيا مع كثير من الرذائل
كالحرص والحسد والشره ونحوها فلزم من ذلك اجتماع الضدين
الفضيلة والرذيلة العاشرة وكم من عقل اسير عند هوى
امير ❊ العقل اما ان يقوى على قهر النفس الامارة بالسوء
وتصرفها بحسب ما يراه او تقاومها كالمصارع لها فمرة له ومرة عليه
او يكون مقهورا مغلوبا لها والاول هو العقل المطيع لله القوي
بامره ويلحقه الثاني من وجه واما الثالث فهو العاصي بانقياده
لهواه فهو كالاسير له وهو القسم الاكثر في عالم الانسان لحضور
اللذات الحسية دون العقلية فلذلك اخبر عنه بكم الخبرية عن

ومن التوفيق حفظ التجربة اي لزومها ومن لوازمها الغاية الانتفاع
بها وظاهر ان ذلك من توفيق الله اي تسهيله لاسبابها وتقديره
لبواعثها في حق العبد القرابة عشير والمودة قرابة
مستفادة لان القرابة اسم من القرب وهو اما ان يكون اصليا
كقرب النسب او مستفادا مكتسبا كقرب الصداقة
والمودة الثابتة عشير ولا تأمنن ملولا لان الملول
يصرفه ملاله عن الثبات على الصداقة والعهد وكتمان السر
ونحو ذلك من الخير اذ ان لا يؤمن على شيء من ذلك وقال
عليه السلام عجب المرء بنفسه احد حساد عقله استعار له لفظ
الحاسد باعتبار انه يؤثر في منع العقل من ازدياد الفضيلة
والاستكثار منها كما يؤثر الحاسد بحسده في حال المحسود
وتنقيصه وقال اغض على القذى والا لم ترض
ابدا ان الاغضاء على القذى كناية عن كظم الغيظ واحتمال
المكروه وهو فضيلة تحت الشجاعة ولما كانت طبيعة الدنيا
معجونة بالمكاره لم يخل الانسان في اكثر احواله من ورودها
عليه فما لم يقابلها بالاحتمال بل بالتسخط والغضب والتبرم
بها لم يزل ساخطا اعيا غضبه لدوام ورود المكاره عليه
وقال من لان عوده كثفت اغصانه استعار
لفظ العود للطبيعة وكنى بلينه عن التواضع وكذلك استعار
لفظ الاغصان للاعوان والاتباع وكنى بكثافتها عن اجتماعهم
عليه وكثرته وقوته بهم والمراد ان من كانت له فضيلة التواضع

ولين الجانب كثرت اعوانه واتباعه وقوي باجتماعهم عليه
وقال الخلاف يهدم الراي واصله ان راي الجماعة تجتمع
على امر يكون المصلحة فيه فيقع فيه من بعضهم خلاف فيهدم ما اجتمعوا
عليه ورأوه من المصلحة كما رأى عليه السلام هو وجماعة من اصحابه عند
رفع اهل الشام المصاحف صبيحة ليلة الهرير من اتمام القتال وهو
المصلحة فهدم ذلك الراي من خالفه من اصحابه حتى وقع من ذلك
ما وقع وقال من نال استطال اي من نال ما يوجب
الاستطالة من جاه وسلطان او مال استطال بسبب ذلك
اي كان في مظنة من يستطيل على غيره بما ناله فاقام ما بالفعل
مقام ما بالقوة وتصدق بالفعل ايضا لان كلام الخطيب مطلق
تصدق ولو مرة والكلمة تجري مجرى المثل وقال
في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال اي تقلب احوال الرجال
الرجل كرفعته بعد اتضاعه وبالعكس وكنزول الشدائد به بعد
العلم الخفي باحواله الباطنة من خير وشر وجلادة وضعف
وفضله ورذيلة ونحو ما قيل الولايات مضامير الرجال
وقال حسد الصديق من سقم المودة الخالصة تستلزم
ان يريد الانسان لمن يوده ما يريد لنفسه ويكره له ما يكرهه والحسد
ينافي ذلك لاستلزامه ارادة زوال الخير عن المحسود فمودة الحاسد
اذن مدخولة غير صحيحة وهو المراد بسقمها وقال
اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع العقل من شانه الهدى
ينبغي له ارائها ومن النفس الامارة ويكسرها ويصرفها بحسب ارائه

الصالحة ومن شأن النفس مخادعة العقل وغروره بزينة الحياة الدنيا
وقشابها واطماعه بها فالعقول الضعيفة غير المؤيدة من الله اكثر
ما يخدع وينخدع في تجويزها للنفوس الأمّارة اذ لاح لها مطمع وهمي
من لذتها واستعار لفظ المصارع للعقول ملاحظة لقهرها عن
النفوس وانفعالها فاشبه في الذلة والانقياد لها وترك مقاومتها
من احد مصرعه من الحرب وكذلك استعار لفظ البروق لما لاح من
تصور المطموع فيه وكثيراً ما تشبه العلوم والخواطر الذهنية
بالبروق للطفه وضيائه وسرعة حركته وانما قال تحت لان
المصارع من شأنها ان تكون تحت وقال ليس من
العدل القضاء على الثقة بالظن اي من كان عندك ثقة معروفا
بالامانة فحكمك عليه بالخيانة عن ظن خروج عن العدل وهو رذيلة
الجور وقال بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد
لان الظلم رذيلة عظيمة متعدية الى الاذى مستلزمة للشقاء
الاشقى في الآخرة فهي بئس الزاد اذن ولفظ الزاد مستعار باعتبار
جعل هذه الرذيلة في توجه النفس الى الآخرة كالزاد وقال
من اشرف افعال الكريم غفلته عما يعلم اي تغافله واغضاؤه عما
يعلم من معايب الناس ومن هفواتهم ويستلزم ذلك فضائل كاحتمال
المكروه والحلم والعفو والصفح وكلها فضائل يلزم الكريم لانه قد يراد
به امساك الانسان عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب ممن يغضبه
وما يستلزم هذه الفضائل فهو من اشرف الافعال وقال
من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه استعار لفظ الثوب لما تشمل

الانسان من الحياء ورشح بذكر الكسوة والمراد ان فضيلة الحياء تستلزم
ترك المعايب ولا يرى في صاحبه او ان ارتكب ما يعاب به من الرذائل
كان على غاية من التستر به والاجتهاد في اخفائه وهو مظنة ان لا يراه
الناس وقال بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنصفة يكثر
المواصلون وبالافضال تعظم الاقدار وبالتواضع تتم النعمة وباحتمال
المؤن يجب السودد وبالسيرة العادلة يقهر المناوي وبالحلم عن السفيه
تكثر الانصار عليه اشار عليه السلام الى سبع فضائل ورغب في كل
منها بما يستلزمه من الخير احدها كثرة الصمت ويلزمها
كون الصامت مهاباً في اعين الناس لان الصمت من توابع العقل غالباً
ومهابة اهل العقل ظاهرة فان عرف ان كثرة صمت الصامت عن عقل
كانت مهابته اوكد وان لم يعرف حاله كانت مهابته لتجويز ان يكون
عن كمال عقله وقد يعرف انه يقتصر في عبرته وعيه عن الكلام
ويحترم مع ذلك لعدم اختلاطه في القول الثانية النصفة
وهي فضيلة العدل ورغب فيها بما يلزمها من كثرة المواصلين لان
قلة الانصاف مستلزمة للفرقة وقطع الالفة كما قال ابو الطيب

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال وان كانوا ذوي رحم

الثالثة الافضال على الخلق بما يحتاجون اليه ويلزمه علو الاقدار
وعظمها لعظم الحاجة الى المفضل ومحبته الرابعة التواضع
ويلزمه تمام النعمة بكثرة الاخوان واهل المودة لان فضيلة التواضع
نعمة وما يلزمها كالتمام لها الخامسة احتمال المؤن ويلزمه
السودد لان احتمال مؤن الخلق يستلزم فضيلة سعة الصدر واحتمال

المكروه وتجنّب ذلك تحصل مطالب الحلوم المحتمل غير مشوبه
بشي من كدر الملامله بردٍّ ومنّةٍ ونحوهما فيكثر تعبّدهم له وتقوى
امره وسودده فيهم السادسة السيره العادله ويلزمها نفي
المناوي والمناواه المعاد له وذلك ان الناس مع السيره العادله ولا ان
العدو ولا نجد لصاحب السيره العادله عيبًا يستظهر به عليه ويسعى به
في فساد امره فيبقى مقهورًا مأمورًا السابعة الحلم عن السفه
ويلزمه كثره الانصار عليه وقد مرّ بيانه وقال العجب لغفله
الحساد عن سلامه الاجساد لان الغالب ان الحسد انما يكون بالغنى
والجاه وسائر منافع الدنيا فترك الحساد للحسد بصحه الجسد
مع كونهما اكبر نعم الدنيا محل العجب والفرق ان تلك نعم مشاهده
يقل الغفله عنها ويعرف المحسود بها واكثر الوقوع على الحاسد بكونها
واما نعمه الصحه فمغفول بكثره الغفله عنها ومشتركه وقال
الطامع في وثاق الذل استعار لفظ الوثاق للذل الملتبس به
في طاعه المطموع فيه او للطمع الملازم له لتقيده به وقد مرّ مثله
في قوله رق مؤبد وقال الايمان معرفه بالقلب واقرار
باللسان وعمل بالاركان الاركان الاعضاء وهي المساجد
الخمسه واراد الايمان الكامل وقال من اصبح
على الدنيا حزينا فقد اصبح لقضاء الله ساخطا ومن اصبح يشكو
مصيبه نزلت به فانما اصبح يشكو ربه ومن اتى غنيًا فتواضع
لغناه ذهب ثلثا دينه ومن قرا القران فمات ودخل النار فهو
ممن كان يتخذ آيات الله هزوا ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط

منها بثلاث همّ لا يغبّه وحرص لا يتركه وامل لا يدركه اشار الى خمس
خصال يفرّع عن كل منها بما يلزمه من الشر احدها الحزن على
فائت الدنيا ويلزمه سخط العبد لقضاء الله لان فوت ذلك كان بقضاء
منه وسخط قضائه كفر الثانية شكوى المصيبه ويلزمها الشكوى
من الله لانه تعالى هو المبتلي بها الثالثه التواضع للغني باعتبار
غناه يلزمه ذهاب ثلثي دين المتواضع لوجوه احدها ان مدار
الدين على كمال النفس الانسانيه بالحكمه وكمال القوه الشهويه بالعفه
وقوه الغضب بالشجاعه ولما كان المتواضع للغني من جهه غناه
يستلزم زياده محبه الدنيا والخروج عن فضيله الشهوه الى طرف
الفجور حتى كانه عابد لغير الله ويستلزم الخروج عن الحكمه التي
مقتضاها وضع كل شي موضعه وهي فضيله النفس الناطقه كان
خارجا عن فضيلتين هما ثلثا المعوّل وهما ثلثا الدين الثاني ان مدار
الدين على الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان وكان
المتواضع للغني لغناه اشتغال لسانه بمدحه وشكره واشغال
جوارحه بخدمته عن طاعه الله والقيام بشكره فهو مهمل لثلثي دينه
الثالث ان المتواضع للغني لغناه يستلزم محبه الدنيا وحبها
راس كل خطيئه فاستعمل عليه السلم لفظ الثلثين هنا في الاكثر
مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الرابعه كون قراءه
القران مع دخول النار مستلزما لكون القاري كان يتخذ آيات الله
هزوا وذلك ان قراءه القران لله باخلاص والعمل بمقتضاه يستلزم
دخول الجنه وعدم دخولها ودخول النار يستلزم عدم الاخلاص في

قراءة القرآن وعدم العمل به فيكون في قراءته إذن كالمستهزئ
بآيات الله إذ شأن المستهزئ أن يقول ما لا يعتقده ولا يعمل به
واستعار له لفظ المستهزئ الخامسة ومن لهج قلبه بحب الدنيا
التاط اي لصق منها بثلاثة ووجه لزوم الثلاثة الحرص والولوع
بها أن حبها يستلزم الجد في طلبها وجمعها ولما كان حصولها
مشروطا بأسباب مقدورة للعباد وأسباب غير مقدورة والمقدورة
منها قد لا يكون مقدورة للطالب وإن كانت لكنها تكون متعسرة
منه لتوقفها على أسباب كثيرة أو عسرة لا جرم يلزمه الحزن
غالبا في تحصيلها والهم الذي لا يغبه اي لا يأتيه غبا وهو يوم
لا ويوم نعم ثم في حفظها وخوف فوتها والحرص على استخراجها
من وجوهها وطول الأمل في وجوه مكاسبه وأرباحها
وتجاراتها وعماراتها ونبه على طوله بقوله لا يدركه ويفرغ عنه بكل
وقال كفى بالقناعة ملكا وبحسن الخلق نعيما استعار
لفظ الملك للقناعة لأن غاية الملك الغنى عن الخلق والترفع عليهم
بذلك والا لتلذذ به والقناعة مستلزمة لهذه الغايات وكذلك
استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار استلزامهما الالتذاذ بهما
وسئل عن قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة قال هي القناعة فعرف
الحياة الطيبة بملزومها وهو القناعة وقال شاركوا
الذي قد أقبل عليه الرزق فإنه أخلق للغنى وأجدر بإقبال الحظ
أخلق وأجدر أي أولى ولما كان إقبال الرزق بتوافق أسبابه في حق
من أقبل عليه كانت مشاركته مظنة إقبال الحظ الشريك وإقبال الرزق

وقال القناعة مال لا ينفد ن القناعة هي ضبط قوة النفس
عن الاشتغال بما يخرج عن مقدار الكفاية ومبلغ الحاجة من المعاش
والأقوات وعدم ما تشاهد من ذلك عند الغير واستعار لها لفظ
المال يوصف عدم النفاد باعتبار دوام الغنى معها كالمال الموصوف
وقال المال مادة الشهوات اي منه يكون استمدادها
وزيادتها والمادة هي الزيادة المتصلة وفي الكلمة تنفير عن الاستكثار
من المال لما يلزمه من امداد الشهوة وتقويتها على معصية العقل
وقال من حذرك كمن بشرك ن اراد من حذرك من
الأمر كمن بشرك بالنجاة منه ووجه الشبه ظاهر وهو ترغيب في
الإقبال على المحذر واستماع تحذيره لغرض النجاة تشبيهه بالمبشر
وقال اللسان سبع إن خلي عنه عقر ن استعار لفظ
السبع للسان باعتبار أنه إن ترك عن ضبط العقل له نطق بما فيه
هلاك صاحبه كالسبع إذا لم يحفظ ن وقال المرأة
عقرب حلوة وجه الشبه للعقرب لسعتها واستعار للمرأة لفظ العقرب بالوصف
المذكور باعتبار أن من شأنها الأذى لكن إذا ما مشوب بما فيها من اللذة
بها والحس به وهو كأذى الجرب المشوب بلذته في زيادة حكته
وقال الشفيع جناح الطالب ن استعار له لفظ الجناح
باعتبار كونه وسيلة له إلى مطلوبه كجناح الطائر ن وقال
أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ووجه الشبه قوله يسار به وهم
نيام وذلك أن أزمنة الأعمار مطايا يسيرهم فيها سائرون إلى الآخرة حال ما هم
في غفلة عن غاياتهم والعمل لها حتى يوافوها فأشبهوا الركب الذين يسيرون

وهم نيام حتى يوافوا منازلهم ن وقال فقد الأحبة غربة
استعار لفظ الغربة لفقد الأحبة باعتبار ما يلزمها من الوحشة وعدم
الأنس ن وقال فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير
اهلها وغير اهلها هم اللئام ومحدثوا النعمة وساقطوا الأصول
وانما كان اهون لان فوتها يستلزم غمًّا واحدًا ن واما طلبها الى غير
اهلها فانها لا تحصل غالبًا فيستلزم غم فوتها مع ثقل الاستنكاف
والندم من رفعها اليهم ثم غم ذل الحاجة الى اللئام وله الم
عظيم كما قال   الموت احلى من سؤال اللئام
ثم غم ردهم لها فهي غموم اربعة وكذلك ان قضيت كان فيها غم
ثقل الاستنكاف ن ثم غم ذل الحاجة اليهم فكان فوتها اهون
على كل حال وهذه الكلمة تحث على فضيلتي القناعة وعلو الهمة
وقال لا تستحي من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه اراد
بقوله اقل منه اي احقر في الاعتبار وذلك ان الحرمان هو عدم العطاء
عما من شانه ان يعطى وليس ذلك العدم من باب الكم المحتمل للقلة
والكثرة ن وتنفر عن الحياء من اعطاء القليل بضمير صغراه قوله فان الحرمان
اقل منه وتقدير كبراه وكل ما كان الحرمان اقل منه فلا ينبغي ان يستحيى
منه بل من الحرمان الذي هو اقل منه ن وقال العفاف زينة الفقر
العفاف العفة وقد علمت انها فضيلة القوة الشهوية والفقير اذا ضبط
شهوته بزمام عقله عن ميولها الطبيعية كملت نفسه بفضيلة العفة
وزان فقره بفضيلة في اعين المعتبرين واذا اهملها واسلس قيادها ن
به موارد القبح وقادته الى الهلع والحرص والحسد والمنى والكديه فحصل

وقايه وسعه بالنافه وهو القليل من المال الرابعه الحذر من
مصادقة الكذاب ويفرع عنه تشبيهه بالسراب واشار الى وجه
الشبه بقوله يقرب الى آخره ن وبيانه ان الكذاب يوهم بحجته ما
يقول فيسهل الامور العسرة البعيدة ويجعلها قريبة التناول ويبعد
الأمور السهلة القريبة ويجعلها بعيدة التناول بحسب اغراضه وكذبه
مع انه ليس كذلك في نفس الامر كالسراب الذي يظن ماء ويلبس به
والتنفيرات الاربعة المقرونة بقوله صغريات ضمائر تقدير كبرياتها
وكل من كان كذلك فيجب ان يحذر صحبته ويجتنب مصادقته وبالله
التوفيق ن وقال عليه السلام لا قربة بالنوافل اذا اضرت
بالفرائض والاضرار بالفرائض بنقص بعض اركانها او شرائطها وقد
يفعل الانسان ذلك لتعجبه من الاشتغال بالنافلة او لما يريد ان
يستقبله منها ولا قربة فيما يستلزم ترك الواجب لاستلزامه
المعصية والعقاب ومنافاتهما للقربة ن وقال
لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه ن قال
السيد رحمه الله وهذا من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به
ان العاقل لا يطلق لسانه الا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة
والأحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره
ومماحضة رأيه فكان لسان العاقل تابع لقلبه ن وكان قلب
الاحمق تابع للسانه ن وروي عنه عليه السلام هذا الكلام بلفظ
آخر وهو قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه ن
واقول انه استعار وضع الوراء في الموضع لما يعقل

من تأخّر لفظ العاقل عن رويته ومن تأخّر رويته الأحمق وفكره فيما
يقول عن بوادر مقاله من عدم مراجعته لعقله والمعنى ما أشار إليه السيّد
رحمه الله ٥ وعلى الرواية الأخرى فأراد أنّ ما تصوّره الأحمق فهو
في فيه أي يبرز على لسانه من غير فكر ٥ وأمّا نطق العاقل فمخزون
في عقله لا يخرج إلّا عن روية صادقة ولفظ القلب في الأول مجاز فيما
يبرز من تصوّراته في الحافظة ولفظ اللسان مجاز في ألفاظه الذهنية ٥
وقال لبعض أصحابه في علّة اعتلّها جعل الله ما كان من
شكواك حطًّا لسيّئاتك فإنّ المرض لا أجر فيه ولكنّه يحطّ
السيّئات ويحتّها حتّ الأوراق وإنّما الأجر في القول باللسان
والعمل بالأيدي والأقدام وإنّ الله يدخل بصدق النيّة والسريرة
الصالحة من يشاء من عباده الجنّة ٥ قال السيّد رحمه
الله وأقول صدق صلّى الله عليه وآله أنّ المرض لا أجر فيه لأنّه من قبيل
ما يستحقّ عليه العوض لأنّ العوض يستحقّ على ما كان في مقابلة فعل
الله تعالى بالعبد من الآلام والأمراض وما يجري مجرى ذلك والأجر
والثواب يستحقّان على ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد
بيّنه عليه السلام كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب ٥
أقول دعا عليه السلام لصاحبه بما هو ممكن وهو حطّ
السيّئات بسبب المرض ولم يدع له بالأجر عليه معلّلًا ذلك بقوله
فإنّ المرض لا أجر فيه ٥ والسرّ فيه أنّ الأجر والثواب إنّما يستحقّ بالأفعال
المعدّة له كما أشار إليه بقوله وإنّما الأجر في القول إلى قوله الأقدام
وكنّى بالأقدام عن القيام بالعبادة وكذلك ما يكون كالفعل من عدم ماف

الملكات كالصوم ونحوه على ما بيّنّاه قبل ٥ فأمّا المرض فليس هو بفعل
للعبد ولا عدم فعل من شأنه أن يفعله وأمّا حطّه للسيّئات فباعتبار
أمرين أحدهما أنّ المرض يكسر شهوته وغضبه اللذين هما
مبدأ الذنوب والمعاصي ومادّتها والثاني أنّ من شأن المرض
أن يرجع الإنسان فيه إلى ربّه بالتوبة والندم على المعصية والعزم
على ترك مثلها كما قال تعالى وإذا مسّ الإنسان الضرّ دعانا لجنبه أو
قاعدًا أو قائمًا الآية فما كان من السيّئات حالات غير متمكّنة من
جوهر النفس فإنّه يسرع زوالها منها ٥ وما كان ملكة فربّما يزول
على طول المرض ودوام الإنابة إلى الله تعالى واستعار لزوالها لفظ
الحتّ وشبّهه في قوّة الزوال والمفارقة بحتّ الأوراق ثمّ نبّه عليه
السلام بقوله وإنّ الله إلى آخره على أنّ العبد إذا احتسب المشقّة في
مرضه لله لصدق نيّته مع صلاح سريرته فقد يكون ذلك معدًّا
لإفاضة الأجر والثواب عليه ودخوله الجنّة ويدخل ذلك في إعداد
الملكات المقرونة بنيّة القربة إلى الله وكلام السيّد رحمه الله
مقتضى مذهب المعتزلة ٥ وقال عليه السلام في ذكر
خبّاب بن الأرتّ رحمه الله يرحم الله خبّابًا لقد أسلم راغبًا
وهاجر طائعًا وعاش مجاهدًا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب
وقنع بالكفاف ورضي عن الله ٥ خبّاب بالخاء المعجمة والباء المشدّدة
كان من المهاجرين ومن أصحابه عليه السلام ومات بعد انصرافه من
صفّين بالكوفة وهو أوّل من قبره عليه السلام بها وقد ترحّم له بأوصاف
ثلاثة من أوصاف الصالحين أحدها إسلامه عن رغبة وهو الإسلام

المشفع به الثاني مهاجرته الى رسول الله صلى الله عليه طائعا
وهي الهجرة التامة عن رغبة في الله ورسوله لا المال الثالث كونه عاش
مجاهدا امام الرسول صلى الله عليه وللكفار وامامي وقته
عليه السلم للبغاة والخوارج والناكثين وقوله طوبى لمن
آخره في معرض مدح خباب تشعر بان خبابا كان كذلك وطوبى
فعلى من الطيب وقيل في التفسير هي شجرة في الجنة رغب فيها
في ذكر المعاد والحساب المستلزم للعمل لهما وفضيلة القناعة
والرضا عن الله في قضائه وقدره والقناعة فضيلة تحت العفة
والرضا فضيلة تحت العدل وقال عليه السلم لو
ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو
صببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضي
فانقضى على لسان النبي الامي عليه السلم انه قال لا يحبك الا مؤمن
تقي ولا يبغضك الا منافق شقي **اقول** الخيشوم
اصل الانف والجمات جمع جمة وهو مجتمع الماء من الارض ولما
كان الايمان الحق يوجب الاتحاد وصدق المحبة في الله بين المؤمنين لا
جرم لم يجتمع معها البغض ولما كان النفاق منافيا للايمان كان
منافيا لما يلزمه من المحبة في الله فلا يجتمع معه ولو بذل له جزيل مال
المنافق واستعار لفظ الجمات لمجامع اموال الدنيا لاحظ للمشابهة
المعقولة نعم قد يحصل بسبب ذلك محبة عرضية فانية بفناء مادتها
من بذل المال ونحوه وليس الكلام في ذلك النوع من المحبة وذلك سر
قوله صلى الله عليه لا يبغضك الى آخره واحال عليه السلم ذلك على ما قضى

عليه بمشاركته ورغب فيها بضمير صغراه قوله فانه الى آخره والضمير
في قوله فانه يعود الى ما دل عليه شاركوا من المصدر وتقدير كبراه
وكل ما كان كذلك ففعله مصلحة وقال في قوله تعالى
ان الله يأمر بالعدل والاحسان العدل الانصاف والاحسان
التفضل وهو تعريف لفظ بلفظ اوضح منه عند السائل وقال
من يعطي باليد القصيرة يعط باليد الطويلة وذلك اشارة الى قوله
تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله تعالى ان
تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم واراد بلفظ اليد في
الموضعين النعمة والعطا وكنى بالقصر والطول عن القلة والكثرة
وقال لابنه الحسن عليهما السلم لا تدعون احدا الى المبارزة
وان دعيت اليها فاجب فان الداعي باغ والباغي مصروع ونهى
عن الدعوة الى المبارزة بقياس كامل من الشكل الاول وهو
قوله فان الباغي الى قوله مصروع وبيانه ان الدعا الى المبارزة خروج
عن فضيلة الشجاعة الى طرف الافراط منها وهو التهور وهو
بغي وعدوان لانه خروج عن فضيلة العدل في القوة الغضبية
واما ان الباغي مصروع ففي غالب الاحوال لاستعداده ببغيه
لذلك لان المجازاة واجبة في الطبيعة وقال
خيار خصال النساء شرار خصال الرجال الزهو والجبن والبخل
فاذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها واذا كانت المرأة
بخيلة حفظت مالها ومال بعلها واذا كانت المرأة جبانة
فرقت من كل شيء يعرض لها والاخلاق الثلاثة المذكورة رذائل

الرجال وهي فضائل للنساء وبيان كونها فضائل هو ما ذكره عليه
السلم والمزهوة المتكبر ولا يبنى افعل من الزهو الا للمفعول
به يقال زهي الرجل وزهيت المراه فهي مزهوة والفرق الخوف
وقيل له عليه السلم صف لنا العاقل فقال هو الذي يضع
الشيء مواضعه فقيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت
يعني عليه السلم ان الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه وكان
ترك صفته صفة له اذ كان بخلاف وصف العاقل والعاقل
خاصة من خواصه ولما كان الجاهل عديم ملكة العاقل كان تعريفه
بما يقابل خاصة العاقل تعريفا بالمناسب وهو خاصته ايضا من
خواص الجاهل وقال عليه السلم والله لدنياكم هذه اهون
عندي من عراق خنزير في يد مجذوم والعراق جمع عرق وهو جمع غريب
كتؤام وتوأم وهو العظم ينحت عنه اللحم وذلك مبالغة في هوان
الدنيا وحقارتها في عينه وتنفيره عنها لان العرق لا خير فيه فاذا
تأكد بكونه من خنزير ثم بكونه في يد مجذوم بلغت النفرة منه الغاية
وقال عليه السلم ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة
التجار وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان
قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار قسم عليه السلم
عبادة العابدين بحسب اغراضها الى ثلثة وهي عبادة الرغبة
وعبادة الرهبة وعبادة الشكر وجعل الاولى عبادة
التجار باعتبار انهم يستعيضون عنها ثواب الاخرة ويطلبونه
بها فهم في حكم التجار المكتسبين للارباح والثانية عبادة

العبيد في الدنيا لان حركتهم لسادتهم اكثر ما يكون رهبة والثالثة
عبادة الشاكرين وهم الذين يعبدون الله لله لا لرغبة ولا لرهبة بل
لانه هو مستحق العبادة وهي عبادة العارفين واشار اليها عليه السلم
في موضع اخر فقال الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا طمعا في
ثوابك ولكني وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وقال
المراه شر كلها وشر ما فيها انه لا بد منها واراد ان احوالها كلها
شر على الرجل اما من جهة مؤنتها فظاهر واما من جهة لذتها
واستمتاعه بها فلاستلزام ذلك البعد عن الله تعالى والاشتغال
عن طاعته واسباب الشرور وارتكاب معصيته ولما كان
كونها لا بد منها اعني وجوب الحاجة اليها في طبيعة الوجود
الدنيوي هو السبب في تحمل الرجل للمراه ووقوعه في شرورها
وجب ان يكون ذلك الاعتبار اقوى الشرور المتعلقة بها لان
السبب اقوى من المسبب وقال من اطاع التواني
ضيع الحقوق ومن اطاع الواشي ضيع الصديق الانقياد في
سلك التواني عن الحقوق المطلوبة يخرجها عن وقت الفرصة
لحصولها وذلك يستلزم تضييعها وتفويتها وكذلك الواشي
مظنة السعي بالفساد من المتصادقين وطاعته فيما يقول مظنة
وقوع الوحشة بينهما وتضييع كل منهما لصاحبه وقال
الحجر الغصب في الدار رهن على خرابها استعار لفظ الرهن للحجر
المغصوب في دار الظالم باعتبار كونه سببا لخرابها كما ان الرهن
سبب لاداء ما عليه من المال وهو كناية عن سرعة استلزام الظلم للهلاك

الظالم وخراب ما يبنيه بظلم وان تأخر امده وقد عرفت كون الظلم
معدًّا لذلك وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم اتقوا الحرام
في البنيان فانه اساس الخراب وقال يوم المظلوم على
الظالم اشد من يوم الظالم على المظلوم واراد بيوم المظلوم يوم
القيامة وخصصه به لانه يوم انصافه واخذ حقه وكذلك
خصص يوم الظالم بوقت ظلمه لانه في الدنيا وقال
اتق الله بعض التقى وان قل واجعل بينك وبينه سترًا وان رق امر
بالتقوى لانها الزاد الى الله ولما كان الاستكثار منها مستلزمًا
للقرب من الله وسرعة الوصول اليه كان الاولى كثيرها والا
فالبعض منها وان قل لانها قابلة للاقلية والاكثرية والاشدية
والاضعفية ولا يجوز ترك الزاد بالكلية في الطريق الصعبة الطويلة
واستعار لفظ الستر لحدود الله الساترة من عذابه وامره ان يجعلها
بينه وبين الله اي يحفظ حدوده ولا ينتهكها فيقع في مهاوي الهلاك ولفظ
الستر بشدة المحافظة على حدود الله وعدم استيفاء المباحات
لخوف الوقوع في الحرام باستيفاء الامور الجائزة من المباحات والمكروهات
وقال اذا ازدحم الجواب خفي الصواب اي اذا سأل
سائل عن مسألة فاجاب جماعة كل بما خطر له في المسألة او يحضر
بعده من الاجوبة خفي الصواب فيها لالتباس الحق من تلك الاجوبة
واكثر ما يكون ذلك في المسائل الاجتهادية وازدحامه كثرته
وقال ان لله في كل نعمة حقًّا فمن اداه زاده منها ومن
قصر عنه خاطر بزوال نعمته حق الله في النعمة شكرها الواجب وانما

استلزام اداه للمزيد منها وكون التقصير عنه مظنة زوالها فلقوله تعالى
لئن شكرتم لازيدنكم الآية ورغب في الشكر ونفر عن الكفران
بذكر كون ذلك حقًّا لله وقد مر بيانه مرارًا وقال اذا
كثرت المقدرة قلت الشهوة لان قليل المقدرة على ما يشتهيه لا يزال
مستشعرًا الخوف فواته عند حصوله فيكون ذلك الخوف معاقبًا
للذاته ولا يزال في قلبه دغدغة نفسانية تحمله على مشتهاه وبعث
شهوته عليه اما اذا تمت قدرته عليه فانه يأمن فوته ويحسب ذلك
تضعف الباعث للشهوة ويقل الحاجة عليه وشهوته له
وقال احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود استعار
لفظ النفار والشرود لزوال النعم ملاحظة لشبهها بالنعم
وحذر منه حثًّا على قيدها بالشكر ونبه على وجوب ذلك الحذر
بقوله فما كل الى اخره وهو صغرى ضمير تقديرها الشارد جاز ان
لا يرد وتقدير كبراه وكل ما جاز ان لا يرد لم يجز تنفيره ﻫ
وقال الكرم اعطف من الرحم اي اشد عطفًا ونفعًا
منه احد معنيين الاول ان الكريم بكرمه اعطف على المنعم عليه
من ذي الرحم على ذي رحمه لان عاطفة الكريم طبع وعاطفة ذي
الرحم قد يكون تكلفًا وقد لا يكون اصلًا والثاني ان الكرم
يستلزم عاطفة الخلق على الكريم ومحبتهم له اشد من عاطفة ذي الرحم
على رحمه وقال من ظن بك خيرًا فصدق ظنه اي افعل ما
ظنه فيك من خير وتصديق الظن مطابقة الواقع الذي ظن ووعده
بوقوعه وذلك حث على فعل الخير وقال افضل الاعمال

ما اكرهت نفسك عليه اراد من الاعمال الصالحة وافضلها انفعها واكثرها
استلزاما للثواب وانما كان كذلك لان فايدة الاعمال الصالحة تطويع
النفس الامارة للنفس المطمئنة ورياضتها حتى تصير مؤتمرة للعقل
واكراه النفس على الامر يكون لنفرته فكلما كان اشد كان اقوى في
رياضتها وانفع في تطويعها وكسرها وبحسب ذلك يكون اكثر منفعة
فكان افضل ونحوه من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال
احمزها بالزاء المعجمة اي اشقها وقـــــال عرفت الله بحل
العزائم وفسخ العقود اراد معرفة وجوده تعالى ووجه الاستدلال
ان الانسان قد يعزم على امر ويعقد ضميره على فعله بحسب ما تصوره
من المنفعة الداعية اليه ثم عن قريب يحل ذلك العزم ويفسخ ذلك
العقد لزوال ذلك الداعي او لخاطر معارض له اذا عرفت ذلك
فنقول تلك التغيرات والخواطر المتعاقبة المرجحة لفعل الامر
المعزوم عليه امور ممكنة محتاجة في طرفي وجودها وعدمها الى
المرجح والمؤثر فمرجحها ان كان من العبد كان الكلام فيه كالكلام
الاول ولزم الدور او التسلسل وهما محالان فلا بد من الانتهاء الى الله
تعالى مقلب القلوب والابصار وذلك هو المطلوب وقـــــال
مرارة الدنيا حلاوة الاخرة وحلاوة الدنيا مرارة الاخرة اي مستلزمة لها
واستعار لفظ الحلاوة والمرارة للذة والالم وظاهر ان الام الدنيا
اللازمة عن ترك لذاتها وعدم الالتذاذ بها طلبا للاخرة وشوقا
الى ثوابها مستلزمة لحلاوة الاخرة ولذاتها وكذلك الابتهاج
بلذات الدنيا يستلزم الغفلة عن الاخرة وترك العمل لها وذلك مستلزم

لعذابها ومستعقب لشقاوتها وقـــــال فرض الله الايمان
تطهيرا من الشرك والصلوة تنزيها عن الكبر والزكوة تسبيبا
للرزق والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق والحج تقوية للدين والجهاد
عزا للاسلام والامر بالمعروف مصلحة للعوام والنهي عن المنكر
ردعا للسفهاء وصلة الرحم منماة للعدد والقصاص حقنا للدماء
واقامة الحدود اعظاما للمحارم وترك شرب الخمر تحصينا للعقل
ومجانبة السرقة ايجابا للعفة وترك الزنا تحصينا للنسب وترك
اللواط تكثيرا للنسل والشهادات استظهارا على المجاحدات
وترك الكذب تشريفا للصدق والسلام امانا من المخاوف
والامامة نظاما للامة والطاعة تعظيما للامامة ٥
اشار عليه السلم الى فرائض الله ونبه على عللها الغائية في الحكمة
ليكون ادعى لذكرها في النفوس وذكر منها تسع عشرة فريضة
الاولى بدا بالايمان لانه الاصل لجميع الفرائض والسنن
وجعل من اغراضه التطهير عن الشرك ولما كان التطهير
من الشرك غاية مطلوبة للشارع هي كمال النفس بمعرفة الله تعالى
كان التطهير غاية غرضه من الايمان الثانية الصلوة ولما
كان وضعها لتطويع النفس الامارة التي هي مبدا الكبر للنفس
المطمئنة ورياضتها وقهرها لاجرم كان من غاياتها تنزيه الانسان
عن الكبر الثالثة الزكوة وذكر من غايات فرضها كونها
سببا للرزق اذ كان منها رزق الفقراء والمساكين ومن عينتها
الشريعة له الرابعة الصيام ولما كان من الشدايد الشاقة

على الابدان خصه بان غايته كونه امتثالا من الله لاخلاص خلقه وان كانت
هي غاية من كل العبادات الخامسة الحج وانما جعل غايته كونه
تقوية للدين لانه عبادة يستلزم اجتماع اكثر اهل الملة في مجمع واحد
على غاية من الذلة والخضوع والانقياد لله ومشاهدة كل من الخلق
الحاضرين لذلك الجمع العظيم من الملوك وغيرهم فيتاكد في قلبه
قوة الدين وعظمته دون سائر العبادات السادسة الجهاد
وكون غايته عز الاسلام وقوته ظاهر السابعة الامر بالمعروف
وغايته اصلاح احوال العوام في معاشهم ومعادهم وخص العوام
لانهم اغلب الخلق ولان من عداهم هم العلما والولاة الامرون بالمعروف
والفاعلون له الثامنة النهي عن المنكر وكون غايته ردع السفهاء
ظاهر لان السفيه ما لم يكن له رادع من سلطان الدين يكن سعيه به المضادة
لمصلحة العالم التاسعة صلة الارحام ومن غايتها كونها منماة
للعدد اي عدد اولي الارحام وزيادة عددهم باستقامة امر معاشهم في صلة
الرحم سبب لذلك العاشرة القصاص وغايته حقن الدماء
والكف عن سفكها لخوف المكافاة كقوله تعالى ولكم في القصاص حياة
وقولهم القتل انفى للقتل الحادية عشر اقامة حدود الله وغايتها
اعظام حرمات محارم الله لئلا تنتهك ويخرج الخلق بها عن قصد السبيل
فيضيع غرض الشارع من وضع الدين الثانية عشر ترك شرب الخمر
وغايته تحصين العقل من مخامرته له واشتغاله عما خلق له من طلب الاستكمال
بكمال الحكمة الثالثة عشر مجانبة السرقة وغايتها ايجاب العفة
اذ السرقة منشا عن كمال طاعة الشهوة والعبور فيها الى حد الافراط والفجور

وكان من غاياته تحريمها وقوف من في طباعه ذلك على حد العفة
الرابعة عشر ترك الزنا ومن غاياته حفظ الانساب وما
يتبعها من المواريث فان الزنا موجب لاختلاط الانساب وضياع
الاموال التي هي قوام الخلق في الدنيا وقد سبق سره الخامسة
عشر ترك اللواط وغايته تكثير النسل وتوفير مادته على مجاله
لغاية كثرة النوع وبقائه السادسة عشر الشهادات
وغايتها استظهار المستشهد على مجاحدة خصمه كيلا تضيع حقه
لو لم يكن بينهما اشتباه السابعة عشر ترك الكذب ومن
غاياته تشريف الصدق وتعظيمه بتحريم ضده لبناء مصلحة العالم
عليه ونظام امور الخلق وقد سبق بيان مفاسد الكذب الموجبة
لتحريمه الثامنة عشر الاسلام ومن غاياته الامن من مخاوف
لصولة الاسلام على سائر الاديان ومن مخاوف الاخرة وهو ظاهر
وذوي المسلمين ولما كان سببا للتودد الى الخلق كان امنا من مخاوفهم
التاسعة عشر الامامة وغاية فرضها كونها نظاما لامر الامة
اذ الخلق متى كان لهم رئيس مبسط اليد قوي الشوكة يردع الظالم
عن ظلمه ويأخذ للمظلوم بحقه كان بذلك صلاح احوالهم ونظام
امورهم في معاشهم ومعادهم ولا كذا اذا لم يكن لهم مثل ذلك
الرئيس العشرون طاعة الامام وغاية فرضها تعظيم امامة
الامام لغاية امتثال الخلق لقوله والاقتداء به وقد سبقت
الاشارة الى اسرار كثير من هذه الفرائض مفصلة وقال
عليه السلام احلفوا الظالم اذا اردتم يمينه بانه بريء من حول

لله وقوته فإنه إذا حلف بها كاذباً عوجل وإذا حلف بالله
الذي لا إله إلا هو لم يعاجل لأنه قد وحّد الله سبحانه ف
قد يرى المجتهد تأكيد اليمين بمثل ما ذكره عليه السلام لغاية نكول
الكاذب عنها وأداء الحق وذلك أن النفس الكاذبة تنفعل عن
مثل هذه اللفظة لعلمه بظلمه وتوهمه تصديق الله تعالى
ومطابقته لقوله فيفعل المدعو به بخلاف اليمين المعتادة فيستبعد
بذلك معاجلته بالعقوبة ف وروي أن واشياً سعى بالصادق
عليه السلام إلى المنصور فاستحضره وقال إن فلاناً ذكر عنك
كذا وكذا فقال عليه السلام لم يكن ذلك مني وأبى الساعي إلا كونه
منه فحلّفه الصادق عليه السلام بالبراءة من حول الله ومن قوته
إن كان كاذباً بالحلف فما انقطع كلامه حتى أصيب بالفالج
فصار كقطعة لحم يجرّ برجله ونجا الصادق منه ف وقال
عليه السلام يا ابن آدم كن وصيّ نفسك واعمل في مالك ما تؤثر
أن يعمل فيه من بعدك أي كما ترضى من بعدك أن يوضع مالك
مواضع القربات وانتفاع أهلك به فكن أنت ذلك الوصي
وضعه تلك المواضع في حياتك وهو حثّ على بذل المال في
وجهه ف وقال الحدة ضرب من الجنون لما كان
الجنون حالة مخصوصة تعرض للإنسان بسبب خروج القوى
النفسانية عن قبول تصرف العقل إلى طرفي الإفراط والتفريط
وكانت الحدة خروج قوة الغضب عن ضبط العقل لها على
قانون العدل إلى طرف الإفراط كانت قسماً من الجنون وتفصيل

الحدة بالرجوع في الغضب إلى طاعة العقل ف وقال
صحة الجسد من قلة الحسد أي أن الحسد قد يكون منافياً
بالصحة كما يكون بغيرها فيفعل فيها وذلك هو الحسد البالغ
فكانت صحة الجسد دالة على قلة الحسد إذ لم يتعلق بها
وقال عليه السلام لكميل بن زياد النخعي يا كميل
مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة
من هو نائم فوالذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد
أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً
فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها
عنه كما تطرد غريبة الإبل ف الإدلاج السير بالليل والنائبة
المصيبة وأراد أن إدخال السرور على قلب ذي الحاجة
بقضائها يجعله الله سبباً يلطف به لقاضي الحاجة ويقيه بها
من مصيبة تعرض له ويشبه أن يكون ذلك اللطف هو إخلاص
ذي الحاجة ومعاونته في إمداده ومعونته بدعائه الله له وشكره
وثنائه واستجلاب قلوب الخلق بذلك له وكل ذلك لطف يعده الله
لوقايته له وطرد المصائب عنه وشبه جري ذلك اللطف في
دفع المكروه عنه بجري الماء في انحداره ووجه الشبه سرعة الانحدار
للدفع والحفظ لأنه من أمر الله ف وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر
ولذلك شبه دفع ذلك اللطف للنائبة بطرد غريبة الإبل
ووجه الشبه شدة الطرد والإبعاد وباقي الفصل ظاهر ف
وقال إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة ف الإملاق

الفقر وقد مرّ أن الصدقة تعدّ للمزيد من فضل الله فأمر الفقراء
أن يتصدقوا بما عساه يقع في أيديهم ولو شق تمرة ليستعدّوا بذلك
لإفاضة فضل الله ورغّبهم في ذلك بذكر التجارة وهي استعارة
لاستعاضة ما يحصل عما يبذل والفقراء أولى باستجلاب الرزق
بالصدقة من الأغنياء لانفعال القلوب لهم ورقتها عليهم ولما
يسبق إلى الأذهان الخلو أن ذلك منهم عن إخلاص دون الأغنياء
وقال الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله تعالى والغدر
بأهل الغدر وعلم الوفاء لهم إذا غدروا لقوله تعالى وإما تخافن
من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ٥
قيل نزلت في يهود بني قينقاع وكان بينهم وبين الرسول
صلى الله عليه وسلم عهد فعزموا على نقضه فأخبره الله تعالى بذلك
وأمره بحربهم ومجازاتهم بنقض عهدهم فكان الوفاء لهم غدرا
بعهد الله والغدر بهم إذا غدروا وفاء بعهد الله ٥ **قال**
السيد رحمه الله **فصل** نذكر فيه شيئا من اختيار
غريب كلامه عليه السلم المحتاج إلى التفسير في حديثه عليه السلم
فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه فيجتمعون إليه كما يجتمع
قزع الخريف ٥ قال السيد يعسوب الدين السيد العظيم
المالك لأمور الناس يومئذ والقزع قطع الغيم التي لا ماء فيها
وأقول أومى بقوله ذلك إلى علامات ذكرها في
آخر الزمان لظهور صاحب الأمر واستعار له لفظ اليعسوب وهو
في الأصل أمير النحل ملاحظة لشبهه به فأما ضرب بذنبه فقيل فيه أقوال

أحدها أن الضرب هو السير في الأرض وذنبه استعارة في أعوانه
وأتباعه والباء للاستصحاب الثاني لما كان ضرب النحل
بذنبه لشرّه كنى بذلك عن نصب سيوفه وسهامه في أعدائه لقتلهم
وإذا هم الثالث أنه كناية عن ثورانه وغضبه لدين الله
ملاحظة لشبهه بالسبع حال صولته وغضبه وهذا الوجه
أشبه الثلاثة وشبّه اجتماع المؤمنين وأهل طاعة الله إليه
باجتماع قطع الغيم المتفرقة ووجه الشبه إليه سرعة الاجتماع
لأن قزع الخريف سريع التألف ٥ وفي حديثه عليه السلم
هذا الخطيب الشحشح قال السيد يريد الماهر بالخطبة
الماضي فيها وكل ماض في كلام وسير فهو شحشح والشحشح في
غير هذا الموضع البخيل الممسك ٥ يروى أنه رأى خطيبا يخطب
فقال ما هذا الخطيب الشحشح أي الماهر في خطبته ٥ وفي
حديثه عليه السلم إن للخصومة قحما قال السيد
يريد بالقحم المهالك لأنها تقحم بأصحابها في المهالك والمتالف في الأكثر
ومن ذلك قحمة الأعراب وهو أن تصيبهم السنة فتعرق أموالهم
فذلك تقحّمها فيهم ٥ وقد قيل فيه وجه آخر وهو أنها
تقحمهم بلاد الريف أي تحوجهم إلى دخولهم بلاد الحضر عند محول
البدو ٥ وأقول يروى أنه عليه السلم وكّل أخاه
بخصومة وقال إن لها لقحما وإن الشيطان ليحضرها والقحم المهالك
وذلك أنها مظنة ثوران القوة الغضبية والخروج عن حد العدل
فيها إلى رذيلة الإفراط التي هي مظنة الهلاك وفي حديثه

عليه السلام فإذا بلغ النساء نصّ الحقاق فالعصبة أولى ويروى نصّ
الحقائق ⊙ قال السيد والنصّ منتهى الأشياء ومبلغ
أقصاها كالنصّ في السير لأنه أقصى ما تقدر عليه الدابة ويقول
نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج ما عنده
فنصّ الحقاق يريد به الإدراك لأنه منتهى الصغر والوقت
الذي يخرج منه الصغير إلى حدّ الكبير وهو من أفصح الكنايات
عن هذا الأمر وأغربها يقول فإذا بلغ النساء ذلك فالعصبة أولى
بالمرأة من أمها إذا كانوا محرمًا مثل الإخوة والأعمام وبتزويجها
إن أرادوا ذلك والحقاق محاقّة الأم للعصبة في المرأة وهو
الجدال والخصومة وقول كل واحد للآخر أنا أحقّ منك بهذا ⊙
ويقال منه حاققته حقاقًا مثل جادلته جدالًا وقد قيل
إن نصّ الحقاق بلوغ العقل وهو الإدراك لأنه عليه السلام إنما أراد
منتهى الأمر الذي تجب به الحقوق والأحكام ⊙ ومن رواه نصّ
الحقائق فإنما أراد جمع حقيقة وهذا معنى ما ذكره أبو عبيد القسم
بن سلام ⊙ والذي عندي أنّ المراد بنصّ الحقاق ههنا بلوغ المرأة
إلى الحدّ الذي يجوز فيه تزويجها وتصرّفها في حقوقها تشبيهًا بالحقاق
من الإبل وهي جمع حقّة وحقّ وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل
في الرابعة وعند ذلك يبلغ إلى الحدّ الذي يتمكّن فيه من ركوب ظهره
ونصّه في سيره والحقائق أيضًا جمع حقّة والروايتان جميعًا ترجعان
إلى معنى واحد وهذا أشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور أولًا ⊙
وأقول الذي ذكره السيّد أنسب إلى كلام العرب

كما قال غيره أنّ نصّ الحقاق استعارة لا تسمية وإن كانت الاستعارة تعتمد
التسمية ⊙ والعصبة هو الرجل وقرابته لأبيه سُمّوا بذلك لأنهم عصبوا
به وعلقوا عليه ⊙ وقد يحتمل أن يراد بالنصّ الارتفاع
يقال نصّت الظبية رأسها إذا رفعته ومنه منصّة العروس
لارتفاعها عليها ويكون قد استعار لفظ الحقاق لأثداء الصغيرة
إذا نهدت وارتفعت لتشبيهها بالحقّة صورة أي إذا بلغن حدّ
ارتفاع أثدائهنّ كانت العصبة أولى بهنّ من الأمّ لأنه وقت
إدراكهنّ وعلامة صلاحيتهنّ للزوج ⊙ وفي حديثه أنّ الإيمان
يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة ⊙
قال السيد اللمظة مثل النكتة أو نحوها من البياض ومنه
قيل فرس ألمظ إذا كان بجحفلته شيء من البياض ⊙ وأقول
أراد أنّ الإيمان وهو التصديق بوجود الصانع تعالى أول ما يكون في
النفس حالة ثم لا يزال يتأكّد بالبراهين والأعمال الصالحة حتى
يصير ملكة تامّة ولفظ اللمظة استعارة لما يبدو من نور الإيمان
في النفس أوّل كونه ملاحظة لتشبيهه باللمظة من البياض والنكتة
من نور الشمس ونصب لمظة على التمييز والحال ⊙ وقال
في حديثه عليه السلام أنّ الرجل إذا كان له الدين الظنون
يجب عليه أن يزكّيه لما مضى إذا قبضه ⊙ قال السيّد
والظنون هو الذي لا يعلم صاحبه أيقبضه من الذي هو عليه أم لا
فكأن الذي يظنّ به تارة يرجوه وتارة لا يرجوه وهذا من أفصح الكلام
وكذلك كل أمر تطلبه ولا تدري على أيّ شيء أنت منه فهو ظنون

وعلى ذلك قول الأعشى ۞

ما يجعل الجُدُّ الظنون الذي جُنِّبَ صوبَ اللَّجِبِ الماطرِ
مثلَ الفراتيِّ إذا ما طما يقذف بالبُوصيِّ والماهرِ

فالجُدُّ البئر والظنون التي لا يُعلم أفيها ماء أم لا ۞ قيل يقول عليه السلام إذا كان لك مثلاً عشرون دينارًا دينًا على رجل وقد أخذها منك ووضعها كما هي من غير تصرّف فيها وأنت تظنّ أن استرددتها منه ردّها إليك فإذا مضى عليها أحد عشر شهرًا واستهلّ هلال الثاني عشر وجبت زكاتها عليك ۞ واللَّجِبُ في قول الأعشى هو السحاب المصوّت ذو الرعد ۞ وأراد بالفراتيّ الفرات والياء للتأكيد كقولهم ۞ والدهر بالإنسان دوّاريّ أي دوّار ۞ ويحتمل أن يريد النهر الفراتيّ ۞ والبوصيّ ضرب من صغار السفن ۞ والماهر السابح ومراده أنّه لا تقاس البئر التي يُشَكّ هل فيها ماء أم لا كبعده بالفرات إذا ما طما وهو كالمثل للعديم مساواته البخيل للكريم ۞ وفي حديثه عليه السلام أنّه شيّع جيشًا يغزوه فقال اعذبوا عن النساء ما استطعتم قال السيّد ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب بهنّ وامتنعوا من المقاربة لهنّ لأنّ ذلك يفتّ في عضد الحميّة ويقدح في معاقد العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت عن الإبعاد في الغزو وكلّ من امتنع عن شيء فقد اعذب عنه والعاذب والعذوب الممتنع من الأكل والشرب ۞ قوله يفتّ في عضد الحميّة كناية عن كسرها ۞ وفي حديثه عليه السلام كالياسر الفالج ينتظر أول

فوزة من قداحه ۞ قال السيّد الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور ۞ والفالج القاهر الغالب يقال فلج عليهم وفلجهم قال الراجز ۞ لما رأيت فالجا ۞ أقول قد مرّ شرحه في قوله أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر ۞ وفي حديثه عليه السلام كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد منّا أقرب إلى العدوّ منه ۞ قال السيّد ومعنى ذلك أنّه إذا عظم الخوف من العدوّ واشتدّ عضاض الحرب فزع المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فينزل الله تعالى النصر عليهم به ويأمنون ما كانوا يخافونه بمكانه ۞ وقوله عليه السلام إذا احمرّ البأس كناية عن اشتداد الأمر وقد قيل في ذلك أقوال أحسنها أنّه شبّه حمي الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ويقوّي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد رأى مجتلد الناس يوم حنين وهو حرب هوازن الآن حمي الوطيس ۞ والوطيس مستوقد النار فشبّه صلى الله عليه وسلم ما استحرّ من جلاد القوم باحتدام النار وشدّة التهابها ۞ **وأقول** استعار وصف احمرار البأس لشدّته ملاحظة لتشبيهه بالنار الموقدة وقد مرّ مثل ذلك في كتبه عليه السلام ۞ وقال عليه السلام لما بلغه إغارة أصحاب معوية على الأنبار فخرج بنفسه ماشيًا حتى أتى النخيلة فأدركه الناس وقالوا يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم فقال عليه السلام والله ما تكفونني أنفسكم فكيف تكفونني غيركم

ان كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها فانني اليوم لأشكو
حيف رعيتي كاني المقود وهم القادة او الموزوع وهم
الوزعة فلما قال هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره
في جملة الخطب ن تقدم اليه رجلان من اصحابه فقال احدهما اني
لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك يا امير المومنين ننقد له فقال
واين تقعان مما اريد **اقول** هذا الفصل قد مر
مشروحا في الخطب ن وقيل ان الحرث بن حوط اتاه
عليه السلام فقال اتراني اظن اصحاب الجمل كانوا على ضلالة ن
فقال عليه السلام يا حار انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت
انك لم تعرف الحق فتعرف اهله ولم تعرف الباطل فتعرف اهله
وفي نسخة فتعرف من اتاه فقال الحرث فاني اعتزل مع سعد
بن مالك وعبد الله بن عمر فقال عليه السلام ان سعدا وعبد الله
لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل **وقوله** اتراني
استفهام انكار لرويته كذلك ورخم حارث ن وقيل
في قوله انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك اي نظرت في اعمال الناكثين
من اصحاب الجمل المتمسكين بظاهر الاسلام الذين هم دونك في
المرتبة لبغيهم على امام الحق فاغتررت بشبهتهم واقتديت
بهم ولم تنظر الى من هو فوقك وهو امامك الواجب الطاعة ومن
معه من المهاجرين والانصار ولا سمعت حكمهم بكون خصومهم
على الباطل وكان ذلك سبب حيرتك ن ويحتمل ان
يكون نظره تحته كناية عن نظره الى الباطل هولاء وشبهتهم المكتسبة

عن محبة الدنيا التي هي الجنبة السافلة ونظره فوقه كناية عن نظره الى
الحق وتلقيه من الله **وقوله** انك الى اخره تفصيل
لسبب حيرته وهو عدم معرفته للحق والباطل المستلزم لجهله
باهلهما ولو عرفهما لجزم باتباع الحق واجتناب الباطل وهو صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك وقع في الحيرة والضلال
وسعد بن مالك هو سعد بن ابي وقاص فانه لما قتل عثمان اشترى
اغناما وانتقل الى البادية وكان يتعيش بتلك الاغنام حتى مات
ولم يشهد بيعة علي عليه السلام واما عبد الله بن عمر فالتجى الى
اخته حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بايع لامير المومنين
ولكنه لم يشهد معه حرب الجمل وقال قد عجزني العبادة
عن الفروسية والمحاربة فلست مع علي ولا مع اعدائه ن واما قوله
وجوابه ان سعدا الى اخره فهو صغرى ضمير نبه فيه على انه لا يجوز له
متابعتهما في الاعتزال وهي من المخيلات المنفرة في صورة الذم وان
كانت صادقة وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز متابعته
وقال صاحب السلطان كراكب الاسد يغبط بموقعه
وهو اعلم بموضعه ن اي يتمنى موقعه وهو يعلم انه في غاية من المخاطرة
بالنفس والغرر بها وذلك هو وجه التشبيه براكب الاسد ن
وقال احسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم العقب
من خلف الانسان من الولد واولادهم وانما كان ذلك لان المجازاة
واجبة في الطبيعة ولان الذكر الجميل من ذلك يبعث الناس على عقب
المحسن من بعده ن وقال عليه السلام ان كلام الحكماء

اذا كان صوابا كان دوا واذا كان خطا كان دا وذلك لقوة
اعتقاد الخلق فيهم وشدة قبولهم لما يقولونه وان كان جهلا كان
دوا من الجهل وان كان باطلا اوجب للخلق دا الجهل ولذلك
قيل زلة العالم زلة العالم وسأله رجل ان يعرفه ما الايمان
فقال اذا كان غد فأتني حتى اخبرك على اسماع الناس فان نسيت
مقالتي حفظها عليك غيرك فان الكلام كالشاردة يثقفها هذا
ويخطئها هذا وقد ذكرنا ما اجابه عليه السلم فيما تقدم من هذا
الباب **وقوله** عليه السلم الايمان على اربع شعب
وجه تشبيه الكلام بالشاردة من الابل قوله يثقفها اي يجدها
في ضلالها الى اخره والقصد ظاهر ن وقال يا ابن ادم
لا تحمل هم يومك الذي لم يأتك على الذي قد اتاك فانه ان يكن من
عمرك يأت الله فيه برزقك اي ينبغي ان يكون الاهتمام لحاجة
كل يوم مخصوصا بذلك اليوم والكلمة صغرى ضمير نبه به على
ترك الاهتمام بما لم يأته من الايام وتقدير الكبرى وكل ما كان
كذلك فلا ينبغي الاهتمام له ن وقال احبب حبيبك
هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى
ان يكون حبيبك يوما ما ن فائدة هذه الكلمة الامر بالاعتدال في
المحبة والبغض وعدم الافراط فيهما لما في الافراط من المفسدة ن
والهون السكينة والوقار وهو صفة مصدر محذوف اي حبا
هينا معتدلا وما في الموضعين يفيد شياعا في الهون واليوم وان
للغرض مقدار دون الافراط ووقت من الاوقات وان لم يكن معينا

ونبه على سر ذلك بقوله عسى اه في الموضعين وهما صغريا ضمير
اما مفسدة افراط المحبة فلاستلزامه اطلاع المحب لمحبوبه على
اسراره وتوقيفه على جميع احواله فربما انقلب بعد ذلك عدوا
له فكان اقدر على هلاكه من غيره من الاعدا وكذلك مفسدة
افراط البغض وهو عدم الابقا على المبغوض وذلك يستلزم دوام
المعاداة والاعتدال في ذلك اولى لانه ربما عاد العدو في
الصداقة فكان البغض قد ابقى للصداقة موضعا ن وتقدير
كبرى الاولى وكل حبيب جاز ان يكون عدوا في وقت ما فينبغي
ان لا يفرط في محبته ن وتقدير كبرى الثاني وكل عدو جاز
ان يكون صديقا يوما ما فينبغي ان لا يفرط في بغضه ن
وقال الناس في الدنيا عاملان عامل في الدنيا للدنيا
قد شغلته دنياه عن اخرته يخشى على من يخلف الفقر ويأمنه على نفسه
فيفني عمره في منفعة غيره ن وعامل عمل في الدنيا لما
بعدها فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل فاحرز الحظين معا وملك
الدارين جميعا فاصبح وجيها عند الله لا يسأل الله شيئا فيمنعه
لما كان العمل لا بد منه ويعمل العاقل فيها اما لها او لغيرها
وغيرها هو الاخرة فاذن الناس عاملين واشار الى الاول في
معرض ذمه بقوله قد شغلته دنياه الى قوله غيره ومعنى
ذلك انه يشتغل بتحصيل الدنيا ويخشى الفقر على ولده من بعده
فيفني عمره في منفعة يحتملها الغيره ولا يخشى الفقر الاكبر
في الاخرة من الخيرات الباقية على نفسه وذلك ضلال مبين واشار

الى الثاني في معرض مدحه بقوله وعامل الى قوله فجاءه
الذي له من الدنيا اي المكتوب له في اللوح المحفوظ من رزق
وجاه ن وقوله بغير عمل اي الدنيا لان العمل بقدر الضرورة
من الدنيا ليس من العمل لها بل للآخرة وهو مقصود من الدنيا
بالعرض فبذلك يحوز حظيه من الدنيا والآخرة ويكون في الدنيا
ملكا لقناعته وفي الآخرة بثمرة اعماله ووجاهته عند الله وعلو
منزلته في استعداده بطاعته مستلزم لقبول دعوته واجابته
فيما سال ن وروي انه ذكر عند عمر بن الخطاب في ايامه حلي
الكعبة وكثرته فقال قوم لو اخذته فجهزت به جيوش المسلمين
كان اعظم للاجر وما تصنع الكعبة بالحلي فهم عمر بذلك وسال
عنه امير المومنين عليه السلم فقال ان القران انزل على
النبي صلى الله عليه والاموال اربعة اموال المسلمين فقسمها
بين الورثة في الفرائض ن والفيء فقسمه على مستحقيه والخمس فوضعه
الله حيث وضعه ن والصدقات فجعلها حيث جعلها وكان
حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حاله ولم يتركه نسيانا
ولم يخف عليه مكانا فاقره حيث اقره الله ورسوله فقال عمر
لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله ن القضية مشهورة
وخلاصة حجته عليه السلم مشيرا الى صغراه وتقديرها ان
حلي الكعبة قد اقره الله على حاله ورسوله من غير نسيان له ولا جهل
بمكانه مع تعرضه لجميع الاموال ن وتقدير الكبرى وكل ما
اقره الله ورسوله على حاله وجب الاقتداء بهما في اقراره ولذلك

امره بصورة النتيجة وهو قوله فاقره حيث اقره الله ورسوله ونسيانا
نصب على الحال ومكانا على التمييز ن وروي انه عليه السلم رفع اليه
رجلان سرقا من مال الله احدهما عبد من مال الله والاخر من عروض
الناس فقال عليه السلم اما هذا فهو مال الله ولا حد عليه مال الله
اكل بعضه بعضا واما الاخر فعليه الحد فقطع يده ن عروض الناس
سائرهم وعامتهم فاحتج للعبد بصغرى قوله فهو مال الله اكل
بعضه بعضا وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا قطع عليه ن واما
المقطوع فانه كان سرق نصابا من مال الغنيمة من حرز ولم يكن له
نصيب فيها واما ان كان له نصيب فان كان المسروق فوق نصيبه
نصابا قطع والا فلا ن وقال عليه السلم لو استوت قدماي
في هذه المداحض لغيرت اشياء ن المداحض المزالق واستواء قدميه
كناية عن ثباته وتمكنه من اجراء الاحكام الشرعية على وجوهها
في المسائل الاجتهادية المشكلة التي يخفى حكم الشرع فيها على غيره
وذلك انه في خلافته لم يتمكن من تغيير شيء من احكام من قبله وكان
له في بعضها راي غير ما راوه واستعار لتلك المسائل لفظ المداحض
باعتبار انها مزالق اقدام العقول ومزالها واومى بقوله لغيرت اشياء
الى ما كان يرى فساده من احكام غيره في تلك المسائل وان اقدام عقولهم
قد زلقت فيها عن سواء الصراط ن وقال عليه السلم
اعلموا علما يقينا ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته واشتدت
طلبته وقويت مكيدته اكثر مما سمي له في الذكر الحكيم ولم يحل
بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين ان يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم

والعارف هذا العالم به اعظم الناس راحة في منفعته والتارك له
الشاك فيه اعظم الناس شغلا في مضرته ورُبّ منعم عليه مستدرج
بالنعم ورُبّ مُبتلى مصنوع له بالبلوى فهذا بيانا لمستمع في
شكل وقصّر من عجلته ووقف عند منتهى بذلك وفي هذا الفصل
لطائف ن الاولى لما قام البرهان على ان ما علم الله
تعالى وجوده فهو واجب الوقوع وما علم عدمه فهو ممتنع الوقوع
لا جرم لم يكن لكل من القوي والضعيف من الرزق ونحوه الا ما
علم الله تعالى وصوله اليه وكتبه بقلم القضاء الازلي في الذكر
الحكيم واللوح المحفوظ ولو بلغ عظيم الحيلة قوي المكيدة بحيلته
اكثر مما سمي له ولا قصّر الضعيف بضعفه عن بلوغ ما سمي له ولاجل
ثبوت ذلك بالبرهان امرهم بتيقّنه ورغّبهم في علمه والعمل به
بضمير صغراه قوله والعارف الى قوله في منفعته ن اما راحته
فلعلمه ان ما كتب له لا بد ان يصل اليه فيترك لاجل ذلك شدة الاهتمام
به والكدح له ن ولما كانت راحته قلبيّة وبدنيّة كانت اعظم
الراحات ولما كانت مع منفعته بما يصل اليه تاكد شرفها
ولذلك نفّر عن الشك في ذلك وترك العمل به بقوله والتارك
لهذا الشاك فيه الى اخره وهو ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك
فلا ينبغي له الشك فيه وتركه وانما كان اعظم الناس شغلا
لانه يشغل قلبه وبدنه فيما لا فائدة فيه فيلزمه مضرة حاصله ن
فان قلت فهذا ينافي الامر بالدعا وبالسعي في طلب الرزق
كقوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ونحوه ن

قلت قد بيّنّا انه لا ينافي في ذكرنا سر الدعا وفائدته حاصله
انه قد يكون الدعا سببا لوجود الرزق ويعلم الله تعالى وجوده بواسطة
سببه ولا تنافي بينهما ن الثانية نبّه اهل النعمة والغنى
واهل الابتلاء على وجوب شكر الله تعالى على حاليهما اما اهل
النعمة فنبّههم بان نعمتهم قد يكون استدراجا لهم ليشكروا الله عليها
كيلا تستدرجهم بها واما اهل البلوى فنبّههم بان بلواهم قد
يكون صنعا من الله في حقهم ليعدّهم بها لثوابه الجزيل فيجب عليهم شكر ذلك
الصنع والمقدمتان صغريا ضمير تقدير الاولى منهما بعض المنعم عليه مستدرج
بالنعم وتقدير الكبرى وكل مستدرج بالنعم يجب عليه ان يحذر ويشكر
نعمة الله عليه من الاستدراج بها وكذلك تقدير الثانية وبعض المبتلى
مصنوع له بالبلوى وتقدير الكبرى وكل مصنوع اليه فيجب عليه شكر
صنع الله في حقه ولذلك امر المستمعين مطلقا بزيادة الشكر مع
ان فيهم المنعم عليه والمبتلى ثم امر بالقصر عن العجلة في طلب الرزق
والوقوف دون حدّ الافراط فيه على حدّ العدل ن وقال
لا تجعلوا علمكم جهلا ويقينكم شكا اذا علمتم فاعملوا واذا
تيقنتم فاقدموا نهاهم ان يجعلوا علمهم بما اهمّ عليه من احوال الاخرة
جهلا اي في قوة الجهل ويقينهم شكا اي في قوة الشك وبين لميه
لتركهما العمل على وفق ما علموه وتيقنوه ولذلك امرهم بالعمل على وفق
علمهم والاقدام عليه على وفق يقينهم ن وقال
ان الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفيّ وربما شرق شارب
الماء قبل ريّه وكلما عظم قدر الشي المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده

والاماني تعمي اعين البصائر والحظ يأتي من لا ياتيه نفر عن الطمع في الدنيا
والحرص في طلبها وتمنيها واقتنائها بوجوه ٭ الاول تصغير
صغراه قوله ان الطمع الى قوله وثيق اي مورد الطامع الموارد المهلكة
ولا يصدره عنها واستعار له لفظ الضامن غير الوفي باعتبار انه
يرغب في الطلب ويدعوا اليه مع انه قد يكون كاذبا كمن يضمن شيئا
ويخلف فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا ينبغي ان يتبع ويوثق به
الثاني قوله وربما الى قوله ريه هو تنبيه على انه لا يجوز
الاسترسال في طلب الدنيا بضمير كني عن صغراه بذلك وتقديرها
ان المسترسل في طلبها قد يحرم ويقطع دون بلوغ امله فيها وتقدير
الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي له الاسترسال في طلبها
الثالث نفر عن المنافسة فيما عظم قدره من متاعها بضمير
صغراه قوله وكلما الى قوله لفقده والرزية المصيبة وتقدير الكبرى وكل
ما عظمت الرزية لفقده فلا ينبغي اقتناؤه اذا كان من ضرورته فقده وفناؤه
الرابع نفر عن الاماني بضمير صغراه قوله والاماني تعمي اعين البصائر
وذلك انها تشغل الفكر بما لا يغني عن طلب ما يغني من الكمالات العقلية
واستعار لفظ الاعين للافكار باعتبار ادراكهما وتقدير الكبرى
وكل ما كان كذلك وجب اجتنابه ٭ الخامس نبه على ترك
طلب الحظ من الدنيا بقوله والحظ ياتي من لا ياتيه اي الحظ لمن كان له
حظ يصل اليه وان لم يسع في طلبه وهو في قوة صغرى ضمير وتقدير كبراه وكل
ما كان كذلك فلا حاجة الى طلبه واتيانه ٭ وقال
عليه السلام اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما

ابطن لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي بجميع ما انت مطلع
عليه مني فابدي للناس حسن ظاهري وافضي اليك بسوء عملي تقربا الى
عبادك وتباعدا من مرضاتك ٭ واستعاذ بالله ان يحسن له حسن الظاهر
في عيون الناس مع قبح باطنه عند الله بالرياء والتصنع بالزهادة والعبادة
الظاهرة لغاية طلب الدنيا ولامعة العيون اضافة للصفة الى الموصوف
اي العيون اللامعة ومحافظا حال وتقربا وتباعدا مصدران سدا
مسد الحال ويحتمل نصبهما على المفعول له ٭ وقال
عليه السلام والذي امسينا منه في غبر ليلة دهماء تكشر عن يوم اغر ما كان
كذا وكذا ٭ فغبر الليل بقاياه والدهماء السوداء والمكشر المبتسم بحيث
تبدو الاسنان ٭ والاغر الواضح ولفظ المكشر مستعار لليلة باعتبار
اسفارها عن ضوء يومها فهي كالضاحكة والمثل في غاية الفصاحة وغ
مثلها يفعل الحالف والساجع ٭ قال قليل مدوم عليه
ارجى من كثير مملول واراد من الافعال فان القليل الدائم اكثر من الكثير
المملول المنقطع واقوى اعداد للنفس وكان انفع في الاخرة
وقال اذا اضرت النوافل بالفرائض فارفضوها اي اذا
اخلت ببعض شرائط الفرائض وجب تركها وقد مر ذلك مشروحا
وقال من تذكر بعد السفر استعد واراد ان المتذكر
لبعد طريق الاخرة يلزمه الاستعداد لها بالتقوى ٭ وقال
ليس الروية مع الابصار وقد تكذب العيون اهلها ولا يغش العقل
من استنصحه هذا تنبيه على وجوب اعمال الفكر فيما ينبغي وان العقل
هو مستند الحواس وهو الناقد البصير والناصح الشفيق الذي لا يغش

من استنصحه واستعار لفظ الاستنصاح لمراجعته واعماله بصدق وتوجيهه
الى استخراج الآراء الصالحة ولفظ الغش لكذبه اى لا يكذب من استنصحه
وجعله رائداً له . واما الحكم بعض المحسوسات على بعض فحكم العقل
بواسطة الخيال والوهم ولما عرض في تلك الاحكام من الغلط فهو من
اغلاط الوهم على ما مرّ في موضعه وحينئذ يكون قوله وقد يكذب
العيون اهلها اى قد تكذب الاحكام الوهمية على مدركات العيون
كالحكم بكون القطرة النازلة خطاً مستقيماً والشعلة التى تدار
بسرعة كالدائرة ونحوه . وقال بينكم وبين الموعظة حجاب
من الغرة استعار لفظ الحجاب لما يعرض للنفوس من الهيئات البدنية
المغفلة عن النظر في العبر وقبول الموعظة والاستماع لها
وقال جاهلكم مزداد اى من الاثم مسوّف اى بالتوبة
وقال قطع العلم عذر المتعللين اى العلم بالدين وما بلغه الرسول
صلى الله عليه من البشارة والنذارة فان ذلك قاطع لعذر من عساه
يقول انا كنا عن هذا غافلين كما قال تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين
الآية . وقال كل معاجل يسال الانظار وكل موجل
يتعلل بالتسويف وهو توبيخ على ترك العمل الصالح للمعاجل والموجل
وقال ما قال الناس لشيء طوبى له الا وقد خبا له الدهر يوم سوء اى
ما استحسن الناس شيئاً من الدنيا الا وفي قوة الدهر اعداد لفساده وهلاكه
يوماً ما ولا بد من خروج ما فيه بالقوة الى الفعل . وقال
وقد سئل عن القدر طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق فلا تلجوه وسر الله
فلا تتكلفوه **اقول** السؤال عن ماهية القدر وكيفيته

ووقوع الافعال بحسبه وهذه المسألة من مسائل العلم الالهى وفيها خبط
عظيم بين الحكماء والمتكلمين وقد نبّهنا على ما هو الحق فيها فيما سبق
ولصعوبتها كان الخوض فيها مظنة الضلال والتيه في بحر لا ساحل له
فلذلك نفّر عليه السلام عن الخوض فيها بضمائر ثلاثة احدها انها
طريق مظلم وتقدير الكبرى وكل طريق مظلم فلا يجوز سلوكه ونتيجته
قوله لا تسلكوه واستعار لفظ المظلم له باعتبار كونه كثير الشبهات
والشكوك لا يهتدى فيه للحق . الثاني انه بحر عميق واستعار لفظ
البحر بصفة العمق له باعتبار عمق الافكار فيه وتقدير كبراه وكل بحر عميق
فلا يجوز ولوجه ونتيجته قوله فلا تلجوه . الثالث انه سر الله
قد احتجب كنهه ومنع من الخوض فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا يجوز
تكلف الخوض فيه وهتكه وفي معناه كل غامض من غوامض العلم لا يجوز
كشفه الا للاولياء وافراد العلماء فهو من اسرار الله . وقال
عليه السلام اذا ارذل الله عبداً حظر عليه العلم وحصر العلم باعداده
لغيره ويقول لشقاوته بحيث يصرف عنه فلا يكون له استعداده وظاهر
ان الجهل من اشد الرذائل واصعبها داءً وهو طرف التفريط من فضيلة العلم
والادب كما سبق الاشارة اليه غير مرة . وقال عليه السلام
كان لي فيما مضى اخ في الله وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه وكان
خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان اكثر
دهره صامتاً فان قال بذّ القائلين ونقع غليل السائلين وكان ضعيفاً مستضعفاً
فان جاء الجد فهو ليث عاد وصل واد لا يدلى بحجة حتى ياتى قاضياً وكان لا
يلوم احداً على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره وكان لا يشكو وجعاً الا

عند بُرئه وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل وكان ان غلب على الكلام
لم يغلب على السكوت وكان ان يسمع احرص منه على ان يتكلم وكان اذا
بدهه امران نظر الى ايهما اقرب الى الهوى فخالفه فعليكم بهذه الخلايق
فالزموها وتنافسوا فيها فان لم تستطيعوا فاعلموا ان اخذ القليل خير من ترك
الكثير **اقول** ذكر هذا الفصل ابن المقفع في ادبه ونسبه
الى الحسن بن علي عليهما السلام وبذعلب ونقع الغليل سكن العطش وادلى
بحجته ارسلها واحتج بها وبدهه الامر اتاه من غير تأهب له والمشار اليه قيل
هو ابو ذر الغفاري وقيل هو عثمان بن مظعون وقد وصفه باثنى عشرة
فضيلة احداها انه كان يستصغر الدنيا وينظر اليها بعين الاحتقار
وظاهر ان ذلك يستلزم عظمه في عيون اهل الله الثانيه انه خارجا
عن سلطان بطنه وهو كنايه عن خروجه من اسر شهوته وخلاصه من
رذيله الفجور الى فضيله العفه وكف شهوته عما لا يجد يستلزم عدم رذيله
الحرص والحسد ونحوهما وعدم الاكثار مما يجد يستلزم نزاهته عن رذيله
الشره والنهم ونحوهما الثالثه فضيله العدل في الكلام
والسكوت اى انه ينطق بالحكمه في موضعها واما غلبه السكوت عليه فلقوة
عقله كما قال على السلام فيما قيل اذا تم العقل نقص الكلام الرابعه
انه كان ضعيفا مستضعفا اى فقيرا منظورا اليه بعين الذله والفقر وذلك
من لوازم فضيله التواضع الخامسه فضيله الشجاعه عند الجد
في الحرب والغضب لله وكنى عن ذلك بقوله فاذا جا الجد الى قوله واد واستعار
له لفظ الليث باعتبار سطوته وعدوته ولفظ الصل باعتبار بأسه ونكايته
في العدو والمثل يضرب بحيه الوادي في الشجاعه ونكايته السم السادسه

انه لا يدلي بحجته حتى يجد قاضيا وهو من فضيله العدل في وضع الاشياء
مواضعها السابعه كونه لا يلوم احدا على امر يحتمل العذر الا بعد
سماع الاعذار فان كان هناك عذر قبله وذلك من لوازم العدل
والانصاف وفضيله الثبات واحتمال المكروه الثامنه كونه
لا يشكو ما نزل به من الامراض لتسليمه لاحكام الله ورضاه بها بل
لعله يحكيها بعد برئه على سبيل الاخبار دون الشكايه او انه كان يكتم
مرضه كيلا يكلف الناس زيارته ويشق عليهم ذلك التاسعه
ان يطابق بفعله قوله ويحترز عن الكذب والخلف العاشره كان
في ترك المماراه والمجادله والمغالبه في الاقوال ويعدل الى السكوت اذا غولب
في القول وذلك من فضيله الحكمه لعلمه بمواقع السكوت والكلام ومن
فضيله الحلم لقهر قوته الغضبيه في المغالبه الحاديه عشر وكان
احرص على الاستماع منه على الكلام ترجيحا لجانب الاستفاده على الافاده
والاول اهم من الثاني وذلك من فضيله الحكمه الثانيه عشر
وكان اذا خطر بباله امران دفعه من غير سابقه فكر في ايهما اصلح مثلا
كالتزوج وعدمه فكر في ايهما اقرب الى الهوى وميل الشهوه كالتزوج فخالفه
الى تركه ولما كان غرض الفصل ان يقتدى الساميعون بالفضايل المذكوره امرهم
عليه السلام بلزومها والتنافس فيها او في بعضها ان لم يمكن الكل فرغب في
ذلك بقوله واعلموا الى اخره وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان خيرا
فينبغي لزومه والتنافس فيه **وقال** لو لم يتوعد الله على معصيته
لكان يجب ان لا يعصى شكرا لنعمته لما كان شكر النعمه بالاقوال والافعال
المطابقه لها واجبا عقلا وجب ترك المعصيه التي هو لازم الطاعه الواجبه

لان لازم الواجب واجب ومقتضى الكلمة انه لو لم يتوعد الله على
معصيته لكان يجب تركها شكرا له اى لاجل شكره ملزوم وقد توعد مع
ذلك عليها فاذا اولى ان يجب تركها ن وقال وقد عزى
الاشعث بن قيس على ابن له يا اشعث ان تحزن على ابنك فقد استحقت
ذلك منك الرحم وان تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف يا اشعث
ان صبرت جرى عليك القدر وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القدر
وانت مأزور سرك وهو بلاء وفتنة وحزنك وهو ثواب ورحمة
استدرجه عليه السلام اولا بتحسين الحزن وانه في موضعه باعتبار
ان الرحم مستحق من ذى رحمه ذلك ثم عقبه بما نبه على قبح الجزع
والحزن وان الصبر به اولى وذلك من وجوه احدها قوله وان
تصبر الى قوله خلف وهى متصلة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان في
الله خلف عنه فالصبر عنه اولى والنتيجة ان الصبر على مصيبتك فالصبر عليها
اولى الثاني قوله ان صبرت الى قوله وانت مأجور اى على صبرك
وهي صغرى ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو مأجور
على صبره فالصبر به اولى الثالث تنفيره عن الجزع بقوله وان جزعت
الى قوله مأزور اى على جزعه واصله موزور وهمز لمناسبة القرينة الاولى
وهو ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو مأزور على جزعه
[illegible] الرابع قوله سرك وهو بلاء وفتنة وهو تنفير عن افراط
السرور به ووجه كونه بلاء ان الافراط في محبته يستلزم رذائل خلقية
كالجبن عما ينبغي من الجهاد خوف مفارقته وكالبخل خوف فقره ونظرا له
في عاقبته وكالحزن في امراضه واعراضه كما قال صلى الله عليه الولد مجبنة

مجبنة مبخلة ولذلك بغضه يستلزم رذيلة العقوق وقطع الرحم
وصرف المال عنه في غير وجهه فالحرى ان يبتلى(?) الله الوالد بولده
ويطلب منه الوقوف على حد العدل في حقه والواو في قوله وهو
للحال وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغي ان لا
يأسف على ما فات من السرور به الخامسة قوله وحزنك
الى اخره تنفير عن الحزن عليه بما يلزم تركه والصبر على المصيبة
به من ثواب الله ورحمته وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما حزن وهو
ثواب ورحمة فينبغي ان يصبر عن الحزن عليه ن وقال
عليه السلام على قبر رسول الله صلى الله عليه ساعة دفن ان الصبر
لجميل الا عنك وان الجزع لقبيح الا عليك وان المصاب بك لجليل
وانه قبلك وبعدك لجلل الجلل الامر الهين والامر العظيم وهو من
الاضداد وانما كان الصبر غير جميل في المصيبة به صلى الله عليه
والجزع عليه غير قبيح لانه صلى الله عليه وسلم اصل الدين والعروة
فيه فالجزع في المصيبة به يستلزم دوام تذكره المستلزم لدوام ذكر
اخلاقه وسيرته وسنته فكان غير قبيح من هذا الوجه او لان
المصيبة به مصيبة عظيمة وهو اعظم فائت فيستحسن الجزع عليه
واما الصبر فانه يؤول الى سلوانه والغفلة عنه فكان غير جميل من
هذا الوجه وقد تعرض للفضيلة القبح من بعض الاعتبارات وللرذيلة
الحسن من وجه وظاهر ان المصاب به اعظم مصاب باحد من الناس
وان كل مصاب باحد من قبله او بعده فهو سهل هين بالنسبة اليه
وقيل اراد ان المصاب به قبله عظيم على المسلمين [illegible]

وبعده كذلك لاختلال امرهم وامر الدين بفقده والاول اظهر
وقال عليه السلم لا تصحب المائق فانه يزين لك فعله
ويود ان تكون مثله ن المائق الاحمق ويقرّ عنه بضمير صغره قوله
فانه الى اخره وذلك لانه لحمقه يعتقد كمال نفسه وحسن افعاله
ووجوب الاقتداء بما يفعل منها ويحب لمن يصحبه ان يكون مثله فيها
ويدعوه الى ذلك ويعد من يكرهه وكل من كان كذلك فلا تجوز صحبته
وقال وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال
مسيرة يوم للشمس وهو جواب واضح مقنع ان عرض الخطابة الاقناع فاما
لخصوصهما فاعتبار بعض مساحة الارض او الفلك فامر يرجع الى
علم الهيئة ولعله عليه السلم انما عدل عن الجواب بشيء من ذلك لاستبعاد
بعض العوام له ولا نقول انه عليه السلم ما كان يعلم ذلك ن
وقال عليه السلم اصدقاؤك ثلثة واعداؤك ثلثة فاصدقاؤك
صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك ن واعداؤك ثلثة عدوك
وعدو صديقك وصديق عدوك الحكم بان صديق الصديق وعدو
العدو صديق من القضايا المظنونة لاحتمال كون الصديق غير عالم
بان لصديقه صديقا وكون العدو غير عالم بان لعدوه عدوا فضلا
ان يعاديه او يصادقه وكذلك الحكم بان عدو الصديق وصديق
العدو عدو لاحتمال المذكور ن وقال لرجل يسعى على
عدو له بما فيه اضرار بنفسه انما انت كالطاعن نفسه ليقتل ردفه
ووجه التشبيه قصده لأذى غيره بما يستلزم اذا نفسه ن
وقال ما اكثر العبر واقل الاعتبار اراد بالعبر مجال

الاعتبار وهو في معرض التوبيخ للسامعين على ترك الاعتبار وقال
من بالغ في الخصومة اثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع ان يتقي الله
من خاصم ن نفر عن طرفي الافراط والتفريط في المجادلة والمخاصمة بما
يلزم رذيلة الافراط فيها وهو الظلم من الاثم وطرف التفريط فيها
من رذيلة الانظلام واشار الى صعوبة الوقوف فيها على حد العدل
بقوله ولا يستطيع الى اخره وهو كالنهي عن اصل المخاصمة لما انها
مظنة الرذايل ه وقال ما اهمني ذنب امهلت بعده
حتى اصلي ركعتين اي لما احزن من ذنب امهلني الله بعده الى ان اصلي
ركعتين وذلك لان الصلوة تكفر السيئات اذا امهل الى ان يصليها لم
يحزن بسببه ن وسئل كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم فقال
كما يرزقهم على كثرتهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه قال كما
يرزقهم ولا يرونه شبّه كيفية محاسبته تعالى للخلق على كثرتهم بكيفية
رزقه لهم على كثرتهم وجعل هذا اصلا في التشبيه لظهوره وعلم
السائل به وكذلك شبه كيفية محاسبته لهم مع عدم رؤيتهم له
بكيفية رزقه لهم وعدم رؤيته ووجه التشبيه في الموضعين امكان ذلك
منه تعالى لشمول قدرته وعدم حاجته في شيء الى شيء ه وقال
رسولك ترجمان عقلك وكتابك ابلغ من ينطق عنك استعار للرسول
لفظ الترجمان للعقل باعتبار انه ينبئ عنه ويعرف مقداره منه وفيه ايماء
الى انه يجب ان يختار المرسل للرسالة ذوي العقول الراجحة كيلا يسفه

عقله واما ان الكتاب ابلغ من منطوق صاحبه فلضبط مراده فيه
دون لسان الرسول لانه ربما لم يؤدّ الرسالة على وجهها سهواً او
لغرض فيقع الخلل بسبب ذلك حتى ربما كان فيه هلاك المرسل ن
وقال عليه السلام ما المبتلى الذي قد اشتدّ عليه البلاء
باحوج الى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء اي انهما سواء في
الحاجة الى دعاء الله فذاك لحاجته الى الخلاص مما هو فيه وهذا
لبقاء عافيته وامنه من لحوق البلاء وهو حثّ لاهل العافية على دعاء
الله لغرض الالتفات اليه ودوام قصده ن وقال الناس ابناء
الدنيا ولا يلام الرجل على حب امه وهو توبيخ للناس على حب الدنيا ولفظ
الابناء مستعار لهم باعتبار تولدهم منها وميلهم اليها بالطبع وفي قوله
ولا يلام الى اخره لوم لهم وهذا كما تقول لمن توبخه على اللوم ان طبعك
اللوم ولا لوم عليك فيما جبلت عليه ن وقال عليه السلام
ان المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله ومن اعطاه فقد اعطى
الله رغّب في اعطاء المسكين بضمير صغراه ما ذكر واستعار له لفظ رسول
الله باعتبار انه طالب لله وبامر الله وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فيجب اعطاؤه وارضاؤه ن وقال ما زنى غيور قط
اي الغيرة وذلك ان الغيور اذا همّ بالزنا تخيل مثل ذلك في نفسه من
الغير فيعارض خياله داعيه فيحجم عنه ن وقال كفى بالاجل
حارساً استعار لفظ الحارس باعتبار ان الانسان لا يهلك ما دام اجله
كالحارس ن وقال ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب

قال السيد ومعنى ذلك انه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على
سلب الاموال **واقول** الحرب سلب المال وانما كان
كذلك وان كان المال والولد محبوبين للطبع في استخلاص المال بالنهوض
له والحرب عنه دون الثكل ن وقال مودة الآباء قرابة بين
الابناء والقرابة احوج الى المودة من المودة الى القرابة واستعار لفظ
القرابة للمودة المتأكدة بين الابناء فهي كالقرابة واخبر بها عن مودة
الآباء اخباراً بالاثر عن ملزومه اذ كان تواصل الآباء والمودة
بينهم يستلزم تأكدها بين الابناء وشدة اتصالهم ثم اشار الى تفضيل
المودة على القرابة بكون القرابة اكثر حاجة الى المودة في الاجتماع
بها بين الخلق والمودة اكثر استغناء عن القرابة في الاجتماع بها ن
وقال اتقوا ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على السنتهم
ظن المؤمن لا يكاد يخطئ لصفاء نفسه وكمال استعدادها للفكر الصحيح
والقرب من الحدس والاقتباس بنور الحق كما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا
فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فيفيض الله سبحانه صورة ذلك الحق على
لسانه فينطق به وقوله فانه الى آخره صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل من كان كذلك فينبغي ان تتقى ظنته وهو تنبيه لمن عساه ينوي شرا
للرجوع عنه خوف ظنون المؤمنين ن وقال لا يصدق ايمان عبد
حتى يكون بما في يد الله تعالى اوثق منه بما في يده صدق الايمان بالشيء
يقينه وكماله ومن كماله حسن الرجاء لله والتوكل عليه حتى يكون اوثق
بما في يد الله تعالى منه بما في يده وذلك لتيقن وصول رزقه من الله وجزمه
بذلك اقوى من جزمه ووثوقه بما في يده لجواز تلفه وعدم ثباته وهي مرتبة

عالية من مراتب التوكل ○ وقال لانس بن مالك وقد
كان بعثه الى طلحة والزبير لما جاءا الى البصرة يذكرهما شيئا سمعه
من رسول الله صلى الله عليه في معناهما فلوى عن ذلك فرجع اليه عليه
السلام فقال اني انسيت ذلك الامر فقال له ان كنت كاذبا فضربك
الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة يعني البرص فاصاب انسا هذا الداء
فيما بعد في وجهه فكان لا يرى الا مبرقعا ○ اقول ما
كان بعثه اليهما ليذكرهما به هو ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه
انه قال لطلحة والزبير انكما ستقاتلان عليا وانتما له ظالمان ولما
بعثه لقي من صرفه ولوى رايه عن ذلك فرجع فدعا عليه فاستجيب
دعوته وبيضاء في محل الجر بدل من الضمير في بها ○ وقال ان
للقلوب اقبالا وادبارا فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل واذا ادبرت
فاقتصروا بها على الفرائض ○ وقد مر معنى اقبالها وادبارها وخص اقبالها
بالنوافل لاتساعها لها وللفرائض دون الادبار ○ وقال
في القرآن نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ○ فنبأ ما قبلهم
اخبار القرون الماضية وخبر ما بعدهم ذكر احوال الموت والقيامة
والوعد والوعيد وحكم ما بينهم بيان الاحكام الخمسة المتعلقة
بافعالهم وهو في معرض مدح القرآن والحث على قراءته وفهمه ○
وقال عليه السلام ردوا الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفعه
الا الشر والحجر كناية عن الشر ورده من حيث جاء كناية عن مقابلة الشر
بمثله ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر الى آخره وتقدير الكبرى
وكل ما لا يدفع الا بالشر فواجب ان يدفع به وليس هذا امرا عاما الامره

عليه السلام بالحلم في مواضع كثيرة بل المحمل ذلك على شر لا يدفع الا بمثله
وقال لكاتبه عبيد الله بن ابي رافع الق دواتك واطل جلفة قلمك
وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة الخط ○
كان ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله والقة الدواة وليقتها
اصلاحها بالمداد وجلفة القلم سنانه والقرمطة بين الحروف تقريب بعضها
من بعض والصباحة الحسن وفائدة القول الاول ظاهرة وفائدة الثاني
ان الجلفة الطويلة تحمل مدادا اكثر فيستمر القلم في كتابة كلمات كثيرة
على نهج واحد من غير ان ينقطع بين المدات بخلاف الجلفة القصيرة فان مدادها
اقل والمقاطع بين مداتها اكثر ويكثر التفاوت بين الكلمات في اواخر
كل مدة واول الاخرى بعدها وفائدة الثالث ظهور الفصل بين السطور
وتميز بعضها عن بعض وفائدة الرابع كون الكلمة احسن هيئة والحسن لها
اقرب ضبطا ولعل بعض هذه القيود ليس بشرط في حسن بعض اجناس
الخط المحدثة بعده ورغب في ذلك بقوله فان ذلك اي فان هذه الشرائط
وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان اولى بصباحة الخط ففعله
اولى ○ وقال انا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار
قال السيد ومعنى ذلك ان المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما تتبع
النحل يعسوبها وهو رئيسها ○ واقول استعار لفظ اليعسوب
ووجه المشابهة هو ما ذكره السيد رحمه الله ○ وقال له بعض اليهود ما
دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت
ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم
تجهلون ○ اراد انا لم نختلف في نبوته ونشك في ذلك وانما وقع خلافنا

عنه اي تثبت اسناده بعض ما جاء عنه من كتاب وسنة على من لا يعلم ذلك
منا واما انتم فقد اختلفتم في ان لكم صانعا ام لا حتى قلتم لنبيكم اجعل
لنا الها وذلك يستلزم الشك منكم في نبيكم بالاولى ن وقيل
له عليه السلام باي شي غلبت الاقران فقال ما لقيت احدا الا اعانني على
نفسه قال السيد يومي عليه السلام الى تمكن هيبته في القلوب اراد ان
سانوهيبته وتخيل الاقران ما جرت به عادته من الظفر بامثالهم وقتلهم
يوجب لنفوسهم انفعالات وضعفا عن مقاومته وذلك مما يعينه عليهم
وقال لابنه محمد رحمه الله يا بني اني اخاف عليك من الفقر
فاستعذ بالله منه فانه منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت ن
امره بالاستعاذة من الفقر لما فيه من المكاره الثلثة اما كونه منقصة
للدين فللاشتغال بهمه وتحصيل قوام البدن عن العبادة ن وكونه
مدهشة للعقل اي محل دهشة العقل وحيرته وضيق الصدر به ظاهر
وكذلك كونه داعية مقت الخلق لصاحبه ورغب في الاستعاذة منه بضمير
صغراه قوله فان الفقر الى آخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب الاستعاذة
بالله منه ن وقال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة سل تفقها ولا
تسال تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم المتعسف شبيه
بالجاهل ن المعضلة المسالة المشكلة والتعنت طلب الامر الشاق على
من يطلب منه والمتعسف الآخذ على غير الطريق وقد كان عليه السلام فهم
من السائل ان غرضه الامتحان فاعرض عن جوابه الى تاديبه وارشاده الى ما ينبغي
من وضع السوال وغرضه وهو التفقه دون التعنت لحصول الفائدة
بالسوال الاول وتفقها وتعنتا مفعولان له او مصدران سدا مسد الحال

ورغب في السوال على وجه التعلم بضمير صغراه قوله فان الجاهل المتعلم شبيه
بالعالم ووجه الشبه اشتراكهما في طلب العلم وقصده وتقدير الكبرى وكل
من كان شبيها بالعالم فينبغي ان يسلك مسالكه ثم نفر عن سلوك غير الطريق
الحق في السوال والعدول به الى غير المقصود الاصلي بضمير صغراه قوله فان
العالم الى قوله بالجاهل ووجه الشبه كون ذلك العالم يضع سواله في غير
موضعه ويطلب به ما لا ينبغي كالجاهل بوضع الاسولة ومواقعها وتقدير الكبرى
وكل من كان شبيها بالجاهل فينبغي ان يجتنب طريقته ليتخلص من هذا الشبه
وقال لعبد الله بن العباس رحمه الله وقد اشار عليه بشيء لم يوافق
رايه لك ان تشير علي وارى فاذا عصيتك فاطعني ن روي انه اشار عليه
عند انصرافه من مكة حاجا وقد بايعه الناس وقال يا امير المومنين ان هذا
امر عظيم يخاف غوايل الناس فيه فاكتب لطلحة بولاية البصرة وللزبير بولاية
الكوفة واكتب الى معوية وذكره القرابة والصلة واقره على ولاية الشام
حتى يبايعك فان بايعك وجرى على سنتك وطاعة الله فاتركه على حاله وان
خالفك فادعه الى المدينة وابدله بغيره ولا توج حار الفتنة فقال عليه
السلام معاذ الله ان افسد ديني بدنيا غيري ولك يا ابن العباس ان تشير ن
الفصل وض ومعقول اي للعلم به اي انظر في وجه المصلحة واوجب طاعة
نفسه لانه الامام ولانه افضل رايا فاذا راى المصلحة في شيء وراية ارجح ن
وروي انه عليه السلام لما ورد الكوفة قادما من صفين مر بالشباميين فسمع بكاء
النساء على قتلى صفين وخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من وجوه
قومه فقال له اتغلبكم نساؤكم على ما اسمع الا تنهونهن عن هذا الرنين واقبل
يمشي معه وهو عليه السلام راكب فقال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة

للوالي ومثله للمؤمنين شبابه بكسر الشين حجة من الحرب وقادما جال
والاستفهام للإنكار دخل على النفي وقد علمت ما في الجزع من الرذيلة فلذلك
نهى عنه ولانه يجبن الرجال ويثبطهم عن الحرب وهو في محل الحاجة اليهم
ونفره عن المثنى معه نضم صغراه قوله فان مثنى مثلك الى اخره ونقدير الكبرى
وكل ما كان فتنة ومثله وجب تركه ن وقـــال وقد مر بقتلى
الخوارج يوم النهروان بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل له من غرهم يا
امير المؤمنين فقال الشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء غرتهم بالاماني
وفسحت لهم في المعاصي ووعدتهم بالاظهار فاقتحمت بهم النار ن البؤس
الشدة ونصبه من نصبه لمن ضرهم وغرهم بالشيطان المضل والانفس
الامارة بالسوء ان الشيطان قد يراد به النفس الامارة وان العطف انما تقتضي
المغاير في العبارة والاماني التي غرتهم بها هي اماني الغلبة والقهر وفسحها
لهم في المعاصي ترخيصها لهم وتوسعتها من سنها وهو لكن ما وعدتهم به من
اظهارها لهم على من غالبهم وظاهر ان ذلك مستلزم لدخول النار ولفظ
الاقتحام مستعار لسرعة ادخالها لهم النار ن وقـــال اتقوا معاصي
الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم امر بالخشية من معاصي الله ونفر عنها
نضم صغراه قوله فان الشاهد هو الحاكم ونقدير كبراه وكل من كان الشاهد
عليه هو حاكمه وجب عليه ان يتقيه ن وقـــال لما بلغه قتل
محمد بن ابي بكر رضي الله عنه ان حزننا عليه على قدر سرورهم به الا انهم نقصوا
بغيضا ونقصنا حبيبا فربما فيما سلف مكانه منه عليه السلام وقوله فان
حزننا عليه على قدر سرورهم اي بقدره اراد انه مناسب به في الشدة واشار بـ
الفرق باعتبار نقصانه منهم ونقصانه منه وذلك في معرض التالم لفقده

وقـــال العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة ن اعذر اليه
اتاه بالعذر واعذر الله اليه امهاله اياه المدة المذكورة التي هي مظنة تحصيل
الزاد ليوم المعاد فان ما بعد الستين يضعف فيه القوى النفسانية والبدنية وتكل
عن العمل فمن قصر الى تلك الغاية فقد توجه اللوم عليه وانقطعت حجته بالاعتذار
اليه ن وقـــال ما ظفر من ظفر الاثم به والغالب بالشر مغلوب وهو
نفير عن الظلم والبغي وذلك ان الظافر بالحق هو من قهر خصمه على وجه
العدل فمن لا يكون كذلك يلزمه الظلم وتقهره عند الله الاثم فيكون
مغلوبا بظلمه وهو في صورة غالب واستعار وصف الظفر لاسره
في ربقة الاثم واحاطته به ن وقـــال ان الله سبحانه فرض في
اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما منع غني
والله تعالى جده سائلهم عن ذلك اراد بذلك الفرض الزكوة وظاهر
ان جوع الفقير انما يكون بما منعه الغني من القوت او ما هو وسيلة اليه
وذهب الاغنياء بنواله والله سائلهم عن ذلك وهو صغرى ضمير تقديره
كبراه وكل من كان سائله الله فينبغي ان يخشى سؤاله ن وقال
الاستغناء عن العذر اعز من الصدق به اراد ان ترك ما يحتاج فيه الى
العذر فيستغني بتركه عن العذر اعز عليك وانفع لك من ان تاتيه
ويكون لك فيه عذر صادق ن ويحتمل ان يريد بقوله اعز
اي اكثر عزة لك اذ الاتيان بالعذر يحتاج الى ذلة ومهانة ن
وقـــال اقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمه على معاصيه
وذلك ان العدل ان تستعينوا بنعمه على طاعته فان لم يفعل ذلك فلا
اقل من ان يستعمل في الامور المباحة دون الاستعانة بها على معصية

فان ذلك مما يغبط شخصه ن وقال ان الله سبحانه جعل الطاعة
غنيمة الاكياس عند تفريط العجزة ن طاعته تعالى غنيمة الاكياس
ما غنما راس مالها النعيم المقيم في الاخرة وسببا الغنيمة غنيمة
والاكياس هم الذين استعملوا فطنتهم وحركاتهم في تحصيل ما ينبغي
من علم وعمل وخصهم الله سبحانه بهذه الغنيمة عند تفريط العجزة
وهم المقصرون عما ينبغي لهم وهو في معرض ذمهم على التقصير البالغ
المشبه للعجز ن وقال السلطان وزعة الله في ارضه الوزعة
الوازع وهو الرادع المانع اي ان الله تعالى وضعه في ارضه ليمنع به
ما يريد منعه واراد السلطان العادل ن وقال في صفة
المؤمن المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه اوسع شيء صدرا واذل
شيء نفسا يكره الرفعة ويشنأ السمعة طويل غمه بعيد همه كثير
صمته مشغول وقته صبور شكور مغمور بفكرته ضنين بخلته سهل
الخليقة لين العريكة نفسه اصلب من الصلد وهو اذل من العبد
نبا بعض ذكره في معرض التعريف والمدح ستة عشر وصفا ان
احدها ان بشره في وجهه وذلك من فضيلة التواضع ولين الجانب
الثاني وحزنه في قلبه وذلك من خشية الله ونظره الى ما
عساه فرط في جنب الله الثالث اوسع شيء صدرا وقد
علمت ان سعة الصدر فضيلة للقوة الغضبية وقد يعبر عنها
برحب الذراع واراد انه مستكمل لهذه الفضيلة الرابع
واذل شيء نفسا اي لتواضعه لله ونظر نفسه الى محلها ومقدارها
من الحاجة الى الله وصدرا ونفسا تمييزان ن الخامس كراهيته

للرفعة لانها مبدا رذائل كالعجب والكبر وكذلك بغضه للسمعة احتراز
من تلك الرذائل السادس طول غمه لنظره دائما الى ما بين يديه من
الموت وما بعده السابع وبحسب ذلك كان بعد همته وعلوها عن دنايا
الدنيا ونظره الى المطلوب الاكمل من السعادة الاخروية الباقية
الثامن كثرة صمته وذلك لكمال عقله فهو لا ينطق الا بما يحتاج
اليه مما فيه حكمة وصلاح التاسع شغل وقته اي بعبادة
ربه العاشر كونه شكورا اي كثير الشكر لله الحادي
عشر صبورا اي على بلاء الله الثاني عشر مغمور بفكرته
في ملكوت السموات والارض واستنباط آيات الله وعبره منها
الثالث عشر ضنين بخلته لنزاهة مواقع الخلة واهلها الذين
هم اخوان الصدق في الله وهم قليلون ولا يضعها الا في موضع ذلك
من طلب مودته وخلته ن ويحتمل ان يريد انه اذا خالل
احدا ظن بخلته ان يضيعها او يهمل خلته ن وروي بفتح الخاء
والخلة الحاجة اي اذا عرضت له حاجة ضن بها ان يسال احدا
فيها الرابع عشر سهل الخليقة اي لا جفاوة في طباعه ولا
خشونة الخامس عشر لين العريكة وهو كناية عن سهولة
تناول ما يراد منه واصله الجلد من الاديم يكون لينا عند العرك
في الدباغ سهلا على دابغه السادس عشر نفسه اصلب من
الصلد لشجاعته وثباته في طاعة الله وهو اذل من العبد لتواضعه
لله ومعرفته بقدره عند قدرة باريه والواو للحال ن وقال
لو راى العبد الاجل ومسيره لابغض الامل وغروره استعار لفظ المسير

للأجل وهو زمان الحيوة ما عسانا تقضي اجزائه واستعانته نفسا نفسا كما تقطع
السائر اجزاء المسافة ويسعى الى غايتها نفسا نفسا ويحتمل ان يريد بالأجل
غاية الحيوة واستعار لفظ المسير لدنوها المفعول منه واراد انه لو كان
الاجل بصورة ساير محسوس فتناهت الجد سيرته الى الموت وعلم غايته
لقطع امالا الدنيوية ولم يغتر بها ❁ وقـــــال عليه السلام لكل
امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث تفزع عن ادخار المال بذكر
الشريكين المكروهين ❁ وقـــــال عليه السلام الداعي بلا عمل كالرامي
بلا وتر ❁ شبه من يدعوا الله ولا يعمل له بالرامي بغير وتر ووجه
الشبه عدم امكان الانتفاع ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
احمق الناس من ترك العمل وتمنى على الله ❁ وقـــــال العلم
علمان مطبوع ومسموع ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع اراد بالمطبوع
العقل بالملكة وهو الاستعداد بالعلوم الضرورية للانتقال منها
الى العلوم المكتسبة والمسموعة من العلماء فان من لا يكون له ذلك
الاستعداد لا ينفع بما يسمعه من العلوم ولا يتمكن من اكتسابه وقيل
اراد بالمطبوع ما يعلم من الاصول بطبيعة العقل كالتوحيد والعدل
وبالمسموع العلوم الشرعية التي هي فروع العقلية اذ لا ينتفع بفرع
من دون اصله ❁ وقـــــال عليه السلم صواب الراي بالدول
يذهب بذهابها ❁ اي ان الدولة مستلزمة لصواب الراي اذ كان من تمام
السعادة المقتضية للدولة ان يلزمها راي صواب يكون به تدبيرها
وتلك السعادة والدولة معدة لاختيار اصلح الآراء وقابلة له
فهو يقبل باقبالها لاعدادها له وعند ذهابها يذهب الراي الصواب

وان غدر في الظاهر صوابا ❁ وقـــــال العفاف زينة الفقر والشكر
زينة الغنى ❁ العفة فضيلة القوة الشهوية وظاهر كونها زينة الانسان
وهي مع الفقر اجمل فانما يفيد الفقر بها وتجمعه في قلوب الخلق ويكتسب
المدح والثنا منهم ويظهر اثرها عليه بسرعة وان فقدها الفقير خسر
الدنيا والاخرة ❁ وكذلك الشكر من فضايل قوة الشهوة ايضا ❁ وقبيح
بالغني مقابلة نعم الله بالكفران فزينة غناه وتمامه اذن شكره له ❁
وقـــــال يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم
فيوم العدل يوم القيامة ويوم الجور وقت الظلم وقد مر بيانه وقال
الاقاويل محفوظة والسرائر مبلوة وكل نفس بما كسبت رهينة والناس
منقوصون مدخولون الا من عصم الله ❁ سائلهم متعنت ومجيبهم
متكلف يكاد افضلهم رايا يرده عن فضل رايه الرضا والسخط
ويكاد اصلبهم عودا تنكاه اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة
معاشر الناس اتقوا الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه
وجامع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه
اصابه حراما واحتمل به اثاما فباء بوزره وقدم على ربه اسفا
لاهفا قد خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين ❁ مبلوة
مختبرة ❁ ودخل فلان فهو مدخول ومدخل اي في عقله دخل وعلة
وتنكاه اي تؤثر فيه وتستحيله تغيره وباء يثقله رجع به وحصل عليه
واللاهف المتحسر والفصل في معرض الوعظ فنبه للسامعين اولا
على ان اقوالهم محفوظة وسرائرهم مختبرة بما كلفوا به من طاعة الله
والسرائر ما اضمر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها ❁ وعن مجاذ

ان رجلا قال سألت النبي صلى الله عليه عن قوله تعالى يوم تبلى السرائر
ما هذه السرائر التي تبلى يوم القيامة فقال سرائركم هي اعمالكم من الصلوة
والصيام والزكوة والوضوء والغسل من الجنابة وكل مفروض لان الاعمال
كلها سرائر خفية فان شاء قال صليت ولم تصل وان شاء قال توضأت
ولم تتوضأ واستعار لفظ الرهينة للنفس باعتبار توقفها في الاسر بما
كسبت من الشر كما يتوقف الرهن بما عليه من مال واللفظ من القران المجيد وغرض
ذلك التنبيه على العدل في القول واضمار الخير واكتساب الاعمال
الصالحة ۝ ثم نبه الناس على ما فيهم من النقصان الطبيعي المحتاج الى
التكميل المكتسب ووصف سائلهم بان سؤاله خارج عما ينبغي لان
غرضه به الامتحان دون التعلم ومجيبهم بالتكلف في جوابه لقلة
علمه وافضلهم رأيا بانه يكاد ان يرده عن فضل رأيه ما يعرض
له من امر يرضى به او يسخط له ويرجع عنه وان كان يشاهد فيه المصلحة
واصلبهم عودا اي اشدهم في الله واقواهم في طاعته تؤثر فيه
اللحظة اي من نظر اليه نظرا لهيبته ۝ وتستحيله الكلمة الواحدة
منه فتغيره عن الحق ويجوز ان يريد اللحظة والكلمة من شهوة الدنيا
ولذاتها ثم امرهم بتقوى الله ونفر عن فسيح الامل جذبا الى التقوى
بذكر كثرة من يؤمل ما لا يبلغه ويبني ما لا يسكنه ويجمع ما لا بد من تركه
مع احتمال ان يكون من باطل جمعه ومن حق منعه اهله فاصابه حراما
وحمل ثقل وزره وقدم به على ربه ۝ حزينا متحسرا على ما فرط في جنبه
فخسر الدنيا والاخرة بتفريطه في اكتساب خيرها وذلك هو الخسران
المبين ۝ وقال عليه السلام من العصمة تعذر المعاصي اي

من اسباب العصمة وذلك ان الانسان يتعود تركها حين لا يجدها حتى
يصير ذلك ملكة له وهي المراد بالعصمة ۝ وقال ماء وجهك
جامد تقطره السؤال فانظر عند من تقطره استعار لفظ ماء الوجه
للحياء ونوره على الوجه الذي يذهب من وجه السائل بسؤاله ورشح
بذكر الجمود والتقطير ۝ ويحتمل ان يكون كناية عما يعرض من العرق
عند خجل السائل في سؤاله واستحيائه وغرض الكلمة وضع السؤال
موضعه من اهل المروة والثروات ۝ وروي وجهك ماء جامد يكون
استعارة للماء في الوجه باعتبار بذله وكأنه ذائب وقطر كالماء الجامد
وقال الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق
عي او حسد ۝ الملق هو التلطف الشديد بالقول والافراط في المدح
ونفر عن طرفي الافراط والتفريط في الثناء ۝ فالافراط بما يلزمه من رذيلة
الملق والكذب ۝ والتفريط بما يلزمه من العي عن المدح او الحسد بالفضيلة
الممدوح عليها وقال اشد الذنوب ما استهان به صاحبه
وذلك لان استهانته به يستلزم انهماكه فيه واستكثاره منه وعدم
اقلاعه عنه حتى يصير ملكة بخلاف ما يستصعبه من الذنوب ۝
وقال عليه السلام اربع عشر كلمة احدها من نظر في عيب
نفسه اشتغل عن عيب غيره لانه انما يذكر عيب الغير غالبا في معرض
الافتخار عليه بالبراءة من ذلك العيب فاذا نظر الجاهل في نفسه شغله اعتبار
ذلك النقصان فيها عن الاستعمال بنقصان غيره والتطرق الى الناس
ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته وذلك ان الحزن على ما فات مستلزم
لعدم القناعة والرضا بالحاصل من الرزق فعدم ذلك اللازم مستلزم

لعدم ملازمته وهو الحزن على الفايت من الثالثة ومن سل سيف البغي قتل به وهو كناية عن الظلم وظاهر ان الظلم سبب هلاك الظالم وقد سبق بيانه مرارا الرابعة ومن كابد الامور عطب اي من قاساها بنفسه استعطفها للهلاك الخامسة ومن اقتحم اللجج غرق استعار لفظ اللجج للامور العظام كالحروب وتدبير الدول ولفظ الغرق للهلاك السادسة ومن دخل مداخل السوء اتهم لانها مظنة التهمة ودخولها من الامارات الموجبة للظن كمعاشرة الفساق ونحوه السابعة ومن كثر كلامه كثر خطاؤه لانه قد مر ان كمال العقل مستلزم لقلة الكلام فيكون كثرة الكلام مستلزما لنقصان العقل المستلزم لكثرة الخطا والقول من غير تروّ ونثبت الثامنة ومن كثر خطاؤه قل حياؤه لانك علمت ان الحياء هو ان يحسن الانسان الارتداع عن الامور التي يقبح تعاطيها والاقدام عليها لملاحظته ما يتبع عن ارتكابها من قبح الاحدوثة والاقدام على الخطا بكثرة الكلام ينافي الارتداع عن تلك الامور وهو من جملتها التاسعة ومن قل حياؤه قل ورعه لان الورع هو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدودها دون الرذايل والحياء منها فقلة الحيا مستلزم لقلة الورع وربما فسر الورع بالوقوف عن المحارم وظاهر ان قلة الحيا ايضا مظنة الاقدام على المحارم فكانت مظنة لقلة الورع فيها فاقام الشي مقام مظنة الشي وحكم به العاشرة ومن قل ورعه مات قلبه اي لما كانت الفضيلة هي حياة القلب استعار لعدمها او قلتها فيه لفظ الموت باعتبار عدم انتفاعه بها لخروج الميت عن الانتفاع

بالحياة الحادية عشر ومن مات قلبه دخل النار لان المخرج له عنها الى الجنة هو استكماله بالفضيلة فاذا فقدها فالنار موعده والكلام في صورة قياس مفصول نتيجته ان من كثر كلامه دخل النار وهو منفر عن كثرة الكلام الثانية عشر ومن نظر في عيوب الناس فانكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه ووجه الحمق ان كونه منكرا لها من غيره يستلزم كون الراي الحق ان لا يفعلها ورضاه بها لنفسه مخالفة للراي الحق له وخروج عن المصلحة لنفسه وذلك حمق ونقصان ظاهر في العقل والالف واللام في الحمق يفيد حصره في المشار اليه فذلك اكده بعينه الثالثة عشر ومن اكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير لان الغرض من طلب الكثير منها الاستمتاع والالتذاذ به وذكر الموت كاسر لذلك الالتذاذ ومنغص له الرابعة عشر ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وذلك ان العالم بذلك يرى ما ساهو كذي الكلام عمل والاعمال يواخذ على ما لا يعني منها ينتج ان الكلام مواخذ على ما لا يعني منه وذلك موجب للاقتصار على ما يعني منه ٥ وقال للظالم من الرجال ثلث علامات يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة ويظاهر القوم الظلمة فظلمه لمن فوقه عصيان لله وتعديه لحدوده العادلة له والثالثة مستلزمة للاولى والثانية مستلزمة للاولين ٥ وقال عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلا يكون الرخاء تناهي الشدة مستلزم للخلاص منها وهو المراد بالفرج وكذلك تضايق الحلق وهو وقت الفزع الخالص الى الله والرجا الحق له وذلك معد للفرج منه واستعار لفظ الحلق للامور

الشديدة المحيطة بالانسان لا يخرج عنها محيصًا ملاحظة لتشبيهها
بالحلقة في البطان والحزام ○ وقال لبعض اصحابه لا تجعلن
اكثر شغلك باهلك وولدك فان يكن اهلك وولدك اولياء لله
فان الله لا يضيع اولياءه وان يكونوا اعدا الله فما همك وشغلك باعداء
الله ○ نهى عن كثرة الاشتغال بالاهل والولد لصرف ذلك عن طاعة
الله ونبه على عدم جوازه بما هو في قوة قياس شرطي منفصل تقديره ان اهلك
لا يخلوا اما ان يكونوا من اولياء لله او اعدائه وعلى التقديرين لا يجوز
الاشتغال بهم اما الاوليا فلان الله تعالى يكفيهم مؤونتهم فلا حاجة
بهم الى اهتمام غيره ○ واما اعداؤه فلا يجوز الاهتمام بحالهم ○ وباقي
قوله فما همك استفهام على سبيل التقريع والتوبيخ ○ وقال
اكبر العيب ان تعيب ما فيك مثله قد مر ان ذلك حق وهو اكبر العيوب
وهنا بحضرته عليه السلم رجل رجلًا بغلام ولد له فقال له ليهنك الفارس
فقال عليه السلم لا تقل ذاك ولكن قل شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب
وبلغ اشده ورزقت بره وهذا ارشاد منه للتهنية بالولد وفيها اربع
فوايد احدها تذكر الوالد بشكر لله والقاء الحمد له الثانية اشراك
البركة منه بالدعا فيما وهب له الثالثة الدعا للموهوب بالبقاء وبلوغ
الاشد وهو كمال القوة لغاية الانتفاع به الرابعة الدعا بثمرته
والانتفاع به وهو ان يرزقه بره ونفعه ○ وبنا رجل من عماله بناءً فخمًا
فقال اطلعت الورق رؤوسها ان البناء تصف لك الغنى ○ الفخم العظيم
وكنى بطلوع الورق لرؤوسها عن ظهور اثرها في البناء ملاحظة لتشبيهها
بالحيوان في ظهوره وكذلك استعار لفظ الوصف ونسبه الى البناء باعتبار

انه ينبئ عن الغنى كما ينبئ الوصف عن موصوفه ○ وقيل له عليه
السلم لو شد على رجل باب بيت وترك فيه من اين كان ياتيه رزقه
فقال من حيث ياتيه اجله فان الرزق على الاجل لاشتراكهما في مبدا
واحد وهو قدرة الصانع تعالى واشار الى ذلك بقوله من حيث ○
وعزى عليه السلم قومًا عن ميت مات لهم فقال ان هذا الامر ليس
بكم بدا ولا اليكم انتهى وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه
في بعض سفراته فان قدم عليكم والا قدمتم عليه فعدوه اي فافرضوا
انه كذلك والتعزية فصيحة العبارة جزلة المعنى مفيدة للاقناع والسلو
وقال عليه السلم ليركم الله من النعمة وجلين كما يراكم من
النقمة فرقين انه من وسع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجًا فقد ضيع
مامولا الاستدراج الاخذ على غرة وامرنا بالوجل من نعمة الله حال افاضتها
خوف الاستدراج بها كما خاف من النقمة وذلك ان النعمة يجب مقابلتها
بالشكر كما ان النقمة يجب مقابلتها بالصبر والغرض الحث في فضيلتي
الشكر والصبر ○ وحذر من الركون الى النعمة والغفلة فيها على الله بقوله
انه الى قوله امن مخوفًا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من امن مخوفًا فهو
مغرور ولذلك حذر الفقير ان يغفل عن كون فقره بلاء واختبارًا ونعده
كذلك بما يلزم ذلك من تضييع المامول وذلك انه يستحق باعتقاد الاختبار
من الله له الصبر عليه ويؤمل منه تعالى الاجر الجزيل في الاخرة واذا لم يعتقد
ذلك بطل استعداده به فيضيع مامولة منه ○ وقال يا
اسرى الرغبة اقصروا فان المعرج على الدنيا لا يروعه منها الا صريف انياب
الحدثان ايها الناس تولوا من انفسكم تاديبها واعدلوا بها عن ضراوة

عاداتها الضراوة الجراة على الصيد والولوع به والضرابة بالفتح
لغة فيه والضراية بالكسر مصدر ضرى به والملك نسخ وردت
بها الرواية واستعار لفظ الاسرى لمن ملكته رغبته في الدنيا وحبه لها
وامرهم بالاقصار عن الافراط في طلبها ونفر عن المعرج والانعطاف
عليها بقوله فان المعرج الى قوله الحرمان واستعار لفظ الصريف والانياب
ملاحظة لشبه الموت عند هجومه بالبعير الهائج ثم اتبعه بالناس وامرهم
ان يتولوا من انفسهم تاديبها ورياضتها والوقوف بها على حد العدل
من الحركات والافعال وان يعدلوا بها عن ضراوتها واقدامها على
الانهماك في المشتبهات وقد عرفت معنى الرياضة ❊ وقال
لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءا وانت تجد لها في الخير محتملا اي
ما دمت تجد لكلام الغير محملا وتاويلا فلا تظنن به سوءا فان النفوس
السليمة اقرب الى الله تعالى من غيرها وللتاويل مجال ❊ وقال
اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدا بمسالة الصلوة على النبي صلى الله
عليه ثم اسال حاجتك فان الله تعالى اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي
احديهما ويمنع الاخرى ❊ امر بتقديم السوال بالصلاة على النبي صلى الله
عليه في طلب الحاجة الاستعدادية ورغب فيه بقوله فان الله سبحانه
الى اخره اي ان المسالة الاولى مجابة من الله بالاتفاق فيجب من كرمه اجابة الثانية
وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكرم من ذلك فينبغي ان يسال
المسالتين ليقضي الحاجة ❊ وقال من ضن بعرضه اي بخل به
فليدع المراء وذلك انه داعية ثوران القوة الغضبية من المتمارين ومبدا
المشاتمة والمسابة ❊ وقال من الخرق المعاجلة قبل الامكان

والاناة بعد الفرصة ❊ الخرق ضد الرفق ومعاجلة طلب الحاجة والاسراع
اليها والتعسف فيها قبل وقت امكانها افراط في طلبها والاناة فيها
اذا امكنت تفريط فيه وهما مذمومان وصاحبهما واضع للطلب في غير
موضعه والحق العدل وهو وضع الطلب في وقت الامكان والفرصة
وقال لا تسال عما لا يكون ففي الذي قد كان لك شغل امر بالتسلي
عما لا يكون من زيادة رزق ونحوه من المطالب الدنيوية بما قد كان ووقع
من المطالب التي اعطيها الانسان ورغب فيما امر به من ذلك بقوله ففي
الذي الى اخره اي ففي ذلك شغل لك عما تتوقع من غيره واراد الشغل
بضبط ما في يده من النعمة وما ينبغي من الاشتغال بشكرها واستعمالها في
طاعة الله وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغي ان يشتغل
به عما سواه ولا يطلب الزيادة عليه ❊ وروي لا تسال عما لا يكون ويحتمل
هذه الرواية النهي عن السوال في وقعة الحادثة قبل وقوعها فان الصحابة
ما كانوا يرون جواب المسالة غالبا الا اذا وقعت ويرون السوال عما
لم يقع تعنتا ويكون قوله ففي الذي الى اخره اي ففي الحوادث الواقعة من
الاحكام ودقائق المسائل ما يشغلك عن السوال عما لم يقع منها ❊
وقال الفكر مرآة صافية واستعار
له لفظ المرآة باعتبار انه يرى به المعقولات كما يرى الاشباح في المرآة
وقد سبق بيانه للمناسبة استعار لفظ المنذر الناصح للاعتبار وذلك
لانه يذكر الاخرة ويفيد الانزجار والاتعاظ عن المناهي كالمنذر الناصح ❊
للناس وكفى ادبا لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك اشار الى
ان تجنب المرء لما يكرهه لغيره من الرذائل المهلكة ادب كاف له ونفر عنه

يكونه مكروهًا للغير ورغب في محبته بكونه اذنابًا كافيًا للنفس وقال
عليه السلام العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل
فان اجابه والا ارتحل اراد انه مقرون به في الوضع الذي ينبغي بمقتضى
الحكمة الالهية وذلك لانه تعالى جعل للنفس العاقلة قوتين
علمية وعملية وجعل كمالها باستكمال هاتين القوتين بالعلم والعمل
ولا كمال لها بالعلم دون اقترانه بالعمل وقوله فمن علم
عمل اي من علم ما ينبغي لزمه في الحكم ان يعمل بمقتضى علمه وكان
ذلك داعيًا له الى العمل مستلزمًا لوجوده منه ويحتمل ان
يكون قوله عمل خبرًا في معنى الامر اي فمن علم فليعمل وقوله
والعلم يهتف بالعمل الى اخره فالهتف النداء وان لم ير المنادي
واستعار لفظه للمعقول من طلب العلم لمقارنة العمل
الذي ينبغي له وجذبه الطبيعي له وكانه يصيح به ويدعوه الى
مقارنته ليكون بهما كمال الانسان ومعنى قوله
فان اجابه والا ارتحل ان العلم الذي ينبغي اذا قارنه العمل
تأكد به حتى يصير العلم كانه برز الى عالم الحس في صورة
الفعل مثلاً اذا علم الانسان وجود الصانع وما ينبغي من
طاعته ثم قرن ذلك بعبادته استلزمت تلك العبادة منه
دوام ملاحظته تعالى واخطار ذكره بالبال حتى لا يصير
منسيًا له في وقت ما واما اذا ترك العمل لله ولابد ان يشتغل
بغيره عن ذكره وينقطع ملاحظته له حتى يكون ذلك سببًا
لنسيانه والغفلة عنه واستعار لفظ الارتحال لزوال العلم

باعتبار عدم استعداد تلك النفس وصلاحيتها له فالارتحال عن وطن
ما يصلح لاستيطانه وقد اراد بالارتحال عدم المنفعة
مجازًا اطلاقًا لاسم ذي الغاية على غايته اذ كانت الغاية من الارتحال
عدم المنفعة بالمرتحل وقال عليه السلام متاع الدنيا حطام
موبئ فتجنبوا مرعاه قلعتها احظى من طمأنينتها وبلغتها ازكى من ثروتها
حكم على مكثريها بالفاقة واعين من غني عنها بالراحة من راقه
زبرجها اعقبت ناظريه كمهًا ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره
اشجانًا لهن رقص على سويداء قلبه هم يشغله وهم يحزنه حتى يؤخذ بكظمه
فيلقى بالفضاء منقطعًا ابهراه هينًا على الله فناؤه وعلى الاخوان
القاؤه انما ينظر المؤمن الى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن
الاضطرار ويسمع فيها باذن المقت والابغاض ان قيل اثرى قيل
اكدى وان فرح له بالبقاء حزن له بالفناء هذا ولم يأتهم يوم هم فيه
مبلسون اقول القلعة الرحلة والحظوة المنفعة
والراقة المعجبة والكمه العمى خلقة والاشجان العوارض المهمة
والرقص الغليان والاضطراب والابهران عرقان متعلقان بالقلب
واكدى قل خيره والابلاس اليأس من الرحمة وفي الفصل فامران
احدهما نفر عن الدنيا بامور احدها ان حطامها موبئ
اي مهلك واستعار لفظ الحطام لمتاعها باعتبار سرعة زواله
وقلة الانتفاع به كما قال تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية
وكونه موبئا استلزام اقتنائه والاعتناء بجمعه للهلاك في الاخرة ولذلك
امر بتجنب مرعاه اي رعيه او محل رعيه وهو الدنيا الثاني

قلعتها وعدم القرار بها انفع من الطمانينة اليها لما يستلزمه من
الشقاوة في الاخرة بحبها والسكون اليها في الاخرة الثالث ان
الاقتصار على البلغة من العيش فيها ازكى من الثروة بها لما يستلزمه
الثروة بها من الشقاء الاخروي فالاقتصار على القدر الضروري منها
اطهر للنفس واسلم من غوائلها الرابع حكم بالفاقة على مكثرها
اما فيها فلان كل زيادة منها موجبة للحاجة الى اخرى ولذلك
كان اكثر الناس حاجة فيها الملوك ثم من دونهم على اختلاف
درجاتهم فيها ن واما في الاخرة فلفقر المكثر فيها المشتغل بها
من ملكات الخير والفضائل الخامس ان من غنى عنها من زهده
فيها اعين من يشاء بالراحة منها السادس ان من اعجبته
زينتها فانصب اليها عمي عما فيها من العبر وعما وراها من
احوال الاخرة واستعار لفظ الكمه للمعقول من عمى البصيرة
عن الاعتبار لان ذلك اشد من العمى كما قال تعالى فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور السابع ان من اتخذ محبتها
شعارا ملات قلبه هموما وغموما واحزانا على ما لم يحصل
منها فطلبه وعلى ما فات منها لاسف عليه واستعار لفظ الرقص
لتعاقب تلك الاحزان والهموم واضطرابها في قلبه الى غاية
الاخذ بكظمه وكنى به عن الموت وبالقائه بالفضاء عن دفنه ومنقطعا
ونساحلالا المف به الثامنة انه ارشد الى اوصاف
المؤمن في صحبة الدنيا احدها انه انما ينظر اليها بعين الاعتبار

ليحصل منها عبرة وذلك هو الذي خلق لاجله الثانية ونقاب
منها بقطن الاضطرار وكنى به عن كونه لا يتناول منها الا البلغة ومقدار
ضرورته الثالثة ويسمع فيها باذن المقت والابغاض وكنى
به عن بغضه لها فهو لا يسمع ما يمدح به بل معايبها وقوله
ان قيل اثرى الى قوله الفنا اراد ان الانسان فيها منغص اللذة مكدر
العيشة فبينا هو من ادركه الاكثار والغنى او فرح بما احب
ادركه الحزن عليه وهذا الكلام لاحق بالعامة للاولى في وصف
حال الانسان في الدنيا ومن تمامه ووصف المؤمن هنا اعتراض وقوله
هذا ولم ياتهم اي هذا الملك ولم يات الناس يوم القيامة الذي لشدته هوله
يبلسون فيه من الرحمة ن وقال ان الله سبحانه وضع الثواب
على طاعته والعقاب على معصيته ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة
لهم الى جنته ن الذيادة الدفع والمنع واشار الى غاية الحكمة الالهية
من وضع الثواب والعقاب وهما رد عباده عن نقمته وجمعهم
الى جنته ن وقال ياتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من
القران الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة
من البنا خراب من الهدى سكانها وعمارها شر اهل الارض منهم
تخرج الفتنة واليهم تاوي الخطيئة يردون من شذ عنها فيها
ويسوقون من تاخر عنها اليها ن يقول الله عز وجل فبي حلفت لابعثن
على اولئك فتنة اترك الحليم فيها حيران وقد فعل ونحن نستقيل
الله عثرة الغفلة اقول رسم القران اثره وهو تلاوته
ولا يبقى الا اسم الاسلام دون العمل به وسكان المساجد وعمارها

قرنا السوء وانه للضلال الذين وصفهم عليه السلام في صدر الكتاب
بقوله ان ابغض الخلائق الى الله رجلان وبقوله في فصل اخر
ذاما لاختلاف الناس في الفتيا ترد على احدهم القضية الى اخره
وظاهر ان اولئك واشباههم شر اهل الحرص لكونهم مبدا الفتنة في
الدين واليهم يرجع خطايا الخلق اذ بهم يقتدون وعنهم ياخذون
ومن كان كذلك فقد استعد لفتنته لخارقها الحليم من الحليم ذي
العقل وذوي الحكمين ؛ واذ سال عليه السلام من الله تعالى اقالة
عثرة الغفلة فيجب الاقتداء به في ذلك السؤال اللهم اقلنا من
عثرة الغفلة ؛ وروي انه عليه السلام قلما اعتدل به المنبر الا
قال امام خطبته ايها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو
ولا ترك سدى فيلغو وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الاخرة التي
قبحها سوء النظر عنده وما المغرور الذي ظفر من الدنيا باعلى همته
كالاخر الذي ظفر من الاخرة بادنى سهمته اقول
السدى المهمل والسهمة النصيب ولما كان تقوى الله والتزود
بها اليه هو المطلوب من خلق الانسان لا جرم صدر بالامر بها عامة
خطبه عليه السلام ونبه على كونها المطلوب وان الغاية منه هو
الاخرة وانه ليست الدنيا وان تحسنت له بخلف من عاقبة وان قبحها
سوء نظره لها ومعرفته بها وعلى انه لا مناسبة بين من ظفر من الدنيا
باعلى مطالبه منها ؛ وبين من ظفر من الاخرة بادنى نصيب اشرف
متاع الاخرة فكم من ظفر منها باعلى قسط ؛ وتقصر طالب الدنيا
والمدعي للظفر بها لكونه مغرورا والفصل ظاهر ؛ وقال

عليه السلام عشر كلمات احديها لا شرف اعلى من الاسلام
لاستلزامه شرف الدنيا والاخرة الثانية ولا عز اعز من
التقوى لان التقوى تستلزم جميع مكارم الاخلاق الجامعة
لعز الدنيا والاخرة وكان عزها اكبر عز من غيرها الثالثة
ولا معقل احصن من الورع واستعار له لفظ المعقل باعتبار
تحصن الانسان به من عذاب الله ؛ ولما كان عبارة عن لزوم
الاعمال الجميلة فلا معقل احصن منه الرابعة ولا
شفيع انجح من التوبة وذلك لاستلزامها العفو عن جريمة التائب
قطعا دون سائر الشفعاء فانها عينهم ولفظ الشفيع مستعار
لها الخامسة ولا كنز اغنى من القناعة وذلك لكونها
فضيلة مستلزمة لشكور نفس الانسان ورضاه بما قسم له
وغناه عما وراءه ولا شيء من سائر الكنوز لابناء الدنيا كذلك
ولفظ الكنز مستعار لها السادسة ولا مال اذهب
للفاقة من الرضا بالقوت وهو قريب مما قبله السابعة
ومن اقتصر على بلغة الكفاف اي البلغة التي تكف عن الناس
فقد انتظم الراحة اي في سلك الراحة من الهم بطلب الدنيا
ومجاذبة اهلها عليها وتبوأ خفض الدعة اي اتخذ لين السكون
مباءة ومرجعا الثامنة والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب
استعار للرغبة في الدنيا لفظ المفتاح باعتبار فتحها لباب التعب
على الراغب وكذلك لفظ المطية باعتبار استلزامها له كالمطية
التي يصعب ركوبها التاسعة والحرص والكبر والحسد

دواع الى التهجم في الذنوب والمهجم الدخول بسرعة والحرص على الدنيا
داع الى الظلم والكذب والفجور والجبن والبخل ونحوها من الرذائل
والكبر داع الى قلة الانصاف وعدم التواضع والعجب والتهور
وعدم الاحتمال ونحوها والحسد داع الى الظلم والكذب والفساد
في الحديث وغيرها من الآثام في المعاشرة والشر جامع
لمساوي العيوب السر كلي كالجنس لمساوي العيوب ومقابح العادات
كل منها نص وعليه انه شر مخصوص وهو المعنى بكون الشر جامعا لها
وقال لجابر بن عبد الله الانصاري يا جابر قوام الدنيا باربعة
عالم يستعمل علمه وجاهل لا يستنكف ان يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه
وفقير لا يبيع آخرته بدنياه يا جابر من كثرت نعمة الله عليه كثرت
حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرض نعمته لدوامها وان
ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته لزوالها الدنيا انما تقوم بالمال
ثم بالعلم لوضعه في مواضعه ومعرفة وجوه انفاقه الى ما ينبغي اولا
من حلال وحرام وهو علم الفقه واصوله وتفسير كتاب الله وسنة
رسوله الذين هما معدن الاحكام ثم ما يلزم ذلك من علم العربية
ونحوه ولما كان العلم لا بد له من حامل والمال لا بد له من
مالك وجب ان يكون من شرط الاول ان يعمل بعلمه ومن شرط الثاني
ان يستعمل ماله في مصارفه التي ينبغي والا لم يكن لهما فائدة ولا قام
بهما احوال الخلق التي هي الدنيا ولما كان الموت ضروريا للعلماء
وغيرهم ووجب في قوام الدنيا وبقاء نظامها ان يدوم العلم في قرن من
الناس بعد قرن وجب ان يكون بها الجهال لا يستنكفون عن تعلمه

ولما كانت حاجة البعض الى البعض في قوام الدنيا ضرورية ولم يجز
في نظامها ان يستغني كل عن كل لاسباب معلومة وغير معلومة
وجب ان يكون بها اكثر من لا مال له ليحصل الانتفاع له فيما هو بصدده
ومن سنح له من الاعمال الضرورية بالجود عليه فان قوام الدنيا لا
يحصل بدون الاربعة وانما شرط في الفقير ان لا يبيع آخرته بدنياه
لان بائع آخرته بدنياه ظالم خارج عن العدل ولا تقوم به الدنيا ولا
تصلح للعباد تنبيه لما بين ما به قوام الدنيا اشار الى ما يلزم ضد ذلك
من الفساد فيفرع عنه بقوله فاذا ضيع الى قوله بدنياه فان تضييع العالم
يستلزم عدم الانتفاع به واستنكاف الجاهل عن تعلمه لسوء اعتقاده
في العلم واهله لما يراه من تضييعهم له وعدم عملهم على وفقه فيبقى
على الجهل بمقتضاه وبخل الغني بمعروفه مستلزم لعدم المنفعة
بالمال وما يلزم ذلك من شدة حاجة الفقير وبيع آخرته بدنياه
فيلزمه الفساد المنافي لمصلحة المعاش والمعاد ثم اشار الى ما يلزم
كثرة نعمة الله على العبد من كثرة حوائج الخلق اليه ليوضح له وجوب
الشكر عليها والقيام بما يجب لله فيها من الاحسان الى المحتاجين
اليه ورغب في ذلك بما يلزمه من تعريض العبد بذلك نعمة الله عنده
للدوام والمزيد ونفر عن تضييع ذلك بما يلزمه من تعريضها لزوالها
وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى الفقيه وكان
ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الاشعث انه قال فيما كان يحض
به الناس على الجهاد اني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلم
يقول يوم لقينا اهل الشام ايها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به

ومنكرًا يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومَن أنكره بلسانه فقد
أُجر وهو أفضل من صاحبه ومَن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العُليا
وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على
الطريق ونوّر في قلبه اليقين ۞ لما كان إنكار المنكر واجبًا على كل
مكلّف بحسب تمكنه وكان لتمكنه من ذلك طرف أدنى وهو الإنكار
بالقلب لإمكانه من كل أحد وطرف أعلى وهو الإنكار باليد وهو الغاية
ووسط وهو الإنكار باللسان لاجرم تفاوتت درجاته في استحقاق الأجر به
مرتبة على درجات إنكاره وإنما خصص المنكر بقلبه بالسلامة
والبراءة أي من عذاب الله لأنه لم يحمل إثمًا وإنما لم يذكر له أجرًا وإن
كان كل واجب يثاب عليه لأن غاية إنكار المنكر دفعه والإنكار
بالقلب ليس له في الظاهر أثر في دفع المنكر وكأنه لم يفعل ما
يستحق به أجرًا وإنما قال لتكون كلمة الله هي العُليا لأنه إن لم يكن ذلك
مقصود المنكر بل كان مقصوده مثلًا الرياء أو العلة الدنيوية لا
يكون قد أصاب سبيل الهدى واستعار لفظ التنوير لوضوح الحق في
قلبه وجلائه من شبهة الباطل ۞

وَفي كَلامٍ لهُ عَلَيْهِ السَّلَمْ يَجْرِي هَذَا المَجْرَى

فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير
ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين
من خصال الخير ومضيّع خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده
ولسانه فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة
ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء
وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجّي وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق وأفضل ذلك كلمة حق عند إمام
جائر **أقول** إنه عليه السلام جرى في هذه القسمة على الوجه
الطبيعي المعتاد وذلك أن العادة جارية بأن ينكر الإنسان المنكر أولًا بقلبه
ثم بلسانه ثم بيده إذا تمكن وقد يرد القسمة على غير هذا الوجه فيكون
الناس في ذلك على أقسام ستة وهي المنكر بقلبه فقط أو بلسانه فقط
أو بيده فقط أو بقلبه ولسانه أو بقلبه ويده أو بلسانه ويده ۞ واعلم أن الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر متلازمان لأن المعروف والمنكر قد يكونان
نقيضين أو في قوتهما فيكون النهي عن المنكر مستلزمًا للأمر بالمعروف
والأمر بالمعروف مستلزمًا للنهي عن المنكر واستجماعهما لخصال الخير
ظاهر لأن كل خصلة منه معروف والأمر بالمعروف مطلقًا أمر بها
وترك كل واحدة من خصال الخير منكر فإنكاره يستلزم الأمر بها
ولما كانت هذه الأنواع الثلاثة من إنكار المنكر فضائل تحت فضيلة العدل
وجب عدادها من خصال الخير ولما كانت مستلزمة لسائر الفضائل كما
أشرنا إليه وجب أن يكون المنكر للمنكر مطلقًا مستكملًا لجميع خصال
الخير وأن يكون التارك له بيده تاركًا لخصلة ومتمسكًا بخصلتين والتارك
بيده ولسانه مضيّعًا لأشرف الخصلتين من الثلاث وإنما كانتا أشرف لكونهما
يستلزمان دفع المنكر أو بعضه غالبًا بخلاف الثالثة ووجب أن يستحق
تارك الثلاث اسم الميت في حياته لخلوه عن جميع الفضائل ولفظ الميت
استعارة **وقوله** وما أعمال البر إلى قوله لجّي تعظيم لهاتين

الفضلين وشبه اعمال البر كلها بالنسبة اليهما بالنفثة في البحر اللجي
ووجه الشبه ان كل ما حصل من اعمال البر جزئي بالنسبة اليهما كالنفثة
بالنسبة الى البحر وعموم الخير فيهما **وقوله** فان الامر الى قوله
رزق صغرى ضمير رغبته فيهما وتقدير الكبرى وكل ما لا يقرب من
اجل ولا ينقص من رزق فلا ينبغي ان يحذر منه ثم اشار الى افضل اصنافهما
وهو كلمة العدل عند الامام الجائر لغرض رده عن جوره ن وعن ابي
جحيفة قال سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول ان اول ما تغلبون عليه من
الجهاد الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفا
ولم ينكر منكرا قلب فجعل اعلاه اسفله ن الجهاد باليد واللسان
والقلب هو انكار المنكر بها وانما كان باليد اول مغلوب عليه لان الغرض
الاول للعدو ازالة سلطان اليد ومقاومته واذا امكن من ذلك كان زوال
سلطان اللسان سهلا ن فان قلت لم قال ثم بقلوبكم ومعلوم ان
القلب لا يطلع عليه العدو ولا يمكن من ازالة الجهاد به قلت اراد
انهم اذا غلبوا على الجهاد باليد واللسان وطالت المدة عليهم الفوا المنكر
وتكرر على سمعهم وابصارهم وقلوبهم فلم ينكروها انكاره وهو معنى
غلبهم عليه **وقوله** فمن لم يعرف بقلبه الى اخره نفر عن
ترك الخصلتين بما يلزمه من قلب اعلى التارك اسفله واستعار لفظ القلب
للانتكاس في مهاوي الرذائل ودركات الجحيم وانما خص انكار القلب
بذلك لامكانه في كل وقت وخلوه عن المضار المخوفة التي تخشى في الانكار
باليد واللسان ن وقال ان الحق ثقيل مري وان الباطل
خفيف وبي استعار للحق وصفي الثقل والمري باعتبار صعوبته على من

يكون عليه فيرفضه وللباطل وصف الخفة باعتبار سهولته على اهله
ولفظ الوبي باعتبار استلزامه هلاكهم في الاخرة ن وقال
لا يامنن على خير هذه الامة عذاب الله لقول الله سبحانه فلا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون ن ولا تيأسن لشر هذه الامة من روح الله لقوله
تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ن ادب السامع بهذين
الادبين محتجا بعموم الايتين ولفظ المكر مستعار لامهال الله ثم اخذه
فهو في صورة المكر والخداع والمراد ظاهر ن وقال عليه السلام
البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء ن البخل
رذيلة التفريط من فضيلة السخاء وهي مستلزمة للجهل لان البخيل غير
عالم بوضع المال موضعه وللفجور لعبوره في شهوته ومحبته للدنيا في
طرف الافراط فيها وللجبن لان من بخل بماله فهو بنفسه ابخل وللانظلام
والظلم لقصوره عن فضيلة العدل في ماله ثم للحرص والحسد والشره
ودناءة الهمة والكذب والغدر والخيانة وقطع الرحم وعدم المواساة
وكل طرف تفريط لفضيلة من الفضائل فانه من توابع البخل ولواحقه
وهي مساوي العيوب التي اخبر عن اجتماعها فيها وانه زمام الى كل
منها واستعار له لفظ الزمام باعتبار انه يدعو الى هذه المساوي ويقود
اليها كالزمام ن وقال الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق
يطلبك فان لم تأته اتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك كفاك
كل يوم ما فيه فان تكن السنة من عمرك فان الله تعالى جده سيؤتيك في كل
غد جديد ما قسم لك وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم بما
ليس لك ولن يسبقك الى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ

عنك ما قد قُدِّر لك ن قال السيد وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا
الباب الا انها هنا اوضح واشرح فلذلك كررناه على القاعدة في اول الكتاب
واقول من مضى يسير اكثر هذا الكلام وغرضه النهي عن
الاهتمام بالدنيا والاشتغال بما يرجى منها عن ذكر الله وطاعته ونهاه ان
يحمل هم السنة على هم اليوم لئلا يجتمع عليه احزان مضاعفة يكفي واحدها
شغلا واحتج لذلك بضميرين صغرى الاول قوله فان لم تكن السنة وتقديرها
سنتك التي يهتم لها اما ان يكون من عمرك او ليس وتقدير الكبرى وكل
ما كان على هذين التقديرين فلا ينبغي الاهتمام به اما على التقدير الاول
فان الله يؤتيك في كل يوم منها ما قسم لك لا محالة وما لا بد منه لا يجوز
الاهتمام به ن واما على التقدير الثاني فلانه ليس من العقل ان يهتم
المرء بما ليس له وصغرى الثاني قوله ولن يسبقك الى قوله ما قدر لك
وتقديرها ان رزقك لن يسبقك اليه طالب وتقدير الكبرى وكل
ما كان كذلك فلا ان يهتم به ن وقال رب مستقبل يوما
ليس بمستدبره ومغبوط في اول ليله قامت بواكيه في آخره وغرض
الكلمة التنبيه من رقدة الغفلة على الموت لغاية العمل له ولما
بعده والمعنى ظاهر ن وقال الكلام في وثاقك ما لم
تتكلم به فاذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن
ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة ن الوثاق الحبل ن وامر
بخزن اللسان عما لا ينبغي من القول وفي غير موضعه وشبه خزنه بخزن
الذهب ووجه الشبه شدة الخزن ونفر عن قول ما لا ينبغي بضميرين
صغرى احدهما قوله الكلام الى قوله وثاقه وتقدير الكبرى وكل كلام

كان كذلك فلا ينبغي ان يتكلم منه الا بما ينبغي ولفظ الوثاق مستعار
وصغرى الثاني قوله رب كلمة سلبت نعمة وتقدير الكبرى وكل
كلمة كذلك فيجب الاحتراز منها بقلة القول والتثبت فيه ن
وقال عليه السلم لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم
فان الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم
القيامة ن نهى عن قول ما لا تعلم لانه كذب او محتمل للكذب ولانه
قول بالجهل فيجب الاحتراز فيه ن واما النهي عن قول كل ما تعلم
فلجواز ان يكون فيه مضرة لنفسه او لغيره كاذاعة سر يستلزم اذاه او
اذى من اسر اليه ونفر عن ذلك بقوله فان الله الى اخره وهو صغرى
ضمير الفرائض التي افترضها الله على كل جارحة هو ما اوجبه على اللسان
مثلا من قول ما لا ينبغي في موضعه وكذلك ما يتعلق بالعين من النظر الذي ينبغي
ونحو ذلك في سائر الجوارح وتقدير الكبرى وكل من فرض الله على
جوارحه فرائض كذلك يحتج بها عليه يوم القيامة في تركها والعمل بها
فيجب عليه المحافظة عليها ن وقال احذر ان يراك الله عند
معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين ن حذر من الامرين
بما يلزمه من دخوله في زمرة الخاسرين لثواب الله يوم القيامة ثم امر
بالقوة على طاعة الله لتتم الاستعداد بها لرحمته وبالضعف عن معصيته
لضعف الاستعداد بها عن قبول سخط الله ونقمته ن وقال
عليه السلم تلك كلمات احدها الركون الى الدنيا مع ما تعاين منها جهل اي
بما ينبغي ان يركن اليه مما لا ينبغي لمناسبته والتقصير في حسن العمل اذا وثق
بالثواب عليه غبن اي مستلزم للغبن فيما يفوته من ترك الثواب الكثير

في مقابلة العمل اليسير له وفيه ايماء الى ان هذا المقصر في حسن العمل عدم
الوثوق بالثواب الموعود في الآخرة لشكه فيه والطماعيه الى كل احد
قبل الاختبار عجزا اي عن البحث عمّن ينبغي السكون اليه وعن وضعه موضعه
ونفّر عن الركون الى الدنيا بما يلزمه من الجهل وعن التقصير في حسن العمل
بما يلزمه من الغبن وعن الطماعيه الى كل احد بما يلزمها من العجز ٥ وقال
عليه السلام من هوان الدنيا على الله ان لا يُعصى الا فيها ولا يُنال ما عنده الا بتركها
نفّر عن الدنيا بذكر هوانها على الله من الوجهين المذكورين ٥ وقال
مَن طلب شيئا ناله او بعضه ٥ هو كقولهم من جدّ وجد ومن قرع بابا ولجّ ولج
وظاهر ان الطلب مُعدّ لحصول المطلوب فان تمّ الاستعداد له نال
الكلّ والّا فبقدر نقصان الاستعداد يكون نقصان المطلوب ٥
وقال ما خيرٌ بخيرٍ بعده النار وما شرٌّ بشرٍّ بعده الجنة
وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاءٍ دون النار عافية نفى عمّا يقود
الى النار وان عُدّ في الدنيا خيرا والمراد استحقاق اسم الخير تحقيرا له وتنفيرا
عنه بما يلزمه من غايته التي هي النهاية في الشرّ وهي النار ٥ وكذلك نفى
عمّا يقود الى الجنة من الطاعات الشاقة وان عُدّ في الدنيا شرّا والمراد
استحقاق اسم الشرّ ترغيبا فيه بما يلزمه من غايته التي هي دخول الجنة
والتقدير ما خيرٌ بعده النار بخير وما شرّ بعده الجنة بشرٍّ وقوله
وكل نعيم دون الجنة محقور تفسير للاول وقوله وكل بلاءٍ
دون النار عافية تفسير للثاني واراد عافية نسبية ٥ وقال
عليه السلام الا وان من البلاء الفاقة واشدّ من الفاقة مرض البدن واشدّ من
مرض البدن مرض القلب الا وان من النعم سعة المال وافضل من سعة المال

صحة البدن وافضل من صحة البدن تقوى القلب اشار الى درجات البلاء
وتفاوتها بالشدّة والضعف والى ما يقابلها من درجات النعمة وتفاوتها
كذلك وانما كان مرض القلب بالرذائل اشدّ من مرض البدن لانه يستلزم الم
الآخرة وفوات اهل السعادات وهو الموت الذي لا حياة معه وبحسب ذلك
كان تقوى القلب واستكماله بالفضائل افضل من صحة البدن لاستلزامه السعادة
الباقية والحياة الابديّة ٥ وقال للمؤمن ثلاث ساعات فساعة
يناجي فيها ربه وساعة يرمّ فيها معاشه وساعة يخلّي فيها بين نفسه وبين لذّتها
فيما يحلّ ويجمل وليس للعاقل ان يكون شاخصا الّا في ثلاث مرمّة لمعاش او
خطوة في معاد او لذّة في غير محرّم اقول رمّ المعاش
اصلاحه والشاخص الذاهب من بلد الى بلد ٥ وقسم زمان المؤمن العاقل
الى ثلاثة اقسام بحسب ما ينبغي له بمقتضى الحكمة العملية والرأي الحق
فقسمٌ هو قربه على عبادة الله ومناجاته وهذا القسم هو المطلوب الاول
وقسمٌ يصلح فيه ما لا بدّ منه في تحصيل القسم الاول من معاشه وقسمٌ يخلّي
فيه بين نفسه ولذّتها المباحة التي تجمل وتحسن دون المحرّمة والمباحة
المستهجنة وهذان القسمان مرادان لاجل الاول اذ لا يمكن بدونهما وقوله
وليس للعاقل الى آخره اي ليس له بحسب مقتضى العقل العملي ان يستعمل نفسه
الّا في الامور الثلاثة ٥ وقال عليه السلام ازهد في الدنيا يبصّرك الله
عوراتها ولا تغفل فلست بمغفول عنك ٥ لما كانت محبة الدنيا مستلزمة
لاستتار عيوبها عن ادراك محبّها كما قيل حبّك الشيء يعمي ويصمّ كان بغضها
والزهد فيها رافعا لذلك الستر كاشفا لما تحته من عيوبها وعوراتها فامر
بالزهد فيها لهذه الغاية المنفّرة عنها ثم نفّر عن الغفلة فيها عمّا وراءها

نعم صغره قوله فلست بمغفول عنك وتقدير الكبرى وكل من ليس بمغفول
عنه فلا ينبغي أن يغفل عما يراد به ۞ وقال عليه السلام تكلموا تعرفوا
فإن المرء مخبوء تحت لسانه قد مر تفسير هذه الكلمة لكنه جعلها هنا صغرى
ضمير رغب به في الكلام عند الحاجة لغاية أن يعرف المتكلم وتقدير الكبرى
وكل من كان مخبوءا تحت لسانه فينبغي أن يظهر نفسه في كلامه ليعرف ۞
وقال خذ من الدنيا ما أتاك وتول عما تولى عنك فإن أنت لم تفعل
فأجمل في الطلب أمر بالقناعة أولا بما تيسر من الدنيا لمن يمكن منها وقوي
عليها وبالإجمال في الطلب لمن لم يتمكن منها والإجمال في طلب الدنيا
طلبها برفق من الوجه الذي ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي ۞ وقال
رب قول أنفذ من صول أي قد يبلغ الإنسان بالقول ما لا يبلغه بالشدة
والصولة فيكون القول أنفذ في غرضه ويصلح مثلا يضرب للرفق واللين الذي
يبلغ به ما لا يبلغ بالعنف ۞ وروي عوض أنفذ أشد والمعنى رب قول
يقوله الإنسان فيكون ضرره عليه أشد من صولة عدوه أو رب قول يسمعه
من غيره كقذف أو هجو يكون أشد عليه من صولة العدو والمعنيان منقولان عن
ابن آدم الهروي ۞ وقال كل مقتصر عليه كاف أي لا يقتصر
الإنسان إلا على مقدار يمكنه دفع الضرورة أو الحاجة به وذلك كاف
ونعم للقانع عما سواه وفيه إيماء إلى الأمر بالاقتصار على اليسير من الدنيا
وقال الكلمات أربع أحداها المنية ولا الدنية
فالمنية ضد إذ دل على خبره بقوله ولا الدنية أي أسهل من الدنية ويحتمل
أن يكون المعنى تحمل المنية ولا تحمل الدنية وهي الخسيسة من الأمر
ترتكب في طلب الدنيا وكثير من الكرام يختار الموت على ذلك والماسه

التقلل ولا التوسل إلى القناعة بالقليل من العيش والتبلغ به خير من التوسل
إلى أهل الدنيا في طلبها بالمسألة ۞ ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما
كنى بالقعود عن الطلب السهل وبالقيام عن الطلب الصعب بعنف أي
من لم يرزق بالطلب السهل لم ينفعه التشدد في الطلب وهذا الحكم
أكثري إنما هو حكم الحظ حث به على الإجمال في الطلب والرابعة
والدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك
فلا تضجر فاليوم الذي له هو زمان النعمة والرخاء ويجب أن لا يتجاوز فيه الحد
الذي ينبغي له واليوم الذي عليه هو زمان الضيق والبلاء ويجب في ذلك الصبر
للاستعداد به لقبول رحمة الله تعالى كما قال تعالى وبشر الصابرين الآية
وقال مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم الغائلة الحقد
وذلك أن متابعة الناس في أخلاقهم يستلزم مناقبهم وعداوتهم في أحقادهم
فالعدول عنها إلى المقاربة والمشاكلة لأخلاقهم يستلزم الأمن من ذلك
منهم ۞ وقال لبعض مخاطبيه وقد تكلم في حضرته بكلام
يستصغر عن مثله لقد طرت شكيرا وهدرت سقبا والشكير هو الفرخ
قبل النهوض واستعار له لفظتي الشكير والسقب باعتبار صغره وقلته
عما تكلم به في حضرته ووصف الطيران والهدير له باعتبار نهوضه
إلى ذلك الكلام الذي هو فوق محله وليس أهلا له كما أن الطيران ليس من
شأن الشكير ولا الهدير من شأن السقب ۞ وقال عليه السلام
من أومى إلى متفاوت خذلته الحيل المتفاوت كالأمور المتضادة أو
التي يتعذر الجمع بينها في العرف والعادة واستعار وصف الخذلان للحيل
باعتبار أنها لا تواتيه ولا تمكنه في الجمع بين ما يرومه من تلك الأمور ۞

وقال عليه السلم وقد سُئل عن معنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم انّا لا نملك مع الله شيئاً ولا نملك الا ما ملّكنا فمتى ملّكنا
ما هو املك به منّا كلّفنا ومتى اخذه منّا وضع تكليفه عنّا ن برهان قوله
انا لا نملك مع الله شيئاً قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان اراد
بكم ضرًّا او اراد بكم نفعاً الآية وظاهر ان التكليف تابع لما ملّكنا اياه
من الجوارح والقوى والعقل وسائر متعلقات التكليف وعند اخذه لشيء
منها تضع التكليف المتعلق به عنّا ن وسُئل الصادق عليه السلم عن هذه
الكلمة فقال لا حول على ترك المعاصي ولا قوة على فعل الطاعات الا
بالله ن وقال عليه السلم لعمار بن ياسر رحمه الله وقد سمعه
يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً دعه يا عمار فانه لم يأخذ من الدين الا ما
قاربته الدنيا وعلى عمد لبّس على نفسه ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته
اراد انه لا يعمل من الدين الا بما يستلزم دنيا ويقرّب منها كالعدل او صدق
يستلزم منفعة دنيوية دون ما ليس كذلك وهو صغوى صمير يقربه عن مخاطبته
بعد بركراه وذل من كان كذلك فينبغي ان تعرض عن مراجعته ومكالمته
وقال ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلباً لما عند الله
واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالاً على الله تيه الفقراء على
الاغنياء اصعب عليهم واشق من تواضع الاغنياء لهم اذ كان تيههم
يستدعي كمال التوكل على الله وهو درجة عالية في الطريق اليه فلذلك
كان افضل واحسن لقوله عليه السلم افضل الاعمال احمزها ن
وقال عليه السلم ما استودع الله امرءاً عقلاً الا استنقذه به يوماً ما
اما من بلاء الدنيا بالحيلة او من بلاء الآخرة بالطاعة ن وقال من

صارع الحق صرعه استعار لفظ المصارعة للمقاومة وذلك ان لله
سبحانه وملائكته وكتبه ورسله والصالحين من عباده اعوان الحق ولا
مقاوم لهم ن وقال القلب مصحف البصر اراد بالقلب النفس
او الذهن واستعار له لفظ المصحف باعتبار ان كل ما يتصور في الذهن اريد
المعبر عنه ولا بد ان يتصور حروف العبارة عنه في لوح الخيال الحس
البصري فيشاهدها من هناك ويقرؤها فالقلب اذن كالمصحف الذي
يشاهد فيه الحروف والالفاظ ويقرأ منه بالبصر ولذلك اضافه الى
البصر ن وقال التقى رئيس الاخلاق واستعار لفظ الرئيس
للتقوى لله باعتبار افضليته في استلزامه لرضوان الله وحصول السعادة
الباقية ولانه من الاخلاق وبانفراده يستلزم ذلك ن وقال
عليه السلم لا تجعلنّ ذرب لسانك على من انطقك وبلاغة قولك
على من سدّدك ذرب اللسان حدّته وهو ادب يجري مجرى المثل
يضرب لمن حصل من انسان علماً او فائدة فيتشعّر بها عليه كان يفاخر
على من علمه الفصاحة ن وقال كفاك ادباً لنفسك اجتنابك
ما تكرهه من غيرك واراد بما تكرهه من غيره الرذائل فانها مكروهة في
كل احد من غيره ومن نفسه ايضاً اذا عقل انها رذيلة ولذلك اذا
عُيّر بها انف منها الا ان بعض الرذائل قد يخفى على من هي فيه ولا يتصور
قبحها من نفسه او انه قد يتصوّر ذلك لكن يحمله عليها حامل آخر
من شهوة او غضب ولما كان اجتناب الرذائل يستلزم الوقوف على
فضيلة العدل في كل شيء لا جرم كان اجتنابها ادباً كافياً لمن يجتنبها
وقال عليه السلم من صبر صبر الاحرار والا سلا سلو الاغمار

وفي خبر آخر أنه قال عليه السلام للأشعث بن قيس معزياً إن صبرت صبر
الأكارم وإلا سلوت سلو البهائم ٥ والأغمار الجهال جمع غمر وجذب
إلى فضيلة الصبر في المصائب بإضافته إلى الأحرار والأكارم وبما يلزم عدمه
من الغاية وهي السلو المشبه لسلو الغافلين أو البهائم وأصل إلا إن لا أي
وإن لا تصبر ٥ وقال عليه السلام في صفة الدنيا ٥ الدنيا تغر
وتضر وتمر إن الله لم يرضها ثواباً لأوليائه ولا عقاباً لأعدائه وإن أهل
الدنيا كركب بيناهم حلوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا [illegible]
[illegible] أحدها قوله الدنيا تضر أي بمحبتها وتغر أي بزينتها
وتمر أي بفراقها إذ من طبيعتها ذلك واستعار لها وصف الإمرار باعتبار
ما يستلزمه فراقها من ألم الجزع والحزن كالمرارة ٥ ويروى تمر بفتح التاء
أي تذهب الثاني قوله إن الله إلى قوله لأعدائه إذ لو رضيها لذلك
لأعطاها أولياءه وحرمها أعداءه الثالث قوله وإن أهل الدنيا إلى آخره
وقوله بيناهم إلى آخره في تقدير صفة كركب أي كركب من شأنه كذا ووجه
الشبه بالركب الذي شأنه ذلك سرعة ارتحالهم إلى الآخرة كسرعة ارتحال
الركب وتقدير الكبرى في الضمير من الأولين وكلما كان كذلك فينبغي أن
يجتنب ولا يحرص على طلبه وتقديرها في الثالث وكلما كان كذلك فينبغي
أن يستعد فيه للرحيل والسفر ٥ وقال لابنه الحسن عليه السلام
يا بني لا تخلفن وراءك شيئاً من الدنيا فإنك تخلفه لأحد رجلين إما رجل عمل
فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت
عوناً له على معصيته وليس أحد هذين حقيقاً أن تؤثره على نفسك ٥ أقول أمره
عليه السلام بالنهي عن ادخار المال وتنفيره عن ذلك بضمير صغراه قوله

فإنك إلى آخره وقوله بما شقيت به أي بشقاء الدنيا بجمعه وشقاء
الآخرة بادخاره لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الآية وتقدير
الكبرى وكل من خلف مالاً لأحد هذين وليس أحدهما حقيقاً بأن يؤثره
على نفسه فلا يجوز له أن يخلفه ٥ ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو
أما بعد فإن الذي في يديك من الدنيا قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى أهل
بعدك وإنما أنت جامع لأحد رجلين رجل عمل فيما جمعته بطاعة الله
فسعد بما شقيت به أو رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له
وليس أحد هذين أهلاً أن تؤثره على نفسك ولا تحمل له على ظهرك فارج لمن
قد مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله **أقول** في هذه
الرواية تنفير عن الدنيا بضميرين أحدهما قوله فإن الذي في يديك إلى
قوله بعدك وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فليس لك أن تحبه وتعتمد
عليه الثاني قوله وإنما أنت إلى قوله ظهرك وكبراه ما مر في الرواية
الأولى واستعار لفظ الحمل لاكتساب آثام جمع المال ورشح بذكر
الظهر ثم أرشده إلى ما هو خير من المال لمن مضى وهو رجاء رحمة الله ولمن
بقي وهو رجاء رزق الله الموعود لكل حي ٥ وقال عليه السلام
لقائل قال بحضرته أستغفر الله ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار إن
الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان أولها
الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً والثالث أن
تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل أملس ليس عليه تبعة
والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها والخامس
أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد

بالخطر وشتان بينهما الجم حديث والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة
كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله **اقول**
ظاهر كلامه عليه السلام يقتضي ان اسم الاستغفار الحقيقي له درجة
العليين ويستحقها صاحبها به واقع على مجموع المعاني الستة التي
اشار اليها وذكرها ليعرف حقيقته منها ويكون ارادة هذا المعنى
من لفظ الاستغفار نحو حقيقة شرعية اذ مفهومه اللغوي انه
طلب المغفرة الا انه لما كان طلبها مشروطا لحصول المعاني
المذكورة اطلق لفظ المشروط على الشرط واستعمله فيه ويحتمل
ان لا يكون غرضه تفسير ماهية الاستغفار بل الاشارة الى شرائطه
التي لا ينبغي ايقاعه من دونها وهي المعاني الستة ويكون معنى قوله
اتدري ما الاستغفار اي الاستغفار التام بشرائطه واعرض عن
ماهيته للعلم بها واشار الى تمامه من الشرائط وقصد بالاشارة الى
صدق لفظه على شرائطه تاكيدا انه لا يتم بدونها حتى كان مجموعها
نفس حقيقة الاستغفار واستعار لفظه الاملس لنقي الصحيفة من
الآثام ن وقال الحلم عشيرة استعار لفظ العشيرة
للحلم باعتبار انه يحمي صاحبه ممن يؤذيه ويعاديه كما تحميه عشيرته
وقال عليه السلام مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون
العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه
العرقة ن ذكر كونه مسكينا وبين ذلك بضمير عدد فيه وجوه المسكنة
والضعف صغراه قوله مكتوم الاجل الى آخره وهو ظاهر وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فهو مسكين ومسكين حرم المدى رحمة الله عليه .

لان ذكره اهم وحذف سوءه تخفيفا وغرض الكلام كسر النفوس من سورة
الكبر والعجب والفخر وامثالها من الرذائل ن وروي انه عليه السلام كان
جالسا في اصحابه اذ مرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بابصارهم
فقال عليه السلام ان ابصار هذه الفحول طوامح وان ذلك سبب هبابها
فاذا نظر احدكم الى امرأة تعجبه فليلامس اهله فانما هي امرأة كامرأة فقال
له رجل من الخوارج قاتله الله كافرا ما افقهه فوثب اليه القوم ليقتلوه
فقال عليه السلام رويدا انما هو سب بسب او عفو عن ذنب الرمق
النظر وطموح البصر ارتفاعه والهبب والهباب صوت التيس عند
هياجه وطلبه للسفاد واستعار لهم لفظ الفحول ولفظ الهباب لطلبهم
النكاح وارشدهم الى الخلاص من فتنة النظر بملامسة الاهل ورغب
في ذلك بضمير صغراه قوله فانما هي امرأة كامرأة اي فانما اهل الرجل
امرأة تشبه المرأة المرئية وتقدير الكبرى وكل من يشبهها ففيه
عوض منها ن وانما اطلق الخارجي لفظ الكافر عليه لانه عليه السلام عند
الخوارج مخطئ وكل خطيئة عندهم كفر وقوله انما هو سب
الى آخره معنى فصل العدل ن وقال كفاك من عقلك
ما اوضح لك سبيل غيك من رشدك ن الغرض من العقل العملي هو ما
ذكره عليه السلام ونبه به ن وقال افعلوا الخير ولا تحقروا
منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ولا يقولن احدكم ان احدا اولى
بفعل الخير مني فيكون والله كذلك ان للخير والشر اهلا فمهما
تركتموه منهما كفاكموه اهله ن امر بفعل الخير ونهى عن احتقار
شيء منه وان قل ورغب فيه بضمير صغراه قوله فان صغيره كبير

وفعله كثيرا اي في الاعتبار وبالنسبة الى من يحتاج اليه ثم نهى ان
يقول احد ان غيره اولى بفعل الخير منه وهو كناية عن ترك المرء الخير
اعتمادا على ان غيره بفعله اولى وقوله فيكون والله كذلك
لان ذلك القول من القائل التارك للخير يكون باعثا لمن يوسم فيه
فعل ذلك الخير ونسبه اليه فيصدق قوله وظنه فيه بفعله له فيكون
اولى به منه وقوله ان للخير والشر اهلا الى اخره ترغيب
في الخير وتنفير عن الشر بذكر ان لكل منهما اهلا مكتفيا به ان تركه
من ليس من اهله لكون الناس يعرفون من اهل الخير بفعله ويتركوا
الشر لاهله . وقال من اصلح سريرته اصلح الله
علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله امر دنياه ومن احسن فيما بينه وبين
الله كفاه الله ما بينه وبين الناس . فصلاح باطن الانسان وسيرته
بالاخلاق الفاضلة معد لافاضة الله عليه صلاح اقواله وافعاله
الظاهرة لانها كالثمرات للباطن . وكذلك عمل الانسان لدينه
واقامته لحدود الله معد لصلاح حاله في معاشه ومهي لعواطف
الخلق عليه لاشتغاله بالله عن مجاذبتهم للدنيا وفي معناه الكلمة الثالثة
فان اخلاص العبودية لله واصلاح معاملته قاطع عن محبة الدنيا
والحرص عليها الذي هو سبب الفساد بين الناس وكان معدا لدفع المشاكل
ودفعه . وقال الحلم غطاء ساتر والعقل حسام
قاطع فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك استعار لفظ
الغطاء للحلم باعتبار انه يستر سورة الغضب وقبح ما يصدر عنه من
افعال يستبشعها ورشح بذكر الساتر وكذلك استعار لفظ الحسام

للعقل باعتبار قمعه لثوران النفس الأمّارة وافراطها ورشّح بذكر
القاطع ولذلك امر بمقاتلة هواه به . وقال ان لله عبادا يختصهم
بالنعم لمنافع العباد فيقرّها في ايديهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها
منهم ثم حولها الى غيرهم . اي من عباد الله مَن يكون مقصود العناية
الالهية بافاضة النعمة عليه واقرارها في يده وصول النفع الى الغير
ويكون ذلك شرطا فيها فاذا لم يوجد ذلك الشرط ارتفعت تلك النعمة
بارتفاع شرطها الى غيرهم وغرض الكلمة الحث على النفع المتعدّي
لغيره لكل عاقل انعم الله عليه ان نعمته كذلك . وقال عليه
السلام لا ينبغي للعبد ان يثق بخصلتين العافية والغنى بينا تراه معافى اذ
سقم وبينا تراه غنيًّا اذ افتقر . نهى عن الوثوق بالخصلتين المذكورتين
لكونهما مع تقابلهما من السقم والفقر امورا غير مقدورة للعبد ولا
معلومة الاسباب وهي في معرض التعاقب والوثوق بما كان كذلك
جهل ونفّر عن ذلك بضمير صغراه قوله بينا تراه الى اخره اي ان العبد
شانه هذا وتقدير الكبرى وكل مَن شانه ذلك فلا ينبغي ان يثق
بالخصلتين المذكورتين . وقال عليه السلام مَن شكا الحاجة
الى مؤمن فكانما شكاها الى الله ومَن شكاها الى كافر فكانما شكا
الله شكاية المؤمن الى المؤمن شكاية في موضعها اذ كانت ثمرة
الشكاية المعاونة على دفع الامر المشكوّ منه والمؤمن من شانه ذلك
بخلاف الشكاية الى الكافر ورغّب في الاولى بتشبيهها بالشكاية
الى الله ووجه الشبه ان المؤمن كالصديق فاذا شكا المؤمن اليه
امرا من الله فكانه جعله وسيلة الى الله في شكواه فاشبه الشكوى الى

ونفّر عن الفاقة بتشبيهها بشكوى الله ووجه الشبه انّ الاولى عدوّ
لله فمن شكا اليه امرا من الله فكأنما شكا من الله الى عدوه
وقـــال عليه السلام في بعض الأعياد انما هو عيد لمن قبل الله
صيامه وشكر قيامه وكل يوم لا نعصي الله فيه فهو يوم عيد غرض
الكلمة الجذب الى عبادة الله وطاعته وكسر النفوس عن الفرح
بما ليس لله فيه نصيب سواء كان زمانا او مكانا او غيرهما ولمّا
كان العيد عبارة عن يوم تسرّ فيه الناس ويفرح فيه فكل يوم لم
يعص الله فيه فهو اولى بالفرح به والسرور فيه وانما سمّي عيدا في عرف
اولياء الله والطالبين لما عنده ن وقـــال ان اعظم الحسرات
يوم القيامة حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة الله فورّثه رجلا فانفقه
في طاعة الله فدخل به الجنة ودخل الاول به النار ن غرض الكلمة
الجذب عن الكسب الحرام وادّخار المال والتنفير عنه بما ذكره وفي
اعظم الحسرات لا يقتضي ان يكون كل ما هو اعظمها وانما كان ذلك
حسرة عظيمة لعدم منفعته بالمال في الدنيا وعذابه به في الآخرة
ومشاهدته لانتفاع الغير به هناك ن وقـــال عليه السلام ان
اخسر الناس صفقة واخيبهم سعيا رجل اخلق بدنه في طلب آماله
ولم تساعده المقادير على ارادته فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على
الآخرة بتبعته ن استعار وصف الاخسر صفقة لمن ذكر باعتبار
اضاعته للدنيا عن الآخرة مع عدم موافقة القدر له في حصول
آماله الدنيوية وظاهر انه اخسر من التجر وتبعته ما يلحقه من عقوبات
الآثام المكتسبة له من سعيه ن وقـــال عليه السلام الرزق

رزقان طالب ومطلوب فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه عنها
ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها ن استعار للرزق وصف
الطالب باعتبار انه لا بدّ من وصوله فهو كالطالب لصاحبه ونفّر عن طلب
الدنيا بما يلزمه من الغاية المقدّرة وهي الموت وكأنه طالب لكونه غاية
اخراجه من الدنيا طلبه لها ورغّب في طلب الآخرة بما يلزمه من طلب
الدنيا واياه ان انقطع عنها حتى يصل اليه رزقه منها وهو محمود ومرّ بيانا
فيما سلف وجه اقبال الناس على من ينقطع عنهم ن وقـــال
عليه السلام ان اولياء الله هم الذين نظروا الى باطن الدنيا اذ نظر الناس الى
ظاهرها واشتغلوا بآجلها اذا اشتغل الناس بعاجلها فأماتوا منها ما
خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم ورأوا استكثار
غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا اعداء لما سالم الناس وسلم لما عادى
الناس بهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وهم به قاموا لا يرون
مرجوا فوق ما يرجون ولا مخوفا فوق ما يخافون اقول
ميّز اولياء الله بصفات عشر احداها انهم نظروا الى باطن الدنيا
اي حقيقتها وغرض الحكمة الالهية من وجودها فعملوا فيها على حسب علمهم
اذ نظر الناس الى ظاهرها من زينتها وقنياتها الفانية واشتغلوا بآجلها
وهو ما جعله الله نصب اعينهم غرضا مقصودا منها ثمرة للاستعداد بها وهو
ثواب الله ورضوانه اذا اشتغل الناس بعاجلها وحاضر لذاتها الفانية
فأماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وهو نفوسهم الامارة بالسوء التي يخشى من
غلبتها واستيلائها على العقل موته وهلاكه في الآخرة ن ويحتمل ان يريد بما
اماتوه منها قنياتها استعارة وكأنهم لما رفضوها ولم يلتفتوا اليها قد اماتوها

ولم يبق لها حياة عندهم الرابعة وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم
وصور نسبها وما بها المداركة لهم بالموت عنها ومن في الموضعين لبيان
الجنس الخامسة وراوا استكثار غيرهم منها استقلالا ودركهم
لها فوتا اي استقلالا من الخير الباقي وفوتا له اذ كان دركها والاستكثار
بها سببا لذلك السادسة اعلام ما سالم الناس وهي الدنيا السابعة
وسِلمهم ما عادى الناس وهو الآخرة الثامنة بهم عُلم الكتاب لحفظهم اياه
وفهمهم له وافادتهم به وبه علموا لاشتهارهم به عند الناس التاسعة
وبهم قام الكتاب اي صارت احكامه قائمة في الخلق معمولا بها وبه قاموا
اي باوامره ونواهيه وبما سمع اه ن ويحتمل ان يريد انهم قاموا في معاشهم
ومعادهم ببركته العاشرة لا يرجون مرجوا فوق ما يرجون من ثواب
الله ولا يخافون مخوفا فوق ما يخافون من عقاب الله والحجب عنه وذكر لعلمهم
بالمرجو والمخوف هناك ن وقال عليه السلم اذكروا انقطاع اللذات
اي بالموت وبقاء التبعات للجرائم والغرض التنفير عن الزمان وقال
عليه السلم اخبر تقله ومن الناس من يروي هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه
ومما يقوي انه من كلام امير المؤمنين عليه السلم ما حكاه ثعلب قال حدثنا
ابن الاعرابي قال قال المأمون لولا ان عليا عليه السلم قال اخبر تقله لقلت
انا اقله تخبر ن فقلاه تقليه قِلًى وقَلًا بالفتح وقلته تقلاه ابغضه والهاء
مزيدة للسكت وهو امر في معنى الخبر يجري مجرى المثل والمعنى من خبرت
باطنه قليته والحكم اكثري لكثرة ما عليه الناس من خبث السريرة ورذائل
الاخلاق وما نقل عن المأمون من العكس يشبه ان اظهار البغض للشخص يكشف
عن باطنه لانه اما ان يقابل بمثل ذلك او يترك فيعرف خيره من شره ن ونقل

نقله عن ابي بكر الاصفهاني قال لولا ان الاعتراض على السلف من الجهالة والمراء
لقلت القِلى ثم الخبر حتى لا يكون الانسان مضيعا وقته واضعا في غير موضعه
معرفته وقال عليه السلم ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق
عليه باب الزيادة ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الاجابة ولا
ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة ن اشار الى استلزام امور
ثلثة لامور ثلثة وهي الشكر للمزيد والدعاء للاجابة والتوبة للمغفرة فمن فتح
الله له بابا من هذه الملزومات واعده له والهمه اياه وجب في جوده ان
يفتح له باب لازمه ويفيضه عليه اذ لا بخل في جوده ولا منع في عطائه وفي
فتح الباب استعارة لتيسير الله تعالى العبد لذلك واعداده له ن وسُئل
عليه السلم ايما افضل العدل ام الجود فقال العدل يضع الامور مواضعها
والجود يخرجها عن جهتها والعدل سائس عام والجود عارض خاص فالعدل
اشرفهما وافضلهما ن اشار الى افضلية العدل بضميرين صغرى الاول
قوله العدل الى قوله جهتها يريد ان طبيعة الجود يقتضي من صاحبها اخراج
كل ما يملكه عن مواضعه ومواقع حاجته التي هي اولى به ومقتضى العدل
الثاني قوله والعدل الى قوله خاص واستعار له لفظ السائس باعتبار
انه به نظام العالم والجود عارض خاص بمن يصل اليه من بعض الناس ويقدر
الكبرى فيهما وكل امرين كانا كذلك فالعدل اشرفهما وافضلهما ن
وقوله فالعدل الى آخره هو النتيجة ن وقال عليه السلم الناس
اعداء ما جهلوا وقد مرّ بيانه ن وقال عليه السلم الزهد كله
بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم ن ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه

الامران المذكوران في الآية فاشار من الزهد والاعراض عن الدنيا في قوة خاصة مركبة
تلزم الزهد نبّه عليها المعرفة بهما وكنّى بقوله فمن اخذ الزهد بطرفيه عن استكمال
حقيقة الزهد وكمالها حينئذ وظاهر ان وجود الخاصة المذكورة مستلزم
للاعراض عن الدنيا وطيبا بها القلب وهو الزهد الحقيقي . وقال عليه السلم
الولايات مضامير الرجال . واراد بالمضامير مظان معرفة جودة الفرس وهي
الامكنة التي تعرف فيها الخيل للسباق واستعار لفظها للولايات باعتبار
انها مظان ظهور جودة الوالي من خسته ورداءته كما ان المضامير للخيل كذلك
وقال عليه السلم ما انقض النوم لعزائم اليوم **اقول**
ما هاهنا للتعجب وهذه الكلمة جرت مجرى المثل لمن يعزم على امر فيغفل
عنه او يتهاون به ويتراخى عن فعله حتى ينتقض عزمه عليه واصله ان
الانسان قد ينوي السفر مثلا او الحركة بقطعة من الليل ليتوفر في نهاره
على سيره فيغلبه النوم الى الصباح فيفوت وقت عزمه فينتقض ما كان
عزم عليه في يومه . وقال عليه السلم ليس بلد باحق بك من بلد
خير البلاد ما حملك . **اقول** ما حملك اي ما وجدت فيه
قيام حالك وصلاح معاشك وامكنك الاقامة به واستعار وصف الحمل
له باعتبار حمل مؤنته من حيطه لتشبيهه بالحامل ونحوه والى ذلك او قريب
منه اشار ابو الطيب . وفي بلاد من اختها بدل
وشدد على من هرب الحرائق في قوله .
لعزّ بلاد الاذى والهون متّسع ما بين جرّ ومن الدار من نسب
وقال عليه السلم وقد جاءه نعي الاشتر رحمه الله مالك وما مالك
لو كان جبلا لكان فندا لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطائر . قال

السيد رحمه الله الفند المنفرد من الجبال وما للاستعظام او فاعل اي مالك
مالك وما استفهامية في معرض التعجب من مالك رحمه الله وقوته في الدين
وقال قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه وذلك من الامور
التي ينبغي ان يعقل وانما كان كذلك لان الدوام على القليل منها يعد النفس
لملكة الطاعة والخير وصيرورتهما خلقا بخلاف الكثير المملول منه ونحوه
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان
المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى . وقال عليه السلم اذا كان
في رجل خلة رائعة فانتظروا اخواتها . والرائعة المعجبة اي اذا كان في
الانسان خلق واصل فان طبيعته مظنة ان يكون فيه جملة من الاخلاق الفاضلة
المناسبة لذلك الخلق يتوقع وينتظر منه كمن يكون من شأنه الصدق فانه
يتوقع منه الوفاء وحسن الصحبة وبالعكس وكمن يكون من شأنه العفة فانه
يتوقع منه الكرم والمسامحة والبذل والصداقة والمحبة ونحوها . وكمن يكون
شجاعا فانه يتوقع منه عظم الهمة والحلم والثبات وكذلك من كان فيه ضد
ذلك من الرذائل . وقال عليه السلم لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق
في كلام دار بينهما ما فعلت ابلك الكثيرة فقال ذعذعتها الحقوق يا امير
المؤمنين فقال عليه السلم ذلك احمد سبلها . الكلام الذي دار بينهما ان غالبا
دخل على علي عليه السلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه الهمام الفرزدق وهو غلام يومئذ
فقال له عليه السلم من الشيخ فقال غالب بن صعصعة قال ذو الابل
الكثيرة قال نعم قال ما فعلت ابلك قال ذعذعتها الحقوق واذهبتها
الحمالات والنوائب فقال ذاك احمد سبلها من هذا الغلام فقال هذا ابني
همام وقد رويته الشعر يا امير المؤمنين وكلام العرب ويوشك ان يكون شاعرا

مُجيداً فقال اقرئوا القرآن فهو خير فكان الفرزدق يروي هذا الحديث ويقول
ما زالت كلمته في نفسي حتى قيّدت نفسي بقيد وآليت ان لا افكّه حتى احفظ القرآن
فما فككته ۝ ودع عنها ابدال المعجمة مكررة فرقتها ۝ وقال عليه السلم
مَن اتّجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا ان ارتطم في الوحل وتحيّر ووقع فيه فلم يمكنه
الخلاص وهو وصف مستعار لغير الفقيه باعتبار انه لا يمكنه الخلاص من الربا
وذلك لكثرة اشتباه مسائل الربا بمسائل البيع لا يفرق بينهما الا اكابر الفقها
مع وقوع الخلاف الشديد بينهم فيها كبيع لحم البقر بالغنم متفاضلاً لا يجوّزه
ابو حنيفة رحمه الله بناء على انهما جنسان مختلفان ومنع منه الشافعي رحمه الله
الى غيرها من المسائل ۝ وقال عليه السلم مَن عظّم صغار المصائب
ابتلاه الله بكبارها وانما لزمه ذلك لاستعداده بضجره وسخطه من قضاء
الله لزيادة البلاء ولو قد حمد الله على بلائه لاستعدّ بذلك لرفعه ۝
وقال مَن كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته لكونهما عدوّان
فاكرام احدهما يستلزم اهانة الاخرى فمن كرمت عليه نفسه لزمه حفظها
وحمايتها من عذاب الله وذلك يستلزم هوان شهوته عليه وعدم مراعاتها
لانها تقتضي ضدّ ذلك ۝ وقال ما مزح امرؤ مزحة الا مجّ من عقله
مجّة وذلك لان العقل يقتضي صيانة العرض والبقاء على حدّ يوقّر معه صاحبه
ولا يستخف به والمزاح الذي لا ينبغي يقتضي اضداد ذلك فهو مستلزم لمخالفة
العقل وتركه واستعار لفظ المجّ لما يطرحه الانسان من عقله في مزحه
ومزاحاته وكانه قد مجّه كما يمجّ الماء من فيه ويلقيه ۝ وقال
زهدك في راغب فيك نقصان حظّ ورغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس ۝
اما الاول فلان من تمام الحظ كثرة الاخوان للاعانة على صلاح

امر المعاش والمعاد فالزهد فيهم يستلزم نقصان الحظّ ولان مجازاة
الرغبة بمثلها فضيلة من تمام الحظ الانساني فعدمها يستلزم نقصانه
واما الثاني فاستلزام الرغبة في الزاهد فيك للذلّ والخضوع له
ظاهر والكلمتان صغريا ضمير يقرب به عن الزهد في الراغب فيك والرغبة
في من زهد فيك ۝ وقال مال ابن آدم والفخر اوله نطفة وآخره جيفة
استفهم متعجبا من وجه الجمع بين الانسان والفخر ونبّه على عدم
المناسبة بينهما بضمير صغراه قوله اوله الى آخره وتقدير الكبرى وكل
من كان كذلك فلا مناسبة بينه وبين الفخر ۝ وروى الفخر منصوبا على
المفعول معه ۝ وقال الغنى والفقر بعد العرض على الله تعالى
اراد الغنى الحقيقي بالثواب والفقر بعدمه في الآخرة ۝ وسُئل
عليه السلم عن اشعر الشعراء فقال ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف
الغاية عند قصبتها فان كان ولا بدّ فالملك الضليل يريد به امرء القيس
اراد انهم لم يقولوا الشعر على منهاج واحد حتى يفاضل بينهم بل كان لكل
منهم حالة خاصة يجدّ فيها وتنبعث فيها قريحته فواحد يجيد في الرغبة
وآخر في الرهبة وآخر في النشاط والطرب ولذلك قيل اشعر العرب
امرؤ القيس اذا ركب والاعشى اذا رغب والنابغة اذا رهب واستعار
لفظ الحلبة وهي القطعة من الخيل تعدّ للسباق للطريقة الواحدة
ورشّح بذكر الاجراء والغاية وقصبتها وذلك ان عادة العرب ان تضع
قصبة في آخر المدى فمن سبق اليها واخذها فان له السبق والغلب وقوله
فان كان ولا بدّ اي من الحكم وانما حكم بذلك باعتبار جودة شعره
في اكثر حاله لانه كور عمره كما روي عنه برواية اخرى انّ ابا الاسود سأله عن

أشعر العرب فقال لو رفعت للقوم غاية علمنا من السابق منهم ولكن إن
يكن والذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة وهو الملك الضليل وسمي ضليلا
لكثرة ضلاله وفوته ۝ وقيل لأنه تنصّر في آخر عمره وقيل لأنه
كان كثير التهتك وإعلان الفسق كما في شعره ۝ وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال امرؤ القيس أشعر العرب وقائدهم إلى النار ۝
وقال الفرزدق كان الشعر جزورًا فنحر فأخذ سنامها امرؤ القيس وأخذ
طرفة ما طاب من لحمها وأخذ لبيد ما عابها وأكبادها ونفس عظامها
وأرواثها فاقتسمناها بالحق ۝ وقيل للبيد من أشعر الناس فقال
الملك الضليل فقيل ثم من فقال الفتى القتيل يعني طرفة فقيل ثم من فقال
الشيخ أبو عقيل يعني نفسه ۝ وقال عليه السلام ألا حرٌّ
يدع هذه اللماظة لأهلها إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا
بها ۝ اللماظة بقية الطعام ما يبقى في الفم من الطعام ولفظها مستعار
للدنيا باعتبار قلتها وحقارتها ودعا إلى تركها ثم جذب عنها بصغرى
قوله فإنه إلى قوله الجنة وهو كقوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ۝ وتقدير الكبرى وكل ما كان
ليس لأنفسكم ثمن إلا هو فينبغي أن لا تبيعوها إلا به ۝ وقال
علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك
وأن لا يكون في حديثك فضل عن علمك وأن تتقي الله في حديث غيرك
أشار من علامات الإيمان إلى ثلاث أحدها أن تؤثر الصدق الضارّ
على الكذب النافع محبة للفضيلة وكراهة للرذيلة الثانية أن لا
يكون في حديثه فضل وزيادة عن علمه وهو العدل في القول والاحتراز

من ذلك الكذب الثالثة أن يتقي الله في حديث غيره فلا يخوض في عرضه
بغيبة أو سماعها وقيل أراد أن يحتاط في الرواية فيروي عنه ما حدثه كما
هو ۝ وقال تغلب المقادير على التقدير حتى تكون الآفة في التدبير ۝
المقادير القدر ولما كان الإنسان جاهلا بأسرار القدر كان ما يقدره
ويدبره لنفسه على أوهام لا ثقة بها لجواز فيما دبره هو لنفسه واعتقده سببًا
لمصلحته أن يكون من أسباب مفسدته وهلاكه وقد مرّ بيان ذلك ۝
وقال عليه السلام الحلم والأناة توأمان ينتجهما علو الهمة استعار
لهاتين الفضيلتين لفظ التوأمين باعتبار استلزام علو الهمة لهما وصدورهما
بواسطتهما وذلك أن عالي الهمة يستحقر كل ذنب ومذنب في حقه
فيحلم عنه ويتأنى عن المبادرة إلى مقابلته ۝ وقال الغيبة جهد العاجز
أكثر ما تصدر الغيبة عن الأعداء والحساد الذين يعجزون عن بلوغ أغراضهم
وشفاء صدورهم فيعدلون إلى إظهار معايب أعدائهم لما يجدون فيه من
اللذة وتنفر عنها نسبة فاعلها إلى العجز وإنما غاية جهده لما أنف من ذلك
النقصان ولا يرضى به ۝ وقال ربّ مفتون بحسن القول فيه
لفتنة الابتلاء وأراد أن من الناس من يبتليه الله تعالى بحسن القول فيه
من المدح والإطراء تقوية الدين ونحوه فيكون ذلك مستلزما للشكر وثوابه
أو للعجب والتكبر المستلزم لعقابه ۝ قال السيد الرضي رحمه الله وهذا
حين انتهى الغاية بنا إلى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
عليه السلام حامدين لله سبحانه على ما منّ به من توفيقنا لضم ما انتشر من
أطرافه وتقريب ما بعد من أقطاره ومقررين العزم كما شرطنا أولا على
تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب لتكون لاقتناص

الشارد واستلحاق الوارد وما عسناه ان يظهر لنا بعد الغموض ويقع الينا
بعد الشذوذ وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل
واقول انه رحمه الله بلغ في اختيار كلامه عليه السلام الى هذه
الغاية ووقفه عليها ثم كُتبت على عهده زيادة من محاسن الكلمات
اما باختياره هو او بعض من كان بحضرة من اهل العلم وتلك الزيادة تارةً
توجد خارجة عن المتن وتارةً موضوعة فيه مُلحقة بمنقطع اختياره
وربما قُرئ عليه وامر بالحاقها بالمتن واولهان وقال
عليه السلام الدنيا خُلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها واراد خلقت للاستعداد
منها لدرك ثواب الله في الاخرة لا ليلتذ بها الجاهلون وقال
عليه السلام ان لبني امية مروداً يجرون فيه ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم
كادتهم الضباع لغلبتهم ن المرود هنا مفعل من الارواد وهو الامهال
والانظار وهذا من افصح الكلام واغربه وكانه عليه السلام شبّه المهلة
التي هم فيها بالمضمار والذي يجرون فيه الى الغاية فاذا بلغوا منقطعها
انتقض نظامهم بعدها ن استعار لفظ المرود لمدة دولتهم التي لم تزل
على الاستقامة الى حين اختلافهم وذلك حين ولي الوليد خراسان واقبل
مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة فخلع ابراهيم بن الوليد وقتل
قوماً من بني امية واضطرب امر دولتهم وكان زوالها على يد ابي مسلم
وكان في بدو امره اضعف حلوبة واشدهم فقراً وفي ذلك تصديق قوله
عليه السلام ثم كادتهم الضباع لغلبتهم ولفظ الضباع قد يستعار
للاراذل والضعفاء وهذا من كراماته عليه السلام ن وقال
في مدح الانصار هم والله ربوا الاسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بايديهم

السباط والسنتهم السلاط ن الفلو المهر والسباط السماح ويقال
للحاذق في الطعن انه لسبط اليدين يريد انه ثقف فيه والسلاط الحداد
الفصيحة وشبّه تربيتهم الاسلام وحمايتهم له بتربية الفلو ووجه
الشبه شدة عنايتهم به وحسن مراعاته الى حين كماله وقال
عليه السلام العينان وكاء السه قال السيد وهذه من الاستعارات
العجيبة كانه شبه السه بالوعاء والعين بالوكاء فاذا اطلق الوكاء لم
ينضبط الوعاء قال وهذا القول في الاشهر الاظهر من كلام النبي
صلى الله عليه وسلم وقد رواه قوم لامير المؤمنين عليه السلام وذكر ذلك
المبرّد في كتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف وقد تكلمنا على هذه
الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الاثار النبوية واقول
انه استعار لفظ الوكاء وهو رباط القربة للعين باعتبار حفظ الانسان
في يقظته لنفسه من ان يخرج منه ريح ونحوها كما يحفظ الوكاء ما يوكى به
وفي ذلك ملاحظة لتشبيه السه بالوعاء كالقربة ن ومن تمام الخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا نامت العينان استطلق الوكاء ن
وقال في كلام له ووليهم والٍ فاقام واستقام حتى ضرب
الدين بجرانه ن المنقول ان الوالي هو عمر بن الخطاب والكلام من خطبة
طويلة له عليه السلام في ايام خلافته يذكر فيها قربه من رسول الله صلى الله
عليه وسلم واختصاصه له وافضاءه باسراره اليه الى ان قال فيها فاختار
المسلمون بعده بآرائهم رجلاً منهم فقارب وسدد حسب استطاعته
على ضعف وحدٍّ كانا فيه ثم وليهم بعده والٍ فاقام واستقام حتى ضرب
الدين بجرانه على عسف وعجرفية كانا فيه ثم استخلفوا ثالثاً لم يكن يملك من امره

نفسه شيئاً غلب عليه اهله فقادوه الى اهوائهم كما تقود الوليدة البعير
المخطوم ولم يزل الامر بينه وبين الناس يبعد تارة ويقرب اخرى حتى
نزوا عليه فقتلوه ثم جاء في مدح الدنيا تريدون ان يجيء في كلام طويل
والجران مقدم عنق البعير وضربه بجرانه كناية بالوصف المستعار عن
استقراره وتمكنه كتمكن البعير البارك من الارض وقال
يأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر
بذلك قال سبحانه وتعالى ولا تنسوا الفضل بينكم تنهد فيه الاشرار
وتستذل فيه الاخيار ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن بيع المضطرين ش تنهد اي ترتفع وتعلو وذكر لذلك الزمان
ثلاثة احكام احدها استعار له لفظ العضوض باعتبار شدته واذاه
كالعضوض من الخيول وفعول للمبالغة لمناسبة انه يعض الموسر
فيه على ما في يديه وهو كناية عن بخله بما يملك ونبه على صدق قوله ولم
يؤمر بذلك بقوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم فانه يفيد الندب الى بذل
الفضل من المال وذلك ينافي الامر بالبخل الثالثة انه يعلو فيه درجة
الاشرار وتستذل الاخيار الرابعة ويبايع فيه المضطرون اي
كرهاً لائمة الجور ونبه على قبح ذلك بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم
عنه ش قال يهلك فيّ رجلان محب مطر وباهت مفتر وهذا مثل قوله
عليه السلم يهلك فيّ رجلان محب غال ومبغض قال فالمحب المطري
بكثرة المدح كالغلاة هم في طرف الافراط والذي يبهته ويفتري عليه
بانه كافر ومخطئ كالخوارج هم في طرف التفريط وكلاهما رذيلتان
خارجتان عن فضيلة العدل فيه وقد علمت ان الرذايل مهاوي الهلاك

الاخروي وقد سبق مثله ش وسئل عليه السلم عن التوحيد والعدل فقال
التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه وهاتان الكلمتان على وجازتهما
في غاية الشرف وعليهما مدار العلم الالهي والكلمة الاولى اجل
كلمة دل بها على التوحيد والتنزيه وقد بينا مفهومها في اول الخطبة
الاولى من الكتاب وجملة القول ههنا انه لما كان الوهم انما يدرك
المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوس ولا بد ان يستعين في ادراكه وضبطه
بالقوة المتخيلة حتى تصوره وتلحقه بالامور المحسوسة وكان الباري تعالى
منزهاً بمقتضى العقل الصرف عن المحسوسات وما يتعلق بها لاجرم لم يجز
ان يتوجه الوهم في تصوره تعالى ويجري على ذاته المقدسة احكام اذ لا
تكون في حقه الا كاذبة لاقتضائها كونه محسوساً او متعلقاً بالمحسوس
الذي من شأنه الكثرة والتركيب المنافيان للوحدة المطلقة فيكون قد
عرف التوحيد بخاصة من خواصه وهي لازمة واما الكلمة الثانية
فالمراد من العدل اعتقاد جريان العدل في جميع افعاله تعالى واقواله ومن
لوازم ذلك الخاصة به ان لا تتهمه العبد انه يجبره على القبيح ثم يعاقبه
عليه او انه يكلفه ما لا يطيقه ونحو ذلك من مسايل اصول الدين التي
يعتمد فيها المعتزلة على ظواهر كلامه عليه السلم ش قال لا خير
في الصمت عن الحكم كما لا خير في القول بالجهل ش الصمت عن الحكمة رذيلة
تفريط من فضيلة القول والقول بالجهل رذيلة افراط ولا خير فيهما بل فيما
يتوسطهما من القول بالحكمة ش قال عليه السلم في دعاء استسقى
به اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها قال السيد وهذا من الكلام
العجيب وذلك انه عليه السلم شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح

والصواعق بالابل الصعاب التي تقمص برحالها وتوقّص بركبانها وشبّه
السحاب الخالية من تلك الروايع بالابل الذلل التي تحتلب طيّعة وتقتعد مسمّحة
واقول ان لفظي الذلل والصعاب مستعاران للسحاب بمكان
المشابهة التي ذكرها السيّد وتوقّص بركبانها اي تنزو بهم نزوًا يقارب
الخطو والروايع الامور المخوفة ن وقال له عليه السلم يا امير المؤمنين
لو غيّرت شيبك فقال الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة يعني برسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر ن وقال عليه السلم منهومان
لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا ن النهم بالتحريك افراط الشهوة في
الطعام ولفظه مستعار لشدّة طلب المتعلم وحرصه على العلم وطلب
صاحب الدنيا لها وكذلك وصف عدم الشبع لهما والكلمة مرويّة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم
بالعلم وقال عليه السلم القناعة مال لا ينفد وقد روى بعضهم
هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم واستعار لفظ المال للقناعة بوصف
عدم النفاد باعتبار انّ بها الغنى الدائم كالمال الباقي وقال
عليه السلم لزياد بن ابيه وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس واعمالها
في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج استعمل العدل واحذر
العسف والحيف فان العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو الى السيف امره باستعمال
العدل وحذّره من حيف الناس وعسفهم وهو حملهم على المكاره ونفّر
عن ذلك بضمير صغراه قوله فان العسف الى آخره اي يعود بجلاء المعسوف
بهم عن اوطانهم وظاهر ان الظلم معدّ لذلك او لقيام السيف على الظالم
من غيره وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فيجب اجتنابه وقال

عليه السلم اشدّ الذنوب ما استخفّ به صاحبه وذلك انه يدوم عليه لاستسهاله
اياه حتى يصير ملكة وخلقًا لا ينفكّ عنه بخلاف ما استصعبه فانه يوشك
ان يقلع عنه قبل استحكامه وقد مرّ تفسيره وقال عليه السلم ما اخذ الله
على اهل الجهل ان يتعلّموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلّموا ن لما كان التعلّم
على الجاهل فريضة ولا يمكن الا بمعلّم عالم كان وجوب التعلّم على الجاهل مستلزمًا
لوجوب التعليم على العالم ن وفي الخبر المرفوع من تعلّم علمًا وكتمه الجمه الله يوم
القيامة بلجام من النار ن وروى معاذ بن جبل عن الرسول صلى الله عليه وسلم
انه قال تعلّموا العلم فان تعلّمه لله خشية ودراسته تسبيح والبحث عنه
جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة معالم الحلال [illegible]
والحرام [illegible] سبل الجنة والمونس في الوحشة والمحدّث في الخلوة والجليس في
الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السرّاء والمعين على الضرّاء
والزين عند [illegible] والسلاح على الاعداء ن وقال عليه السلم
شرّ الاخوان من تكلّف له اي من احوج الى التكلّف له وذلك ان الاخوّة
الصادقة تستدعي الانبساط بين الاخوان وترك التكلّف من بعضهم لبعض
وكان عدم [illegible] وجود التكلّف مستلزمًا لعدمه [illegible] وهو صدق
الاخاء ومن لا يكون اخا صدق فهو شرّ الاخوان والكلمة في قوّة صغرى ضمير
نبّه به على اجتناب اخ كذلك وتقديرها من احوج الى التكلّف له فهو شرّ
الاخوان [illegible] الكبرى ومن كان شرًّا لزم مجانبته وقال
عليه السلم اذا احتشم المؤمن اخاه فقد فارقه ن حشمه واحشمه بمعنى اي
اغضبه وقيل اخجله وهو صغرى ضمير نفّر فيه عن احتشام الاخ لاخيه
وذلك ان احتشامه يستلزم عدم انسه به وهو من دواعي مفارقته

وموجبات اوتعتريه امور في قوة الكبرى مفارقه [illegible] فاحتجنا [illegible]

بجوزة وبالله التوفيق والعصمة ٥ وهذا اخر ما ذكره من املاء السيد الرضي

رضي الله عنه من كلام مولانا وسيدنا امير المؤمنين عليه السلام ٥

وافق الفراغ منه صباحي نهار السبت السادس

من شهر الله الاصم رجب المبارك سنة [illegible]

بخط العبد الضعيف عبد الرحمن الحسين بن [illegible]

الحمد لله اللهم صل على سيدنا محمد النبي وآله وسلم

[illegible]

